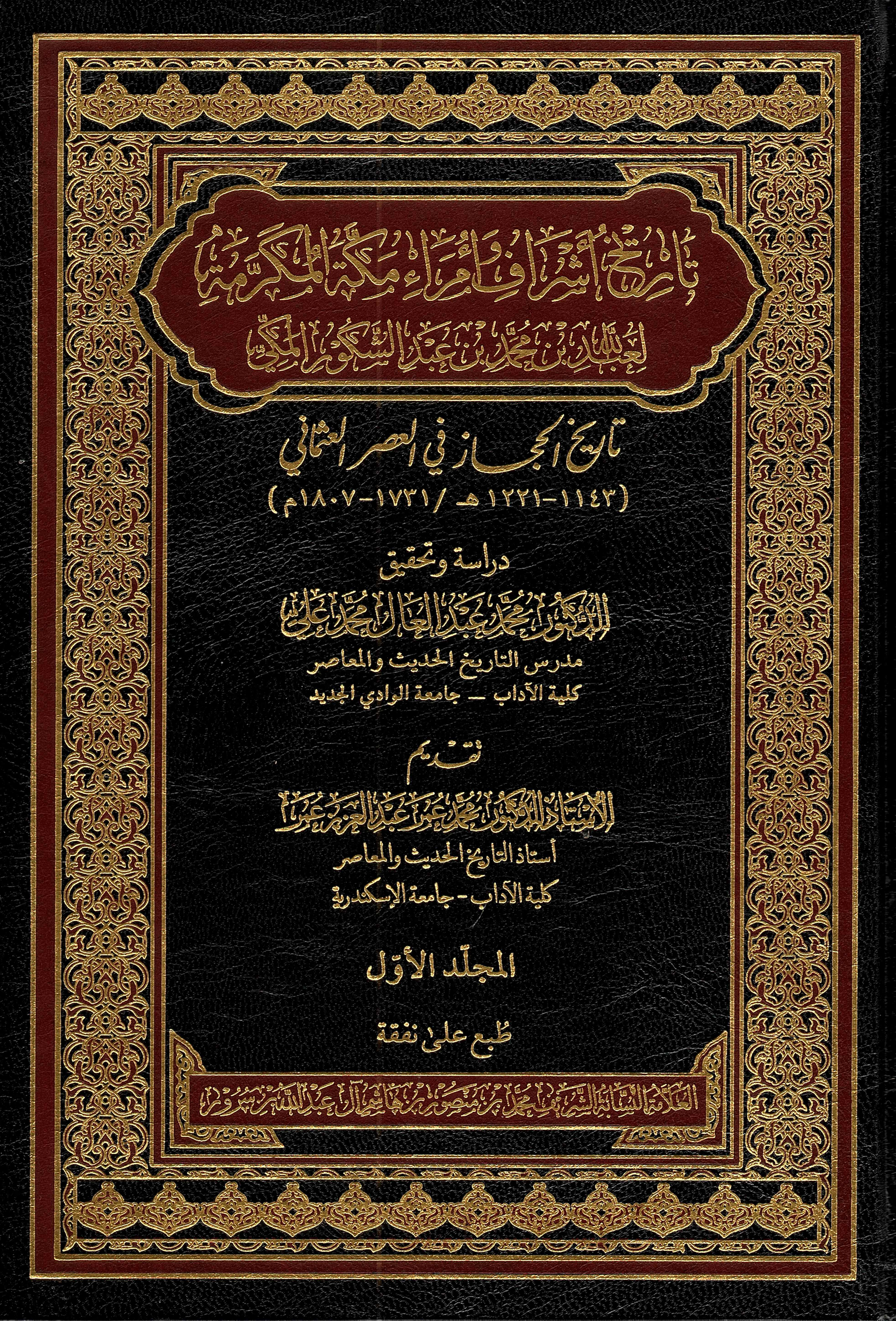

تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة
لعبد الله بن محمد بن عبد الشكور المكي
تاريخ الحجاز في العصر العثماني
(١١٤٣-١٢٢١هـ / ١٧٣١-١٨٠٧م)
دراسة وتحقيق
الدكتور محمد عبد العال محمد علي
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب — جامعة الوادي الجديد
تقديم
الأستاذ الدكتور محمد عمر عبد العزيز عمر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية
المجلد الأول
طبع على نفقة
العلامة النسابة الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله بن سرور



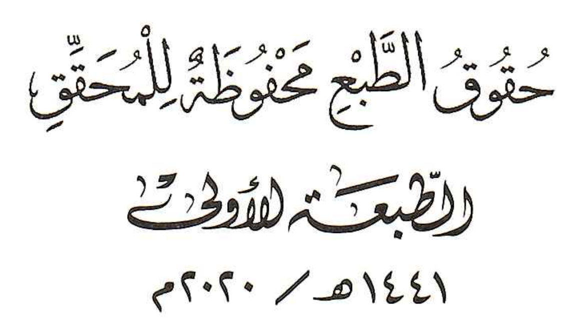


تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة

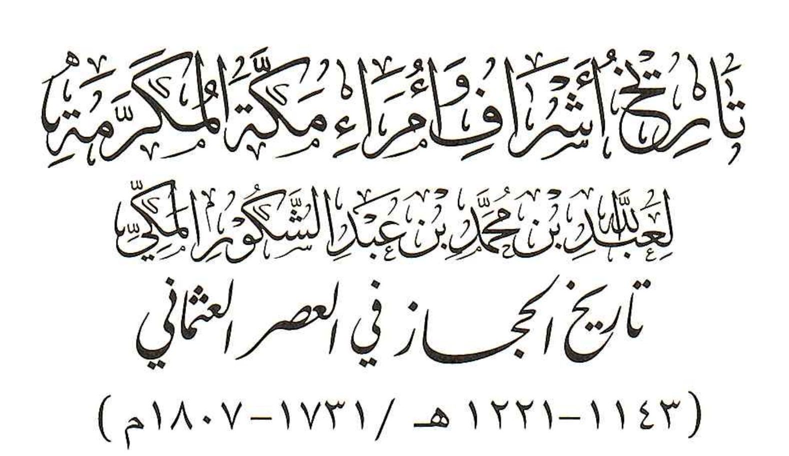
لعبد الله بن محمد بن عبد الشكور المكي

تاريخ الحجاز في العصر العثماني

(١١٤٣-١٢٢١ هـ /١٧٣١-١٨٠٧م)


حقوق الطبع محفوظة للمحقق
الطبعة الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م


9 786148 011160



دراسة وتحقيق

الدكتور محمد عبد العال محمد علي
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب ـ جامعة الوادي الجديد

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد عمر عبد العزيز عمر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

المجلّد الأوّل

طُبع على نفقة
العلامة النسابة الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله بن سرور



﴿... وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾

[سورة آل عمران، جزء من الآية: ١٤٠].

إهداء

إلى ذكرى أستاذي

العلامة الدكتور محمود سعيد عمران

(١٩٣٣ - ٢٠١٥م)

أستاذ تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

يُعَدُّ مخطوط «تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة» لمؤلفه عبد اللَّه بن محمد بن عبد الشكور المكي من المخطوطات التي تتناول فترة مُهمَّة من تاريخ الحجاز في العصر العثماني، حيث تناول الفترة الأخيرة من العهد العثماني الأول، والواقعة بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٦م)، وتكمن أهميته في أن مؤلفه شاهد عيان على كثير من الأحداث التي عرضها، وتناول كثيرًا من الأحداث التاريخيَّة المُهمَّة عن تلك الفترة الخطيرة من تاريخ الحجاز الحديث، في كافة مناحي الحياة السياسيَّة، والعسكريَّة، والاجتماعيَّة، والدينيَّة، والعلميَّة.

يتناولُ المخطوط تاريخ أشراف الحجاز، والقوانين المُتبعة في تولي شرافة مكة، وعَلاقات الأشراف بعضِهم ببعضٍ، واهتمامهم بإقامة المُنشآت الدينيَّة والعسكريَّة، وعَلاقاتهم بالقبائل المحيطة بهم في هذه الفترة، ويبرز مدى الاهتمام الكبير الذي أولاه السلاطينُ العثمانيونَ بأراضي الحرمين الشريفين، من إخراج محامل الحج، وتأمينها، كما يرصد العلاقات الطيبة التي ربطت أشراف الحجاز بكثيرٍ من الحكام في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا.

ويعرضُ قضيةً كانت حديث الساعة وقتئذٍ، وهي ظهور الدعوة السلفيَّة على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتحالفه مع الأمير محمد بن سعود بن مقرن - حاكم الدرعيَّة - وقيام الدولة السعوديَّة الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)، التي شملت الجزء الأكبر من الجزيرة العربيَّة أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وتدور أحداث المخطوط عن

العَلاقات بين أشراف الحجاز والدولة السعوديَّة الأولى، فيوضح بدايتها، وتطوراتها، والصراع المرير بين الطرفين، الذي انتهى بضم أراضي الحرمين الشريفين إلى الدولة السعوديَّة الأولى عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م.

وقد التزم الباحث في الدراسة بقواعد المنهج التاريخي، والقواعد العلميَّة لتحقيق المخطوطات، وكتب دراسته بلغة عربية سليمة، وأسلوب ساعد على وضوح الفِكَرِ وتسلسلها، وإخراج النص الأصلي للمخطوط بطريقة علميَّة، متبعًا سبيله في تدقيق النص ومقارنة النسخ المختلفة للمخطوط، وبيان الفروق بينها؛ من أجل إِخراج النص على أكمل صورة، وأثرى الدراسة بما قدَّمه من حواشٍ وتعليقاتٍ تَنُمُّ على ما بذله من عمل علمي من خلال الوثائق والمخطوطات، والمصادر المطبوعة، والمراجع الحديثة، مُقدمًا للمكتبة التاريخيَّة العربيَّة مصدرًا تاريخيًّا مُهمًّا، كما أن النتائج التي توصَّل إليها تفتح الباب لبعض الدراسات العلميَّة في تاريخ الحجاز في العصر العثماني.

الأستاذ الدكتور
محمد عمر عبد العزيز عمر
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب – جامعة الإسكندريَّة

الإسكندريَّة تحريرًا في يوم الأحد
الموافق ١٤ رمضان ١٤٤٠هـ
١٩ مايو ٢٠١٩م

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيِّد المرسلين سيِّدنا محمد الصادق الوعد الأمين. اللَّهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا، وأرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا مِمَّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

يُمَثِّلُ التراث العربي الإسلامي وعاءً لكافة مَنَاحي الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية، وقد أجمع الباحثون أنَّه لا توجد أُمَّة لديها ميراث حضاري ضخم مثل الأُمَّة الإسلامية، وبخاصة المخطوطات التي كُتِبَتْ على مدار العصور الإسلامية المُختلفة؛ ولذلك فقد اتجهت الدراسات الحديثة إلى نشر وتحقيق هذا التراث المخطوط في كافة المجالات، وما يهمنا هنا المخطوطات التاريخية، التي غطَّت التاريخ الإسلامي في كافة مراحله حتى عصرنا الحديث، وفي القرن الماضي نشر العديد مِن الباحثين الأوروبيين والعرب العديد مِن الذخائر التاريخية العربية، والتي ساعدت على التعرف على كثير مِن الأحداث في كافة مراحل التاريخ، التي كان يشوبها الغموض والضبابية.

ومِن هذا المنطلق، وفي خلال إعداد رسالة الماجستير، أصبح لزامًا عليَّ الاطلاع على عددٍ مِن المخطوطات التي تغطي الفترة الزمنية موضوع البحث، وقد صادفت مخطوطًا لم استطع العثور عليه إلا بشق الأنفس، رغم

أهميته التاريخية، التي تنبع مِن أنَّه يتناول فترة تاريخية خطيرة في تاريخ الحجاز في العصر العثماني، ولم أعرف حينها ما هو سِرّ عزوف الباحثين عن تحقيقه؛ لذا فعقب انتهائي من الماجستير، قرَّرت خوض رحلة البحث عنه، والوقوف على نُسَخه الموجودة في المكتبات، ودور المخطوطات في العالم، وقد وفِّقت - من خلال أحد الأساتذة المتخصصين في ذلك المجال- في إيجاد نُسَخ أخرى مِنه، ووجدت أنّهُ عمل ضخم يستحقّ دراسته وتحقيقه في رسالة علميَّة؛ حتى ينال الاهتمام الأمثل، ويخرج بصورة صحيحة، ولمَّا عرضت الأمر على أساتذتي في قسم التاريخ بآداب الإسكندرية؛ شجّعوني على خوض غمار هذا المجال الشاق، ألا وهو التحقيق التاريخي.

والمخطوط محلّ الدراسة موسوم بـ:«تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة»، لمؤلفه عبد اللَّه بن محمد بن عبد الشكور المكي، الذي ولد ونشأ في مكة المكرمة في بدايات النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ النصف الثاني مِن الثامن عشر الميلادي، وطلب العلم على علماء عصره، وتفوَّق في قرْض الشعر وأجاده، وله مؤلفاتٌ عديدةٌ، مِنْها: «تحفة الصبيان في مذهب أبي حنيفة النعمان»، وله تعريب كتاب في الطب، وقد ولِّي الإمامة والخطابة بالمسجد الحرام، وأجمع أهل الحرمين الشريفين على جلالة قدره، وغزارة علمه، ورقة لفظه، وشدّة حذقه، وتوفي في مكة المكرمة سنة ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، ودُفِنَ في مقبرة المَعْلَاة. وتناول ابن عبد الشكور في كتابه حوادث تاريخ الحجاز بصورة خاصة، وتاريخ العرب الحديث بصورة عامَّة، في مرحلة مُهمَّة في أواخر العهد العثماني الأوَّل.

هذا، ومن المعلوم أنَّ إقليم الحجاز يقع في غربي شبه الجزيرة العربية، وقد تمتع بمكانة كبرى طوال تاريخه؛ لوجود الحرمين الشريفين في مكة المكرمة، والمدينة المنورة؛ ولذلك تسابقت الدول الإسلامية الكبرى في ضمِّ هذه المنطقة إليها، والإشراف عليها، ومِن هذه الدول كانت الدولة العثمانية (٦٩٨-١٣٤٢هـ/ ١٢٩٩-١٩٢٣م)، فبعد أنْ انتصر العثمانيون على

المماليك في موقعة مرج دابق، ثم موقعة الريدانية عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، انضمَّ الحجاز بصورة سلمية إليهم، وصاروا هم الوريث الشرعي للمماليك في المشرق العربي.

أولى العثمانيون اهتمامًا بالغًا بإقليم الحجاز، وكان له نظامٌ إداريٌّ يختلف عن نظمهم المتبعة في المناطق الأخرى التي خضعت لهم، ولكنْ تشابه معه مِن حيث تقسيم الحكم والإدارة بين عددٍ مِن القوى المختلفة، لإحداث نوع مِن التوازن بينها، ولكنَّه أدَّى في نهاية الأمر إلى خللٍ كبيرٍ في هذه المنطقة؛ نتيجة تضارب مصالح تلك القوى. وتمتع إقليم الحجاز بامتيازات كثيرة في العصر العثماني، مِنْها: إرسال الصُّرَّة، وأموال الأوقاف، والمُخَصَّصَات المالية والعينية لأهالي هذه المنطقة، وإِعْفَاؤُهُم مِن دفع أيَّة ضرائب، كما عملت الدولة على توفير الأمن لهذه المنطقة مِن أي اعتداء خارجي؛ فأقامت حزامًا أمنيًّا حولها، ومنعت السفن الأوروبية أن تمخر عباب البحر الأحمر؛ حفاظًا على أراضي الحرمين الشريفين، وقد ظلَّ الأمر على قوَّته إلى أنْ اختلت الموازين في المنطقة أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

وانقسم الحكم العثماني في الحجاز إلى عهدين؛ الأوَّل: يشتمل على الفترة الواقعة بين عامي (٩٢٣-١٢٢١هـ/ ١٥١٧-١٨٠٦م)، ويبدأ بخضوع الحجاز سلمًا للعثمانيين، وينتهي بسيطرة الوهابيين على الحجاز، ودخوله في نطاق دولتهم، والآخر: في الفترة الواقعة بين عامي (١٢٢٨-١٣٣٤هـ/ ١٨١٢-١٩١٦م)، ويبدأ باسترداد الدولة العثمانية الحجاز مِن قبضة الوهابيين، وينتهي بالثورة العربية الكبرى في الحجاز عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وإعلان أشراف الحجاز استقلالهم عن الدولة العثمانية.

كان لأشراف مكة المكرمة اليَدُ الطُّولَى في حكم الحجاز في العصر العثماني؛ وهم نسل النبي ﷺ مِن ابنته فاطمة الزهراء وزوجها علي بن أبي

طالب رضي الله عنهما، وقد حكم الأشراف الحجاز منذ النصف الثاني مِن القرن الرابع الهجري/ النصف الأوَّل مِن القرن العاشر الميلادي، واستمرّ حكمهم حتى عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، وقد كوَّن الأشراف طوال هذه الفترة أسرة محلية تحكم المنطقة، وتعلن ولاءها للدول الإسلامية الكبرى التي يمتد نفوذها إلى الحجاز؛ وكانت هذه الدول تقر نظام الشرافة المعمول به في الحجاز، احترامًا وتقديرًا لكونهم مِن النسل النبوي الشريف، وطالما لم يشكلوا خطورة على الدولة الحاكمة؛ ولذلك كان لأشراف مكة مكانة كُبرى في الحجاز، ومارسوا سلطات واسعة، وعليهم تدور أحداث المخطوط الذي عرض أخبارهم بصورة تفصيلية.

ويغطي تاريخ ابن عبد الشكور المرحلة الأخيرة من تاريخ الحجاز في العهد العثماني الأوَّل، والتي تربو على سبعين سنة بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٧م)، والتي شهدت ضعف الدولة العثمانية، وانهيار قوَّة الإنكشارية العسكرية، وكانت ثالثة الأثافي أنْ مُنِيَتْ الدولة بالعديدِ مِن الهزائم الحربية في أوروبا، وقد أدَّى ذلك إلى تراخي قوَّتها في الأقاليم التابعة لها، وحينئذٍ تصاعدت قوَّة أشراف مكة في الحجاز، بدرجة لم تُعهد مِن قبل، ولن تُرى مِن بعد ذلك، وكان مؤرخنا شاهد عيان على معظم أحداث هذه الفترة المهمة، وكان قريبًا مِن صُنَّاع القرار، وهم أشراف مكة المكرمة، فجاء كتابه سجلًا دقيقًا ومُتَفرِّدًا في تاريخ المنطقة، وصورة حيَّة لأحداثها في كافة مناحي الحياة، وإنْ غَلَب عليه الجانب السياسي والعسكري.

والمخطوط في أصله كتاب واحد، ولكنه ينقسم إلى قسمين بمُقَدِّمَتَيْن مُخْتَلِفَتَيْن؛ المُقَدِّمَة الأولى هي التي صَدَّر بها ابن عبد الشكور تاريخه،وتحدَّث فيها عن منهجه، ومُحْتواه، ودوافع تدوين العمل، وبعد ذلك عرض تراجم الأشراف الذين حكموا مكة في تلك المرحلة، وما وقع

في أيامهم مِن الأحداث التاريخية المُهمَّة، وهذا القسم يغطي الفترة بين عامي (١١٤٣-١٢١٧هـ/ ١٧٣١-١٨٠٢م)،وترجم لخمسة مِن الأشراف الذين تولوا شرافة مكة المكرمة بصورة رئيسة، بالإضافة إلى بعض الأشراف الذين تولوا الشرافة لبضعة أيام أو أشهر، ولكن تراجمهم وردت بشكلٍ ضِمْنيٍّ داخل التراجم الرئيسة، والتي تتناول عصر كُلٍّ من:

- الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٣-١١٦٥هـ/ ١٧٣١-١٧٥٢م).
- الشريف مساعد بن سعيد (١١٦٥-١١٨٤هـ/ ١٧٥٢-١٧٧٠م).
- الشريف أحمد بن سعيد (١١٨٤-١١٨٦هـ/ ١٧٧٠-١٧٧٢م).
- الشريف سرور بن مساعد (١١٨٦-١٢٠٢هـ/ ١٧٧٢-١٧٨٨م).
- الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م).

ثم يبدأ القسم الثاني مِن المخطوط وهو يغطي الفترة التي غطَّاها القسم الأوَّل، وإن كان تتزيد عنها بعدة سنوات،حيث يتناول الفترة بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٧م)، وخصَّص ابن عبد الشكور هذا القسم للحديث عمَّا سمَّاه بـ: «فتنةالوهابيَّة»؛ ويقصد الدعوة السلفيَّة الوهابيَّة، التي قامت في نَجْد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم تحالفه مع أمير الدرعيَّة محمد بن سعود؛ مِمَّا أدَّى إلى قيام دولتهم التي عُرِفَتْ وقتئذٍ بدولة الوهابيين، والتي اصطلح المؤرخون[1] على تسميتها-

---

(١) اصطلح المؤرخون على تقسيم التاريخ السياسي للدعوة السلفيَّة الوهابيَّة إلى ثلاث مراحل: الدولة السعوديَّة الأولى، والدولة السعوديَّة الثانية، والدولة السعوديَّة الثالثة؛ وهي التي تحوَّلت إلى المملكة العربيَّة السعوديَّة. وفي خلال الفترة موضوع الدراسة كان أتباع الدعوة يطلقون على أنفسهم المسلمين أو الموحدين، وأطلق أعداؤهم عليهم الوهابيين، نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكان هذا هو الشائع - وقتئذٍ- على الدعوة وأتباعها، ورغم أنَّ بعض أتباع الدعوة حتى الآن يتأففون من اصطلاح الوهابيَّة ويَتَضَجَّرُونَ منه؛ فإنَّ الباحث لا يجدُ غضاضة في أن يستخدمه أثناء تعليقاته في المخطوط؛ حتى لا يحدث نوع من الانفصال بين المتن والحاشية لِمَنْ يقرأ.

لاحقًا - بالدولة السعوديَّة الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)، ويفرد مؤرخنا لهذا الموضوع مُقدِّمَة خاصة به، ثم تحدث عن الفتن بشكلٍ عامٍّ، ثم تناول أمر الوهابيين وظهورهم، ثم عرض علاقاتهم مع أشراف الحجاز، حيث ذكر أنَّ العَلاقات بدأت بينهما في عهد الشريف مسعود مُنذ عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، وكانت مجرد خلافات فكريَّة ومذهبيَّة، ولكن بتولي الشريف غالب تَطَوَّر الأمر وتَحَوَّلَ إلى صراع عسكري، وانتهى بخضوع الحجاز بصورة نهائية في نطاق دولة الوهابيِّين في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، ليعلن بذلك انتهاء العهد العثماني الأوَّل في إقليم الحجاز.

ولعَلَّ من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّ الباحث حينما طالع القسم الثاني من المخطوط - الذي تناول الصراع بين الأشراف والوهابيين - تجلَّى له أسباب عزوف الباحثين عن دراسة المخطوط وتحقيقه؛ فقد كان مؤرخنا من أشدِّ المُعادين للدعوة السلفيَّة الوهابيَّة وأتباعها، وظهر ذلك في بعض الألفاظ التي وصفهم فيها بأنَّهم خوارج العصر! وكان ذلك نتيجة لمَا روَّجه أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ومن ناحية أخرى فإِنَّنا نلمح بطرف خفي ونستقرئ بين سطور ما كتبه ابن عبد الشكور كثيرًا من المواقف التي تُبيِّن صحة مبادئ الدعوة.

ولا بُدَّ أنْ نُقرِّرَ هنا أنَّ مُعظم المصادر التاريخيَّة التي كَتَبَت عن الوهابيين الأوائل [الدولة السعوديَّة الأولى] سَطَّرتها أيدي مؤرخين مُعادين لهم، أمّا ما دَوَّنه الوهابيون عن تاريخهم - وقتئذٍ - فهو نزر يسير إذا ما قورن بغيره، وكان ابن عبد الشكور من المُعادين للدعوة، ورغم تحفظنا على بعض ما وصف به الدعوة وأتباعها؛ فإِنَّ تاريخه جاء عملًا مُهمًّا ودقيقًا عن تاريخ الوهابيين الأوائل، وعلاقاتهم بأشراف الحجاز، وانفرد بكثيرٍ من الأحداث التاريخيَّة المتعلقة بازدياد النفوذ الوهابي في الحجاز واليمن على وجه التحديد، ولذلك فليس من البَدهي أنْ يظل هذا

العمل طي الكتمان نتيجة الاختلاف مع بعض ما كتبه مؤلِّفُهُ، وهي الآن أمورٌ لا تخفى على كُلِّ ذي بصرٍ وبصيرةٍ.



وقَسَّم الباحث هذه الدراسة إلى قسمين رئيسين، يسبقهما مُقَدِّمَة، ويتلوهما خاتمة الدراسة ونتائجها، وذيَّل ذلك بعددٍ مِن الملاحق، والكشّافات، وقائمة المصادر والمراجع.

أمَّا القسم الأول، فيشتمل على فصلين: الفصل الأول، أفرده الباحث للمخطوط موضوع الدراسة، وتناول ترجمة المؤلِّف؛ لأنَّ دراسة أي عمل مِن الأعمال، لا بُدَّ أنْ يسبقها دراسة لِمَنْ قام بإنتاجه؛ فهو انعكاس اجتماعي لهذا المحيط الذي نشأ فيه، والعصر الذي عاش فيه؛ لأنَّه يؤثر فيه، وينعكس على كل ما يكتبه، وكذلك العُلماء الذين تَعَلَّم على أيْديهم، ومِن ناحية أخرى، نتبيَّن منزلته العلميَّة، وما تمَتَّع به مِن مكانةٍ في مجتمعِهِ، ومؤلَّفاته التي أسهم بها، ثم نُعَرِّج إلى المخطوطِ ومنهجِهِ التاريخي، والأساليب اللغويَّة التي استخدمها، ودوافعه لتأليف تاريخه، بالإضافةِ إلى مصادرِه التي اعتمد عليها، ومتى بدأ تدوينه وانتهى مِنْه، ثم نستعرض أهميَّة المخطوط التاريخيَّة، والتي جعلته مصدرًا تاريخيًّا فريدًا مِن نوعِهِ، والتي تجلَّت في نواحٍ عدة فيه، ثم نعرض نسخ المخطوط، ولماذا اعتمدنا نسخة وتجنبنا أُخرى، ونهاية نختم حديثنا بالمنهج المُتَّبع في التحقيق؛ حتى يكون دليلًا لِمَن يطالع المخطوط.

والفصل الثاني، اشتمل على لمحة في تاريخ الحجاز في العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢١هـ/ ١٥١٧-١٨٠٦م)، وكيفية ضمِّ الحجاز إلى الدولة العثمانية في عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، والنظام الإداري في هذه المنطقة مِن حيث دور شريف مكة، ووالي جدة في هذا النظام، ومَن يُسَاعِدُهُمَا مِن كبار الموظفين مثل: قَاضِيَيْ مكة المكرمة والمدينة

المنورة، والمفتين، وشَيْخَي الحرم المكي والنبوي، وغيرهم. ودلائل اهتمام العثمانيين بالحجاز تتمظهر في عدم إخضاعه لنظام الإقطاع العسكري، وتوفير الحماية اللازمة له، بالإضافة إلى إرسال المُخَصَّصَات المالية والعينية لأهله، وإشرافها المباشر على محامل الحج، وتوفير الطرق الآمنة لها، ومدى انعكاس ذلك على العثمانيين؛ حيث نالوا مكانة كبرى في العالم الإسلامي.

وأفرد الباحث القسم الثاني لتحقيق النصّ الأصلي للمخطوط، مِن خلال نُسْختين رئيستين اعْتَمَدَهُمَا في التحقيق، واعتمد في تحقيق الأحداث الواردة في المخطوط على بعض الوثائق المنشورة وغير المنشورة، والمخطوطات، والمصادر المُعاصرة المطبوعة، والمراجع الحديثة، والمَوسوعات المُتخصصة، وكتب التراجم والطبقات، والمعاجم التاريخية واللُّغوية؛ وذلك لإخراج المخطوط بصورةٍ علميةٍ رصينةٍ، كما عمل على مُقارنة الأحداث مع المصادر الأُخرى، للوقوف على الحقيقة أو قريب مِنْها، وتصحيح الأخطاء التي وردت في المخطوط نتيجةً لأهواءٍ سياسيةٍ أو مذهبيةٍ قد تمليها الطبيعة الإنسانية على مؤلفه.

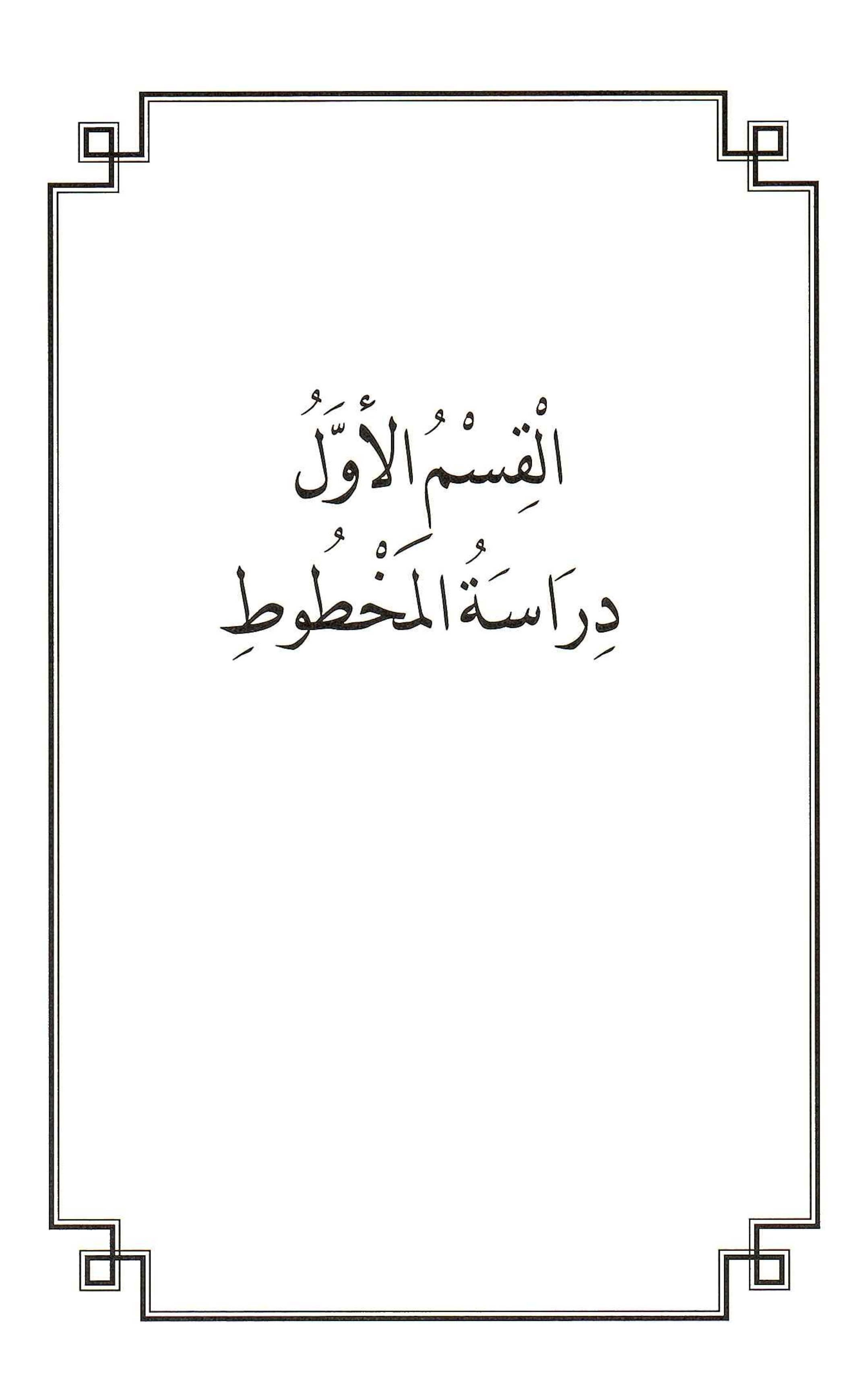
وأمَّا الخاتمة فقد تناول الباحث فيها أهم نتائج الدراسة، وبَيَّن بصورة صادقة أهميَّة تحقيق التراث ونشره، في دراسات علمية مُتخصصة، حتى لا يكون عرضة لأنْ يخرج مِن غَيَاهب المكتبات ودور المخطوطات، ويرى النور، ثم يتم تداوله بصورة مُشوَّهة، لا تليق بتراثنا الفكري، وتاريخنا القومي.

وأخيرًا ذيَّل الباحث هذه الدراسة بأربعة مَلاحق؛ الأوَّل: احتوى على صور لنُسَخ المخطوط، والثاني: أورد فيه بعض الوثائق المهمة التي توثق بعض الأحداث المرتبطة بموضوع الدراسة، والثالث: يشتمل على بعض الخرائط التقريبية والتفصيلية عن مواضع الأماكن والقبائل التي ذُكِرَت في المخطوط، والأخير: يحتوي صورًا للأماكن الأثرية التي ذَكَرها في الأحداث، والتي هُدِمَتْ في التوسُّعَات الأخيرة للحرم المكي، حتى نكون

على بصيرةٍ.

وختامًا فإنَّني أتوجَّه بعظيم الشكر إلى العلَّامة النَّسَّابَة الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد اللَّه بن سرور الذي تفضَّل بطباعة الدراسة على نفقته الخاصَّة، في زمنٍ عزّ فيه على دور النشر طباعة مثل هذه الدراسات التراثيَّة.

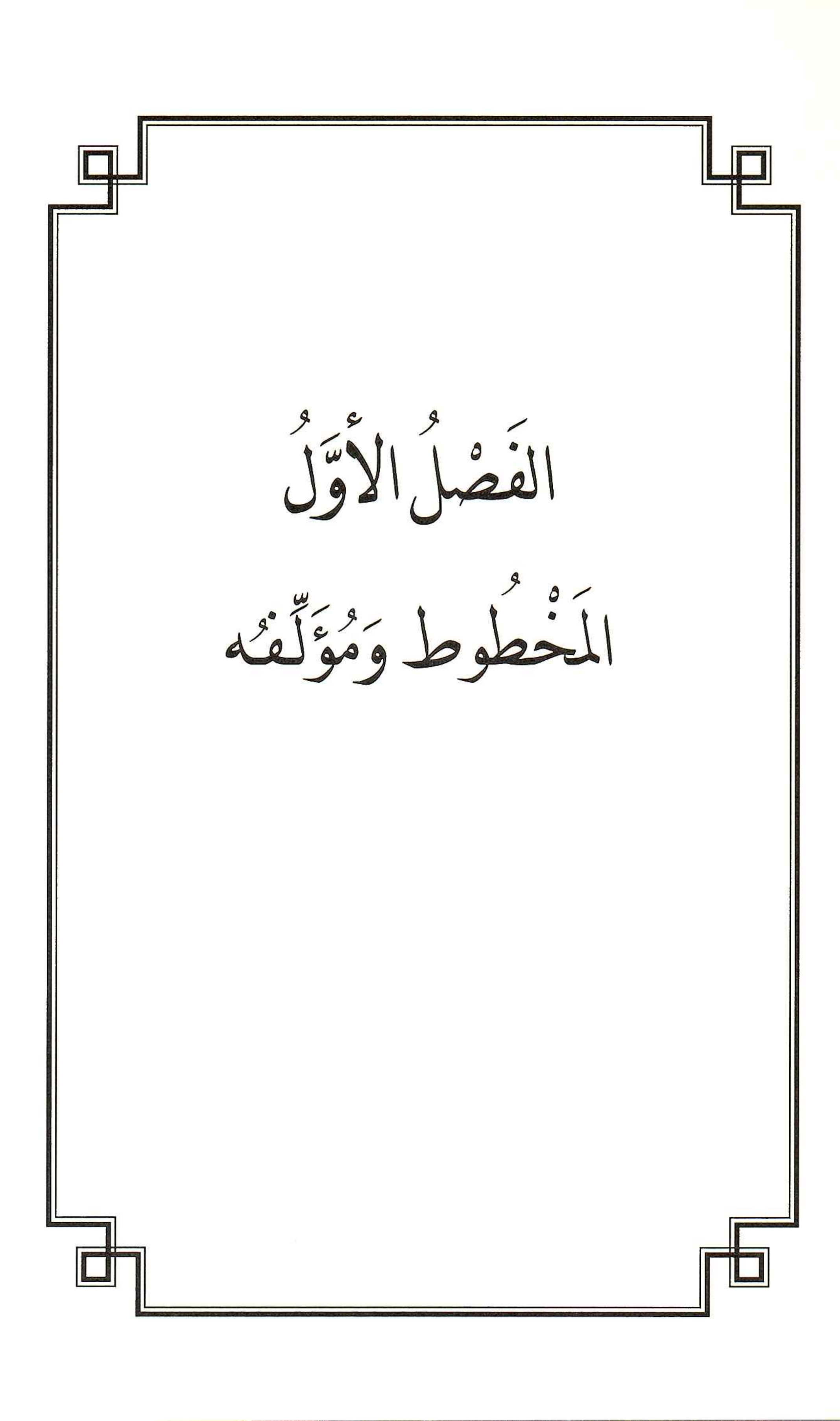
الدكتور
محمد عبد العال محمد علي
الإسكندريّة في يوم الأربعاء
١٠ رمضان ١٤٤٠هـ/ ١٥ مايو ٢٠١٩م



القِسْمُ الأَوَّلُ

دِرَاسَةُ المَخْطُوطِ





الفَصْلُ الأُوَّلُ

المَخْطُوط وَمُؤَلِّفُه



المَخْطُوط وَمُؤَلِّفُه

سوف يتناول الباحث في هذا الفصل ترجمة مؤلف المخطوط؛ لأنَّ دراسة أي عمل مِن الأعمال، لا بُدّ أنْ يسبقها دراسة للشخصية التي قامت بإنتاجه؛ فهو انعكاس اجتماعي لهذا المحيط الذي نشأ فيه، والعصر الذي عاش فيه؛ لأنَّه يؤثر فيه، وينعكس على ما يكتبه، وكذلك العُلماء الذين تَعَلَّم على أيْديهم، ومِن ناحية أخرى، نتبيَّن منزلته العلميَّة، وما تمَتَّع به مِن مكانةٍ في مجتمعِهِ، ومؤلَّفاته التي أسهم بها، ثم نُعَرِّج إلى المخطوطِ ومنهجِهِ التاريخي، والأساليب اللغويَّة التي استخدمها، ودوافعه لتأليف تاريخه، بالإضافةِ إلى مصادرِه التي اعتمد عليها، ومتى بدأ تدوينه وانتهى مِنْه، ثم نستعرض أهميَّة المخطوط التاريخيَّة، والتي جعلته مصدرًا تاريخيًّا فريدًا مِن نوعِهِ، والتي تجلَّت في نواحٍ عدة فيه، ثم نعرض نسخ المخطوط، ولماذا اعتمدنا نسخة وتجنبنا أخرى، ونهاية نختم حديثنا بالمنهج المتبع في التحقيق الذي يكون دليلاً لِمَنْ يطالع المخطوط، حتى يكون على بصيرة فيه.

□ □ □

أولاً - التعريف بالمؤلف:

(١) اسمه ونسبه:

إنَّ المصادرَ التي ترجمت لمؤرخنا قد اختلفت في اسمه فذكرته إمَّا كاملاً، وإمَّا بالزيادة، وإمَّا بالنقصان، وأقدم ترجمة له ذكرت اسمه مختصرًا، بأنَّه الشيخ عبد اللَّه بن عبد الشكور المكي الشهير بِهِنْدِيَّة[١]، والتي تليها ذكرته كسابقتها مع إضافة مذهبه بأنَّه الشيخ عبد اللَّه بن عبد الشكور المكي الحنفي[٢]. وعلى ذلك فإنَّ تلك المصادر حددت أنَّ اسمه عبد اللَّه، وأنَّ والده عبد الشكور.

وفي إحدى مؤلفاته التي ورد اسمه عليها عبد اللَّه بن محمد بن عبد الواحد عبد الشكور[٣]، وهو بذلك عبد اللَّه، ووالده محمد، وجده عبد الواحد عبد الشكور.

وهناك بعض المصادر ذكرت أنَّ اسمه عبد اللَّه عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور المكي الحنفي[٤]، وبهذا فإنَّ اسمه عبد اللَّه عبد الشكور، أي اسمًا

---

(١) شهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، **الصادح بشهي النغم على أفنان ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم**، مخطوط في المكتبة الأزهرية بالقاهرة، تحت رقم ٧٢٢١ عام، ورقة ٤٤.

(٢) أحمد بن محمد الحضراوي المكي الهاشمي (ت ١٣٢٧هـ)، **نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر**، ج٢، حقَّقه: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٨٩.

(٣) عبد اللَّه بن محمد بن عبد الواحد عبد الشكور (ت١٢٥٧هـ)، **نَظْم مُقَدِمَة الحَبْر الهُمام أبي الليث السمرقندي**، مكتبة الحرم المكي، تحت رقم ٢٦٠٠ فقه دهلوي، ورقة ١.

(٤) عبد اللَّه مرداد أبو الخير (ت ١٣٤٣هـ)، **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، اختصار وترتيب وتحقيق: =

مركبًا، وأنَّ والده محمد.

وقد أشارت إحدى المراجع الحديثة إلى اسمه: عبد اللَّه بن عبد الشكور ابن محمد بن عبد الشكور الهندي المكي الحنفي[1]، وبناء عليه فإن اسمه عبد اللَّه، ووالده عبد الشكور، وجِدّه محمد.

والواقع أنَّ ذلك سبب اضطرابًا عند الباحث أثناء تحديد اسم المؤلف ونسبه، فالمتفق بين المصادر أنَّ اسمه عبد اللَّه، ولكن بعضها أورد اسمه بمفرده عبد اللَّه عبد الشكور، وكأنَّه اسمٌ مركبٌ، وقد أوردت بعض المصادر أن والده عبد الشكور، وبعضها ذكرت أنَّ والده محمد.

والحاصل في هذا الاختلاف أنَّ المصادر التي ترجمت له ذكرت اسمه عبد اللَّه مقرونًا باسم جده عبد الشكور؛ لأنَّ عائلته اشتهرت وقتها بعائلة عبد الشكور هندية، وكذلك المصادر التي أوردت اسمه عبد اللَّه عبد الشكور، فرُبَّمَا كان هذا اسمًا مركبًا لصاحبنا، وكان ذلك أمرًا شائعًا في الحجاز وقتئذ، أو أنَّه غلب عليه اسم عائلته فأصبح مقرونًا به، وأمَّا المرجع الذي ذكر أنَّ والده هو عبد الشكور بن محمد، فيبدو أنَّه وقع فيه تحريف؛ لأنني لم أقف عليه إلا فيه، وربما ظنَّ أنَّ اسمه المركب عبد اللَّه عبد الشكور اسمان مُنفصلان.

وعلى ما سبق يمكن القول: إِنَّ الاسم الصحيح لمؤرخنا هو عبد اللَّه

= محمد سعيد العامُودي، وأحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٣٠٥؛ عبد الستار بن عبد الوهاب البكري الصديقي الهندي (ت ١٣٥٠هـ)، **فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**، دراسة وتحقيق وفهرسة: عبد الملك بن عبد اللَّه ابن دهيش، المكتبة الأسدية، مكة المكرمة، ط ٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٩٨٠؛ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي (ت ١٣٦٥هـ)، **نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر**، دراسة وتحقيق وفهرسة: عبد الملك بن عبد اللَّه بن دهيش، المكتبة الأسدية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص ٣٦٨.

(١) محمد الحبيب الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة مِن القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٤١٣.

ابن محمد بن عبد الواحد عبد الشكور، الهندي أصلًا، المكي مولدًا، الحنفي مذهبًا، وهذا الاسم الذي هو الأقرب لما جاء على مؤلفه الفقهي - سالف الذكر - وكذلك في مُقَدِمَة تاريخه موضوع الدراسة[١].

(٢) مولده ونشأته:

ولم تحدد المصادر تاريخ ميلاده، كما أنَّها لم تحدد سِنَّه عند وفاته، ويبدو أنَّه ولد في النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وفي مُحاولة مِن الباحث لتحديد فترة تقريبية لميلاده؛ فقد ذكر مؤرخنا أثناء سرده بعض أحداث عام ١١٨٣هـ/ ١١٦٩م، كشاهد عيان لها بقوله:

«ومِن أَعْجَب مَا رأيته أنَّ ناظر السُّوق كُلَّمَا أخْرج شيئًا مِن الحُبوب إلى الأسْواق يُباع مِن وقته وحينه»[٢].

ويروي - أيضًا - حادثة أخرى كان شاهد عيان لها في عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، فيذكر هدم برجي دار السعادة - مقر حكم أشراف مكة - فيقول:

«ولقد عاينتها بهذه الصِّفة حين هدمها ... وتعب فيها المُعَلِّمُونَ أعظم تعب ... وهكذا حال الدنيا لا تستقرُّ على حالٍ، فسبحان المَلِك الفَعَّال»[٣].

إذا افترضنا أنَّه شهد ذلك وهو في سنٍ صغيرة، ولنفرض أنَّه كان في

---

(١) عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور، **تاريخ أشراف وأمراء مكة**، مكتبة متحف طوبقبوسراي، إستانبول تحت رقم (M ٥١١)، ورقة ٢.

(٢) ورقة ٧٠.

(٣) ورقة ٢٤.

العاشرة مِن عمره - على أقل تقدير - وهي مرحلة الإدراك، والقدرة على التمييز؛ فعلى ذلك ربما يكون مولده في العقد الثامن مِن القرن الثاني عشر الهجري، أي بين عامي ١١٧٠-١١٧٩هـ/ ١٧٥٧-١٧٦٥م، على الأرجح، ولمَّا كان تاريخ وفاته في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، فتكون وفاته في العقد التاسع مِن عمره، وقد ناهز الثمانين عامًا.

وعلى أيَّة حال، فقد ولد صاحبنا في مكة المكرمة، ونشأ بها، وشرع في طلب العلم، فأخذه عن المشايخ الأجِلَّاء، ولم تذكر الكتب التي ترجمت له مِن أولئك سوى الشيخ عبد الملك القِلْعي[1]، مُفْتِي الحنفية، ولكن مِن خلال دراسة المخطوط؛ فقد وقفت على بعض مَن العلماء الذين ترجم لهم، وذكر أنَّه تعلَّم على أيديهم، ومِنْهم: الشيخ عبد اللطيف الحريشي[2]، والشيخ محب اللَّه السليماني الحنفي[3]، والشيخ عبد الغني هلال[4] مُفتي الشافعية،

---

(١) **عبد الملك القِلْعي**: عبد الملك بن عبد المنعم بن تاج الدين بن عبد المحسن بن سلك القِلْعي المكي الحنفي، ولد في مكة المكرمة، لأسرة اشتهرت بالقضاء والإفتاء، وتلقَّى العلم على يد والده ومشايخ عصره، وتولَّى إفتاء الحنفية في مكة بعد وفاة والده عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، وظلّ فيه سبعة وثلاثين عامًا، وعاصر دخول الوهابيين [السعوديين] إلى الحجاز، وكذلك استرداد الدولة العثمانية الحجاز، وكان على علاقة طيبة بوالي مصر محمد علي باشا، والسلطان العثماني محمود الثاني، وللقِلْعي العديد مِن المؤلفات، والشروح، توفي في مكة المكرمة عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، ودفن بمقبرة المَعْلاة. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٩٣-٩٤؛ عبد الستار الصديقي، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ٩٧٨-٩٧٩؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ٣٧٣-٣٧٥.

(٢) **عبد اللطيف الحريشي**: لم أعثر له على ترجمة، سوى ما ذكره ابن عبد الشكور عنه في وفاته، بأنَّه العَالم العَلاَّمَة، العُمدة الفهَّامَة، قَرَّاءُ أهل زمانه، ووحيد عصره وأوانه، عليه الرحمة والرضوان، توفي في مكة المكرمة ١٢ ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ٢٢ يناير ١٧٨٥م.

(٣) **محب اللَّه السليماني الحنفي**: محب اللَّه بن حبيب اللَّه بن عبد الرشيد السليماني الحنفي، ولد في بلده، وأخذ العلم فيها، ثم رحل إلى الهند، وقرأ على عدة مشايخ، ثم قدم إلى مكة المكرمة، وتوطنها، وجاور فيها، وقد ذاع صيته، وأخذ عنه عديد من العلماء والمشايخ، وقد توفي في مكة المكرمة في ٦ محرم ١٢١١هـ/ ١١ يوليو ١٧٩٦م. عبد الستار الصديقي، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ١٣٦٨-١٣٦٩؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٤٠١-٤٠٢.

(٤) **عبد الغني هلال**: عبد الغني هلال بن محمد هلال سُنْبُل بن محمد سُنْبُل، ولد في مكة =

والشيخ محمد طاهر سُنْبُل[١].

وأمّا عن أصل عائلته، فهو ينتسب إلى أحد بيوت الأدب في مكة المكرمة، ومؤسس هذا البيت جده عبد الشكور[٢]، الذي جاء مِن الهند، وأقام في مكة المكرمة[٣]، وكانت شهرتهم تعرف باسم بيت هندية؛ لأن أصلهم هنود، وكذلك عرفوا ببيت عبد الشكور، نسبة إلى جدهم الأعلى عبد الشكور، أوَّل مَن قدم من الهند، وعرفوا أيضًا ببيت زين العابدين، نسبة إلى زين العابدين بن علي بن عبد اللَّه[٤]، حفيد مؤرخنا، والشهرة الأخيرة

= المكرمة، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، ثم تصدر للتَّدريس في المسجد الحرام، ثم أصبح مفتي الشافعية في مكة المكرمة، وقد تخرج علي يديه عديد من العلماء والمشايخ، وقد توفي في غرة شعبان ١٢١٢هـ/ ١٩ ديسمبر ١٧٩٧م. عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ٩٨٦؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٤.

(١) **محمد طاهر**: محمد طاهر بن محمد سعيد بن محمد سُنْبُل المكي الحنفي، ولد في مكة المكرمة عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، ونشأ بها، وتلقى العلم على أشهر عُلماء عصره في الحجاز، والشام، ومصر، فاشتهر وذاع صيته، ولم يكن له نظير في علم الفقه في مكة في زمانه، وكانوا يلقبونه بـ «أبي حنيفة الصغير»، وقد تخرج على يديه العديد مِن المشايخ، وله كثير مِن المؤلفات والحواشي، والشروح، منها: «الفتاوي السنبليَّة»، و«حاشية على شرح الشنشوري»، و«النفحة القدسية شرح المنظومة النسفية». توفي في مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، ودفن بمقبرة المَعْلاة. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٥٥؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٥٣-٣٥٥.

(٢) يذكر عبد اللَّه ميرداد بأنَّ الشيخ أحمد أمين بيت المال المكي أخبره بأنَّ بينه وبين بيت عبد الشكور قرابة، وأنَّ جد الكل واحد، وأنَّ عبد اللَّه بن عبد الشكور خال أبيه. عبد اللَّه ميرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٣٠٥. وبيت المال هو أحمد بن أمين بن محمد سعيد بن محمد بن عبد الشكور، مِن عُلماء مكة المكرمة، ولد في عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، وتعلّم على الشيخ عبد اللَّه ميرداد، وعبد الرحمن جمال، وسعيد بشارة، وأحمد دحلان، ولمّا برع درّس في المسجد الحرام، وله عديد من المؤلفات أشهرها «النخبة السنية» وهو في تاريخ مكة، و«الفلك المشحون» وهو كتاب يحتوي على نوادر وغرائب، وقد توفي في مكة ٢٣ شوّال ١٣٢٣هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٩٠٥م، ودفن بمقبرة المَعْلاة. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ١/ ١٩٩-٢٠٤؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ١٨٧-١٨٨؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٤١٦.

(٣) عبد اللَّه مرداد، مختصر نشر النور، ص ٣٠٥، ٣٠٦.

(٤) **زين العابدين بن علي بن عبد اللَّه**: ولد في مكة المكرمة، ونشأ بها، وقرأ على علمائها=

هي المعروفة حتى مطلع القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر التاسع عشر الميلادي[(١)]، وشهرة عبد الشكور نسخت، واشتهر بها أُناس آخرون، وهم أرحام الشيخ عبد الرحمن سراج[(٢)] مُفتي مكة المكرمة[(٣)].

(٣) وظائفه ومنزلته العلمية:

وقد عمل ابن عبد الشكور إمامًا، وخطيبًا، ومُدَرِّسًا بالمسجد الحرام[(٤)]، ونال شهرة واسعة، ويمكننا أنْ نلمح منزلته العلمية من خلال بعض مَنْ ترجم

= مثل: الشيخ عبد اللّه سراج، والشيخ جمال عبد اللّه مفتي مكة، وحَصَلَ على قدر كبير من العلوم والآداب، فصار أحد الرؤساء المكيين الذين يُشَارُ إليهم بالبنان، وقد أحبَّه الشريف عبد اللّه بن محمد بن عون فقربه إليه، لمَا رأى فيه مِن الأهلية في الإنشاءات، واللّهجة الفصيحة، وحسن الخط، والمُفاكهة في المُحادثة، وكان مِن أخصّ الخواص إليه، والمعول عليه في إرسال جوابات إلى الباب العالي، وكبار الرجال، وكان وكيلًا لأهل الحرمين الشريفين في مصر عدة سنوات، وقد مكث في الآستانة مدة، وتوفي في مكة المكرمة عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ودفن في مقبرة الشبيكة وقِيْل في المَعْلاة، وخلَّف ثلاثة أولاد، وهم: عبد اللّه، وحبيب، وعلي. انظر: أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ١/ ٤٢٤-٤٣٤؛ عبد اللّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٤٨.

(١) عبد اللّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٠٦؛ عبد اللّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٩.

(٢) **عبد الرحمن سراج**: عبد الرحمن سراج بن عبد اللّه سراج بن عبد الرحمن الحنفي المكي، ولد في مكة المكرمة عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، ونشأ بها، وتلقى العلم على أيدي علمائها، مثل الشيخ جمال عبد اللّه، وأحمد زيني دحلان، وقد درَّس في الحرم، وأفاد، وتخرج على يديه كثير من العلماء، وقد أنابه شيخه الشيخ جمال على الإفتاء في مكة عندما ذهب لزيارة المدينة المنورة، وبعد وفاة شيخه عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م تولَّى إفتاء الحنفية في مكة المكرمة، وقد استعفى مِن الإفتاء في عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، ثم رحل إلى مصر، وتوفي بها عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م. انظر: أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ١٤٢-١٤٣؛ عبد الستار الصديقي، **فيض الملك الوهاب**، ١/ ٧٦٦-٧٦٨؛ عبد اللّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٤٥٠-٤٥١.

(٣) عبد اللّه مرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ عبد اللّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٩.

(٤) عبد اللّه بن عبد الرحمن المعَلّمي، **أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر**، ج١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٢٣.

له، أو من خلال مخطوطه الذي نقوم بدراسته، والذي يتضح مِنْه أنَّه قد عمل في الإفتاء، ويتجلّى ذلك في بعض آرائه وأجوبته الفقهية، ومِن ذلك عندما عرض السؤال التالي لبعض الشعراء - قاله على لسان بعض النساء - ليرد عليه، فقال[1]:

قَاضِي المُسْلِمِين انْظُر حَالِي
وَافْتني بالْصَحِيْح واسْمَع مقَالِي

مَات زَوْجِي وَهَمَّنِي فقدُ بَعْلِي
كَيْفَ حَال النِّسَاء بَعْد الرِّجَال؟

صَيَّر اللَّه فِي حشائي جَنِيْنًا
لاَ حَرَامًا، لَا بَلْ بِوطءٍ حَلَال

فَلِي النِّصْف إنْ أَتَيْت بِأُنْثَى
وَلِي الثّمن إنْ يكن مِن رِجَال

وَلِي الْكُلّ إنْ أَتَيْت بِمَيْت
هَذه قصَّتي فَفسر سُؤَالِي

فأجاب بقوله:

أَيُّهَا السَّائل الَّذِي قَدْ بَدا لِي
هَاك مِنِّي الْجواب مِثْل الْهِلَال

إِنَّ ذَا الزَّوج كَان قنًّا وَقَدْ صَا
ر عَتيقًا لهَا بِلاَ إشْكَال

فَلَهَا النِّصْف حَيْث جَاءت ببنتٍ
بِطَريق التَّعْصيب وَالأَفْضَال

وَلَهَا الثّمن وَالَّذِي قَدْ تبقَّى
للجَنِين الَّذِي أتى فِي الْحَال

---

(١) عبد اللَّه مرداد، المختصر من نشر النور، ص ٣٠٦-٣٠٧.

وَلَـهَـا الْـكُـلّ حَـيْـث جَـاءت بِـمَـيْـتٍ
إِنَّ ذَا فَـرضـهـا بِـغَـيْـر مُـحَـال

وَصَـلاَتِـي عَـلَـى الـنَّـبِـي الْـمُـرجى
وَعَـلَـى آلِـه بِـدُور الْـكَـمَـال

وكذلك عند حديثه عن انتشار التبغ وتدخينه؛ فقد ذكر أن هناك خلافًا بين العلماء في هذه القضية، ثم أدلى بدلوه فيها فقال:

«ولم أرَ مَن قال بتحريمه مستندًا مِن السنة أو مِن الكتاب إلاَّ محضَ أقيسة، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، مع أنَّ البلوى به عامةٌ بين الأشراف، والعُلماء، والعامة، ويلزم على القول بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم؛ حيث كانوا إمَّا شارب، أو في بيته مَن يشربه، أو مشاهد، فما خرج أحد من الثلاث عن واحد؛ فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدلٌ - خصوصًا - هو شرط في شهود النكاح، ويترتب على هذا أنَّ الأنكحة على بعض المذاهب سفاح، نعوذ باللَّه تعالى مِن التعصب، ومِن القول الذي لم يكن قائله مصيب»[١].

ويمكن أنْ نلحظ بعض أفكاره، وعقيدته في المخطوط؛ فقد كان ابن عبد الشكور سنيًّا على المذهب الحنفي - وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية - وكان لا يميل إلى الشيعة، بل وكان كغيره من أهل الحجاز وقتئذٍ، يرجع بعض الفتن والسرقات التي تحدث في مكة المكرمة إليهم[٢]، ومن ذلك ما وقع في حوادث عدة، ويصفهم بقوله: «الفئة الباغية»[٣]، «الرافضة

---

(١) تاريخ ابن عبد الشكور، ورقة ١٦.
(٢) ورقة ٤٠-٤١، ١٦٣.
(٣) ورقة ٣٠.

الأجلاف»[١]، «الملاعين»[٢].

وكان كغيره مِن أهل عصره غارقًا في التصوف معتقدًا في الولاية والأولياء، وزيارة القبور، وطلب الشفاعة مِن أصحابها، إلى غير ذلك مِن أعمال كانت مُنتشرة في كافة البلدان العربية في العصر العثماني؛ نتيجة لرعاية الدولة العثمانية للتصوف والمتصوفة وقتئذ؛ ولعلَّ في ذلك ما يوضح موقفه المُتشدد مِن الدعوة الوهابيَّة، التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نَجْد - كما سيأتي ذكره.

هذا، ويتضح بصورة جلية مدى تعظيمه للدولة العليَّة العُثمانيَّة، مِن خلال عبارات الإطراء، والمديح، والدعاء للدولة على مدى تاريخه، مثل قوله: «وأدام اللَّه الكريم دولة آل عُثْمان على مَمَرّ الزمان»[٣]، و«أدام اللَّه تعالى ملكهم إلى يوم الدين»[٤]، و«زادها اللَّه تعالى قوةً وصولة»[٥]، «زادها اللَّه تعالى صلة ومزيَّة»[٦]، و«زادها اللَّه تعالى هِمَّة قويَّة»[٧]، و«جازى الدولة العليَّة بالإنعام»[٨]، و«زادها اللَّه تعالى عزًّا ونصرةً»[٩] و«زادها اللَّه تعالى عُلُوًّا وقدرًا»[١٠].

كما أنَّه يذكر سلاطين الدولة بألقاب عدة، ولعلَّ أهم ما يسترعي الانتباه أنَّه كان يرى فيهم خلفاء المسلمين، وظلّ اللَّه في أرضه، ومِن ذلك قوله:

---

(١) ورقة ٣٠.
(٢) ورقة ٤١.
(٣) ورقة ١٠٨.
(٤) ورقة ١٠٨، ١٤٤.
(٥) ورقة ٣٢.
(٦) ورقة ١٢١.
(٧) ورقة ١٤٤.
(٨) ورقة ١٥٨.
(٩) ورقة ١٦٠.
(١٠) ورقة ١٦١.

«حضرة سلطان سلاطين العالم، ومَلِك ملوك أقاليم الديلم، مَنْ خضعت لهيبته الملوك الأكاسرة، وذلت لأعتابه رقاب الجبابرة والأُسُود النافرة، ظلّ اللَّه تعالى الممدود»(١).

وقوله أيضًا:

«مولانا السلطان، وخليفة رسول الرحمن، القايم بوظيفة الجهاد، والباذل نفسه في إصلاح العباد والبلاد، سُلطان السَّلاطين، ومالك الأقاليم والأساطين، دُرَّة تاج آل عثمان، وأشرف ملوك الزمان»(٢).

وهو في ذلك يثير قضية كثرت حولها الأقاويل، وتباينت فيها الآراء، وهي تلقب سلاطين الدولة العُثمانيَّة بألقاب الخلافة مِن عدمه، ومدى رؤية تقبل الخاضعين لها في حملهم هذا اللقب(٣).

(٤) مؤلفاته:

لمؤرخنا بجانب تاريخه الذي نقوم بتحقيقه بعض المؤلفات الأخرى، وهي:

• منظومة مُسَمَّاة: «تحفة الصبيان بفقه أبي حنيفة النعمان»، ذكر أنَّهَا نظم مُقَدِمَة الإمام أبي الليث السمرقندي(٤)، ومطلعها:

---

(١) ورقة ٣٦.

(٢) ورقة ١٣٨.

(٣) للمزيد حول هذه القضية والآراء التي دارت حولها، انظر: عمر عبد العزيز عمر، **محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٢١-٢٣؛ حسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، دار المعارف، القاهرة، ط ١٠، ٢٠١٠م، ص ١٧٦-١٨١.

(٤) **أبو الليث السمرقندي**: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، الملقب =

بَــدأت بِـبِسْــمِ الـلَّـه فِـيْـمَـا أُحَــرِّرُ
وَمَــا لَـيْـس مَــبْـدُوءًا بِــهِ فَـهُـو أَبْـتَـرُ

وَأَلْــفَــي صَــلاَةٍ تَـغْـشَـى نَـبِـينـا
مُـحَـمَّـد الْـهَـادِي الشَّـفِـيْـع الْـمُـطَـهَّـرُ[1]

وألَّف عليها شَرحًا سمَّاه «عَطية الرَّحْمَن»، وقد شرح المنظومة أيضًا كل مِن ابنيه: محمد علي وسَمَّى شرحه «توضيح البيان»، وعبد الملك، وسَمَّى شرحه «تنبيه الإنسان»[2].

• تعريب كتاب في الطب للسيد عبد العظيم الملتاني وتنقيحه[3]. ولم أقف عليه فيما توفر لدي مِن فهارس لدور المخطوطات، ولكنَّه يوضح أنَّه كان يتقن لغة أخرى، بجانب أنَّ كلمة «تنقيحه» تعنى أن له اطلاعًا على بعض كتب الطب الأخرى، أو له معرفة بالطب بصورة عامة.

• ديوان شعر[4]. ولم أقف عليه أيضًا، ولكن نماذج شعره متناثرة في بعض كتب التراجم التي وقفت عليها، وقد تباينت أغراضه ما بين المديح، والهجاء، والشعر التاريخي، وشعر يتناول بعض المسائل الفقهية، وعلى الرغم مِن جودة شعره؛ فإنَّني لم أعثر على أيَّة دراسة تناولته، وقد قمت بجمع

= بإمام الهدى، من أشهر أئمة الحنفية، ومن الزهاد المتصوفين، ومِن مصنفاته: «تفسير القرآن»، و«عُمدة العقائد»، و«تنبيه الغافلين»، و«بُستان العارفين»، و«شرح الجامع الصغير» في الفقه، وقد توفي عام ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م، وقيل عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م. عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية**، ج٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٤؛ وليد بن أحمد حسين الزبيري وآخرون، **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة**، ج٣، سلسلة إصدارات الحكمة (١٥)، بريطانيا، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٧٥٩-٢٧٦٢.

(١) عبد اللَّه بن عبد الشكور، **نظم مقدمة أبي الليث السمرقندي**، ورقة ٢.

(٢) عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٠٥، ٣٣٠، ٣٦٢؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٨.

(٣) عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٠٥.

(٤) أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٩٠.

بعض هذه النماذج التي توضح براعته الشعريَّة، لعلها تكون بداية لبعض الباحثين، فيقوم بعمل دراسة عنه.

فَمِن أغراض المديح؛ فإنَّه قد كتب موشحًا يمتدح فيه شيخ الإسلام[1] أحمد عارف حكمت[2]، حينما كان قاضيًا على المدينة المنورة، أثناء تواجده في مكة لأداء فريضة الحج في ضحوة نهار يوم الجمعة ١٧ ذو الحجة ١٢٣٩هـ/ ١٢ أغسطس ١٨٢٤م، وكان ابن عبد الشكور قد اجتمع

---

(١) **شيخ الإسلام**: أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، وكان يطلق عليه في أول الأمر مفتي العاصمة، وأحيانًا المفتي الأكبر، وتقديرًا للمسئوليات الجسام التي يقوم بها مفتي العاصمة، أو المفتي الأكبر، رأت الدولة تمييزه عن سائر رجال الإفتاء، الذين يعملون في معظم أقاليم الدولة، فأطلقت عليه لقب شيخ الإسلام، وقد تمتع بمكانة مرموقة للغاية، وكان السلطان والصدر الأعظم والوزراء، يلتمسون رأيه في المسائل المهمة، مثل: سن بعض القوانين الوضعية، وتطبيق حكم الإعدام، وكانت الدولة لا تقدم على حرب، أو تعقد معاهدات مع الدول الأوربية، إلا بعد أخذ فتوى شيخ الإسلام، وكان يصدر الفتاوى التي تجيز عزل السلطان الحاكم لسبب أو لآخر، وبدأ ترشيح شيخ الإسلام لمجلس الوكلاء منذ أواسط القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، واستمر إلى نهاية الدولة العثمانية. عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٣٩٨-٤٠٨؛ سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٤٢.

(٢) **أحمد عارف حكمت**: أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت بن إسماعيل رائف باشا، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد في إستانبول عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، ونشأ بها، ونال حظه من التعليم، وقد تولى القضاء في عدة أماكن مثل: قضاء مصر ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م، ثم المدينة المنورة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، ثم مكة المكرمة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، ثم عُين نقيبًا للأشراف عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وانتهى به الصعود إلى أن وُلِي مشيخة الإسلام بإستانبول ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٤م، فاستمر بها حتى تقاعد منه عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، فانكب على العبادة والمطالعة، وله العديد من المؤلفات، وقد أوقف العديد مِن كتبه على طلبة العلم في المدينة المنورة، بعد أنْ أمر ببناء مدرسة بها خَدَمَةٌ مستقلّون، وأوقف عليها عدة أماكن، وكتب كثيرة، وما تزال مكتبته حتى الآن تعرف بمكتبة عارف حكمت، وقد توفي في إستانبول عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، وقيل ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م. شهاب الدين الآلوسي، **الصادح بشهي النغم**، ورقة ٤ وما بعدها؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٤١.

بعارف حكمت قبل بثلاثة عشر يومًا، أي في ٤ ذي الحجة/ ٣٠ يوليو من العام المذكور، فأنشده موشحًا طويلًا حينها[١]، وقد أرَّخ قدومه إلى الحج بقوله:

قَـدْ تَـشَـرَّفـت بـاجْـتِـمَـاعِـي بـنـدب
حَـائِـز الـفَـضْـلِ والـتّـقَـى والـمَـعَـارِف
ارْتِـجَـالًا أرَّخْـتَـه طَـاب حَـجًّا
مَـعْـدَن الـعِـلْـم والـكَـمـالات عَـارف[٢]

ومِن الهجاء، شعر في الإمام سعود بن عبد العزيز[٣]، يؤرخ فيه دخوله مكة المكرمة، والسيطرة على سائر أراضي الحجاز عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وكان ابن عبد الشكور، مِن أشدِّ أعداء الوهابيين؛ فنظم أربعة أبيات في ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب، وهو قوله:

---

(١) شهاب الدين محمود الآلوسي، **الصادح بشهي النغم**، ورقة ٤٤-٤٦.

(٢) جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي: طاب: ط ٩ +أ ١ + ب ٢= ١٢. حجًّا: ح ٨ + ج ٣ + أ ١= ١٢. معدن: م ٤٠ + ع ٧٠ + د ٤ + ن ٥٠= ١٦٤. العلم: أ ١ + ل ٣٠ + ع ٨ + ل ٣٠ + م ٤٠= ١٧١. والكمالات: و ٦ + أ ١ + ل ٣٠ + ك ٢٠ + م ٤٠ + أ ١ + ل ٣٠ + أ ١ + ت ٤٠٠= ٥٢٩. عارف: ع ٧٠ + أ ١ + ر ٢٠٠ + ف ٨٠= ٣٥١. مجموعها: ١٢ + ١٢ + ١٦٤ + ١٧١ + ٥٢٩ + ٣٥١= ١٢٣٩هـ وهي توافق ١٨٢٤م.

(٣) **سعود بن عبد العزيز**: سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ثالث أئمة الوهابيين، ولد في الدرعية عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، وتعلم على أيدي علمائها، ثم صار أحد القادة العسكريين في الدولة، والذراع اليمنى لوالده، وقد تولَّى الحكم عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٤م، وفي عهده وصلت الدولة أقصى اتساع لها، حيث سيطرت على الجزء الأكبر من الجزيرة العربية، وفي السنوات الأخيرة من أيامه بدأت الحملات المصرية العثمانية بقيادة أبناء محمد علي باشا على الحجاز ونجد، وفي خضم هذه الأحداث توفي الإمام سعود عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، تاركًا الأمر لابنه الإمام عبد الله، والذي سقطت في عهده الدرعيَّة في قبضة إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. للمزيد انظر: نعيمة عبد الله بن دهيش، **عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٦ وما بعدها؛ منير العجلاني، **تاريخ الدولة السعودية الأولى: عهد الإمام سعود الكبير**، مطابع دار الشبل، الرياض، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٥ وما بعدها.

يُعَلِّمُنَا عَقِيْدَتَنَا إِمَامٌ
وَنَاهِيْك العَقِيْدَة مِنْ إِمَامِ

أَتَانَا يَبْتَغِي حَجًّا وَيُهْدِي
إِلى الْبَيْتِ الحَرَامِ بِكُلِّ عَامِ

وَنَالَ ثَوَابَه مِنْ صَوْمِ خَيْر
عَلَيْهِ يَفِيض مِثْل الغَيْث هَامِي

وَفَازَ بِحج بَيْت اللَّه أرِّخ
وَجَاءَ بِكِسْوَةِ الْبَيْت الحَرَامِ[(١)]

وقد أجاد فيه التورية في أخر كُلّ بيت، وهي: إمام عام هامي[(٢)].

وكان قد نزل جدة في حدود عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م، فكتب في أهلها قصيدة هجاء، لم يذكر مِنْها سوى بيتين اثنين، وهما قوله:

أَقُولُ لِلْعَطّارِ فِي جَدَّة
يَوْمَ شِتَاءٍ بَرْدُهُ قَدْ وَقَد

هَلْ عِنْدَكْ مِن نَخْوَة
فَقَالَ: مَا عِنْدِي وَلاَ فِي الْبَلَد[(٣)]

وله في الغزل قوله[(٤)]:

خف اللَّه فِي مضناك يَا طَلعة الْبَدْر
إِلَى كَم أداري فِي هَواك وَلَم تَدْرِ

---

(١) جاءت بحساب الجُمّل كالآتي: وجاء: و ٦ + ج ٣ + أ ١ + أ ١= ١١. بكسوة: ب ٢ + ك ٢٠ + س ٦٠ + و ٦ + ت ٤٠٠= ٤٨٨. البيت: أ ١+ ل ٣٠ + ب ٢ + ي ١٠ + ت ٤٠٠ = ٤٤٣. الحرام: أ ١ + ل ٣٠ + ح ٨ + ر ٢٠٠ + أ ١ + م ٤٠= ٢٨٠. مجموعها: ٤٨٨ + ٤٤٣ + ٢٨٠ = ١٢٢٢هـ الموافق ١٨٠٧م، وهو العام الذي دخل فيه الإمام سعود مكة المكرمة للمرة الثانية.

(٢) أحمد الحضراوي، نزهة الفكر، ٢/ ٩٠-٩١.

(٣) تاريخ ابن عبد الشكور، ورقة ٢٦٩.

(٤) عبد اللَّه مرداد، المختصر من نشر النور، ص ٣٠٦-٣٠٧.

بِـمَـنْ قـد كَـسـاك الـحـسـن حَـتَّـى مَـلَـكْـتني
تـرفـق فَـمَـا قَـلْـب الـمُـتَـيّـم مِـن صَـخر

نـهـاني عـذولـي عـن هـواك ومـا درى
بِـأَنَّ غَـرَامِـي فِـيْـك يَـا فَـاتِـنـي عـذري

عَـلَـى أَنَّـه لَـوْ ذَاقَ فِـيْـك صَـبَـابَـة
لأَمْـسَـى سَـمِـيْـرًا للنجوم إِلَـى الْـفَـجْـر

تَـلوح لنَـا كالشَّـمْس وَجْـهًـا وَكَالضُّحَى
جَبِيْنًا سبى وَالْكَوثر الْعَذْب فِي الثّغر

يـود بـأَنَّ الْـبَـدْر يحكيك طَلعة
وَأَنَّى لِبَدْرِ التم يحكيك يَا بَدْرِي؟

قَـدْ اجْـتَـمـعـت فِـيْـك الـمَـحَـاسـن كُـلّـها
فـدمـتَ مليك الحسن فِي دَوْلَـة النَّصْرِ

(٥) ثناء العلماء عليه:

قال فيه محمود الآلوسي: «الأديب الأريب، الحائز مِن طرف الظرف أوفر نصيب، شيخ العربية»[١]. ووصفه أحمد الحضراوي بقوله: «أديب مفرد، ونبيه فاضل مجد، عينُ الزمان، وتحفة الأعيان، له القصائد الغُرر، والفرائد الدرر، أجمع أهل الحرمين في وقته على جلالة قدره، وغزارة علمه، ورقة لفظه، وشدّة حذقه، ونباهته، وذكائه، كان مِن أكمل أهل وقته في العلم والأدب، وكان له في علم البديع اليد الطولى»[٢].

---

(١) شهاب الدين الآلوسي، **الصادح بشهي النغم**، ورقة ٤٤؛ عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس**، ١/ ١٣٩.

(٢) أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٨٩-٩٠.

(٦) أبناؤه:

كان لابن عبد الشكور ثلاثة أبناء، وهم: محمد علي[١] (علي)، وعبد الملك[٢]، ومحمد[٣]، بينما يذكر الحضراوي أنَّه «كان له ولدان نجيبان جمعا بين العلم والأدب» وهما: محمد علي، وعبد الملك[٤]، ولم يذكر ثالثهما الشيخ محمد، ولعلَّه غفل عنه دون قصد، أو أنْ مكانته العلمية لم تصل إلى مستوى أخويه.

---

(١) **محمد علي بن عبد اللَّه**: ولد في مكة المكرمة، وتلقى العلم على يد علمائها، ومنهم والده، والعلامة عمر عبد الرسول، والسيد ياسين الميرغني، وكان فاضلًا عذب المنطق، أديبًا كاملًا، وخطيبًا بالمسجد الحرام، محبوبًا من الناس، وكان مولعًا بالأدب، وينظم الشعر، ولو جمعت منظوماته لكانت دواوين، ومِن مؤلفاته: «توضيح البيان» وهو شرح على منظومة والده «تحفة الصبيان»، وقد توفي في مكة المكرمة، [نيف وستين ومائتين وألف] بعد عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٣م، وخَلَّفَ ابنين، هما: محمد، وزين العابدين الأديب المشهور. انظر: عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٦٢-٣٦٤؛ أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٨٩؛ عبد اللَّه المعَلّمي، **أعلام المكيين**، ١/ ١٢٦-١٢٧؛ يوسف بن محمد الصبحي، **وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٩٦.

(٢) **عبد الملك بن عبد اللَّه**: ولد في مكة المكرمة، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، وقد عمل مدرسًا بالمسجد الحرام، وصار من علماء عصره، وفقهائه، وأدبائه، وشعرائه، ومن مؤلفاته: «تنبيه الإنسان»، وهو شرح على منظومة والده «تحفة الصبيان»، وقد توفي في مكة المكرمة، [نيف وستين ومائتين وألف] أي بعد عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٣م، ولم يكن له عقب. انظر: عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٣٣٠؛ أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٩٠؛ عبد اللَّه المعَلّمي، **أعلام المكيين**، ١/ ١٢٤؛ عبد الستار الصديقي، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ٩٧٢-٩٧٣؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٩.

(٣) **محمد بن عبد اللَّه**: ولد بمكة المكرمة، وتلقى العلم على يد والده، وعلماء عصره، وجدَّ واجتهد، وصار من أدباء وشعراء وقته، وقد توفي في مكة المكرمة في نيف وسبعين ومائتين وألف ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، وأعقب ابنًا واحدًا اسمه أحمد، وقد سافر بعد والده إلى الهند، ومكث به، ولم يعرف عنه شيء حتى وفاته. انظر: عبد اللَّه مرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٤٦١؛ عبد الستار الدهلوي، **فيض الملك الوهاب**، ٢/ ١٣٨٠؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٩١؛ عبد اللَّه المعَلّمي، **أعلام المكيين**، ١/ ١٢٧.

(٤) أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ٨٩-٩٠.

(٧) وفاته:

توفي ابن عبد الشكور في مكة المكرمة عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، ودفن في مقبرة المَعْلاة[١]، وقد ذكر المؤرخ المكي أحمد الحضراوي أنَّ وفاته كانت في عام «نيف وثلاثين ومئتين وألف»[٢]، ويبدو أنَّ ذلك خطأ مِنْه، أو تحريف مِمَّن قام بنشر كتابه؛ لأنَّ الحضراوي أشار إلى أنَّ ابن عبد الشكور قد مدح الشريف محمد بن عون (١٢٤٣-١٢٧٤هـ/ ١٨٢٧-١٨٥٨م)[٣]، والمعروف أنَّ الشريف لم يتول الحكم إلا بعد التاريخ الذي حدده لوفاته، فكيف يتسنى له ذلك إلا بأنْ يكون معاصرًا له؟



(١) عبد اللَّه مرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٣٠٥، عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٦٩؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٩٨١، عبد اللَّه المعلمي، **أعلام المكيين**، ١/ ١٢٤؛ محمد الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص ٤١٣.

(٢) نزهة الفكر، ٢/ ٩١.

(٣) **الشريف محمد بن عون**: محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد اللَّه بن حسين ابن عبد اللَّه بن حسن بن أبي نمي الحُسني، ولد في مكة المكرمة عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، ونشأ بها، ثم رحل إلى مصر وسكنها، وقد تولى شرافة مكة عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، بتكليف مِن والي مصر محمد علي باشا، وظلَّ في الشرافة إلى عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، ثم عُزِل مِنْها، وتوجه إلى إستانبول، وخلفه في الشرافة الشريف عبد المطلب بن غالب، الذي عزل مِنْها عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، وصدر فرمان مِن الباب العالي بعودة الشريف محمد بن عون إلى شرافة مكة، فانتقل إليها، وضبط أمورها، وظلّ في شرافتها حتى وفاته في ١٣ شعبان ١٢٧٤هـ/ ٢٨ مارس ١٨٥٨م. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام**، المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٥هـ، ص ٣٠٤-٣٢٠؛ إسماعيل حقي جارشلي، **أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني**، ترجمه عن اللغة التركية: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٠٢-٢١١.

ثانيًا - التعريف بالمخطوط ومنهجه:

مخطوط «تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة»، أو «الأشراف الذين ملكوا الحرمين الشريفين»، أو «تاريخ ابن عبد الشكور»، ولم أستطع أنْ أحدد العنوان الذي اختاره مؤلفه؛ لأنَّه لم ينصَّ عليه في مُقدمة كتابه، ولا في خاتمته، وهناك تضارب بين النسخ في العنوان - كما سيأتي ذكره - بل إنَّ أقدم نسخة لم يرد عليها عنوان.

وعلى أية حال، فالمخطوط يتناول تاريخ مكة المكرمة بصورة خاصة، وتاريخ الحجاز بصورة عامّة، في مرحلة مُهمة في العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢١هـ/ ١٥١٧-١٨٠٧م)، حيث إنَّه يُغَطِّي الفترة الأخيرة مِنْه، والتي تربو على سبعين سنة (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣٦-١٨٠٧م)، وهي فترة في غاية الأهمية؛ حيث شهدت تحولات خطيرة في الدولة العثمانيَّة، مِن تسرب عوامل الضعف فيها، وظهور بعض القوى المحلية في الأقطار الشرقيَّة، والتي تمكنت مِن السيطرة على مقاليد السلطة فيها، وقد تأثر الحجاز بهذه الأوضاع الجديدة، فتنامت قوة أشراف الحجاز تدريجيًّا في هذه المرحلة، لدرجة لم نعهدها مِن قبل، ولن نجدها مِن بعد ذلك، وقد كان مؤرخنا ابن عبد الشكور شاهد عيان على معظم أحداثها، وكان قريبًا مِن صُنَّاع القرار في الحجاز وقتئذ، وهم أشراف مكة المكرمة، فجاء سجلًّا دقيقًا ومُتفردًا في تاريخ هذه المنطقة، في كافة مناحي الحياة السياسيَّة، والعسكريَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والدينيَّة.

والمخطوط في أصله كتاب واحد، ولكنه ينقسم إلى قسمين بمقدمتين مُختلفتين؛ المقدمة الأولى هي التي صدَّر بها مؤلَّفه، وتحدث فيها عن منهجه،

ومحتواه، ودوافع تدوين العمل، وبعد ذلك عرض تراجم الأشراف الذين حكموا مكة في تلك المرحلة، وما وقع في أيامهم مِن الأحداث التاريخية المهمة، وهذا القسم يغطي الفترة بين عامي (١١٤٣-١٢١٧هـ/ ١٧٣١-١٨٠٢م)، وقد ترجم لخمسة مِن الأشراف الذين تولو شرافة مكة المكرمة بصورة رئيسة، بالإضافة إلى بعض الأشراف الذين تولوا الشرافة لبضعة أيام أو أشهر، ولكن تراجمهم وردت بشكل ضمني داخل التراجم الرئيسة، والتي تتناول عصر كُلّ مِن:

- الشريف مسعود بن سعيد (١١٤٣-١١٦٥هـ/ ١٧٣١-١٧٥٢م).
- الشريف مساعد بن سعيد (١١٦٥-١١٨٤هـ/ ١٧٥٢-١٧٧٠م).
- الشريف أحمد بن سعيد (١١٨٤-١١٨٦هـ/ ١٧٧٠-١٧٧٢م).
- ا لشريف سرور بن مساعد (١١٨٦-١٢٠٢هـ/ ١٧٧٢-١٧٨٨م).
- الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م)(١).

ثم يبدأ في القسم الثاني مِن تاريخه، وهو يُغطي الفترة التي غطاها القسم الأوَّل، وإن كانت تزيد عنها بعدة سنوات حيث يتناول الفترة بين عامي (١١٤٣-١٢٢١هـ/ ١٧٣١-١٨٠٧م)، ولكنَّه خصص هذا القسم للحديث عمَّا سمَّاه بـ: فتنة الوهابيين؛ وهو يقصد الدعوة الوهابيَّة السلفيَّة، التي قامت في نَجْد

(١) لم يقم ابن عبد الشكور باستكمال أحداث عصر الشريف غالب، بل توقف حتى عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، وهو عام دخول مكة في نطاق الدولة السعودية الأولى، وقد استمر بعدها حكم الشريف غالب حتى عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، وهو العام الذي عزل فيه؛ فبعد استرداد الدولة العثمانية الحجاز مِن الوهابيين، توجّه محمد علي باشا إلى مكة، وقام بعزل الشريف ونفيه إلى سالونيك، فظل فيها حتى مات بالطاعون عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. للمزيد عن عصره، انظر: سامية محمد أسعد بشاوري، **إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢-١٢٢٨هـ الموافق ١٧٨٧-١٨١٣م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣٥ وما بعدها. وسوف ترد أخباره تفصيلية في المخطوط.

على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣-١٧٩١م)[(١)]، ثم تحالفه مع أمير الدرعيَّة محمد بن سعود (١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٦-١٧٦٥م)[(٢)]، والذي أدى إلى قيام دولتهم، التي اصطلح على تسميتها لاحقًا[(٣)]

---

(١) **محمد بن عبد الوهاب**: محمد بن عبد الوهاب. ولد في قرية العُيينة، في نَجْد عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، في أسرة علمية، فنشأ هناك، وتتلمذ على يد والده، قاضي القرية، ولما دخل في سن الشباب بدأ رحلة علمية طاف فيها ببعض المدن مثل مكة، والمدينة، والبصرة، وتلقى العلم على أيدى علمائها، ثم عاد إلى الإحساء ومنها إلى حريملاء حيث كان يقيم والده، قد وصل إلى سن الخامسة والثلاثين، وتم نضجه، واتسعت ثقافته، وقد شغلته قضية التوحيد، وما عليه الناس من مظاهر شركية مثل التمسح بالقبور، والاعتقاد في الأولياء، وطلب رفع النوازل عنهم؛ فصدع بدعوته التي هاجمها كثير من الناس، ثم بدأ في التنقل بين القرى حتى استقر في الدرعية، وهناك عقد اتفاقه مع محمد بن سعود عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، واتفقا معًا على نشر مبادئ الدعوة، وقد ظلَّ الشيخ يقوم بتعليم الناس ويضع مؤلفاته الدعوية، حتى وفاته في الدرعية عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م. انظر: كمال السيد درويش، **محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م، ص ٢٥ وما بعدها.

(٢) **محمد بن سعود**: محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان، ولد حوالي عام ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م، ونشأ فيها، ثم تولى إمارتها عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م، وكانت حدود إمارته صغيرة، وقد سمع بدعوة الشيخ محمد فاستقدمه، وعقد معه ما عرف باتفاق الدرعية عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، فصار أول أئمة الدولة السعودية الأولى، وفي عهده نجح الوهابيون في مد سلطانهم من حاير سبيع جنوبًا باستثناء الرياض، وشمالًا إلى الشعيب، والمحمل، وبلدان سدير وجلاجل، وغربًا إلى ضرما، والقويعية، وبلدان الوشم عدا أشيقر وثرمداء، وقد ظلّ في الحكم حتى وفاته عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م. انظر: نعيمة عبد اللّه بن عمر بن دهيش، **عهد الإمام محمد ابن سعود (١١٣٩-١١٧٩هـ/ ١٧٢٦-١٧٦٥م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٤٧ وما بعدها.

(٣) هناك اتفاق بين المؤرخين حديثًا على تقسيم التاريخ السعودي إلى ثلاث فترات: الفترة الأولى: وهي الدولة السعودية الأولى، والتي بدأت بالتحالف بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والأمير محمد بن سعود في الدرعية عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، وتنتهي بسقوط الدرعية في قبضة إبراهيم باشا بن محمد علي عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، والفترة الثانية: وهي الدولة السعودية الثانية، وتبدأ بجهود الأمراء السعوديين بتوحيد بلادهم عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م، وتنتهي بسقوط الرياض في قبضة آل رشيد عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، والفترة الثالثة: وتبدأ بقيام الأمير عبد العزيز آل سعود باسترداد الرياض من آل رشيد ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، ولمَّا اكتمل كيانها السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي عام =

بالدولة السعودية الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)[1]، فيفرد لهذا الموضوع مقدمة خاصة به، ثم تحدث عن الفتن بشكل عام، ثم يتحدث عن الوهابيين وظهورهم، ثم يتناول علاقاتهم مع أشراف الحجاز، حيث ذكر أنَّ العلاقات بدأت بينهما في عهد الشريف مسعود عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، ولكنها كانت مجرد خلافات فكرية وعقائدية، ولكن بتولي الشريف غالب تطور الأمر إلى الصراع العسكري، والذي انتهى بدخول الحجاز بصورة نهائية في نطاق الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م.

هذا، ويمكن أنْ نرجح مِن خلال وجود مُقدمتين للمخطوط، أنَّه رُبَّمَا ضم أحد قسمي الكتاب للآخر، ومِن خلال دراسة المخطوط؛ فقد رجحت أنَّه رُبَّما كتب القسم الثاني مِن المخطوط أولًا، والذي تناول فيه أخبار الأشراف والوهابيين كمؤلف مُنفرد، حيث كانت كتابته لهذه الأحداث بصورة يومية، ثم ضم إليه القسم الأول، ووضعهما في مؤلف واحد، وهذا ما سيأتي تفصيله عند محاولة وضع تأريخ لتدوين المخطوط.

ورغم أنَّ ابن عبد الشكور كان أديبًا؛ فإنَّه كان مُشْتغلًا بعلم التاريخ؛ وهذا يتجلَّى في مقدمته التي صدَّر بها مؤلفه، وعرض فيها أهمية التاريخ، وفوائد مطالعته، فقال:

«وكان علم التاريخ مِن أجلِّ العلوم قَدرًا، وأسْمَاها مكانةً، وأشْهر ذكرًا، وأعْذَبُهَا مُذاكرةً ومُفاخرةً، وأقربها للأذْهَان في المُحاضرة، وألطفها مَعْنى، وأشْرَفها مَغْنى، حتى قال

= ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م عرفت باسم المملكة العربية السعودية. مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق، جدة، ط ١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٤٦.

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، **الدولة السعودية الأولى (١١٥٨-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥-١٨١٨م)**، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط ٤، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٥٨ وما بعدها.

الإمام الشافعي رضي الله عنه: «عِلْمَ التَّاريخ يَزِيدُ فِي العَقْلِ».... اعْلَمْ أَنَّ من فنِّ التاريخ ومُطالعته يكون الفِطْنَة والاعتبار، والتَّفَكُّرُ في الحَوادث التي يَجْري بها الفَلَكُ الـدَّوَّار ليلاً ونهار، والعَاقل الذي يَقْتدي بِمَن مَضى مِن أمْثَاله، وذو الجَهل يَمْرح في غَيِّه وضلاله، وفِيْما وَرد في الكِتاب العَزِيز كِفَاية لِمَن أراد الصواب: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢] ومَا رَواه سيِّد المُرسَلين مِن أحَاديث الأُمَم المَاضين، عن ما في التَّوراة والإنْجيل، وما قَصَّهُ من قَصَص بني إسراييل، وفي قصَّة الخضر ومُوسَى، تَرويحًا للقُلوب وتَأْنِيسًا»[٣].

(١) **منهج التأليف:**

وقد اعتمد مؤرخنا على المنهج الحولي في تسجيل الأحداث، وهو أنْ يقوم بذكر الوقائع مرتبةترتيبًا زمنيًّا على حسب السنوات، فيبدأ بشهر المحرم، وينتهي بشهر ذي الحجة، وفي بعض الأحيان لا تبدأ أحداث بشهر المحرم، ولعلَّ ذلك يرجع إلى عدم وجود ما يستحق التدوين، ونلحظ أنَّ بعض السنوات لم يؤرخ لها، بينما نجد بعضها الآخر فيه قصور نسبي في المادة التاريخيَّة، وربما يرجع ذلك - أيضًا - إلى عدم وجود أحداث تاريخية مهمة ومؤثرة فيها.

ولم يلتزم ابن عبد الشكور بالمنهج الحولي فقط، بل قام باستخدام المنهج الموضوعي، حيث تناول بعض الموضوعات المنفردة بنفسها، وهو بذلك يضارع المؤرخين الحديثين في تبويب الأحداث التاريخية، وقد أبلى

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف، آية رقم ١١١.

(٣) ورقة ٣، ٤-٥.

بلاء حسنًا في ذلك، وبخاصة عند عرضه أحداث قضية الصراع بين الوهابيين والأشراف؛ فقد تناوله بصورة موضوعية في قسم منفصل من المخطوط، وهذا الشرط، أيّ استخدام المنهج الحولي والمنهج الموضوعي قد أقرَّ به في المقدمة التي كتبها في صدر مؤلفه، ويقول في ذلك:

«والترتيب فيه أنْ أذكر كُلّ واقعة في محلّها وموضعها، إلاَّ قصة الشيخ النجدي جميعها في موضع واحد بخلاف موقعها لكن في زمن طويل، وليتأمل فيها الناظر المجيل، فذكرتها في موضع مجموعة، لأمور ونكت مودوعة، مِنْها إظهار زيف عقايده المصنوعة، وأباطيل أحاديثه الموضوعة»[١].

وعلى الرغم مِن وجود بعض القصور في المنهج الحولي؛ والذي يتناول الأحداث وقت وقوعها، فرُبَّما يأتي الحدث الواحد متقطعًا على بعض الأشهر، أو السنوات؛ فلا يذكر إلا ما يخص الحدث وقت الوقوع؛ فإنَّ ابن عبد الشكور حاول التغلب - بقدر الإمكان - على هذا العقم الذي يغشى هذا المنهج؛ فتراه ينجح في الربط بين الأحداث عن طريق الإحالة على ما تقدم، أو الإحالة على ما سيأتي بعبارات قصيرة، مثل قوله: «عودًا إلى»[٢]، أو «العَوْد أحمد إلى أوَّل سياق ما تقَدَّم مِن هذه القصة»[٣]، أو «وقد سبق لك آنفًا»[٤]، أو «تقدم لك آنفًا»[٥]، أو «ستقف على ما وقع»[٦]، «وستتضح لنا حقيقته»[٧].

وهناك بعض الأساليب الأخرى مِن الربط الموضوعي التي استخدمها

---

(١) ورقة ٤.
(٢) ورقة ٥٤.
(٣) ورقة ٦٣.
(٤) ورقة ١٢٤..
(٥) ورقة ١٨٤، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٨٠.
(٦) ورقة ٢٤٦.
(٧) ورقة ٢٧٦.

ابن عبد الشكور، فهو يحاول جمع شتات الحدث التاريخي في مكان واحد؛ ففي بعض الأحيان ربما استغرق الحدث معظم شهور السنة، وربما سنة، أو أكثر، فنراه يقوم بذكره في موضعه ويسرده، وبعد الانتهاء منه يبدأ في ذكر الأحداث مرتبة حسب شهورها في السنة المذكورة[١].

واستخدم بعض أساليب الربط، حيث يربط الحدث التاريخي، أو الموقع بعصره، أو يربط عصره بالماضي، ويذكر ما طرأ عليه من تغيير إنْ وجد، ويفسر ما جدَّ، وكذلك فإنَّه يستخدم أسلوب المخاطبة في بعض الجمل، وكأنه يريد أن يجعل القارئ يعيش معه في وصف ما، أو يربطه بالحدث، ويستخدم كذلك بعض العبارات التي لها دلالة على المعاصرة، مثل قوله: «كما تراها الآن»[٢]، أو «كما تراه»[٣]، أو «وهو كما تراه العينان وليس الخبر كالعيان»[٤]، أو «فما رأيت فيما رأيت، ولا رويت فيما رويت»[٥]، أو «ورأيت منهم مربوطين»[٦]، أو «وكم رأيت مأسورًا مِنْهم ومسلوب»[٧]، أو «ورأينا الروس المسلوخة»[٨]، أو «وقد شاهدته عيانًا»[٩]، أو «وقد شاهدت طلوعه عيانًا»[١٠]، أو «وقد شاهدت واقعه ... بالعين مشاهدة»[١١].

ومِن السمات المميزة في تسجيل الأحداث، والتي تدل على الأمانة العلمية في التدوين التاريخي أنَّه عندما يشك في حدث مِن الأحداث، يورده ببعض

---

(١) ورقة ٤٥-٤٦، ٤٨-٤٩.
(٢) ورقة ١١٩.
(٣) ورقة ٢٩٦.
(٤) ورقة ٢٩٩.
(٥) ورقة ١٢٢.
(٦) ورقة ١٢٢.
(٧) ورقة ١٢٧.
(٨) ورقة ١٤٢.
(٩) ورقة ٦٣.
(١٠) ورقة ٥٨.
(١١) ورقة ٦٣.

العبارات التي لا تقطع بصحته؛ ليخرج مِن تحمل مسئوليته، وتحث القارئ على التأني في الحكم على الخبر، أو البحث عمَّا يرجحه، مثل قوله: «بلغني»[1]، أو «أخبرني»[2]، أو «قيل»[3]، أو «أظنَّه»[4]، أو «وما أظنّ»[5]، أو «غالب الظن»[6].

وكذلك فإنَّ الأحداث التي لم يطلع عليها، أو لم يقف على حقيقتها؛ فإنَّه لا يجد غضاضة في أن يقر بحقيقة ذلك، مستخدمًا بعض العبارات مثل قوله: «واللَّه أعلم بحقيقته فلم أقفْ عليه»[7]، أو «لا أعلم له قدرًا»[8]، أو «ولا أعلم لمنعهم عن ذلك ما السبب»[9]، أو «لا أعلم له كمية»[10]، «مع القصور في بعض حقايقهم التي ما اطلعت عليها ولا وعيت»[11]، أو «ما وقفت على حقيقة»[12].

ومِن ناحية أخرى، فقد تأتيه بعض الأخبار مِن أشخاص يثق فيهم؛ فإنَّه يُقر بذلك، حتى يجعل القارئ على ثقة فيما يرويه له، ومِن ذلك قوله: «سمعت مِمَّن يُوثق بقوله باطنًا وظاهر»[13]، أو «أخبرني ذلك ثقةٌ مِن ثقات الرجال أنَّه رأى»[14]. الأمر الذي يرفع مِن قيمة الخبر المنقول.

---

(١) ورقة ٩٧، ١١٦.
(٢) ورقة ٢٠٨، ٢٦٩.
(٣) ورقة ٥٣، ١١١، ١٩٢، ٢٤٠.
(٤) ورقة ١٦، ٣٢، ٧٨، ٢٦٧.
(٥) ورقة ١٧، ١٦٤، ١٠١، ٢١٨.
(٦) ورقة ١٩٧.
(٧) ورقة ٢٨٩
(٨) ورقة ١١٦.
(٩) ورقة ١٢٣.
(١٠) ورقة ١٣٠.
(١١) ورقة ١٧٢-١٧٣.
(١٢) ورقة ٢٧٦.
(١٣) ورقة ١٦٣.
(١٤) ورقة ٢٩١.

هذا، ولم يترك ابن عبد الشكور الروايات المتعددة دون تفضيل أو ترجيح رواية على أخرى، وينقد الروايات، ويصحح بعضها، ويستخدم بعض العبارات مثل: «وقيل ... والصحيح أنَّ ...»[١]، أو « قيل: إنَّ ... وقيل: إنَّ ... وأصح القولين أسْبقها»[٢]، ومِن ذلك تفسيره ما وقع من حريق دار السعادة عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وقد نسب بعض الناس هذا العمل إلى محمد بيك أبي الذهب، ولكن مؤرخنا عرض هذا الأمر، وبيَّن وجه حقيقته، ولعلَّ مِن الأفضل أنْ ننقل ما قاله في ذلك:

«وأمَّا ما نُسِبَ إليه مِن إحراقه لدار السعادة، ومقرّ الملوك ذوي السِّيادة، فإنَّها حُرِقَت بغير إرادته، والحقير تحقّق عن هذا المقدار عن مُشاهدته، والدليل على إحراقها خلف هواه، وأنَّها على مراد اللَّه؛ كَوْنِه ساكنًا فيها بماله وحاله، واحترق في النار بعض مماليكه، وكثير مِن ماله، حتى صاروا يخرجون أدَباشه بأعظم مشقّة مِن النار وهي تضَرَّم، ويجمعون بعضها على بعض في أروقة الحرم، ومع هذا نُهِبَ له فيها كثير مِن الأمتعة، وغالت يد الضياع كثيرًا ممَّا جمعه، وبعض الأماكن حالت النار بينهم وبين ما فيها، فكأنَّها القدور على أشافيها، وهذا قد شاهدته عِيانًا بحسْب الظاهر، واللَّه يتولى السَّراير»[٣].

وتتجلّى الحاسّة التاريخية لدى مؤرخنا في الفترة المعاصر لها، وبخاصة في توقعه ما تؤول إليها الأحداث والوقائع؛ فإنَّه يستخدم بعض العبارات تدل على تيقنه مِن نتائج الحدث، أو ما سينتهي إليه، وهو ما يعرف

(١) ورقة ٣٣-٣٤.
(٢) ورقة ٥٢-٥٣.
(٣) ورقة ٦٣.

الآن بالتاريخ المستقبلي، ومِن ذلك قوله: «وسيبدو صدق مقالي»[١]، أو «ما أظنَّه يصدق فيها قال، وإنَّمَا هي خديعة ليكفوا عن القتال»[٢]. وبالفعل ما توقعه قد كان.

(٢) الأسلوب اللغوي:

لا ريب في أنَّ الأسلوب اللغوي الذي ينتهجه أي عمل يمثل جزءًا مهمًّا في نجاحه، ولمَّا كان ابن عبد الشكور أديبًا؛ فقد كتب تاريخه بأسلوب أدبي رصين، حاول أنْ يبرز مِن خلاله بمظهر الكاتب المُتأنِّقِ في أسلوبِهِ، وقد اعتمد على السجْع، واستخدام المُحَسِّنات البديعية، وهذا التزامه الذي ذكره في مقدمته، بقوله:

«والتزمت فيه التسجيع، وأسقيتُ بِمَا القريحة روضه المريع، حتى جاء نزهة الأبصار ونادرة الزمان، وتحفة المجالس....»[٣].

ولم يشذ عن التزامه إلا قليلًا، ولا ريب في أنَّ هذا الأسلوب قد استلزم جهدًا إضافيًّا شاقًّا مِنْه، ولم يؤدِ التزامه إيَّاه إلى غموض في معنى، أو غمط لفكرة، أو إثقال القارئ بعبء فهم ما اختاره مِن ألفاظ إلا قليلًا، ونتيجة التزام السجع؛ فإنَّ ذلك حمله - في بعض الأحيان - على عدم التقيد بقواعد الإعراب، فوقع في بعض الأخطاء النَحْويَّة.

واستخدم كثيرًا مِن المصطلحات غير العربية، وبخاصة الفارسية والتركية، والتي تغلغلت إلى اللغة العربية، نتيجة اختلاط العرب بهذه الشعوب، ولكن لا ريب أنَّ هذه المصطلحات كانت معروفة لأهل زمانها.

---

(١) ورقة ١٩٧.

(٢) ورقة ٢١٨.

(٣) ورقة ٤.

وتتجلَّى النزعة الدينية لدى ابن عبد الشكور في تأثره في بعض عباراته بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى استشهاده بالآيات في مواضع عدة، فضلًا عن استخدامه الأحاديث النبويَّةِ، والتي كانت في مُجْملها صحيحة، خالية مِن الوضع والضعف.

ولمَّا كان مؤرخنا أديبًا شاعرًا؛ فقد صار لديه مادة غزيرة في الشعر، والأدب، والأمثلة، والتي استشهد بها على مدار تاريخه، وكثيرًا ما كان يرجع إلى القصائد التي قيلت، أو كُتبت في مُناسبات تاريخيَّة متنوعة، فسجَّل لنا بعض القصائد الطوال التي يمكن أنْ نطلق عليها بأنَّها نوع مِن الشعر التاريخي؛ حيث تناول بعض الأحداث التاريخية في قصيدة تعطي صورة تفصيلية للحدث، إحداهما له، واثنتان لغيره مِن الشعراء؛ ومِن ذلك قصيدة تتنبأ بتاريخ بدء ظهور فتنة الوهابيين[١]، وثانية تتحدث عن أعمال الوهابيين في مكة، وما حولها قبيل سقوطها في قبضتهم عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م[٢]، وأخرى - وهي مِن نظمه - تتناول الأوضاع السيئة التي وقعت على مكة مِن جرَّاء حصار الوهابيين[٣]. وقد كان يميل إلى أن يؤرخ بعض الأحداث التي يدونها بطريقة حِسَاب الجُمَّل[٤].

---

(١) ورقة ٥٨-٥٩.

(٢) ورقة ٢٦٩-٢٧٤.

(٣) ورقة ٢٦٢-٢٦٦.

(٤) **حِسَاب الجُمَّل**: كان يستخدم في التأريخ الشعري الذي شاع في العصرين المملوكي والعثماني، حيث كان بيت الشعر فيه أو صدره أو عجزه يرمز إلى تاريخ معين؛ كتاريخ تولي السلطان العرش، أو تاريخ وفاته، أو تاريخ إنشاء مسجد أو مدرسة أو غيره، فكل حرف في الأبجدية يقابل رقمًا معينًا، وبجمع هذه الأرقام يكون التاريخ المحدد. والأبجدية بما يساويها من أرقام تكون وفق الآتي: أ=١ ب=٢ ج=٣ د=٤ هـ=٥ و=٦ ز=٧ ح=٨ ط=٩ ي=١٠ ك=٢٠ ل=٣٠ م=٤٠ ن=٥٠ س=٦٠ ع=٧٠ ف=٨٠ ص=٩٠ ق=١٠٠ ر=٢٠٠ ش=٣٠٠ ت=٤٠٠ ث=٥٠٠ خ=٦٠٠ ذ=٧٠٠ ض=٨٠٠ ظ=٩٠٠ غ=١٠٠٠ ليلى الصباغ، **دراسة في منهجية البحث التاريخي**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، ط٨، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٦٥-١٦٦.

(٣) تاريخ تدوين المخطوط:

لم يذكر ابن عبد الشكور على وجه التحديد متى بدأ تدوين تاريخه، ولا المدة التي استغرقها، أو تاريخ الانتهاء مِنْه، كما لم يذكر الطريقة التي دوَّن بها الأحداث، هل كان يدونها أوَّلًا بأوَّل، أم بعد حُدوثها بوقتٍ قصيرٍ، أو بعدها بوقتٍ طويلٍ.

ومِن خلال دراسة المخطوط وضح بعض الأمور المُهمة، التي تُعطينا صورة عن بعض المعلومات التي تفيدنا في هذا الصدد، وعن الوقت الذي دون فيه، وذلك في قوله:

«على أني أستغفر الله العظيم مِن الزلل، وما طغى به القلم في القول والعمل، سيَّما وقد تعاطيته في سِنِّ المشيب، والزمن الذي كُلّه أعاجيب، وتركته في زمنٍ تقَدَّم بالأمس، وكانت تُحَدثني به النفس، وكُنَّا نقضي مِن الزمان الشئون، وطرق لأوقات اللذّات في يد الخلاعة مرهون، والوقت يُتحِفُنَا بأنسه.... قبل أنْ تتكدَّر عليه تلك المشارب، ويبدو في سنام سعده للنحوسات غارب، ويتولاه أفْجَر الفُجَّار، وزاملة العار، عثمان المضايفي له الويل والدمار»[1].

ونلحظ مِن ذلك أنَّه قد كتب تاريخه وهو في سن كبيرة[2]، وأنَّه كان يريد كتابة هذا التاريخ، ولكنَّه انشغل بمشاغل الحياة، حتى انشق عثمان المضايفي عن الشريف غالب، وانضم للوهابيين، أي في أواخر عام ١٢١٧هـ/ أوائل عام ١٨٠٣م.

---

(١) ورقة ٥.

(٢) وفي بعض الأحداث المعاصر لها، نحو عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م ذكر أحد الأشخاص بقوله: «فقرأ الفرمان الشاب الكَيِّس»، (ورقة ١٦٠) ولا ريب أنَّ وصفه بالشباب إنَّما هو إسقاط على نفسه، بأنَّه قد صار في سن كبيرة

وكذلك يبدو مِن خلال دراسة المخطوط أنَّه كتب القسم الثاني أولًا، والذي تحدث فيه عن فتنة الوهابية، مُنذ ظهورها عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، حتى عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، وهو العام الذي دخلت فيه مكة المكرمة، وسائر الحجاز في نطاق الدولة السعودية الأولى، وقد وردت العديد مِن الإشارات في القسم الثاني مِن المخطوط، تدل على أنَّه كان يسجل الأحداث وقت وقوعها، ومِن ذلك أنَّه ذكر أنَّ الإمام عبد العزيز بن سعود بأنَّه الحاكم الموجود[1]، أيّ إنّه لم يكتبها في مرحلة لاحقة؛ لأنَّ لو كتبها بعد ذلك لَمَا ذكر أنَّه الحاكم في وقته هذا. كذلك عندما تم توقيع الصلح بين الشريف غالب، والإمام عبد العزيز ابن سعود عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، فقد ذكر أنَّ هذا الصلح لنْ يستمر طويلًا؛ لأنَّ الوهابي - أي الإمام عبد العزيز - لا يثبت على عهد[2]، وبالفعل ما توقعه قد كان.

ومِمَّا يثير التساؤلات أنَّه على الرغم مِن وفاة ابن عبد الشكور في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، فإنَّ تاريخ تدوينه للأحداث قد توقّف عند عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، أيّ إنَّه توقف عن تدوين أحداث خمسٍ وثلاثين سنة قد عاصرها، ولعلّ ذلك يطرح العديد من التساؤلات، فما الذي منعه عن تدوين تلك الفترة التاريخية الخطيرة؟ وهل كان ينوي تدوينها، ولكن الوقت لم يسعفه؟ أم إنَّه توفي قبل إتمام هذا العمل؟

ويمكن تفسير ذلك في أنَّ السنة التي توقف فيها عن ذكر الأحداث، هي التي ضم فيها الحجاز إلى الوهابيين؛ ورُبَّما خشى مِن بطش الوهابيين إذا رأوا تاريخه هذا، وما كتبه عنهم، فاضطر إلى التوقف عن تدوين الأحداث، ولكنَّه في الوقت نفسه عمل على كتابة تاريخ الحجاز الموازي لتلك الفترة التي دونها - وأعني القسم الأول مِن تاريخه - والذي تحدث فيه عن أخبار الأشراف الذين وردت أخبارهم في القسم الثاني، ولكن يبدو أنَّه حدث أمر

---

(١) ورقة ١٧٤.

(٢) ورقة ١٩٧.

آخر جعله يتوقف عن استكمال الأحداث، ألا وهو القبض على الشريف غالب، ونفيه من الحجاز عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م - كما ذكر آنفًا - ولعله قد تأثر بذلك الأمر؛ لأنَّه كان قد ذكر في مقدمة عمله بأنَّه سيهدي مؤلفه هذا إلى الشريف غالب إذا تم[1]، ولم يكن قد أتمَّه حتى نفي الشريف، وامتد تدوين ما تبقى مِن القسم الأوَّل إلى أواخر أيامه، ففي هذا القسم كان يترك بعض الورقات فارغة؛ وقد ورد تعليق في بعض النسخ على هذا الفراغات بأنَّ المؤلف كان يريد أنْ يستكمل بعض الأحداث، ولكن عاجلته المنية، قبل أنْ يتمها[2].

(٤) دوافع التأليف:

إنَّ دوافع تأليف أي عمل مِن الأعمال، قد تؤثر بطريقة أو بأخرى على ما سوف يدوَّن فيها، خاصة إذا كانت بتكليف مِن ذوي السلطة والسلطان؛ لأنَّ ذلك سيخرج عملًا يحمل طابع الرسمية، و يكون متأثرًا بالآراء التي توجهها، أو تروِّج لها السلطة الحاكمة.

ولذلك لزمت الإشارة إلى أنَّ ابن عبد الشكور لم يكتب تاريخه بتكليف مِن أحد، وإنَّما كتبه لشعوره بأهمية الفترة التي يعيش فيها، حيث وجد أنَّ الأقلام في دائرته التي يحيا فيها لم تدونها، وتوقفت كتب التاريخ عن ذكرها، فخشي مِن نسيانها وضياعها، فدفعه ذلك إلى تدوينها ليحفظها؛ وعلى ذلك فقد أراد الرجل أنْ يسجل ما رآه، ويسطِّره ليبقى لآخر الزمن، وينشره بين الناس ليتبيَّنوا الحقيقة، ويعتبروا، وقد وضَّح غرضه هذا بما قاله:

«أحببتُ أنْ أجعل تاريخًا يشتمل على ما وقع في عصر ثاني الفتن، وما شاهدناه مِن البلايا والمِحن، وتغيُّر أحوال

---

(١) ورقة ٥.

(٢) عبد اللَّه بن عبد الشكور، **تاريخ أشراف وأمراء مكة المشرَّفة**، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم (٣٤٤٤) تاريخ، ورقة ٤٤.

الزمن، وانقلاب ظَهْر المِجَنّ شامًا ويمن، مِمَّا خلا مِنْه بطون التواريخ وكتب السِّير، وتناقلته الركبان بدوًا وحضر»(١).

وكذلك فإنَّه في المُقدِّمَة التي صدَّر بها حديثه عن ما سمَّاهُ: «فتنة الوهابية»؛ فإنَّه يوضح غرضه - أيضًا - وراء تدوين تاريخه، وذلك بقوله:

«لمَّا شاهدت مِن أمر هذه الطايفة، التي لم تزل على البغي عاكفة، ورأيت مِنْ أحوالهم ما رأيت، حينئذ رويت عنهم ما رويت مع القصور عن أغلب حقايقهم، التي ما طلعت عليها ولا وَعيت، أحببت أنْ أذكر نبذة مِن أحوالهم تبقى لآخر الزمن، وينتشر ذكرهم في البلدان ويتبيّن»(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ ابن عبد الشكور قد بيَّن أنَّه كتب تاريخه هذا، ولم يبتغ به مالًا، ولا سلطانًا، وذلك في ختام مُقدِّمَته، والتي قال فيها:

«مع أني أحمد اللَّه تعالى لم أجعل حرفة الأدب وسيلة للطلب، ولم أبتغ بها سخب ولا نشب، ولا جعلت هذه البضاعة للنوال صناعة، ولسانُ العفاف يقول لي حين عَفَّ كذبوني بواحد يرهب الألف، ومع هذا فلا يخلو الآنام مِن الكرام، ومَنْ رام أمرًا بلغ المرام»(٣).

وقد كان صاحبنا يطمح أنْ يقوم بإهداء هذا العمل - حين ينتهي مِنْه - إلى الشريف غالب بن مساعد، حتى يضعه في خزانة كتبه العامرة في مكة المكرمة، وقال في ذلك:

---

(١) ورقة ٣.

(٢) ورقة ١٧٢-١٧٣.

(٣) ورقة ٦.

«وأرجو ممَّن وسمته بوسمه، ورسمته باسمه، قَبُوله إذا تمَّ، كما هي عادة ذوي الشيم، لأنَّ الكريم يَقْبل ما يُهْدَى إليه، والْمُعَوّلُ في فضله عليه، عَلَّه أنْ يتشرَّف بوضعه في خزانته المُتممة، التي فيها كُتب قيِّمَة»[1].

وهنا لا بُدّ أنْ نطرح بعض التساؤلات المُهِمَّة، وهي لماذا كان سيهدي ابن عبد الشكور تاريخه هذا للشريف غالب؟ ألم يقر بأنَّه كتب تاريخه هذا لتسطير الحقيقة؟ وأنَّه لا يبتغي مالًا ولا سلطانًا؟ فهل كان ينتظر مكافأة أو عطيَّة؟ أم فعل ذلك تَقَرُّبًا وزُلْفَى؟ أم قام به تقديرًا ومحبةً للشريف غالب؟ الراجح أنَّ الرجل فعل ذلك مِن أجل الأخيرة؛ لأنَّه كان مِن المُقَرَّبين للشريف غالب، وقد دلَّ على ذلك أحد المواقف التي بيَّنت منزلته، فعندما استولى ناظر السوق في مكة على بضاعة قادمة مِن جدَّة باسم ابن عبد الشكور، ووزعها على العسكر الأتراك؛ فكتب الأخير شكاية ورفعها للشريف في شكل قصيدة طويلة يوضح له ما وقع؛ فما كان مِن الشريف بأنْ أمر برد الحقوق لأهلها على الفور، وابن عبد الشكور كان من أشد المحبين للشريف غالب، وهذا ما يتضح مِمَّا أصابه بعد عزل الشريف ونفيه؛ حيث فترت هِمَّته فيما كان يريده، وامتد به الأمر في تدوينه لبعض الأحداث في القسم الأول حتى وفاته.

(٥) مصادره في التدوين:

لم يذكر ابن عبد الشكور المصادر التي استقى منها معلوماته، للمرحلة التي لم يكن فيها شاهد عيان، أو معاصرًا لها خاصة عهد الشريف مسعود بن سعيد، والسنوات الأولى مِن عهد الشريف مساعد بن سعيد، ومِن خلال دراسة المخطوط؛ فقد وجدت أنَّه نقل الأحداث التي لم يعاصرها مِن خلال «تنضيد

---

(١) ورقة ٥.

العقود السنية بتمهيد الدولة الحَسَنيَّة»[١] لرضي الدين الموسوي العاملي[٢]، ولكن هناك بعض الروايات التي انفرد بها عن هذه الفترة؛ فَربما نقلها مِن مصادر أخرى لم أقف عليها، أو أنَّها كانت مِن الروايات الشفوية المتداولة في الحجاز وقتئذ.

وكان مؤرخنا ينقل ما رآه وعاينه، أو نقله مِن بعض شهود العيان الذين يثق فيهم؛ حيث إنَّ كتابته للأحداث التي عاصرها قد تميزت بالدقة الشديدة خاصة فيما يتعلق بعدد الجيوش في بعض المعارك، والقبائل التي انضمت إليها، وعدد القتلى، وعدد الأعمدة التي تم ترميمها في المسجد الحرام، وكذلك ترميم عين زبيدة، والفترة التي استغرقتها، والأموال التي أنفقت عليها، والطريقة التي تمت بها عملية الترميم، والمساحات التي تم بناؤها في مسجد ابن عباس في الطائف، ووزن الهلال الضخم الذي رفع فوق المئذنة، وكل ذلك يدل على دقة المؤلف في كتابة مادته التاريخية.

□□□

---

(١) طبع هذا الكتاب في جزأين، بتحقيق مهدي رجائي، معهد الدراسات لتحقيق أنساب الأشراف، في مدينة قم في إيران، ط١، عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م.

(٢) **رضي الدين الموسوي العاملي**: رضي الدين بن محمد بن علي بن حيدر الموسوي العاملي المكي، ولد في مكة المكرمة عام ١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م، ونشأ فيها، ثم ارتحل في طلب العلم، وقد نال مكانة كبرى في وقته، وله عديد مِن المؤلفات، ومنها: «الدلائل الهادية على المسائل الصحارية»، و«نهج السداد في أحكام الحج والإفراد»، وتوفي عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، وقيل عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م، والأخير هو الأصح، ودفن في مكة المكرمة. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ١/ ٣-٢٠؛ العباس المكي الحسني الموسوي، **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس**، ج٢، وضع المقدمة: محمد مهدي الخرسان، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٨٦-١٩١؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ١/ ٧٢٢.

ثالثًا- أهمية المخطوط:

ترجع أهمية المخطوط إلى عدة أسباب، ومِنْها:

(١) أنَّ مؤلفه شاهد عيان على كثير من الأحداث التي كتبها، خاصة مع تواجده في مكة المكرمة، وقربه من صُنَّاع القرار والهيئة الحاكمة في الحجاز.

(٢) يُعَدُّ استكمالًا لسلسلة المصادر التاريخية، التي تناولت تاريخ الحجاز بصورة عامة، وتاريخ الحجاز في العصر العثماني بصورة خاصة؛ فهو يستكمل الفترة الممتدة مِن مُنتصف القرن الثاني عشر الهجري حتى الربع الأوَّل مِن القرن الثالث عشر الهجري، ويكمل بذلك مصدرين مهمين تناولا النصف الأوَّل مِنْه، أوَّلهما: «إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن»[١]، لمحمد بن علي الطبري[٢]، والذي تبدأ أحداثه

---

(١) لهذا الكتاب تحقيقان أوَّلها: للدكتور ناصر البركاتي في جامعة مانشستر عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، والآخر: للدكتور محسن محمد حسن سالم، ط١، في جزأين، دار الكتاب الجامعي، القاهرة عامي ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، و١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. محمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات الحرم**، ٩/ ٢٨٧-٢٩٣.

(٢) **محمد بن علي الطبري**: محمد بن علي بن فضل الطبري الشافعي المكي، ولد في مكة المكرمة عام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م، ونشأ بها، وتعلَّم على أيدي علماء عصره، حتى صار من علماء وقته، وتولى إمامة المقام الإبراهيمي، وله مؤلفات مِنْها: «عقود الجمان في سلطنة آل عثمان»، «إمتاع البصر والقلب والسمع في شرح المُعلَّقات السبع»، و«الحجة الناهضة في إبطال مذهب الرافضة». توفي في مكة المكرمة، عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م وقيل عام ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، ودُفِنَ في مقبرة المَعْلاة. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات على من مات**، ج٢، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم (٢٧٩٠)، ورقة ٢٧٤-٢٧٥؛ عبد الله الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣١٢-٣١٣؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٧/ ١٨٩.

بعهد الشريف قتادة بن إدريس الحسني[١] حتى عام ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م، أي حتى عهد الشريف عبدِ الَه بن سعيد[٢]. والآخر: «تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحَسَنيَّة» لرضي الدين الموسوي العاملي، وتبدأ أحداثه - أيضًا - منذ عهد الشريف قتادة، ولكنَّها تستمر حتى عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، أي حتى عهد الشريف مساعد بن سعيد.

(٣) يتناول مرحلة مُهمة في تاريخ الحجاز في العصر العثماني، شهدت زيادة قوة السلطة السياسية للأشراف في الحجاز؛ حيث ظهر العديد مِن الحكام الأقوياء ذوي القوة والبأس، والذين فرضوا نفوذهم وسيطرتهم على الحجاز، وثبت أنْ نفوذهم لم يقتصر على مكة المكرمة - كما روَّج بعض الباحثين - بل تعداها إلى معظم المرافئ الواقعة على البحر الأحمر في النطاق الجغرافي للحجاز، بالإضافة إلى بعض الأماكن الواقعة في عالية نجد، وهذا النفوذ الذي تمتع به

---

(١) **قَتَادَة بن إدريس**: قتادة بن إدريس بن مُطَاعِن بن عبد الكريم بن عيسى الحَسَني، ولد في ينبع عام ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م، وقد استطاع أن يتولى إمارة ينبع، ويقضي على المناوئين له، ثم ملك وادي الصفراء، ثم تطلع إلى شرافة مكة، فنجح في دخولها، وصار حاكمًا عليها، وقد كان شديد القوة والبأس، وظلّ في حكم مكة حوالي عشرين عامًا، ومات خنقًا على يد ابنه الحسن عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، ودُفِنَ في مكة. عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي، **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**، ج١، تحقيق: فهيم شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ٥٥٠ وما بعدها؛ أحمد السباعي، **تاريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع**، ج١، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٥٩-٢٦٦.

(٢) **عبدِ الَه بن سعيد**: عبدِ الَه بن سعيد بن سعد بن زيد، وقد اشتهر على الألسنة عبدِ الَه بكسر الدال وترقيق اللام - منعًا للخلط بينه وبين أخيه عبد اللَّه كما سيأتي - وقد تولى شرافة مكة بعد وفاة والده في ١٢٢٩هـ/ ١٧١٧م، ولم يستمر سوى سنة وثلاثة أشهر، فعزل وتوجه إلى اليمن، ثم تولى مرة أخرى عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م وقد ظل حتى وفاته عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، وقد دفن في مكة، وكان له قُبَّة قبالة قُبَّة الشيخ محمود. ومجموع سنين حكمه ثمان سنين وثمانية أشهر. أحمد زيني دحلان، **الدول الإسلامية بالجداول المرضيَّة**، المطبعة البهية، القاهرة، ١٣٠٦هـ، ص، ١٥٨-١٥٩.

الأشراف كان نتيجة ضعف الدولة العثمانية، وانشغالها في النزاعات الداخلية، ومشاكلها الخارجية وحروبها في أوروبا.

(٤) يبرز الصراع الذي شهدته تلك الفترة بين بيوتات الأشراف أنفسهم للوصول إلى سدة الحكم، والعوامل التي ساعدت في ذلك، وتدخل أمراء الحج المصري والشامي في ذلك الصراع لترجيح كفة أحد الأشراف وعزل آخر، وكان يتم ذلك معظم الأحيان في موسم الحج.

(٥) يهتم بالسياسة التي اتبعها الأشراف لفرض سطوتهم على كافة مدن الحجاز، وسياستهم المُتبعة تجاه القبائل، وكيف أدار الأشراف تلك العلاقات سواء بالسلم، أو بالحرب، وإدخال هذه القبائل طوعًا أو كرهًا في نطاق ملكهم.

(٦) يُبيِّن الصراع المذهبي السني - الشيعي في أراضي الحرمين الشريفين، وموقف السلطة والعلماء مِن الشيعة، والفتن التي تمخضت عنه، ورُبَّما بعضها كان نتيجة للشائعات، أو لأتفه الأسباب.

(٧) يوضح بصورة جلية اهتمام السلاطين العثمانيين بالحرمين الشريفين؛ وذلك من خلال حرصهم على الإنفاق على الأهالي من خلال مخصصات لهم، وكذلك المرتبات التي تصل للعلماء والأشراف، وكذلك الإصلاحات والترميمات التي كانت تتم في المسجد الحرام، والمساجد الأخرى في الحجاز، وإصلاح عيون الماء المهمة التي تصل إلى مكة، فضلًا عن الاهتمام بأمر الحجاج، وقوافل الحج، وتيسير السبل أمامه، وكذلك إرسال كسوة الكعبة التي كان يطرز عليها اسم السلطان العثماني، وما يحمله ذلك من مغزى ديني وسياسي للدولة العثمانية في العالم الإسلامي.

(٨) يتناول العلاقات بين شرفاء مكة وولاة جدة، والتي تأرجحت بين

المودة والعداء، والتعاون والاختلاف في تناول بعض المشاكل والقضايا التي تظهر بين الفينة والأخرى على مسرح الأحداث في الحجاز، وما ترتب على ذلك من قيام والي جدة بعزل شريف مكة، أو قيام شريف مكة بمحاربة والي جدة، وطرده مِن الحجاز، ومُطالبة السلطان بتولية والٍ غيره.

(٩) يهتم بأخبار قوافل الحج،وبخاصة قافلتي الحج المصري والشامي، متناولاً في ذلك أمراء الحج في كُل عامٍ، وموعد وصولهم إلى مكة، وأماكن إقامتهم فيها، والأخطار التي كانت تقابلهم على طول طريقهم ذهابًا وإيابًا، سواء مِن مُهاجمة قطاع الطرق مِن بعض القبائل، أو مِن قلة الماء، أو سقوط السيول، أو هبوب العواصف في البحر.

(١٠) يذكر علاقات أشراف مكة المكرمة مع بعض الدول الأوروبية، مثل إنجلترا، حيث كان لموقع ميناء جدة في البحر الأحمر، أن شهد رواجًا تجاريًّا في نقل متاجر الهند واليمن، وكذلك علاقات الأشراف بفرنسا حيث شهدت تلك الفترة مجيء الحملة الفرنسية ١٧٩٨-١٨٠١م على مصر، وسعي نابليون إلى الدخول في علاقات مع أشراف الحجاز لعلمه بنسبهم للنبي ﷺ، ويمكن مِن خلالهم التحرك بسهولة في البحر الأحمر، والتوجه لضرب المُستعمرات البريطانية في الهند.

(١١) يُبَيِّن كثيرًا مِن الظواهر الطبيعية التي وقعت في ذلك الزمان، نتيجة لسقوط السيول، أو هجوم الجراد، أو المجاعات، وأثر ذلك على الأوضاع في المنطقة من تهدم بعض المباني، وقلة الغذاء، وغلاء الأسعار، وما بذلته السلطة الحاكمة لمقاومة هذه الكوارث، والحد مِنْها.

(١٢) ترجم لعلماء عصره موضحًا منزلتهم العلمية وإسهاماتهم الفكرية، كما ألقى الضوء على الحياة الأدبية في الحجاز من خلال عرض بعض

النماذج الشعرية والأدبية التي ظهرت في هذا العصر، وتدل على قوَّة البيان في استخدام اللغة العربية، وعدم إهمالها مثلما حدث في بعض الأقطار العربية التي كانت في نطاق الدولة العثمانية.

(١٣) يرصد كثيرًا مِن الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، مثل: السلع، والبضائع المتوفرة وأسعارها، والعملات المتداولة وأنواعها المختلفة، وأسباب تذبذب قيمة صرفها، وأهمية موسم الحج في الرواج الاقتصادي في الحجاز وقتئذ، والاحتفالات التي كان يقيمها الأشراف لأبنائهم عند الختان، والاحتفالات الرسمية التي ظهرت مِن اهتمام الدولة العثمانية بها، مثل الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج، وما يصاحب ذلك، كما تناول مشاكل الأمن في الحجاز كاعتداءات بعض القبائل على الحجاج، وانتشار قطاع الطرق، حتى إنَّه ذكر بعض النماذج مِن قطاع الطريق مِن الأشراف أنفسهم؛ ولذلك فقد رصد مؤرخنا كثيرًا مِن المصطلحات الاقتصادية، والاجتماعية السائدة في ذلك العصر.

(١٤) يُسَجِّل الجوانب المعماريَّة التي وقعت في هذه المرحلة مِن إصلاحات وترميمات السلاطين العثمانيين في المسجد الحرام، والمباني الجديدة التي أقاموها، ومِمَّا يعطي أهمية في هذه النقطة أنَّ مؤرخنا يوضح طرق البناء التي استخدمها البناؤون وقتئذٍ ولفتت انتباهه، وتناول ذكر كثير من البساتين والقصور التي أقامها الأشراف وحدد مواقعها، وعرض لكثير مِن التحصينات العسكرية التي اهتمت الدولة بإقامتها، أو أقامها أشراف مكة مِن خلال الأبراج، والقلاع، والأسوار، خاصة في مكة، والطائف، وجدة.

(١٥) يُعَدُّ من أهم المصادر التي تناولت تاريخ الصراع بين الأشراف والوهابيين في نَجْد، حيث عرض بشيء مِن التفصيل تطور هذا الصراع، ولعل من الأهمية أنْ أذكر أنَّ معظم المصادر التاريخية التي

دونت عن الوهابيين سطَّرتها أيدي مؤرخين معادين لهم، أمَّا ما دوَّنه الوهابيون عن تاريخهم وقتئذٍ فهو نزر يسير إذا ما قورن بغيره، وقد كان ابن عبد الشكور مِن المُعادين للدعوة وأتباعها، حيث وصفهم بأنَّهم خوارج العصر، وشكك في صحة عقيدتهم، وعلى الرغم مِن ذلك فإنَّه يلمح مِمَّا كتبه بطرف خفي صدق المبادئ التي نادى بها الوهابيون، كما يذكر بعض المواقف التي توضح تمسكهم بالإسلام، عكس ما ذكر عنهم، وهذا ما سيتضح خلال دراسة المخطوط وتحقيقه.وفي الختام: فإنَّه قد دوّن عملًا دقيقًا وشاملًا لعلاقات الأشراف والوهابيين وقتئذٍ، وحفظ كثيرًا من الأحداث لم تدونها أيدي الوهابيين أنفسهم.

❑ ❑ ❑

رابعًا- النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق:

في الحقيقة لم يقف الباحث على النسخة التي كتبها مؤلفنا بخط يده، بل نُسخ أخرى نقلت عن هذا الأصل، وهي كاملة في مُعظمها، «فمهما أجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات؛ فإنَّه سيجد وراءه معقبًا يستطيع أن يظهر نسخًا أخرى مِن كتابه»[1]، ولكني بذلت ما بوسعي للحصول على النسخ الموجودة في بعض المكتبات والمتاحف؛ حتى وقفت إلى سبع نسخ.

• **النسخة الأولى** (أ):

نسخة شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت، وهي محفوظة في مكتبة متحف طوبقبوسراي في إستانبول تحت رقم (M ٥١١)، وعدد أوراقها ٣٠٤ ورقات، تحتوي كل ورقة صفحتين، ومقاسها ٢١x٣٢ سم، في كل صفحة سبعة عشر سطرًا، ويتراوح عدد كلماته ما بين سبع إلى تسع عدا الصفحات التي تحتوي على أبيات شعر؛ فهي تختلف في عدد الأسطر والكلمات.

وقد كتبت بخط نسخ مجوّد بالمداد الأسود، وكتبت العناوين بالمداد الأحمر، وقد زخرفت النسخة ببعض الزخارف الجميلة في أولها وآخرها، وناسخها مفتي زاده محمد سعيد الحسيني القدسي المدرس، وكان الانتهاء من نسخها في يوم الأحد ١٣ جمادى الأولى ١٢٦٩هـ/ ٢١ فبراير ١٨٥٣م، في الأستانة المحروسة.

---

(١) عبد السلام محمد هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٩.

وهذه النسخة لم يوضع لها ترقيم، بل استخدم فيها نظام التعقيبة، وهو نظام متبع في المخطوطات العربية، حيث يذكر في نهاية الصفحة اليمنى الكلمة الأولى من الصفحة اليسرى، وذلك كي يتأكد القارئ من استمرارية الرواية في الصفحات التالية.

لم يرد على الصفحة الثانية (١ ب) مِن المخطوط عنوانه، بل خُتِمَت بخاتم جاء فيه: «مِمَّا وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني أحمد عارف حكمة اللَّه ابن عصمة اللَّه الحسيني في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم، بشرط أن لا يخرج عن خزانته، والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٩»، وجاء هذا الختم أيضًا على الورقة الأخيرة من المخطوط.

ويتضح من هذا الختم أنَّ هذه النسخة كانت موقوفة في مكتبة الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة، ولا نعرف كيف انتقلت إلى إستانبول، وربما أنَّها كانت ضمن المخطوطات التي نقلت إلى الدولة العثمانية على يد فخري باشا محافظ المدينة المنورة (١٣٣٥-١٣٣٧هـ/ ١٩١٧-١٩١٩م) بعد انسحابه مِنْها في ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ يناير ١٩١٩م، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م)

وهذه النسخة أهم النسخ وأقدمها، وأكثر قربًا من عصر المؤلف، كما أنَّها مُكتملة، ومجوَّدة الخط، والزخارف، والتذهيب، والورق، ويوجد عليها تعليقات قيِّمة أضافها حفيد المؤلف، وهو زين العابدين بن علي، وقد رمزت لهذه النسخة بـ (أ)، واتخذتها أصلًا في التحقيق.

وتبدأ الصفحة (٢ أ) بمقدمة المؤلف فبعد البسملة والتسليم على النبي يقول: «يا موجد هذا الوجود من العدم، ومكوِّن الكائنات، ومخترع العالم، نظمت حكمتك هذا النظام بغير مثال تقدَّم ...»، ولم ترد خاتمة من وضع المؤلف، ولكن كتب في الصفحة الأخيرة من المخطوط (٣٠٤ أ) ما نصّه: «إلى هنا تَمَّ النقل مِن هذا التاريخ الأغر، بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد، السيد الكامل الأنور، وآله وأصحابه السادة الغُرر، وسلم

تسليمًا كثيرًا وعطر؛ وذلك في يوم الأحد المبارك الثالث عشر مِن جمادى الأولى عام تسع وستين [ومائتين وألف] مِن هجرة سيد المرسلين العبد الضعيف مفتي زاده محمد سعيد الحسيني القدسي المدرس، غفر اللَّه تعالى له ولوالديه والمسلمين، بحرمة سيّد العالمين عليه أفضل الصلاة والسلام».

ونلحظ على هذه النسخة أنَّ بعض الصفحات تركت فارغة، دون ذكر سبب لذلك، وسير الأحداث يدلل على أنَّه ليس هناك سقط، وقد أعطتنا بعض النسخ الأخرى تفسيرًا لهذا الفراغ الذي تركه مؤلفنا بعد ترجمته للشريف مسعود بن سعيد، حيث كتب على هامشها ما نَصّه: «إلى هنا انتهت مدة الشريف مسعود، وكانت وفاته في أوَّل ربيع الثاني سنة خمس وستين ومائة وألف، وترك المؤلف بياضًا ليذكر فيه وفاته ومرضه الذي كان به وفاته، فلم يتيسر له ذلك، ومات قبل أن يكتبه»[(١)].

وأمَّا الفراغ الذي تركه وراء ترجمة الشريف سرور بن مساعد، فقد علَّق عليه صاحب النسخة المكية بقوله: «لم يذكر الشيخ رحمه اللَّه ولاية مولانا الشريف عبد المعين أيامًا، ثم نزوله عن الولاية لأخيه مولانا الشريف غالب، فالأمر كان كذلك»[(٢)].

وهذه الصفحات هي ٣٧ ب، ٣٨ أ، ٣٨ ب، ٤٢ أ، النصف الثاني من ٥٩ أ، الثلث الأخير في ١٣٤ ب، الثلثان الأوَّلان من ١٣٥ أ، ١٧١ ب، ١٧٢ أ، الربع الأوَّل في ٢٨٣ أ.

• **النسخة الثانية (ب):**

وهي نسخة محفوظة في مكتبة ولي الدين أفندي في بتركيا، تحت رقم

---

(١) عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور، تاريخ أشراف وأمراء مكة المشرفة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم (٣٤٤٤)، ص ٤٤.
(٢) نفسه، ص ١٢٣.

(٣٣٧٥)، وعدد أوراقها ٢٤٢ ورقة، تحتوي كلّ ورقة على صفحتين، في كلّ صفحة ١٥ سطرًا، وفي كلّ سطر يتراوح عدد الكلمات بين ١٠-١٤ كلمة، عدا الصفحات التي تحتوي على أبيات شعر، فهي تختلف في عدد الأسطر والكلمات، وقد تغير حجم الخط في الصفحات من ١٩٤ ب إلى ٢٠٠ أ، وزاد عدد الأسطر إلى ٢٠ سطرًا، وكلّ سطر يحتوي على ثمان كلمات، ثم تغير حجم الخط تارة أخرى في الصفحات من ٢٠٠ ب إلى ٢٢٧ أ، حيث قلّ عدد الأسطر إلى ١٣ سطرًا، وصار متوسط عدد كلماته تسع كلمات.

وكُتِبَتْ بخط الرقعة بالمداد الأسود، وكتبت العناوين بالمداد الأحمر، ولم يُذْكَرْ فيها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، ولا مكان نسخها.

وقد استخدمت هذه النسخة نظام التعقيبة، وكذلك ترقيمًا حديثًا بعدد الورقات من ورقة العنوان رقم ١ إلى ورقة ٢٤٢.

وقد جاء على صفحة التجليد ما نصَّه: عبد الشكور أفنديك مكة تاريخي. وهناك خاتم جاء فيه اسم «أحمد جودت»، وخاتم آخر باسم «السيد محمد توفيق» وقد تكرر هذا الختم في الورقتين رقم ٣٠، ١٣٠، ويبدو أنَّ ملكية المخطوط كانت في حوزتهما، أمَّا الأوَّل فهو أحمد جودت باشا صاحب التاريخ المشهور، والآخر لم أقف عليه.

أمَّا في صفحة العنوان فقد كتب ما نصَّه «تاريخ المُكَرَّم الشيخ عبد اللَّه عبد الشكور في ما وقع مِن حادثات الدهور». ويبدو أنَّ هذا العنوان اجتهاد مِن ناسخ المخطوط؛ لأنَّه لم يرد في أيّ مخطوط آخر.

وتبدأ الصفحة (٢ أ) بمقدمة المؤلف، فبعد البسملة والتسليم على النبي يقول: «يا موجد هذا الوجود من العدم، ومكوِّن الكائنات، ومخترع العالم، نظمت حكمتك هذا النظام بغير مثال تقدَّم ...» وتنتهي الأحداث في الصفحة (٢٤٢ أ) بقول المؤلف: «فإنَّ الحصر ما استدام أكثر من ثمانية أيام، ثم هذا الجائر الجاني رفع يده، وأطلق رقاب الناس عن الأسر،

وسلكت الطرقات وترك الحصر؛ فتواجدت الأقوات، في كل الجهات، وارتخت الأسعار بعون الملك الغفار». أيّ إنَّها نسخة كاملة مثل سابقتها، ولكن لم يحدد الناسخ، و تاريخ النسخ ومكانه.

وهذه النسخة تم مُقَابلتها، حيث تدارك ناسخها على الهوامش كثيرًا من السقط، فكان يضع علامة في المتن ثم يستدرك على الهامش السقط، كما هو الحال في الصفحات ١٢ أ، ٢٢ أ، ٥٧ ب، ٦٣ أ، ٧٢ ب، ٢٨ أ، ١١٣ ب، ١٢٥ ب، ١٢٩ أ، ١٣٢ أ، ١٣٥ أ، ١٣٥ ب، ١٥٢ أ، ١٥٢ ب، ١٥٤ أ، ١٥٧ أ، ١٦٤ أ، ١٦٥ ب، ١٨٢ أ، ١٨٣ أ، ١٨٣ ب، ٢٠٥ ب، ٢٠٩ أ، ٢١٢ ب، ٢١٣ ب، ٢٢٤ ب. كما أنَّ فيها بعض الكلمات، والعبارات، وأبيات الشعر الساقطة من النسخة (أ).

كما أنَّ هناك العديد من التعليقات على المخطوط كما هو الحال في الورقات ذات الرقم ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ١١٢، ١٣٤، ١٦٧، ١٨٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٩. وبعض هذه التعليقات لحفيد المؤلف وهو علي زين العابدين، وتعليقات لشخص آخر، لم أستطع أنْ أحدد هويته، ولكن تعليقاته فيها نقد لمؤلفنا ابن عبد الشكور، وقد أثبت هذه التعليقات في الحواشي.

عندما يُخطئ الناسخ في كلمة؛ فإنَّه يقوم بكشطها من الورقة، ويضرب على مكانها بالمداد الأحمر، ثم يعيد كتابتها بعدها، كما في الصفحة ١٢٨ ب، أو يكتبها على الهامش كما في الصفحة ١٣٢ ب، ١٣٥ أ، ١٣٥ ب، أو يضرب عليها بالمداد الأحمر فقط كما في الصفحة ١٤٩ ب.

وهذه النسخة ثاني أهم نسخة من حيث القدم، كما أنَّها كاملة، وناسخها كان مجيدًا، وعالمًا باللغة العربية، حيث إنَّه أثبت بعض الكلمات الفصيحة، التي وقع فيها التباس لدى ناسخ النسخة الأولى (أ)، فرسمها كما هي، أو وقع تحريف وتصحيف فيها، وقد أشرت إلى ذلك في الحواشي، وبينت الفروق بين النسخ.

والناسخ يستخدم أحد الأساليب الإملائية الشائعة وقتئذ؛ فمن حيث رسم الهمزة، فيثبت الهمزة في بداية الكلام، وأمَّا الهمزة المتوسطة، فأحيانًا يثبتها، مثل: عجائب، الخلائق، وأحيانًا يهملها، أمَّا الهمزة المطرفة فأحيانًا يثبتها، وأحيانًا أخرى يهملها.

• **النسخة الثالثة** (ج):

وهي نسخة محفوظة في مكتبة الشيخ إبراهيم عقيل الخاصة في مدينة تعز باليمن، وقد صوِّرت مِنْها نسخة لمعهد المخطوطات العربية في القاهرة، في يوم الخميس ١٠ رمضان ١٣٩٤هـ/ ٢٦ سبتمبر ١٩٧٤م، تحت رقم (ميكروفيلم ٤٦، كتاب ٣٠٤)، وهناك نسخة ميكروفيلم في مكتبة الإسكندرية تحت رقم (ميكروفيلم ٤٧٧ تاريخ).

وتتكون مِن ٢٨٠ ورقة، في كل ورقة صفحتان، ومقاس هذه النسخة ٢٠x٢٨ سم، وتحتوي كل صفحة على ١٩ سطرًا، عدا الصفحات التي تحتوي على أبيات شعر.

وقد اتبعت هذه النسخة نظام التعقيبة، ورُقِّمت ترقيمًا حديثًا مِن صفحة المقدمة، فجاء في (٥٦٠) صفحة، أمَّا صفحة العنوان فغير داخلة في ترقيم الأوراق أو الصفحات، وقد كتب فيها ما نصه: «هَذا تَارِيْخ لِمَنْ مَلَكَ الحَرَمَيْن مِن الأَشْرَاف، لمؤلفه العلامة الشيخ عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور المشهور، مِن عُلماء الحجاز المبرزين في القرن الثاني عشر». كما كُتِبَ تعليق لصاحب المخطوط، وهو إبراهيم بن عمر بن عقيل باعلوي بتاريخ رجب ١٣٧٦هـ/ فبراير ١٩٥٧م. قال فيه: «يضم وقائع وحوادث يحتاجها المؤرخ، ويعطي المطالع صورة تامة الأجزاء عن الحياة في عهود أولئك الأمراء، وما كانت عليه البيئة والعصبية، وحدود العقلية، وفهم الحياة والسياسة، واستخدام الفخفخة، وتشييد المظاهر الخلابة، إلى آخر ما يراه المصابر على عباراته، وتسجيعاته التي لا تحتمل في عصر السرعة والإيجاز».

وقد كتبت بخط النسخ بقلم معتاد، وناسخها الشيخ عبد حسين العبيدي الشافعي، وتاريخ الانتهاء مِن نسخها ٢٤ شعبان ١٢٨٣هـ/ ٣١ ديسمبر ١٨٦٦م، ولكن لم يشر إلى مكان نسخها.

ورغم أنَّ النسخة غير ملونة فإنَّه يتضح أنَّها كتبت بمدادين مُختلفين، والأرجح أنَّها في مُجملها كتب بالمداد الأسود، بينما العناوين بالمداد الأحمر.

وتبدأ الصفحة الأولى بمقدمة المؤلف فبعد البسملة والتسليم على النبي يقول: «يا موجد هذا الوجود من العدم، ومكوِّن الكائنات، ومخترع العالم ...» وتنتهي الأحداث في الصفحة (٥٦٠) بقول المؤلف: «فإنَّ الحصر ما استدام أكثر من ثمانية أيام، ثم هذا الجائر الجاني رفع يده، وأطلق رقاب الناس عن الأسر، وسلكت الطرقات وترك الحصر؛ فتواجدت الأقوات، في كل الجهات، وارتخت الأسعار بعون الملك الغفار». ولذلك فهي نسخة كاملة كالسابقتين.

وهذه النسخة لُوحِظَ أنَّها تتشابه إلى حد كبير مع النسخة الأولى (نسخة عارف حكمت)، وربما تنقل عنها، أو أنَّ الاثنتين تنقلان عن أصل واحد، كما أنَّها تتشابه معها في كثير مِن الأخطاء، والتصحيفات، والتحريفات، وعلى أية حال، فهي تأتي مِن حيث الأهمية في المرتبة الثالثة، وبخاصة فيما يتعلق بالاكتمال والأقدمية.

• **النسخة الرابعة** (م١):

وهي النسخة المكية الأولى، محفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم (٣٤٤٤)، وتتكون من ٩٣ ورقة، تحتوي كل ورقة على صفحتين، ومقاسها ٣٠x٢٢ سم، وتحتوي كل صفحة على ٢٣ سطرًا، وقد كتبت بخط الرقعة، بمداد أزرق على ورق مسطر، وليس في هذه النسخة ما يثبت اسم ناسخها،

أو تاريخ نسخها، أو مكان النسخ[١].

وتستخدم النسخة نظام التعقيبة، كما رقمت ترقيمًا حديثًا، في (١٨٤) صفحة، دون صفحة العنوان، التي جاء فيها ما نصَّه: «كتاب تاريخ أشراف وأمراء مكة المشرَّفة للشيخ عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور».

وتبدأ الصفحة الأولى بمقدمة المؤلف، متفقة مع النسخ السابقة، ولكنَّها تتوقف عند أحداث سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، في عهد الشريف غالب بن مساعد في الصفحة رقم (١٥٩)، ورُبّما تعرض الجزء المتبقي مِن المخطوط، وهو الخاص بأخبار الأشراف والوهابيين، للتلف أو الإتلاف، حيث إنَّ التعقيبة الموجود في نهاية الصفحة المذكورة تدل على وجود تتابع للرواية، ولكنها انقطعت واختلفت عمَّا بعدها. أمَّا الصفحات ١٦٠، ١٦١ فهي تحتوي على أحداث من عهد الشريف سرور بن مساعد، ويبدو أنَّها رتبت في غير موضعها، ومكانها الصحيح بين صفحتي ١٢٠، ١٢١. ثم يأتي في الصفحات ١٦٢-١٨٤ ترجمة الشريف أبي نمي بن بركات، وهي خارجة عن النصّ الأصلي للمخطوط.

وقد كَتَبَ الناسخ على هامش الصفحة رقم ٤٤، بعد انتهاء ترجمة الشريف مسعود ما نصَّه: «إلى هنا انتهت مدة الشريف مسعود، وكانت وفاته في أوَّل ربيع الثاني سنة خمس وستين ومائة وألف، وترك المؤلف بياضًا ليذكر فيه وفاته ومرضه الذي كان به وفاته، فلم يتيسر له ذلك، ومات قبل أن يكتبه». كما كتب الناسخ - أيضًا - على هامش الصفحة رقم ١٢٣، في نهاية ترجمة الشريف سرور، قوله: «لم يذكر الشيخ رحمه الله ولاية مولانا الشريف عبد المعين أيامًا، ثم نزوله عن الولاية لأخيه مولانا الشريف غالب؛ فالأمر كان كذلك». وقد ساعدني هذان التعليقان على تفسير البياض الذي تركه المؤلف بعد ترجمة الشريف مسعود، والشريف سرور، ويتضح أنَّ الناسخ كان عالمًا

---

(١) محمد بن سيد أحمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف**، ج٩، دار المأثور للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص ٣٢٩-٣٣٠.

بالأحداث التاريخية، وربما كان على صلة بأحد أفراد أسرة المؤلف وقصَّ عليه ذلك الخبر.

• **النسخة الخامسة** (م٢):

وهي النسخة المكية الثانية، المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم (٣٤٤٣)، وتتكون من ١٢١ ورقة، في كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة ١٦ سطرًا، ومقاسها ١٧x٢٥ سم، وهي من نسخ عبد المجيد الصباغ الحنفي، وكان الفراغ من نسخها في ٢٣ رجب ١٣٣٧هـ/ ٢٣ إبريل ١٩١٩م[1].

وقد اتبعت هذه النسخة نظام التعقيبة، كما رقمت ترقيمًا حديثًا في ٢٣٤ صفحة، بدأ من صفحة العنوان التي جاء فيها ما نصّه: «تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة تأليف الشيخ عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور المتوفى سنة ١٢٥٧هـ بمكة المكرمة».

وتبدأ الصفحة الثانية بمقدمة المؤلف، المذكورة في الأربعة النسخ السابقة، وجاء في الصفحة الأخيرة ما نصَّه: «إلى هنا تم النقل من هذا التاريخ الأغر بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد السيد الكامل الأنوار، وآله، وأصحابه السادة الغرر وسلم تسليمًا كثيرًا وعطر، وذلك في يوم الاثنين المبارك الثالث والعشرين من رجب عام ١٣٣٧ من هجرة سيد المرسلين، بقلم العبد الفقير عبد المجيد الصبَّاغ الحنفي مذهبًا القادري طريقةً الشامي الطرابلسي، غفر اللَّه له، ولوالديه، والمسلمين بحرمة سيد العالمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم آمين». وكتب على هامش هذه الصفحة - أيضًا - «بلغ مقابلة هذه الكراريس على الأصل المنقول مِنْه».

• **النسخة السادسة** (م٣):

وهي النسخة المكية الثالثة، محفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم

---

(١) محمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات الحرم**، ٩/ ٣٣٠-٣٣١.

(٣٤٤٥)، وتتكون من ١٣٢ ورقة، تحتوي كُلّ ورقة على صفحتين، ومقاسها ١٦x٢٤ سم، وتحتوي كل صفحة على ٢١ سطرًا، وقد كتبت بالخطين الفارسي والنسخ، بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، وليس في هذه النسخة ما يثبت اسم الناسخ، أو تاريخ ومكان نسخها[1]. واتبع فيها نظام التعقيبة.

وقد كتب على صفحة العنوان: «تاريخ في أشراف وأمراء مكة المعظمة»، والمخطوط في أصله من موقوفات الشريف عبد المطلب ابن غالب، وعليه خاتمه الذي جاء فيه: «وقف الكتاب الشريف عبد المطلب ابن المرحوم الشريف غالب ابن المرحوم الشريف مساعد على شرط أنْ لا يخرج مِن مكة المُشَرَّفَة، فَمْن بدَّله مِن بعد ما سَمِعه؛ فإنَّما إثمه على الذين يبدلونه». ووضع أسفله خاتم آخر طمست معالمه، فلم أتمكن مِن قراءته، وفي أسفل هذه الختم كتبت عبارة «أبو حنيفة أبو حنيفة الكوفي كبكج يا حفيظ»، وكلمة كبكج قيل: إنَّها تدفع الأَرَضة عن المخطوط وتحفظه.

وهذه النسخة تبدأ بترجمة الشريف مساعد بن سعيد حتى نهاية ترجمة الشريف سرور بن مساعد، ثم يأتي ذكر ترجمة الشريف أبي نمي بن بركات - وهي خارجة عن النصّ الأصلي قيد التحقيق - ثم تأتي أخبار صراع الأشراف والوهابيين منذ سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، حتى عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م. أيّ إنَّه سقط منها مقدمة المؤلف، وترجمة الشريف مسعود بن سعيد، وترجمة الشريف غالب بن مساعد، وجزء من أخبار الأشراف والوهابيين منذ نشأتها حتى سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م.

• **النسخة السابعة** (م٤):

وهي النسخة المكية الرابعة، محفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت رقم (٣٤٥٥)، وعدد أوراقها ٩٧ ورقة، وفي كل ورقة صفحتان، مقاسها

---

(١) محمد مطيع الرحمن وآخرون، فهرس مخطوطات الحرم، ٩/ ٣٢٨-٣٢٩.

٢١x١٦ سم، في كل صفحة ١٧ سطرًا، وقد نسخت بخط معتاد، وقد كتبت بالمداد الأسود، والعناوين بالأحمر، وليس فيها ما يثبت اسم الناسخ وتاريخ ومكان نسخها[١].

واتبعت هذه النسخة نظام التعقيبة، كما رُقمت ترقيمًا حديثًا في ١٩١ صفحة، عدا صفحة العنوان، التي جاء فيها: إنَّ هذا «تاريخ مكة تأليف عبد الشكور هندية المكي»، ثم ذكر أنَّ هذه قطعة من الكتاب المذكور، والكتاب موجود بكامله في مكتبة الحرم المكي الشريف، وكذلك عند أحد الأشراف من ذوي زيد، ونلحظ أنَّ هذه البيانات كُتِبَتْ بقلم وخط حديث، يختلف عمَّا كُتِبَ به المخطوط، ويبدو أنَّها فهرسة متأخرة، وأنَّ هذه النسخة كانت ملكًا لأحد الأفراد، ثم حفظت في مكتبة الحرم المكي.

وتبدأ هذه النسخة بترجمة الشريف أبي نمي بن بركات، ثم ترجمة الشريف مساعد بن سعيد، وتتوقف عند أحداث سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م. في أواخر عهد الشريف سرور؛ أيّ إنَّ بها سَقْطًا لمقدمة المؤلف، وترجمة الشريف مسعود، وترجمة الشريف غالب، وأخبار الأشراف والوهابيين، ويتضح أنَّ النسخة كانت كاملة؛ لأنَّ الصفحة رقم ١٩٤ بها تعقيبة، الأمر الذي يعني أنَّها استكملت الأحداث، ولكن فقد بقيتها أو أصابها التلف والضياع.

❑ ❑ ❑

---

(١) محمد مطيع الرحمن وآخرون، **فهرس مخطوطات الحرم**، ٩/ ٣٢٧-٣٢٨.



خامسًا- منهج التحقيق:

بعد التأكد مِن صحة المخطوط، واسمه، ونسبته إلى مؤلفه، شرعت في دراسته وتحقيقه، وقد اتبعت الخطوات المنهجية التالية:

(١) قمت بنسخ المخطوط، ثم عملت مراجعة ما نسخته على الأصل عدة مرّات، وصححت ما اعتراه من تصحيف، أو تحريف، أو سقط منه، وذلك بمقابلته على النسخ الأخرى - التي تمكنت من الوصول إليها - وأثبت الفروق في الحاشية، وأمَّا إذا كان هناك سقط أو خطأ في الأصل وقع فيه الناسخ؛ فقد أثبته في المتن من النسخ الأخرى، ووضعته بين معقوفتين [ ]، وذكرت ما كان عليه الأصل في الحاشية والنسخة التي تمّ جبر السقط، أو تصويب الخطأ منها، هذا إذا كنت قاطعًا بخطأ ما أثبته ناسخ الأصل، أمَّا إذا لم أقطع بذلك أو كانت الكلمة محتملة، فأتركها في المتن كما هي وأنبه على الاحتمال الآخر في الحاشية. أمَّا الكلمات التي وقع خطأ كتابي فيها، أو وقع تحريف في رسم حروفها؛ فقد حرصت على كتابتها صحيحة في الحاشية، كما أضفت بعض الكلمات لإزالة بعض الغموض، أو ليستقيم النص، ووضعتها بين معقوفتين [ ]، والإشارة لتلك الإضافة في الحاشية.

(٢) أثبتُ النصّ على حاله خاصة فيما يتعلّق بالرسم الإملائي المتبع حينها؛ وذلك حفاظًا على النصّ، وسياقه العام، ولغة العصر الذي عاش فيه المؤلف، ولم أغير فيه إلا في أضيق الحدود؛ وذلك فيما يتعلّق بإثبات الهمزة عندما تأتي في أوّل حرف من الكلمة، أمّا الهمزة المتوسطة،

والهمزة المطرفة، والخلط بين الألف المكسورة، والألف الممدودة مع الإشارة في الحاشية إلى الصواب ما يتوافق مع قواعد الإملاء المتعارف عليها حاليًّا. وقد كان التزام المؤلف طريقة السجع يتعارض مع قواعد النحو في بعض الأحيان، ولذلك فقد تركته في النص كما هو، وقمت بتصويب الخطأ - أيضًا - .

(٣) ضبطتُ الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية، والأشعار، والأمثلة، والأعلام، والأماكن، والقبائل، وكل ما قد يشكل على القارئ.

(٤) وضعت أرقام الورقات الأصلية للمخطوط ضمن النصّ بين شرطتين مائلتين / ق١/ وهكذا.

(٥) قمت بتقسيم النصّ على مجموعات مترابطة تتناول موضوعًا معينًا، حيث ورد النص في قالب واحد بشكل متصل دون تمييز، يصعب قراءته وتتابع أحداثه؛ ووضعت علامات التنقيط، والفواصل، والإشارات لخلو النص منها؛ فجاءت النقطة عند انتهاء المعاني في الجمل، والفاصلة في أماكن استعمالها، والنقطتين بعد القول، وهكذا.

(٦) أثبت العناوين التي وضعت على هوامش المخطوط، ثم وضعت عناوين لكلّ حادث من الأحداث التاريخية، تسهيلًا على القارئ، وحفاظًا على الأمانة العلمية لهذه الإضافات، فقد وضعتها بين معقوفتين [ ]، وقد أشرت في الحاشية إلى العناوين الموجودة على هامش المخطوط، وأمَّا التي أضفتها فاكتفيت بوضعها بين معقوفتين ولم أشر إليها في الحاشية نظرًا لكثرتها. وتجدر الإشارة أنَّ العناوين التي وضعها المؤلف في المتن، كانت محدودة جدًّا.

(٧) ضبطت الآيات القرآنية الكريمة بالشكل على رواية حفص عن عاصم - رحمهما اللَّه - وفق الرسم العثماني، وعزوتها إلى مواضعها في القرآن الكريم، مبينًا اسم السورة ورقم الآية، ووضعتها بين قوسين مزهرتين ﴿ ﴾.

(٨) قمت بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة بأسانيدها، وإثبات درجة صحتها من كتب الحديث المتخصصة، ووضعتها بين « ».

(٩) قمت بمقارنة التواريخ الهجرية بالتواريخ الميلادية في الحاشية، ووجه الفائدة في هذا التيسير على القارئ في متابعة الأحداث في الكتابات التي تلتزم التاريخ الميلادي وحده؛ وذلك بالرجوع إلى بعض البرامج الإلكترونية المتخصصة في تحويل التواريخ، وقد تثبتُ من صحتها بالمقارنة مع جداول ويستنفلد (F.Wustenfeld) المهمة في هذا المجال، وذلك اختصارًا للوقت والجهد.

(١٠) شرح الغامض من الكلمات العربية التي استخدمها المؤلف شرحًا لغويًّا مناسبًا لمعناه في سياقه.

(١١) التعريف بالأعلام المشاركين في الأحداث، والتي ورد ذكرها في المخطوط؛ وذلك بالرجوع إلى كتب التاريخ، والتراجم، والطبقات المعاصرة لها أو القريبة منها، والموسوعات الحديثة. وقد أرهقت هذه النقطة الباحث؛ لأنَّ بعض التراجم كانت أخبارها متناثرة في كثير من الكتب المعاصرة للأحداث؛ الأمر الذي جعله يقوم بمسح شامل لهذه الكتب للخروج بترجمة للشخص المذكور في الأحداث لتفهم دوره.

(١٢) التعريف بالأماكن، والمواضع، والقبائل، وقد كانت كثيرة جدًّا، فلا يمر حدث إلا ويرد فيه مكان، أو موضع، أو قبيلة، وقد كان يكتنف هذه النقاط بعض اللبس والغموض، وبخاصة في ظلّ تشابه أسماء بعض المواضع، وتقاربها من بعضها، بالإضافة إلى تغير أسماء بعض الأماكن بمرور الوقت، وانتقال بعض القبائل مِن مواضعٍ إلى أخرى، وقد بذلت قصارى جهدي لتحقيق المطلوب، كي أصل إلى هذه المواضع والقبائل، وإخراجها بالطابع الذي ينطبق عليها في زمانها.

(١٣) شرح المصطلحات ذات الأصول غير العربية الواردة في المخطوط، والتي كانت معروفة لدى أهل العصر، وهي كثيرة، ومِنْها: السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والمالية، والدينية، والثقافية، وغيرها، مُستعينًا في ذلك بالمصادر التاريخية، والمعاجم، والقواميس، والدراسات المتخصصة.

(١٤) قمت في كثير مِن الأحيان بالتعقيب والتعليق على بعض الأحداث التاريخية، والقضايا المطروحة في المخطوط التي تحتاج إلى تعليق؛ وذلك مِن خلال ما توافر لدي مِن وثائق عُثمانيَّة، ومصادر معاصرة للأحداث سواء أكانت مخطوطة، أم مطبوعة، وبعض المراجع والدراسات الحديثة.

❑ ❑ ❑

الفَصْلُ الثَّانِي

مَلامِح تاريخ الحِجاز

فِي العَهْد العُثْمانِيّ الأَوَّل

(٩٢٣-١٢٢١هـ/١٥١٧-١٨٠٦م)



مَلَامِح تَارِيخ الحِجَاز فِي العَهْد العُثْمَانِيّ الأَوَّل (٩٢٣-١٢٢١هـ/١٥١٧-١٨٠٦م)

حظى الحجاز بأهمية كبرى طوال العصر الإسلامي، نتيجة تواجد الحرمين الشريفين في مكة المكرمة، والمدينة المنورة؛ ولذلك حرصت الدول الإسلامية على فرض سيطرتها في هذه المنطقة، لَمَا يمنحها مِن مكانة عظيمة في نظر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بدءًا مِن عصر الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، وانتهاء بالدولة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، إلى أنْ آل الأمر بانضمام الحجاز إلى الدولة العثمانية (٦٩٨-١٣٤٢هـ/ ١٢٩٩-١٩٢٣م)، بعد أنْ تبوَّأت مكان الصدارة في العالم الإسلامي.

هذا، وينقسم الحكم العثماني في الحجاز إلى عهدين، هما:

العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢١هـ/ ١٥١٧-١٨٠٦م): والذي يبدأ بخضوع الحجاز سلمًا للعثمانيين عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م[١]، وينتهي بسيطرة الوهابيين على الحجاز عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، ودخوله في نطاق دولتهم التي عُرِفَت لاحقًا بالدولة السعودية الأولى[٢].

العهد العثماني الثاني (١٢٢٨-١٣٣٤هـ/ ١٨١٢-١٩١٦م): ويبدأ باسترداد

---

(١) أحمد فؤاد متولي: **الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٣٢ وما بعدها..

(٢) محمد عبد العال محمد علي، **العلاقات بين الحجاز والدولة السعودية الأولى (١١٦٢-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٩-١٨١٨م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ١١٤ وما بعدها.

والي مصر محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م) الحجاز مِن قبضة الوهابيين وإعادته إلى الدولة العثمانية بَدْءًا مِن عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٢م[١]، وينتهي بقيام الشريف حسين بن علي (١٣٢٦-١٣٤٢هـ/ ١٩٠٨-١٩٢٤م)[٢] بالثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين في الحجاز عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وإعلان نفسه ملكًا على الحجاز[٣]؛ فانتهت بذلك تبعية الحجاز للدولة العثمانيَّة.

وسوف نتناول في هذا الفصل ملامح تاريخ الحجاز في العهد العثماني الأوَّل؛ لأنَّه يعطي خلفية تاريخية لبعض الأمور والأحداث التي قد تكون مُبهمة، أو غير واضحة عند دراسة المخطوط وتحقيقه، وسنركز على عدة نقاط مُهِمَّة، وهي كالآتي:

❑❑❑

---

(١) نوال سراج ششة، **الحجاز تحت حكم محمد علي (١٢٢٦-١٢٥٦هـ/ ١٨١١-١٨٤٠م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٣٨ وما بعدها؛ أريج مسحل محمد القثامي، **مكة المكرمة في أواخر العهد العثماني (١٢٧٧-١٣٣٤هـ/ ١٨٦١-١٩١٦م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨، ص ٢٩ وما بعدها

(٢) **الشريف حسين بن علي**: حسين بن علي بن محمد بن عون، ولد في إستانبول عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، وعين على شرافة مكة عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، وقد كان طموحًا؛ ولذلك تواصل مع البريطانيين فيما عرف بمراسلات الحسين مكماهون، والتي انتهت بوعد بريطانيا بالاعتراف بالشريف حسين ملكًا على بلاد العرب، في مقابل إعلانه الثورة ضد الدولة العثمانية، ليبطل دعوة الجهاد التي أعلنتها ضد بريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٦هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م)، وبالفعل ثار الشريف ضد العثمانيين عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وأعلن نفسه ملكًا، وشرع في طرد العثمانيين من الحجاز، وإرسال قواته إلى الشام، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، عقد مؤتمر الصلح في باريس ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، ولقد دخل الشريف في حروب مع عبد العزيز آل سعود، حاكم نجد، وانتهت بتمكن الأخير من دخول مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، ليعلن بذلك انتهاء حكم الأشراف الذي استمر حوالي ألف عام في الحجاز، وقد توفي الشريف حسين في عمَّان، فحمل إلى القدس، ودفن فيها عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م. جيرالد دي غوري، **حكام مكة**، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٢١-٣٣٨؛ إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة وأمراؤها**، ص ٢٢٨-٢٣٣.

(٣) أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، مج ١، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ١٤٦ وما بعدها.

أولاً- ضم الحجاز للدولة العثمانية عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م:

في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي تغيرت موازين قوى الشرق الإسلامي نتيجة حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية، التي نجحت في اكتشاف العالم الجديد عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م، ثم طريق رأس الرجاء الصالح ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م، ووصولهم إلى متاجر الهند والشرق الأقصى[(١)]؛ مما ترتب عليه الضعف الاقتصادي للدولة المملوكية، ثم هزيمتهم على أيدي البرتغاليين في موقعة ديو البحرية عام ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م، وبعدها تطلع البرتغاليون إلى غزو البحر الأحمر، وتهديدهم أراضي الحرمين الشريفين[(٢)].

وقد ظهرت في تلك الآناء دولة إسلامية فتية، وهي الدولة العثمانية، والتي سيطرت على الأناضول، وغزت جزءًا مِن شرق ووسط أوروبا، وقد ساءت الأوضاع بينها وبين الدولة المملوكية، بعد أن كانت علاقات مودة ومحبة، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، ومِنْها: النزاع علي بعض المناطق الحدودية في أعالي الشام، وإيواء المماليك لبعض الأمراء العثمانيين المناوئين للسلطان العثماني، والموقف المائع مِن المماليك مِن الصراع الدائر بين الصفويين والعثمانيين، والتنافس على السيادة العليا على العالم

---

(١) عمر عبد العزيز عمر، **التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٧٥، ٩١.

(٢) فاروق عثمان أباظة: **أثر تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر**، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت، ص ٣٧-٥٦.

الإسلامي[١].

ولذلك اتجه السلطان سليم الأوَّل (٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م)[٢] على رأس قواته إلى الشرق، حيث اخترق الأناضول، ثم وصل إلى أعالي الشام، وعندما انتقلت الأنباء إلى السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)[٣]، خرج على رأس جيشه للقتال، فالتقى الجمعان في مرج دابق ٢٥ رجب ٩٢٢هـ/ ٢٤ أغسطس ١٥١٦م، حيث جرت معركة حامية الوطيس، انتهت بانتصار سليم الأوَّل، ومقتل قنصوه الغوري، وتقهقر المماليك للدفاع عن القاهرة، وقد أقيمت الخطبة في حلب باسم السلطان سليم الأوَّل، وبعد مدة تقدم العثمانيون إلى القاهرة، حيث اشتبكوا مع المماليك بقيادة السلطان طومان باي في الريدانية ٢٩ ذي الحجة ٩٢٢هـ/ ٢٢ يناير ١٥١٧م، وانتهت المعركة بانتصار سليم الأوَّل، ودخوله القاهرة

---

(١) عبد الرازق الطنطاوي القرموط، **العلاقات المصرية العثمانيَّة**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٢٤-١٢٧.

(٢) **سليم الأول**: ابن السلطان بايزيد الثاني، تولى الحكم في صفر ٩١٨هـ/ إبريل ١٥١٢م، ولقب بـ «ياووز» نظرًا لحدة طبعه، أحد أشهر سلاطين الدولة العثمانية، وقد اتجه في فتوحاته إلى المشرق الإسلامي حيث تمكن مِن هزيمة الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٧-٩٣٠هـ/ ١٥٠٢-١٥٢٤م) هزيمة ساحقة في موقعة جالديران، ودخول عاصمة ملكه تبريز في عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، ثم تمكن أيضًا من هزيمة المماليك، والقضاء على دولتهم عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وضم بعد ذلك معظم الأقطار العربية إلى دولته، وقد توفي في ٢٩ رمضان ٩٢٦هـ/ ٢١ سبتمبر ١٥٢٠م. محمد فريد، **تاريخ الدولة العليَّة العثمانية**، تحقيق: إحسان حقي، دارالنفائس، بيروت، د.ط، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١٨٨-١٩٧؛ أحمد آقكوندز، **سعيد أوزتوك، الدولة العثمانية المجهولة**، وقف البحوث العثمانية، إستانبول، ٢٠٠٨م، ٢١٢-٢٣٥.

(٣) **قنصوه الغوري**: الملك الأشرف أبو النصر قنصوه بن بيبردي الغوري، ولد في عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، وتولى السلطنةالمملوكية عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م، في فترة خطيرة جدًّا مِن تاريخ المماليك، وفي عهده هزم الأسطول المملوكي مِن البرتغاليين في موقعة ديو البحرية ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م، وساءت العلاقات بينه وبين الدولة العثمانية، وقد مات أثناء حربه مع السلطان سليم الأوَّل في موقعة مرج دابق عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، بعد أنْ حكم مصر خمسة عشر عامًا وتسعة أشهر. محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور فِي وقائع الدهور**، ج ٥، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٨٧-١٠٢.

في ٣ محرم ٩٢٣هـ/ ٢٦ يناير ١٥١٧م، ثم القبض على طومان باي في ربيع الأَوَّل/ مارس مِن العام المذكور، وإعدامه على باب زويلة في القاهرة(٤).

وكان السلطان سليم الأَوَّل يتطلّع إلى ضمّ الحرمين الشريفين لدولته، لمَا لهما مِن مكانة كبرى في نفوس المسلمين، ولمَا يتمتع به مَن يتولى خدمتهما مِن سلطة دينية وسياسية في العالم الإسلامي، وقد تجلى مدى اهتمام السلطان من خلال بعض الرؤى التي ظهرت في الأفق وقتئذ، ومِنْها أنَّ السلطان بعد أنْ قضى ليلته مفكرًا في أمر قتال المماليك، فرأى فيما يراه النائم أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه نقل إليه أمر الرسول ﷺ: أنْ انهض فقد كُلِّفت بخدمة الحرمين الشريفين(٥)، وتجدر الإشارة إلى أنَّ السلطان عندما دخل القاهرة، أقيمت الخطبة باسمه، فدعى الخطيب قائلاً: «وانصر اللَّهم السلطان ابن السلطان، ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين، وسلطان العراقين، وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه»(٦). ويوضح ذلك مدى الاهتمام الذي أولاه سليم للحرمين الشريفين، ورغبته في ضمهما إلى دولته.

وأمَّا عن الطريقة التي ضم بها الحجاز للعثمانيين، فتذكر بعض المصادر أنَّ السلطان سليم الأَوَّل أراد إرسال حملة عسكرية إلى الحجاز، وكما تقول الرواية: «أنهى إليه بعض الحساد أنَّ جميع الملك والسلطان طرازه الأعظم مُلك الحرمين الشريفين وأعمالهما، والدعاء لمولانا على منابرهما»، وقد كان في القاهرة وقتئذ قاضي مكة السابق صلاح الدين بن ظهيرة، فلمَّا سمع بذلك الأمر، اتصل بالوزير الأعظم، وعرَّفه عظمة الشريف بركات بن محمد، وأخبره بأنَّه يمكن إنهاء الأمر بشكلٍ سلمي، بإرسال مكتوب سلطاني إليه؛ فاستقر الحال على كتابة توقيع سلطاني، وكتابة مراسلات من الوزير المذكور،

(٤) أحمد فؤاد متولي: **الفتح العثماني للشام**، ص ١٣٢ وما بعدها.

(٥) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية**، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٤.

(٦) محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور فِي وقائع الدهور**، ج٥، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٤٨.

والقاضي صلاح الدين وأعلماه بما انتهى إليه الأمر، وطلبا مِنْه إعلان ولائه للسلطان العثماني[١].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض الباحثين يذكر أنَّ سَلِيمًا الأول لم يفكر في إرسال جيش إلى الحجاز، وأنَّ ذلك لم يرد في أحد المصادر العثمانيَّة المُعاصرة للأحداث[٢]، ورغم وجاهة هذا الرأي فإنَّه لا ينفي فكرة ظهور إرساله حملة إلى الحجاز، وبخاصة إذا علمنا أنَّ سَلِيمًا الأول قد دخل القاهرة في محرم ٩٢٣هـ/ يناير ١٥١٧م، وقد تأخر إعلان الشريف بركات بن محمد لولائه للعثمانيين حتى أواخر جمادى الأولى/ أوائل يونيو مِن العام المذكور، ولا ريب أنَّ ما أحرزه العثمانيون مِن تقدم في مصر كانت أخباره تصل إلى الحجاز، ويبدو أنَّ السلطان قد قلق مِن تأخر الشريف، فلمَّا ظهرت فكرة الحملة، وتصادف وجود القاضي في مكة وأرسل للشريف، الذي كان يتابع الأحداث في مصر، وينتظر ما يؤول إليه المآل، اقتنع بضرورة إعلان ولائه للمنتصر والحاكم الجديد، وقد كانت هذه عادة الأشراف في الحجاز إعلان ولائهم للسلطان الذي سيمنحهم البقاء، ويكون له المكانة الكبرى في العالم الإسلامي.

وقد قام الشريف بركات، بإرسال وفد على رأسه ابنه أبو نمي - وكان سنه لا يتجاوز الثانية عشرة - وأصحبه ببعض الهدايا والتقادم؛ مُعلنًا بذلك ولاءه للسلطان العثماني، وقد وصل الوفد إلى القاهرة في جمادى الأخرى/ يوليو مِن العام المذكور[٣]، وقد استقبل استقبالًا حافلًا، وتمت استضافته في مقر

---

(١) عبد الملك بن حسين العَاصِمي المكي، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتَّوالي**، ج٤، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود وعلي معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) إبتسام بنت محمد صالح كشميري، **مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (٩٢٣-١٠٠٠هـ/ ١٥١٧-١٥٩١م)**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٥٥، حاشية ١.

(٣) محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور**، ٥/ ١٩٠؛ أحمد فؤاد متولي، الفتح العثماني، ص ٢٢٩-٢٣٠.

قائد الجند، وفي اليوم الثالث لقدومه التقى بالوزير الأعظم، وقاضي العسكر، ثم السلطان سليم الأَوَّل، وتبادل الطرفان الهدايا، وقدَّم أبو نمي مجموعة مِن المقتنيات الأثرية[1]، وقد حملت جميعها إلى إستانبول، وشيد لها جناح خاص في سراي طوبقابو لتحفظ به، عرف بجناح «خرقة شريف»، وقدَّم السلطان بدوره لأبي نمي هدايا فاخرة، وإنعامات مالية، بالإضافة إلى منشور الإمارة، وأنْ يكون أبو نمي حاكمًا من بعده[2]، ومِمَّا جاء فيه:

«...فقد وردت المطايبة الطيبة، مقرونة بالتطيب بطيب النية الخالصة... مِن مقام الشريف الأشرفي، السيد الشريف، زين الدين بركات بن السيد الشريف محمد... لما وصل إلى مواقفنا الرفيعة، وقبل لدى عتبتنا المنيعة، أمرنا بأنْ يتلقى كمالا الالتفات، وأن يتلقى بالتقاء غاية المراعات من موايد عواطفنا، وبعد أن راعيناه بالرعاية الكاملة الوفارة، تلاطمت في حقّه أمواج بحار عناياتنا الزاخرة، بتشاريف الخلع، وأجزناه إجازة معلنة، بكثرة التصدقات العالية، ورسمنا له بأنْ يكون قاعد إمارتكم العتيقة، ونايبًا في مقام إيالتكم على الطريقة الأنيقة، كما كان فوض إليه المقر الشريفي، سالفًا وأمرناه بأنْ يكون أميرًا بمكة المشرفة المنورة المُطَهَّرة، ونواحيها، وضواحيها وتوابعها، ولواحقها المعطرات، ولكل موضع كان الجناب الكريم حاكمًا وضابطًا فيه بمراسم السلاطين القديمة، وأصدرنا من بَابنا العالي وموقفنا المتعالي منشورًا شريفًا، ومرسومًا رصيفًا متضمنًا بما فيه من المضمون المنظوم، كاللؤلؤ المكنون على ما قرر في

---

(١) إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة المكرمة، ص ٤٥-٤٦، ١٣٣-١٣٤.

(٢) إبتسام كشميري، مكة المكرمة مِن بداية الحكم العثماني، ص ٥٧-٥٨.

كتابنا الكريم، وخطابنا القويمة، فأوصله الله إلى المواصل المستقر، وأنزله إلى منازل المقر المحترم، مع السلام البدنية والروحانية، بالعنايات الربانية وهمتنا السلطانية إنْ شاء الله تعالى»[١].

خرج أبو نمي مِن القاهرة في ٤ رجب/ ٢٢ يوليو مِن العام المذكور في موكب كبير، عائدًا إلى مكة المكرمة بمنشور الإمارة لوالده[٢]، وعندما وصل، قُرِىء المرسوم السلطاني، وتم تنصيب الشريف بركات في احتفال كبير، ودُعِي للسلطان سليم الأوَّل في الخطبة في مكة المكرمة[٣].

وهكذا سيطر العثمانيون على الحجاز في مطلع القرن العاشرالهجري/ السادس عشرالميلادي، وصارت لهم المكانة الكبرى على العالم الإسلامي، بحملهم لقب حامي حمى الحرمين الشريفين، التي كانت مِن أهم الألقاب التي يعتزون بها، ورغم الأهمية الدينية والسياسية التي تمخضت عن سيطرتهم على الحجاز؛ فإنَّه قد شكلَّ عِبْئًا عسكريًّا جديدًا عليهم؛ حيث تطلب الأمر مِنْهم الزحف جنوبًا للاستيلاء على اليمن لتأمين مدخل البحر الأحمر، الذي كان البرتغاليون يسعون لاختراقه لتهديد أمن الحرمين الشريفين كما سيأتي ذكره.

❐ ❐ ❐

---

(١) مكتبة طوبقبوسراي، إستانبول، وثيقة رقم ٤١٥. نقلًا عن: عمر سالم بابكور، **حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) محمد بن أحمد بن إياس، **بدائع الزهور**، ٥/ ١٩٣.

(٣) سيد محمد السيد محمود، **تأسيس الحكم العثماني في الحجاز**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م، ص ٢٩-٣٠.

ثانيًا- النظام الإداري في الحجاز:

كان العثمانيون في بداية حكمهم للمناطق المفتوحة يبقون عادة على نظم الحكم المحلية في البلاد التي يدخلونها في صورتها السابقة، ثم يعملون بعد ذلك على تعديلها ومواءمتها تدريجيًّا، لتتناسب مع الإطار العام لسياسة دولتهم[١]، وقد تميزت الإدارة في الدولة العثمانية بالمركزية المطلقة، حيث أرادت ربط كافة الولايات بالسلطة المركزية في إستانبول، وكذلك عملت على توزيع السلطة في الولاية الواحدة بين مجموعة مِن الأجهزة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحجاز تمتع بامتيازات لم تتمتع بها الولايات العثمانية الأخرى، ومِنْه الإعفاء مِن تقديم أي مال للخزينة السلطانية، وإعفاء الأهالي مِن الضرائب، ما عدا ما يفرضه الأشراف على الأغنام والماشية وما يقررونه على الحجاج وقوافلهم، ولم يفرض العثمانيون على الحجازيين الالتزام بالتجنيد الإجباري، أو بالمشاركة مع الدولة في حملاتها الخارجية[٢]. ولم يطبق العثمانيون أي نوع مِن أنواع الإقطاع الحربي على الحجاز، والذي كان معمولاً به في الولايات الأخرى في الدولة العثمانية.

هذا، ولم يظهر النظام الإداري في الحجاز دفعة واحدة، ولكنَّه مرّ بمراحل تطور، حتى انتهى إلى الشكل الذي صار معمولاً به في الحجاز حتى نهاية الحكم العثماني، فبعد ضم الحجاز إلى الدولة العثمانية، قام السلطان سليم بتوزيع السلطة بين الأشراف في مكة، ووالي جدة، والحامية العسكرية التي كانت تأتي مِن مصر، وفي البدء تم ربط الحجاز بولاية مصر

(١) إبتسام كشميري، مكة المكرمة مِن بداية الحكم العثماني، ص ٦٣.
(٢) صبري فالح الحمدي، أشراف الحجاز، ص ٣١.

إداريًا وماليًّا[١]، وحتى لا نستغرق في تفاصيل لا حصر لها في تطور هذا النظام الإداري في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فسوف نوجز القول في الجهاز الإداري الذي أصبح يتكون مِن شريف مكة المكرمة، ووالي جدة، والحامية العسكرية.

١. شريف مكة:

يُعَدُّ نظام الشرافة مِن أقدم أنظمة الحكم التي عرفها الحجاز في العصور الإسلامية، ويقوم على أنْ يتولى إمارة مكة المكرمة أحد الأشراف وهم نسل النبي ﷺ مِن فاطمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وقد أصبح لقب الأشراف على العائلة التي تحكم مكة المكرمة والمدينة المنورة،وقد حظي نظام الشرافة بمكانة مُهِمَّة في العالم الإسلامي، ومِن أدلة ذلك ظهور نقابة الأشراف التي أنشأها العباسيون منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في بغداد. وتطور في ما بعد بأنْ صار لها مثيلات في كلّ مِن مصر والشام، وكان مِن واجباتها الفحص في أنساب الأشراف وإصلاح أحوالهم وتدبيرشئونهم، وكان أهم ما يميز الأشراف ارتداءهم في أغلب الأحيان عمامة خضراء تميزًا لهم عن الآخرين، مِمَّا أدى إلى إجلال الناس لهم واحترامهم[٢].

وقد تعاقب على حكم الحجاز أربع طبقات مِن الأشراف، هم: الموسويون (بنو موسى) (٣٥٨-٤٥٣هـ/ ٦٩٨-١٠٦١م)، والسليمانيون (بنو سليمان): (٤٥٣-٤٥٤هـ/ ١٠٦١-١٠٦٢م)، والهواشم (بنو هاشم): (٤٥٤-٥٩٧هـ / ١٠٦٢-١٢٠٠م)، والقتاديون (٥٩٧-١٣٤٢هـ / ١٢٠٠-١٩٢٤م)[٣]،

---

(١) إبتسام كشميري، مكة المكرمة مِن بداية الحكم العثماني، ص ٦٤-٦٥.

(٢) قاسم حسن عَبَّاس السامرائي، **نقابة الأشراف في المشرق الإسلامي حتى نهاية حكم الأسرة الجلائرية (منتصف ق٣هـ/ أوائل ق٩هـ)**،رسالة دكتوراه،كلية الدراسات العليا، الجامعةالأردنية، عمَّان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م،ص-١٥٧؛ صبري فالح الحمدي، **أشراف الحجاز فِي القرن الثامن عشرالميلادي**، مؤسسةالمختار، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م،ص ٤٥-٤٦.

(٣) سليمان عبد الغني مالكي، **بلاد الحجازمنذ بداية عهدالأشراف حتى سقوط الخلافة** =

والأسرة الأخيرة هي التي شهدت العصر العثماني حتى نهايته.

وعندما ضُمَّ الحجاز سلميًّا إلى الدولة العثمانية، استبقى السلطان سليم الأوَّل على نظام الشرافة؛ وذلك احترامًا وإجلالاً لهؤلاء الأشراف الذين ينحدرون مِن نسل الرسول ﷺ، وكان لشريف مكة مكانة كُبرى في الدولة، حيث إنَّه المرجع الأكبر في الحجاز، وصاحب الكلمة العليا في تصريف شئونها، وصار اسم الشريف يذكر بعد اسم السلطان في الخطبة، وكان السلطان يقف احترامًا له لأنَّه مِن نسل الرسول ﷺ، كما كانت له المكانة نفسها لدى الصدر الأعظم، وكان يأتي في مرتبة أعلى من الوزير بمرتبة واحدة، وكان يأتي في الدرجة الثانية بعد الصدر الأعظم في الترتيب مباشرة؛ ولذلك كان له الحق في التواصل مع السلطان دون وسيط(١).

كان يتم اختيار الشريف ليشغل منصبه مِن خلال اختياره مِن قِبَل الأشراف في مكة المكرمة، بالإضافة إلى تقارير مِن قاضي مكة، وولاة مصر، والشام، وجدة. وعند حدوث عدم توافق من قبل الأشراف حول شريف معين؛ فإنَّ الحكومة كانت تدرس بدقة التقارير المرفوعة مِن قِبَل قاضي مكة والولاة السابقين، وتعين واحدًا مِن المرشحين، وتجدر الإشارة إلى أنَّه في بعض الأحيان كانت تقدم رشوة لوالي جدة حتى يقوم برفع تقرير لتعيين شريف غير مرغوب فيه، الأمر الذي يترتب عليه حدوث كثير من الاضطرابات والفتن، فيتدخل السلطان في عزل شريف وتولية آخر(٢)، أو يرفع تقريرًا لعزل شريف، أو تولية آخر حسب علاقاته به.

وفي حالة إذا كان شريف مكة كان مِن الأشراف المقيمين في إستانبول،

= العباسية في بغداد مِن منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري، رسالة دكتوراة، كليةالآداب، جامعة القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ص ٣٠ وما بعدها؛ عبد العزيز بن فهد الهاشمي، **غاية المرام**، ١/ ٥٥٠-٥٥٢.

(١) صبري فالح الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٤٨-٤٩.

(٢) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ٤٩.

أو أماكن قريبة مِنْها؛ فإنَّه كان يمثل في حضرة السلطان، ثم تسند إليه شرافة مكة، ثم يسافر إلى الحجاز، وفي بعض الأحيان يقوم الشريف المتواجد في إستانبول بإنابة أحد أبنائه المتواجدين في مكة حتى يصل إليها. كما كان يتم تعيين الشريف من قبل السلطان بناء على رسالة يرسلها الشريف إلى والي مصر يطلب تعيينه، ويتم ذلك بموافقة السلطان[1].

وكان يأتي للشريف قرار بتجديد ولايته في كُلّ عام إبَّان موسم الحج، في صحبة أمير الحج الشامي، حيث كان يأتي القرار في كيس مِن الحرير المزركش بأبدع الرسوم، ومعه الخلع السنية، والأعطيات الكريمة، والهدايا والتحف[2]، وكانت الخلعة السلطانية، تتكون مِن قفطان، وجبة، ومعطف مُبَطّن بالفرو، ورُبّما أرسل سيفًا، أو خنجرًا، وكان الشريف يستقبل القرار، ويقوم بتقبيله، ويحتفظ به لديه، ويتبادل الهدايا مع مبعوث السلطان، ثم تدوي المدفعية بتسع عشرة قذيفة، وينطلق المنادون والدلالون يعلنون الخبر في أرجاء مكة وشعابها، ومن ثم إلى كل أنحاء البلاد، وكان المنشور يقرأ في الحرم على الأشراف والعلماء وغيرهم، وكانت تتم المبايعة أسفل المنبر مِن قِبَل الأشراف، والشيوخ، وغيرهم من ذوي العلاقة، ثم يعود مندوب السلطان بهدايا الشريف، ورسالته الدالة على الطاعة والولاء[3].

وفي حالة عزل أحد أشراف مكة؛ فإنَّه كان يتم منحهم بدل إعاشة مِن إيرادات مصر باسم تعيينات، وكانت الدولة تمنح مَن يأتي منهم إلى إستانبول، أو الموضوعين قيد الإقامة الجبرية مسكنًا خاصًّا، وراتبًا كبيرًا،

---

(١) سحر بنت علي محمد دعدع، ولاة الحجاز في العصر العثماني في الفترة (٩٢٣-١٢٨٧هـ/ ١٥١٧-١٨٧٠م): **دراسة تاريخية حضارية**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ٤٢، ٤٣.

(٢) سحر دعدع، **ولاة الحجاز**، ص ٣٦.

(٣) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين الشريفين**، ص ٢٧.

كما تؤمن لخدامهم مخصصات أخرى[١]؛ ولذلك فقد عملوا على توفير سبل الراحة لهم حتى بعد عزلهم. ونلحظ أنَّ الدولة لم تقدم على قتل، أو إعدام أحد الأشراف طوال تاريخ حكمها في الحجاز، لأنَّه كانت تعد ذلك إحدى الكُبَر، لانحداره مِن نسل خير البرية رسول اللَّه ﷺ.

ولم يكن هناك مَهَام مُحدَّدة لشريف مكة، ولكن هناك بعض الأوامر التي وردت في الفرمانات التي كانت تصل إليه، ويمكن حصرها في مطالبته بتأمين شعائر الحجاج الوافدين إلى الحرمين الشريفين، وأنْ يسعى لبسط الأمن على طرق الحج، وإدارة شئون البدو، ومنعهم مِن القيام بغارات السلب والنهب، ونشر الأمن والطمأنينة بين السكان، وتوزيع الأموال المرسلة سنويًّا بالعدل بين مستحقيها، وأنْ يكتفي بدخله ومخصصاته، وألا يطمع في ممتلكات التجار أو غيرهم مِن الأفراد، وأنْ يقوم بالحكم بين الناس بالعدل، ولا يظلم أحدًا [٢]. وكذلك كان يقوم برفع التقارير إلى السلطان العثماني مباشرة حول مدى قيام القوات المناوبة في الحجاز بمهامها، وأداء أمراء الحاج بواجباتهم في إقرار الأمن والاستقرار في البلاد[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ نتيجة عدم وضوح دائرة نفوذ الشريف، وعدم وضوح معالمها؛ فقد أدت إلى كثير مِن الخلافات بينه وبين موظفي الدولة، وظهر ذلك مع بدء الحكم العثماني، في عهد الشريف أبي نمي محمد بن بركات (٩٣١-٩٩٢هـ/ ١٥٢٤-١٥٨٤م)[٤] الذي أدرك أنَّه رغم ما يحيط

---

(١) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ٥٦-٥٧.
(٢) صبري فالح الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٤٩؛ سحر دعدع، **ولاة الحجاز**، ص ٣٥.
(٣) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨٣.
(٤) **أبو نمي محمد بن بركات**: يعد من أشهر أَشْرَاف مكة في التَّارِيخ الحديث، ولد في مكة المكرمة في ذي الحجة ٩١١هـ/ مايو ١٥٠٦م،ونشأ فيها، وكان سفيرًا لوالده إلى مصر مرتين: الأولى للسلطان الغوري والأخرى للسلطان سليم الأول، وقد شارك والده في إمارة مكة، وبعد وفاته انفرد بالحكم، وكانت سمعته طيبة بأفعال الخير والإخلاص تجاه رعاياه، وقد تعرَّضت جدة في عهده إلى غزو البرتغاليين عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م؛ فنجح في صدهم عنها، وأقيمت في عهده كثير مِن المشروعات العمرانية الكبرى في =

به مِن مظاهر الأبهة والعظمة في الحجاز؛ فإنَّه لا سلطة له على قائد القوة العثمانية في الحجاز، والتي كانت ترسل من القاهرة - كما سيأتي ذكره - وقد حاول عزل هذا القائد، ولكن محاولته ذهبت أدراج الرياح[١].

وكان لشريف مكة المكرمة بعض النواب - الذين يلقَّبون بلقب الوزير - في المدن الرئيسة في الحجاز، وبخاصة المَدينة المُنوَّرة، وجدَّة، ويَنْبُع، وحَلْي، والقُنْفُذَة، وغالبًا ما كان هؤلاء النواب مِن أقاربه، أو مِن أتباعه المخلصين[٢]، ولكن في بعض الأحيان يتدخل السلطان للحد من نفوذ الشريف في بعض المناطق، ومن ذلك قيام السلطان محمد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٧م)[٣] بإصدار مرسوم يقضي بعدم تدخل الشريف في أمور المدينة المنورة[٤]، ولكن يبدو أنَّ ذلك كان في مرحلة معينة؛ لأنَّ الأشراف سوف يعاودون تدخلهم مرة أخرى، ويرسلون وزيرهم للإقامة في المدينة المنورة.

= مكة والمدينة بأوامر مِن السلاطين العثمانيين. وقد امتد حكمه في سائر بلاد الحجاز من خيبر إلى حلي وإلى حدود نجد. توفي في وادي الآبار جنوبي مكة المكرمة في محرم ٩٩٢هـ/ يناير ١٥٨٤م، وحمل إلى الحرم وصلي عليه. جيرالد دي غوري، **حكام مكة**، ص ١٤٥-١٥٠؛ أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٣٩٥-٣٩٨.

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٢٧.

(٢) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٥١٤.

(٣) **محمد الرابع**: ولد في إستانبول عام ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م، تولى الحكم في رجب ١٠٥٨هـ/ أغسطس ١٦٤٨م، ويعد آخر السلاطين الفاتحين، ففي عهده تم الاستيلاء على قلعة نوهزل Nevhausel الحصينة في النمسا عام ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م، وقام بحملتين على الروسيا عامي ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م انتهت بفتح «جهرين»، والأخرى عام ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م انتهت بعقد معاهدة أدرنة، ثم قام بحصار فيينا للمرة الثانية عام ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م ولكنَّه فشل في فتحها، وقد ظهر في عهده الصدر الأعظم محمد باشا كوبريلي أحد زعماء الإصلاح في الدولة العثمانية، وفي أواخر أيامه ثارت الإنكشارية نتيجة المشكلات التي ظهرت في الدولة والهزائم المتوالية، وقاموا بخلعه في محرم ١٠٩٩هـ/ نوفمبر ١٦٨٧م، وقد ظل على قيد الحياة حتى وفاته في ربيع الآخر ١١٠٤هـ/ سبتمبر ١٦٩٢م. محمد فريد، **تاريخ الدولة العليَّة**، ص ٢٨٩-٣٠٤؛ أحمد آقكوندز، سعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣١٦-٣٢٧.

(٤) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٢٧.

ولعلَّ مِن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّ شريف مكة لم تكن لديه قوات عسكرية نظامية، بل كان يعتمد عند احتياجه على القبائل العربية القاطنة في الحجاز[١]، وكان في أحيان أخرى يعتمد على أتباعه مِن الأشراف الذين كانوا يدينون له بالطاعة والولاء؛ وذلك للقضاء على بعض الاضطرابات مِن قبل المناوئين له، أو لتثبيت سلطاته السياسية في شرافة مكة والمناطق المحيطة بها[٢]. ولكن بمرور الوقت صار للشريف قوات نظامية تألفت من حوالي خمسمائة جندي، ولم يكن من الممكن زيادة الأعداد على ذلك بسبب قلة الموارد، وبخاصة الماء وأعلاف الدواب؛ الأمر الذي يمنع أي تجمعات كبيرة في المنطقة، وكانت مهام هؤلاء الجند النظاميين تنحصر في حماية الشريف، وحفظ الأمن[٣]. وفي القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي صار لدى الأشراف عناصر شبه عسكرية مؤلَّفة مِن بعض اليمنيين، والمغاربة، والحضارمة، والأفغانيين يصل تعدادهم إلى بضعة آلاف، سوى بعض العبيد الذين يصل تعدادهم أحيانًا إلى ما يزيد عن الألف[٤].

وفي القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشرالميلادي بدأ نفوذ شريف مكة يزداد تدريجيًّا، في ظل الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية، وبخاصة بعد انسحابها مِن اليمن عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، ثم انسحاب الأساطيل العثمانية من البحار الشرقية، ثم فتح الأشراف ميناء جدة للتجارة الأوروبية أواخر القرن المذكور[٥]؛ الأمر الذي أدى إلى زيادة مواردهم. ولكن الدولة العثمانية كانت لهم بالمرصاد، ففي الوقت الذي ضعفت فيه قوَّة الدولة المركزية، عملت فيه على تقوية السلطة الإقليمية في الحجاز،

---

(١) سيد رجب حراز، **الدولة العثمانية والجزيرة العربية (١٨٤٠-١٩٠٩)**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٠١.

(٢) صبري الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٥٠.

(٣) إبتسام كشميري، **مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني**، ص ٦٨.

(٤) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٥٢٢.

(٥) سيد رجب حراز، **الدولة العثمانية والجزيرة العربية**، ص ١٠٢.

والممثلة في والي جدة العثماني(١).

وفيما يتعلق بالموارد المالية لشريف مكة المكرمة، فقد كان قبل العصر العثماني يحصل على ثلث المُساعدات الحكومية التي كانت ترسل إلى المنطقة (٢)، ولكن تبدل الوضع حيث رُتِّب له رَاتِبٌ قدره ٥٠٠٠ قرش سنويًّا بالإضافة إلى ٢٥ ألف قرش، وهو نصف ما يحصل عليه السلطان مِن تعيين أو إبقاء ولاة مصر(٣). بالإضافة إلى ما يحصِّله الشريف مِن ضرائب في المنطقة حيث كان له الأحقية في فرض الضرائب على المطوِّفين، والحجاج، والجمَّالة(٤).

وكذلك كان مِن ضمن موارده المالية فيما نصَّت عليه الفرمانات أنْ يتم اقتسام دخل ميناء جدة(٥)بين الشريف ووالي جدة، وكان هذا الميناء يدر دخلاً كبيرًا على الشريف، وكان لديه مندوبٌ في جدة يعرف بالوزير، يقوم بتحصيل الدخل، وإرساله للشريف(٦).

---

(١) عويضة بن متيريك الجهني، «**السلطةالعثمانية في الحجاز في أواسط القرن ١١هـ/ ١٧م**»، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، مج٢،ع٢،حزيران ٢٠٠٨م،ص ١٤٢ وما بعدها.

(٢) إبتسام كشميري، **مكة المكرمة مِن بداية الحكم العثماني**، ص ٢٨١

(٣) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ٥٥.

(٤) صبري الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٤٩.

(٥) اختلفت الآراء حول تاريخ بدء اقتسام إيرادات مرفأ جدة من الرسوم التي تفرض على السفن، فيرى بعض المؤرخين أنَّ ذلك بدأ في عهد الشريف أبي نمي محمد بن بركات (٩٣١-٩٩٢هـ/ ١٥٢٤-١٥٨٤م)، الذي تصدى لمحاولة البرتغاليين في الاستيلاء على جدة عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤٢م؛ ولذلك منحه السلطان سليمان القانوني نصف إيرادات جدة. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٥٣. بينما يرى فريق ثان أنَّ ذلك تم بناءً على تقرير رفعه سِنَان باشا العائد مِن اليمن، والذي طلب منه الشريف توصية نتيجة خدماته التي قدمها للعثمانيين في اليمن، فطلب مِنْه تخصيص نصف إيرادات جدة. إسماعيل حقي، **أشراف مكة**، حاشية ٣، ص ٥٥-٥٦. ويرى فريق آخر أنَّ ذلك بدأ في عهد الشريف زيد بن محسن (١٠٤١-١٠٧٧هـ/ ١٦٣١-١٦٦٦م)، في عام ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، نتيجة المُساعدات التي قدمها الأشراف لمساعدة العثمانيين في إخضاع بعض المناطق اليمنية التي أعلنت رفضها للوجود العثماني. صبري الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص٣٣-٣٤.

(٦) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٢٩.

وعلى الرغم مِن بعض مآثر نظام الشرافة، فإنَّه قد شهد كثيرًا مِن المُشكلات في هذه الفترة، ولعلَّ ذلك يتضح مِن خلال الصراع المرير بين بيوتات الأشراف على تولي شرافة مكة المكرمة، وقد تجلَّى ذلك بين آل بركات وآل زيد، وفي خضم هذا الصراع كان كُلّ طرف يستعين بالقبائل والقوى المحيطة لمساندته؛ حيث اعتمد آل زيد على القبائل المحيطة بمكة والطائف، بينما تلقى آل بركات الدعم مِن القبائل المُقيمة بين ينبع والمدينة المنورة، وكذلك كان يتدخل أمراء الحج، وولاة جدة في ذلك الصراع، الأمر الذي خلَّف كثيرًا مِن المشكلات في الحجاز، وأضعف قوَّة الأشراف في المنطقة [١]. حتى إنَّنا نجد كثيرًا مِن الأشراف قد تولى الحكم أكثر مِن مرة في العهد العثماني، نتيجة الخلافات بين الأشراف والصراع على السلطة.

وفي محاولة مِن الدولة لوقف الصراع على الشرافة، أصدر السلطان العثماني فرمانًا في عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م إلى ولاة مصر ينص على عدم إعطاء رسائل توصية إلى أشراف مكة القادمين إلى مصر، أو إستانبول على السواء؛ وذلك لأنَّهم ينشرون الأقوال والإشاعات بتوليهم مَهَام الحكم التي مِن شأنها الإخلال بالأمن والنظام في الحرمين الشريفين [٢].

ومِن نواحي الضعف - أيضًا في حكم الأشراف - نظام المشاركة في الحكم [٣]، حيث عمل أشراف مكة على إشراك أبنائهم وأحفادهم في الحكم

---

(١) صبري الحمدي، **أشراف الحجاز**، ص ٥٥، ٥٧.

(٢) حسام محمد عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر**، سلسلة تاريخ المصريين (١٤٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣١.

(٣) **نظام المشاركة**: وردت أوَّل إشارة صريحة لنظام المشاركة فِي حكم الأَشْرَاف فِي الحِجَاز فِي عهد الشريف أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة (٦٤٦-٦٥١هـ/ ١٢٤٨-١٢٥٣م)، الذي أشرك معه فِي الحكم ابنه محمد وعمره سبعة عشر عامًا، بسبب أنَّ عمَّه راجح بن قتادة المطالب بالإمارة لنفسه، استنجد بأخواله مِن بني الحسين حُكّام المدينة المنورة، فأمدّوه بقوة عسكرية، فلمَّا علم الشريف مُحَمَّد، وكان فِي ينبع وقتئذ، تحرَّك بقوة عسكرية مِن أتباعه، فحقق نصرًا عسكريًّا عَلَى القوات المذكورة قبل دخولها مكةَ، الأمر الذي =

حتى يضمنوا انتقال الشرافة إليهم، وذلك بعد الحصول على موافقة الدولة، وهو ما يشبه ولاية العهد. ولكن سبَّب هذا النظام كثيرًا مِن المشكلات بين الأشراف، فربما انقلب بعض أفراد الأسرة بعضهم على بعض للوصول إلى الحكم، فتسبب ذلك في النزاعات، وكثير مِن الحروب، التي كانت تضعف قوة الأشراف. ونلحظ أنَّ هذا النظام قد اختفى تدريجيًّا، حتى لم نعهد وجوده في الفترة موضوع الدراسة، أي النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

وعلى الرغم ممَّا بذلته الدولة العثمانية للحد مِن سلطة الأشراف في الحجاز، ومنع الاحتكاك بينهم وبين الموظفين العثمانيين؛ فإنَّ ذلك لم يكن له إلا تأثير محدود، وظلّت العلاقة بين الجانبين علاقة صراع وتوجس، وكانت كفة الأشراف هي الراجحة في الغالب حتى أواخر العصر العثماني[١].

٢. والي جدة:

مثّلت مدينة جدة أهمية كبرى في الحجاز طوال العصر الإسلامي، وفي العصر المملوكي كانت تخضع للإدارة المباشرة للمماليك، حيث كان له أمير يعرف بنائب جدة، وكان المحصل مِن دخل الميناء يتم اقتسامه بين المماليك والأشراف[٢]، وقد أقرَّ السلطان سليم الأوَّل ذلك النظام القائم على تبعية جدة لوالي مصر وقتئذٍ خاير بيك (٩٢٣-٩٢٨هـ/ ١٥١٧-١٥٢٢م)[٣] واعتبارها

= دفع والده لإشراكه في الحكم. أحمد بن عمر الزيلعي، «**نظام المشاركة فِي الحكم لدى أشراف مكة (٦٤٧-٩٢٣هـ/ ١٢٤٩-١٥١٧م)**»، مجلة الدارة، ع٣، السنة الرابعة عشرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٦٣.

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٢٨.

(٢) أحمد عبد الحميد خفاجي، **موقف مصر من الحجاز في عهد المماليك الجراكسة ٨٤٢-٩٢٣هـ**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٨م، ص ٩٥، ٩٧.

(٣) **خاير بك**: خاير بك بن ملباي، من أصل كرجي، ولد في قرية صمصوم، وقد قدمه والده إلى السلطان الأشرف قايتباي، فتدرج في المناصب حتى عينه السلطان قنصوه الغوري نائبًا له في حلب ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، وقد ظل فيها حتى عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، وعندما قدم =

صنجقية عثمانية منفصلة عن شريف مكة[1]. ومنذ ذلك الحين صار حاكم جدة يمثل النفوذ والسلطة العثمانية في الحجاز في العصر العثماني، حتى لا ينفرد شريف مكة بالأمور هناك، وأصبح والي مصر هو مَن يُعَيِّن حاكم جدة برتبة صنجق، ولذلك صار والي مصر الوسيط بين الإدارة المركزية في إستانبول وحاكم جدة.

وقد ظلّ صنجق جدة تابعًا للإدارة المصرية، حتى تم فصله عنها، وتم إسناد إدارته إلى حكام تابعين للدولة مباشرة، وفي مرحلة لاحقة تم دمج صنجق الحبش[2] مع صنجق جدة في ولايةٍ واحدةٍ، وأسند حُكمها إلى والٍ

= السلطان سليم الأوَّل إلى الشام تمكَّن مِن استمالته إليه، وانفضاضه عن السلطان الغوري، وساعد العثمانيين في فتح مصر، ونتيجة لذلك فقد عينه السلطان سليم الأول واليًا على مصر عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وقد قدَّم خدمات جليلة للدولة العثمانية، حيث رفض الانضمام إلى جانب بردي الغزلي والي دمشق، في ثورته ضد السلطان سليمان القانوني، ومحاولته الاستقلال بالشام، ولذلك هزمه العثمانيون بسهولة وقضوا على ثورته في عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م، وتوفي عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م، بعد أنْ حكم مصر خمس سنوات وثلاثة أشهر، ودفن بجامعه المعروف بالخيربكية بخط باب الوزير بالقاهرة. محمد بن إياس، **بدائع الزهور**، ٥/ ٢٠٥-٢٠٩، ٤٢٢-٤٢٣، ٤٨٣-٤٨٦؛ يوسف الملواني ابن الوكيل، **تحفة الأحباب بِمَن ملك مصر مِن الملوك والنواب**، تحقيق: محمد الشـشتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٠٨.

(١) عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢م)**، دار النهضة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ٩٧.

(٢) **ولاية الحبش**: يرجع الفضل فِي تأسيس ولاية الحبش الإسلامية إلى أزدمير باشا الذي تولى شئون اليمن (٩٥٦-٩٦٢هـ/ ١٥٤٩-١٥٥٥م) وأدرك مِنْ خلالها أهمية وجود قوَّة عثمانية عَلَى الغور الإفريقية المطلة عَلَى البَحْر الأَحْمَر لتراقب حركة الملاحة، ونشاط البرتغاليين وحلفائهم الأحباش فيه، وأطلع السلطان العثماني على الأمر، وسعى جاهدًا في إعداد جيش في مصر، نجح في الاستيلاء على ميناء سواكن ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م وبعض الأقاليم المحيطة، ثم استولى على ميناء مصوع عام ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م، فتأسست ولاية الحبش الإسلامية، وأصبح أزدمير أوَّل والٍ عليها (٩٦٢-٩٦٧هـ/ ١٥٥٥-١٥٥٩م)، وخلفه فِي الولاية ابنه عثمان بن أزدمير، وولاية الحبش تمتد على الساحل بين سواكن ومصوع، والمهمة الرئيسية لنائب الوالي هي مراقبة تحركات الأحباش، وإخطار الدولة بهذه التحركات لاتخاذ الإجراءات اللازمة في الوقت المناسب. شوقي عطا اللّه الجمل: **«ولاية الحبش بِيْنِ إيالة جدة والإدارة المصرية (١٢٣٤-١٣٠٣هـ/ ١٨١٨-١٨٨٥م)»**، =

بدرجة وزير، وزيادة في تحجيم سلطة الأشراف، فقد قامت الدولة بإسناد مشيخة الحرم المكي إلى والي جدة[١]. ولأهمية هذا المنصب في إطار سياسة الدولة؛ فقد صار والي جدة يُعيَّن مِن الصدور العظام المعزولين[٢]. وقد كان هدف الدولة العثمانية من ذلك هو الحد من سلطة الأشراف الذين أبقتهم على وضعهم في الحجاز[٣].

وأدَّى حاكم جدة دورًا مهمًّا في الصراع القائم على السلطة في الحجاز في بدايات العهد العثماني، ونظرًا للمهام الاستراتيجية التي يقوم بها صنجق جدة، فلم يكن يكلَّف بالخروج لحملات أو بمهام أخرى بعيدًا عن جدة، وكان والي مصر يقدم له كافة المساعدات اللازمة ليقوم بأداء مهامه على أكمل وجه، ويتخذ التدابير اللازمة لتحصين الثغور، وترميم قلعته، وشحنها بالجنود، وتوفير كافة احتياجاتهم[٤].

وقد كان معظم ولاة جدة - بعد فصلها عن الإدارة المصرية - يأتون إلى مصر بحرًا فينزلون الإسكندرية، ثم السويس، ثم يبحرون إلى جدة، وفي كثير مِن الأحيان تم تعيين بعض ولاة مصر بعد عزلهم على ولاية جدة، وفي بعض الأحيان استعين بولاة جدة لحكم مصر[٥].

وكان والي جدة مُقيمًا بحكم منصبه في جدة، ولم ينتقل إلى مكة إلا في العهد العثماني الثاني[٦]، وكان في بعض الأحيان يُقيم في المدينة

= مجلة الدارة، ع ٢، السنة الثانية والعشرون، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٨١-١٨٤؛ أنعم محمد عثمان الكباشي،«**تأسيس لواء سواكن فِي العهد العثمانِي**»، مجلة الدارة، ع ٤، السنة الثامنة والثلاثون، الرياض، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ١٩٣-٢١١.

(١) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ٧-٨.

(٢) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣١.

(٣) سحر دعدع، **ولاة الحجاز**، ص ٤٨.

(٤) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨٢.

(٥) حسام محمد عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص٤٦-٤٧.

(٦) سحر دعدع، **ولاة الحجاز**، ص ٤٩.

المنورة باعتباره محافظًا عليها[١]، وبالرغم مِن إقامته في جدة؛ فإنَّ سلطته شرعت تتوسع على مدى السنين إلى أنْ أتيحت له مراقبة تنفيذ جميع أوامر السلطنة، وفي بعض الأحيان، عندما يتولى شرافة مكة شخص ضعيف أو مسالم، فلا يستطيع السيطرة على مُقدَّرات البلاد، أمَّا الأشراف الأقوياء فكانوا يتجاهلون سلطته، كما كانوا يتجاهلون في بعض الأحيان أوامر الدولة العثمانية[٢]. ولذلك فإنَّ العلاقة بين ولاة جدة وأشراف مكة لم تسر على وتيرة واحدة بل تأرجحت ما بين التعاون والتنافر طوال تاريخ الحجاز في العهد العثماني الأوَّل[٣].

وقد كان والي جدة يحصل على راتب مادي، ومُخصَّصات عينية، وعند عزله كان يحصل على معاش مِن الولاية[٤]، كما كان لوالي جدة نصف إيرادات ميناء جدة - كما ذكر آنفًا - وقد أدَّى ذلك إلى حدوث كثير مِن المشاحنات بينه وبين شريف مكة. ومِن ذلك دخول الشريف سعد بن زيد فِي ولايته الأولى (١٠٧٧-١٠٨٣هـ / ١٦٦٦-١٦٧٢م)[٥]، فِي خصومة مع والي جدة حسن باشا، لعدم إعطائه حصته فِي نصف إيرادات جدة، ولذلك حاول الشريف

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ١١٧-١١٨.

(٢) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٥١٥-٥١٦.

(٣) عبد الرحمن بن سعد العرابي، «**التجانس والتنافر في العلاقة بين مكة المكرمة وجدة في العهد العثماني الأوَّل (٩٢٣-١٢٢٦هـ الموافق ١٥١٧-١٨١١م)**»، مجلة الدرعية، السعودية، مج ١٥، ع ٥٥-٥٦، يناير ٢٠١٣م، ص ٥١ وما بعدها.

(٤) سحر دعدع، ولاة الحجاز، ص ٥٠.

(٥) **سعد بن زيد**: تولى الشريف شرافة مكة أربع مرات على فترات متفاوتة وهي: الشرافة الأولى (١٠٧٧-١٠٨٢هـ / ١٦٦٦-١٦٧٢م) والثانية (١١٠٣-١١٠٥هـ / ١٦٩٢-١٦٩٤م) والثالثة (١١٠٦-١١١٣هـ / ١٦٩٤-١٧٠٢م) والرابعة (١١١٦هـ/ ١٧٠٥م استمر فيها ثمانية عشر يومًا)، وبلغت في مُجملها ستة عشر عامًا، وقد أسندت إليه الدولة العثمانية في ولايته الثالثة حكم الأحساء، وقد كان من أشهر الأشراف في الحجاز، ونال مكانة وشهرة واسعة في عصره، توفي عام ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م على إثر إصابته في إحدى المعارك ضد أحد منافسيه من الأشراف. إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١٥٠-١٥٨.

اغتيال الوالي في موسم حج ١٠٨١هـ / ١٦٧١م، ولكن المحاولة فشلت[١]. عندما زادت حدة الأزمة بَيْنَ الشَّرِيف مسعود بن مساعد، ووالي جدة علي بَاشَا؛ بسبب تقسيم واردات جدة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، فخرج الشَّرِيف مسعود مَعَ جيشه واحتل المِينَاء؛ ففرَّ الباشا هاربًا عبر البحر، وانحصرت ردة فعل الباب العالي في إِرسال والٍ آخر، أكثر مرونة في تعامله مَعَ الشريف[٢].

وبحلول القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، تضاءلت مكانة والي جدة، وأصبح من النادر أن يتدخل الباب العالي في مجريات الأحداث بصورة مباشرة عن طريق والي جدة، ولكن من خلال أمير الحج الشامي، أو أمير الحج المصري؛ لأنَّ أوقات هذه القوات موسمية وغير مستمرة[٣]، مع ملاحظة أنَّ الاهتمام بشئون الحجاز في النصف الثاني مِن القرن المذكور كان يرتبط بصلة وثيقة بأمير الحج الشامي - الذي كان والي للشام أيضًا - كما سيظهر مِن خلال دراسة المخطوط.

٣. الحامية العسكرية:

قام السلطان سليم بتعيين بعض القوات العسكرية العثمانيَّة في الحجاز، ثم بدأت الإدارة المركزية في تعيين قوات مناوبة منتخبة مِن الفرق العسكرية في مصر[٤]، في المدن المهمة في الحجاز مثل: جدة، المدينة المنورة، ينبع، وغيرها. ويرجع تاريخ ظهور الحامية إلى عام ٩٢٤هـ/ ١٥١٧م. نتيجة أخطار

---

(١) علي بن حسين علي الصميلي، «التنافر بين أمير مكة الشريف سعد بن زيد وسنجق جدة وشيخ الحرم حسن باشا ونهاية الفترة الأولى مِن إمارة الأشراف آل زيد (١٠٧٩-١٠٨٢هـ/ ١٦٦٩-١٦٧٢م)»، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ٥٥، يوليو ٢٠١٠م، ص ٥٨٤-٥٨٩.

(٢) أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٨٥-٨٦، ١٩٥.

(٣) سنوك هورخرونيه، **صفحات مِن تاريخ مكة المكرمة**، ج١، نقله إلى العربية: علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا، دارة الملك عَبْد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٤) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨١-٨٢.

البرتغاليين التي هددت موانئ الحجاز وبخاصة جدة؛ فأصبح مِن الضروري وجود قوة عسكرية هناك لحماية الحرمين الشريفين، فكُوِّنت هذه الحامية، وبلغ عددها خمسمائة جندي مِن جنود الأوجاقات المصرية، وعلى رأسهم سبعة سرادرة بالتناوب ولمدة عام، وكان يطلق عليهم جداليان نسبة إلى جدة(٥). وبالإضافة إلى هذه القوات كان يتم إرسال بعض الجند إلى بعض المناطق التي قد تشهد اضطرابات في الحجاز(٦).

ونتيجة لصراعات الأشراف على السلطة في مكة المكرمة، أمر الباب العالي عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م بزيادة أعداد القوة المرسلة مِن مصر من خمسمائة إلى ألف جندي، ولكن أمراء المماليك في مصر رفضوا ذلك وأمروا سرادرة الجنود بأخذ خمسمائة رجل من مكة وجدة وكتابة أسمائهم في الأوجاقات، على أنْ تتحمل مصر دفع رواتبهم، ورغم احتجاج شريف مكة فإنَّ الأمراء في مصر لم يعروا ذلك اهتمامًا(٧).

وكان قسم كبير مِن الحامية يُقيم في ميناء جدة، وقد بلغ عدد بلوكَّاتهم في القلعة نحو ١٣ بلوكًا، يتراوح عدد كُلّ بلوك ما بين ٩-١٠ أفراد،(٨) ومع استقرار الأوضاع في البحر الأحمر، أصبح جزء مِن هذه القوة يُقيم في جدة، والجزء الآخر يتَوَجَّه إلى مكة(٩).

أمَّا في قلعة المدينة المنورة، فعندما تزايدت هجمات العربان عليها(١٠)، أمر السلطان سليمان القانوني بتسويرها(١١) عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م، وأقام فيها

---

(٥) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص٤٨.

(٦) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨٢.

(٧) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص٤٩

(٨) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ١٠٧.

(٩) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٤٨.

(١٠) محمد بن إياس، **بدائع الزهور**، ٥/ ٢٣٨، ٤٧٧.

(١١) **سور المدينة**: كَانَ للمدينة المنورة سوران أحدهما خارجي والآخر داخلي. وَكَانَ السور الداخلي أكثر إحكامًا، وبناء عَلَى أمر السلطان سليمان القانوني تمَّ هدم السور الداخلي وتم الانتهاء من بنائه في ١٥ شعبان ٩٤٦هـ/ ٢٦ يناير ١٥٣٩م، فكان خير حماية للمدينة =

حامية عسكرية[١]، وقد بلغ عدد قواتها خمسة بلوكَّات، يتراوح عدد كُل بلوك ما بين ١٠-١١ فردًا[٢]، ولكن يبدو أنَّ هذا العدد كان يزداد ويقل بطبيعة الأخطار، حيث يشير أحد الباحثين أنَّ عدد الحامية كان يتراوح ما بين ١٧٠-٢٢٩ جنديًّا[٣].

وكانت المَهَمَّة الرئيسة للحامية المصرية في الحجاز هي الدفاع عن المنطقة ضد الأخطار الخارجية، وحفظ الأمن والنظام فيها، وقد كانت الحامية تمثل الشرعية لتولي شريف مكة منصبه من قِبل الدولة، ففور وصول فرمان الولاية كان الشريف يجلس في الحرم، وتقف جنود الحامية في صفوف تتقدمها فرقة موسيقى حيث تسير أمام الشريف إلى مقر الحكم الرسمي[٤]، وقد اتسعت أعمال الحامية حينما أسندت لوالي جدة مشيخة الحرم المكي في القرن الحادي عشرالهجري/ السابع عشر الميلادي[٥].

هذا وقد تدخلت هذه الحامية في كثير مِن الأحيان في صراعات الأشراف على شرافة مكة المكرمة، فكانت تقف بجانب أحدهم ضد الآخر. ومِن ناحية أخرى فإنَّ الاعتداء على جنود الحامية كان يمثل مِن وجهة نظر الدولة العثمانية اعتداءً على سيادتها الشرعية، وكان ذلك كافيًا لعزل أحد الأشراف وتولية آخر[٦].

وفيما يتعلق برواتب الحامية ومخصصاتها؛ فقد كان السلطان سليم قد منع الحامية مِن صرف رواتبها، مِن الصرة المرسلة سنويًّا إلى الحجاز،

= وسكانها مِن هجمات البدو. إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين: **الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية مُحلاّة بمئات الصور الشمسية**، ج١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ص ٤١٠-٤١٤.

(١) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ١٠٦.

(٢) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٨١-٨٢.

(٣) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٤٩.

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٢.

(٥) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ١٠٧.

(٦) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٥٢-٥٥.

وكانوا يحصلون عليها من واردات مصر ضمن رواتب فرقهم التابعين لها، ثم عُدِّل ذلك وأصبحت رواتبهم ترسل مع الصرر، الأمر الذي أدى إلى رفع أرقام الصرر، وكانت رواتبهم مبالغ نقدية، ومخصصات عينية، بالإضافة إلى ملابس التشريفات كالقفاطين والجبب[١]، وقد تمتع رجال الحامية بإعفاء جمركي على بضائعهم وأحمالهم في كافة موانئ الحجاز، وقد دفعهم ذلك إلى العمل في التجارة بصورة واسعة، فعملوا على السفر بحرًا بصحبة بضائعهم رغم أوامر الدولة بسفرهم برًّا بصحبة موكب الحج[٢].

٤. القضاء:

عملت الدولة العثمانية على فرض نفوذها بكافة الطرق على المناطق التي تخضع لها، ومِن طرق فرض النفوذ تعيين قاضٍ مِن قِبلها للفصل فيما يطرأ مِن خلافات بين الرعية، وتحقيق العدل بينهم، وقد صار ذلك النهج تقليدًا عند العثمانيين؛ فالسيادة لا تكتمل إلا بتعيين قاضٍ على المنطقة المفتوحة[٣].

وقد أسس العثمانيون في بداية عهدهم نظامًا قويًّا للقضاء، كان نافذ الكلمة في شئون الحجاز في النواحي الإدارية، والمالية، والعسكرية؛ لتوفير مُناخ مِن المساواة، وإقرار العدالة بين رعايا الدولة[٤]، وقد أبقى السلطان

---

(١) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ٢٨٣.

(٢) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٥١؛ ميكل ونتر، **المجتمع المصري تحت الحكم العثماني**، ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٢١.

(٣) مجموعة مؤلفين،**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، مج ١، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون، إستانبول، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٩٤.

(٤) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١/ ٤٢٢؛ سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٧٨.

سليم الأوَّل على منصب القضاء في أيدي المكيين(١)، وفي عهد السلطان سليمان القانوني(٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م)(٢) تغير الوضع، حيث قام بتعيين قاضٍ عثماني على المذهب الحنفي - المذهب الرسمي للدولة - في منصب قاضي قضاة مكة المكرمة عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م، وفي العام التالي تم تعين قاضٍ للمدينة المنورة(٣).

وكان القضاة في الحرمين الشريفين يُعيَّنون مِن إستانبول(٤)، ويختارون مِن فئة المولى الكبير، بترشيح من شيخ الإسلام، ويوافق الصدر الأعظم على تعيينهم، ويصدر السلطان قرارًا بتعيينهم في مناصبهم(٥). وكان لا يتم تعيين قاضي إستانبول إلا إذا كان قد سبق له تولي منصب القضاء في أحد الحرمين الشريفين(٦)، ولعلَّ الهدف مِن وراء ذلك أنْ يكون قد زاد علمًا بلقائه العلماء المسلمين مِن مشارق الأرض ومغاربها، حيث إنَّ منصب قاضٍ في الحرمين مِن أعلى درجات القضاء في الدولة، وكان يأتي قبله قاضي إستانبول الذي

---

(١) إبتسام كشميري، **مكة بداية الحكم العثماني**، ص ٧٠، ٧٨.

(٢) **سليمان القانوني**: ابن السلطان سليم الأوَّل. ولد فِي غرة شعبان ٩٠٠هـ/ ٢٧ أبريل ١٤٩٥م،وتولى الحكم فِي ١٦ شوال ٩٢٦هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٥٢٠م،وهو مِن أعظم سلاطين الدولة العثمانية؛ وتميز عهده بالرخاء والازدهار، توسعت فيه الدولة؛ حيث قام بثلاث عشرة حملة ترتب عليها أنْ وصلت مساحتها في عهده إلى حوالي ١٥ مليون كيلو متر مربع، وشمل الازدهار جميع مناحي الحياة السياسية، والعلمية، والثقافية، والقانونية، والمالية، حتى بلغت فِي زمنه ذروتها. وقد اشتهر بالقانوني؛ لأنَّه قام بتدوين القوانين وتطبيقها على الجميع دون أي تمييز. وتوفي فِي ٢٠ صفر ٩٧٤هـ/ ٥سبتمبر ١٥٦٦م، بعد حكم دام ستة وأربعين عامًا. محمد فريد، **الدولة العلية**، ص ١٩٨-٢٥٢؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك،**الدولة العثمانية**، ص ٢٣٥-٢٤٤.

(٣) إبتسام كشميري، **مكة في بداية الحكم العثماني**، ص ٩٩.

(٤) محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٤٢١-٤٢٢.

(٥) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١/ ٤٢٨.

(٦) أوليا جلبي، **الرحلة الحجازية**، ترجمها عن التركية وقدَّم لها: الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١١٤.

يرأس قضاة الدول أجمعين[١]. وكان يعمل تحت إمرة القاضي أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأخرى في كُلِّ محكمة، ولكن أطلق على المحكمة الحنفية والتي عُرِفَتْ بالمحكمة الكبرى، وكان يودع فيها سجلاَّت المحاكم الثلاث مرة كُلّ ثلاثة أشهر[٢].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ القضاة العثمانيين كانوا يزهدون في قضاء الحرمين، لقلة مدخولهم مِنْه؛ مِمَّا اضطر الدولة إلى اتخاذ إجراءات لترغيبهم فيه، ففي أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، صدر قانون نصّ على أنَّ كل مَن يصبح قاضيًّا بمكة المكرمة، وينهي مدة الخدمة المحددة هناك يصبح قاضيًّا لإستانبول أو بدرجة قاضي إستانبول، فأصبح منصب قاضي مكة المكرمة جذابًا، وازداد عدد الراغبين فيه بدرجة كبيرة[٣].

وكان للقضاة دورٌ رقابيٌّ مهمٌّ في الحرمين، وإقرار العدل والمساوة بين الأهالي، والتحقق مِن مدى التزام المؤسسات الإدارية والمالية بالشرع والقانون[٤]، وقد أسند إليهم منصب نظر الحرم، والإشراف على الأوقاف، وكان لهم المشاركة في لجان توزيع المساعدات، فظلّ لهم الإشراف على هيئة الموظفين المشرفين على إقامة وتنفيذ شعائر الدين، ومِنْهم: الخطباء، والمؤذنون، والقائمون على الخدمات العامة للحرم[٥]. وكان يرأس مراسم تنصيب شريف مكة، ويتولى تقديم الخلع السلطانيَّة[٦]، ومِن المهام غير المعلنة لقاضي مكة المكرمة، أنَّه كان يكتب تقارير سرية إلى الباب العالي عن سلوك وتصرفات كُلّ مِن الشريف والوالي، كما كان يبدي رأيه في مَنْ

(١) محمد عبد الطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣٢.
(٢) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١١٧.
(٣) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١١٦.
(٤) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٦٧-٦٨.
(٥) إبتسام كشميري، **مكة في بداية الحكم العثماني**، ص ٧١.
(٦) محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٤٢١.

سيتولى منصب الشرافة[١].

هذا، وقد كان القضاة وتابعوهم يقومون بأعمالهم نظير رواتب سنوية مالية وعينية من دخل ميناء جدة، أو مِن الصرة القادمة من مصر[٢]، بالإضافة إلى الرسوم القضائية، حيث خصص ٢,٥٪ من رسوم التقاضي لتغطية نفقات المحكمة، وكان هذا المبلغ يخصم مِن المدعى المعني أو من يدفعه الطرف الذي يربح القضية[٣]، وكان ذلك يدر إيرادًا وفيرًا، فضلًا عن أنَّهم كانوا يتقاضون جزءًا مِن الرسوم المقررة على معاينة التركات وتقسيمها، والمبايعات، ورسوم الزواج، وتسجيل الحجج الشرعية[٤].

وكان مقرّ القضاة في مكة المكرمة والمدينة المنورة في مدرستي السلطان قايتباي، وكان سكنهما فيهما أيضًا[٥].

وتميز القضاء العثماني في بداية عهده بقوة سطوته وعدالته، إلى أنْ اعتراه ما أصاب الدولة مِن ضعف[٦]، وانتشرت الرشوة والفساد بين القضاة في الحرمين، الذين كان معظمهم لا يعرف مِن اللغة العربية إلا قليلاً، فكان القاضي يخضع تحت يدي مترجمه الذي كان يشير على كُلّ قاضٍ جديدٍ بطرق الارتشاء الدارجة في المنطقة، وقد صارت رسوم التقاضي باهظة، وعادة ما تبتلع ربع المبلغ محل التقاضي، وكان حكم

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣٣..

(٢) إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة المكرمة**، ص ١١٥-١١٦.

(٣) هاميلتون غِب وهارولد بووِن، **المجتمع الإسلامي والغرب: دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر الميلادي**، ج ١، ترجمة ودراسة: أحمد إيبش، إصدارات دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٨٣

(٤) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١/ ٤٢٢.

(٥) محمد علي فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة (٩٢٣-١٢٢٠هـ/ ١٥١٧-١٨٠٥م)**، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٣٥٠.

(٦) إبتسام كشميري، **مكة في بداية الحكم العثماني**، ص ١٠٠.

القاضي ينتهي غالبًا لصالح مَنْ يستطيع أنْ يدفع الرشوة أولاً[١]، وفي بعض الأحيان كانت الدولة تقوم بعزل القاضي بسبب سوء تصرفاته، كما حدث عام ١١٦٩هـ / ١٧٥٥م، حينما تم نفي قاضي مكة لترديده الشائعات في المجالس التي يظهر فيها[٢].

٥. الإفتاء:

شكَّل الإفتاء قطاعًا مُهمًّا في الدولة العثمانية، وكان المفتون يعينون في المدن، ويقومون بمهام مناصبهم بجانب القضاة، ولكن مركزهم أقل مِنْهم، وأهم ما يميز منصبهم أنَّهم كانوا يظلون مدى الحياة، دون التقييد بسنٍّ معينةٍ، وكانت مَهَمَّتهم إصدار الرأي القانوني في المسائل التي يطلب مِنْهم بحثها، فيعكفون على دراستها في ضوء المذهب الحنفي، ثم يسجلون رأيهم على ورقة معدة ومختومة، وكان الرأي الذي ينتهي إليه يسمى فتوى، وقد كان مجالهم محدودًا ومرتبطًا بالدولة، ثم اتسعت سلطاتهم حينما سمح للأفراد بالالتجاء إليهم للحصول على فتوى لتقديمها للمحكمة، كمستند يدعم موقفه في القضية، وكانت مثل هذه الفتوى تحسم القضية في الغالب لصالحه[٣].

ولم تتجه الدولة العثمانية إلى تعيين موظف عثماني في الإفتاء، مثلما كان الحال في القضاء، ولكنَّها تركته في أيدي بعض الأسر المكية التي باشرت الفتوى والإفتاء طوال العصر العثماني[٤]، وعلى الرغم من أنَّ المذهب الحنفي كان المذهب الرسمي للدولة - كما

---

(١) جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العربية**، ترجمة وتقديم: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة (١٢١٠)، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) محمد عبد اللطيف هريدي، **تاريخ شبه الجزيرة العربية مِن المصادر التركية العثمانية**، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٩.

(٣) عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١ / ٤٣٢-٤٣٣.

(٤) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٥٤٠.

ذكر آنفًا - فإنَّ العثمانيين سمحوا في الأقاليم التي فتحوها، بوجود مفتين على المذاهب الثلاثة الأخرى، حتى يقدموا الفُتيا لأتباع المذاهب التي ينتمي إليها أهل الأقاليم[(١)]، وكان يرأس الجميع مفتي الحنفية الذي يمثل الدولة[(٢)].

وقد خصصت صرة الجوالي الآتية مِن مصر، للمفتين في العصر العثماني مُرتبات تحت بند «براي وظائف حرم شريف مكي»، و«براي حرم شريف نبوي»، و «سنويات مكة مكرمة مذكورين»، و«سنويات مدينة منورة مذكورين»، حيث فرضت مرتبات كبيرة لهم وبخاصة الصرة المصرية، سواء مالية أو عينية، وكانت هذه الأموال توفر دخلاً كبيرًا لهؤلاء المفتين، خاصة وأنَّ الدولة لم تكن تفرض لهم مرتبات، فقامت مصر بهذا الدور سواء من النقد أو من الغلال، بالإضافة إلى ما كانوا يحصلون عليه من كساوى فاخرة[(٣)].

وتجدر الإشارة إلى أنَّه في بعض الأحوال كان يتم إدخال المفتي في ذلك الصراع الدائر بين الأشراف، حيث يلجأ إليه بعض الأشراف وينتزعون منه بعض الفتاوى ضد خصومهم، ثم يطلبون من القاضي أنْ يحكم بموجبها على أولئك الخصوم. ولكن نلحظ أنَّ ذلك لم يكن إلا بشكل عارض، وقد تولى الإفتاء العديد من الأسر المكية المشهورة، والتي أدت دورًا مهمًّا في مجتمع الحجاز، وأحدثت توازنًا في الهيئة الدينية في المنطقة مع القاضي العثماني الذي يرسل مِن إستانبول[(٤)].

---

(١) عزت إبراهيم الدسوقي، **الحياة الدينية الإسلامية في مصر في العصر العثماني (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م)**، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٣٩.

(٢) هاميلتون وهارولد، **المجتمع الإسلامي والغرب**، ٢/ ١٨١؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٤٢٢.

(٣) محمد فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين**، ص ٣٤٤.

(٤) أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٤٢٠-٤٢١.

٦. شيخا الحرمين:

كان منصب شيخ الحرم المكي، أو شيخ الحرم النبوي مِن المناصب المهمة في الجهاز الإداري والعسكري في الحجاز؛ حيث كانا يمثلان السلطان في خدمة الحرمين، وكان في الأصل مِن سلك الجندية، وتحت إمرة كُل مِنْهما خمسمائة جندي[١]، أو كان يعين من أحد أفراد أرباب القلم، حيث يقوم عندئذ بوظيفة قاضي مكة، أو قاضي المدينة في الوقت نفسه، وكان يخصص لكل واحدٍ منهما الرواتب النقدية، وتعيينات عينية[٢].

ازدادت أهمية منصب شيخ الحرم النبوي في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وأصبح بمثابة حاكم للمدينة المنورة [٣].

وقد وقع على عاتق كُلّ مِنْهما مَهَمَّة مُتابعة كُلّ صغيرة وكبيرة في الحرم المكي أو الحرم النبوي، ورفع احتياجاتهما أولاً بأول إلى الدولة، وكذلك توجيه الوظائف للمستحقين، وتحديد رواتبهم، وتخصيص التعيينات النقدية والعينية، وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، وإعداد الدفاتر المُفَصَّلة لعرضها على الدولة، وكذلك متابعة ما يجري من إصلاحات أو ترميمات تحت نظارة قاضي مكة وقاضي المدينة، وكان يساعدهما في أداء هذه المهام، ومتابعتهما ناظرُ الحرم المكي، وناظرُ الحرم النبوي، والعديد مِن الكُتَّاب، والمباشرين، والفراشين[٤].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ منصب شيخ الحرم مثَّل بعض المُتناقضات في الجهاز الإداري في الحجاز، فعلى الرغم مِن سلطاته الواسعة، وكونه مِن أرباب الجند؛ فإنَّه كان لا يستطيع أنْ يتدخل في تعيين قائد حامية القلعة في

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣١.

(٢) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٦٨ حاشية ٣.

(٣) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣١.

(٤) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٦٩.

المدينة المنورة[١]، بل وقامت بينهما كثير مِن الخلافات التي تطورت إلى معارك طاحنة استعان كُلّ مِنْهما ببعض القوى الواقعة خارج المدينة، الأمر الذي ترتب عليه كثير مِن الاضطرابات والفوضى في المدينة، كما سيتضح خلال دراسة المخطوط وتحقيقه.

❑ ❑ ❑

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٣١.

ثالثًا- مظاهر اهتمام العثمانيين بإقليم الحجاز:

أولى العثمانيون اهتمامًا بالغًا بإقليم الحجاز؛ لأنَّه يحوي الحرمين الشريفين، وذلك مِن خلال فرض حزام أمني يمنع أي عدوان أوروبي عليه، وذلك مُنذ بدء سيطرتهم على المشرق العربي[١]، كما عملوا على توفير سبل الراحة والرخاء لأهله، فقاموا بإرسال الأموال والغلال، وأوقفوا الوقفيات للإنفاق على الحرمين الشريفين والقبائل القاطنة هناك، ومِن ناحية فقد اهتمُّوا بتأمين حجاج بيت اللَّه الحرام، الذين يأتون مِن كل فجٍ عميق، لأداء إحدى فرائض الإسلام؛ ولذلك عملت الدولة على تأمين طرقَ الحجاج، مِن خلال إشرافها المباشر على قوافل الحج في طرقها ذهابًا وإيابًا، وذلك انطلاقًا مِن كون السلطان العثماني «خادم الحرمين الشريفين»؛ وذلك يمنحه مكانة دينية وسياسية كُبرى في العالم الإسلامي.

١. تأمين قوافل الحج:

كان في العصر العثماني أربع قوافل[٢]، ولكنَّها لم تكن بنفس الأهمية، ولم يَحْظَ بعضها بالاستمرارية، بل كان يتأثر بقاؤها بالقوّة السياسيَّة والعسكريَّة للدولة العثمانيَّة في المنطقة، وسنعرض لهذه القوافل للوقوف على أهميتها بالترتيب على النحو التالي:

قافلة الحج المصري[٣]: وتضم حجيج مصرَ، وبلاد المغرب، وغرب

---

(١) عمر سالم بابكور، **حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين**، ص ١٦٥ وما بعدها.

(٢) الصفصافي أحمد القطوري: **قوافل الحج فِي العصر العثماني**، مجلة حراء، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، إستانبول، ص ٣٤-٣٩.

(٣) سميرة فهمي علي عمر، **إمارة الحج في مصر العثمانيَّة (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-=**

أفريقيا،وَكانت مِن أهم القَوَافِل خلال العصر العثمَاني،حيث كانت تضم المحمل المصري، وكسوة الكعبة المشرفة[١]، وكان أمير الحج المصري - الذي صار مِن كبار موظفي الدولة - يخرج بالقافلة في احتفال مهيب، وكانت تتخذ الطريق البري عبر سيناء، ثم الحجاز، وصولاً إلى مكة، وفي بعض الأحيان تتخذ الطريق البحري؛ حيث كانت تتجه إلى السويس، ثم تبحر مِنْها إلى جدة، وكان يصاحبها قوة عسكرية لحمايتها مِن هجمات العربان وقطاع الطرق.

قافلة الحج الشامي[٢]: مِن أهم القوافل في العصر العثماني، حيث إنَّها تضم الحجاج مِن الشام، والجزيرة، وكردستان، والقوقاز، وآذربيجان، وإيران، والأناضول، والقرم، وأوروبا، وكانت مدينة دمشق مركزًا لتجمع أولئك الحجاج، حيث يقود القافلة والي دمشق، وقد صارت إمارة الحج في ذلك العهد ضمن اختصاصاته، وظلّ الأمر كذلك حتى عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، حينما انفصلت عن الوالي وصار لها أمير خاص. وكان والي دمشق

= ١٧٩٨م)، سلسلة تاريخ المصريين (٢٠١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٦٣ وما بعدها

(١) **كسوة الكعبة**: كانت كسوة الكعبة فِي العصر الإِسلامي تصنع في مصر، ما عدا بعض فترات الاضطرابات، وعقب الفتح العثماني ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، استمرت كسوة الكعبة تخرج من مصر في صحبة المحمل، وكانت هناك الكسوة الخارجية، والداخلية، والأولى كانت تجدد كل عام، أما الأخرى فقد اختلف وضعها حيث كانت غير معرضة لعوامل البلاء، ولذلك كنت تغير كل فترة طويلة، وبعد ذلك صارت الدولة العثمانية ترسلها من إستانبول. أميرة بنت علي مداح، **اهتمام العثمانِيين بكسوة الكعبة وتطورها فِي العصر الحديث (٩٢٣-١٣٤٦هـ/ ١٥١٧-١٩٢٧م)**، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٧، ع ٣٥، ذو القعدة ١٤٢٦هـ/ ديسمبر ٢٠٠٥م، ص ١٤٢-١٧٧.

(٢) عبد الكريم رافق، «**قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهدالعثماني**»، مجلة دراسات تاريخية، سوريا، ع٦، أكتوبر ١٩٨١م، ص ٥-٢٨؛ إبراهيم فاعور صيتان الشرعة، «**موقف القبائل البدوية مِن قافلة الحج الشامي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين**»، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، مج ٢٩، ع ٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣١٩-٣٤٨؛ منير كيال، **محمل الحج الشامي: دراسة توثيقية**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

مسئولاً أمام الباب العالي عن أمن قافلة الحج وسلامتها مِن غارات القبائل العربية الواقعة على طول طريق الحج حتى مكة المكرمة، وكان يتراوح عدد هذه القافلة في كل عام ما بين الثلاثين والخمسين ألفًا من الحجاج.

قافلة الحجِّ العراقي(١): وتضم حجاج العراق وفارس، وتسلك الطريق التي تعبر الجزيرة العربية، حيث تتجه مِن الكوفة عبر نجد وبلدانها المختلفة، حتى تصل إلى مكة، وقد اشتهر هذا الطريق بـ: درب زُبَيْدَة، نسبة إلى السيدة زبيدة زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) وَكَانَ كثير مِنْ حجاج فارس والخليج العربي يفضلون طَرِيق البَحْر والسفن البَحْرية.

قافلة الحجِّ اليمني(٢): وتضم حجيج اليمن والهند وماليزيا وأندونيسيا، وينضم إليهم حجاج الحبشة والصومال والأفارقة الَّذِينَ يصلون إِلَى مصوع وسواكن وموانئ اليمن، ولم تكن هذه القافلة تخرج بشكل منتظم وبخاصة بعد خروج العثمانيين مِن اليمن بعد حكمهم الأوَّل (٩٤٥-١٠٤٥هـ/ ١٥٣٨-١٦٣٥م)، فصار الحجاج يأتون في جماعات مُنفردة، ولم يهتم شريف مكة بهذه القافلة مثل القوافل الأخرى.

وهذه القوافل كانت تخرج تحت رعاية، يصحبها قوّة عسكرية، كما عملت الدولة على توفير حفر آبار الماء على طول الطرق التي تسلكها القوافل، وإنشاء منازل استراحة للحجاج في المدن والقرى الرئيسة، والتي

---

(١) علي كامل حمزة السرحان، «**قافلة الحج العراقي وأهميتها في العهد العثماني**»، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ع١٢، حزيران ٢٠١٣م، ص ٨٦-٩٣؛ سليمان بن عبد الغني المالكي، «**طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد**»، مجلة الدارة، الرياض، مج٩، ع٢، ١٩٨٣م، ص ٨-٢٧.

(٢) سيد مصطفى سالم، **الفتح العثماني الأوَّل لليمن (١٥٣٨-١٦٣٥م)**، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، ط٥، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٤٧٨-٤٧٩؛ محمود علي عامر، **قافلة الحج اليمني في العهد العثماني**، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، اليمن، ع ١٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٥٥-٣٧٩

كان يرابط فيها حامية عثمانية، ولذلك فقد ارتبطت هيبة السلطان وقتئذ بمدى قدرته على إخراج قوافل الحج وتأمينها، حتى لا تمس جراء ذلك مكانته الدينية والسياسية في نظر المسلمين(١).

٢. تأمين الحرمين الشريفين:

منذ أنْ سيطر العثمانيون على الحجاز أصبح شغلهم الشاغل هو كيفية المحافظة على هذه المنطقة وتأمينها ضد أي عدوان أجنبي، فقد ضمُّوا الحجاز في فترة كانت مُحدقة بالأخطار مِن جراء غزو البرتغاليين، الذين تمكنوا مِن مُهاجمة ميناء جدة(٢)- الذي يُعَدُّ بوابة مكة المكرمة - فأصبحوا قاب قوسين أو أدنى مِن الحرمين الشريفين، وصار على العثمانيين استكمال ما بدأه المماليك(٣)، فقاموا مِن فورهم باتخاذ إجراءات بالغة الأهمية لتأمين هذه المنطقة وحمايتها.

كانت أُولى بوادر اهتمام العثمانيين في ذلك، إرسال حملة للسيطرة على سواحل اليمن بقيادة سليمان باشا الخادم عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، ونجحت في ضم العديد مِن المواقع الاستراتيجية المُهمَّة مثل: عدن، المخا، جزيرة قمران، وصارت تابعة بصورة رسمية للعثمانيين(٤)، ثم توجهت جهود العثمانيين بعد ذلك إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر، حيث نجحوا في السيطرة على مينائي سواكن عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م، ومصوع ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م، وعندئذ صاروا على

---

(١) حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٢١٣.

(٢) فائق بكر الصواف، «**أهمية ثغر جدة في النصف الأول مِن القرن العاشرالهجري/ السادس عشر الميلادي**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٢، مج ٦، ربيع الأوَّل ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م، ص ٢١٠.

(٣) طارق نافع الحمداني، «**القوى البحرية العربية ودورها في مواجهة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**»، مجلة الدارة، الرياض، ع ٤، مج ١٠، رجب ١٤٠٥هـ/ مارس ١٩٨٥م، ص ١٤٢-١٥٣.

(٤) فاروق عثمان أباظة، **أثر تحول التجارة**، ص ١٢٣-١٢٨؛ سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ٩٨-٩٩.

مقربة مِن مملكة الحبشة، فوقع بينهما تحالف لمواجهة الخطر البرتغالي في المنطقة، وتعاهدا معًا على إغلاق الموانئ الحبشية أمام السفن البرتغالية(١)، وقد نجحت جهودهما في درء الأخطار في هذه المنطقة، والتي نجمت نتيجة النشاط الاقتصادي والعسكري البرتغالي، وكللت مساعي العثمانيين بالنجاح نهاية الأمر، حيث أحكموا السيطرة على معظم سواحل البحر الأحمر، الذي أصبح بمثابة بحيرة عثمانية(٢).

وإحكامًا في إضفاء الأمن في البحر الأحمر، قامت الدولة العثمانية بإغلاقه في وجه الملاحة الأوروبية، فحرَّمت عليها الإبحار شمالي ميناء المخا اليمني، فكانت هذه السفن تفرغ شحناتها في هذا الميناء، ثم يعاد شحنها مرة أخرى على سفن إسلامية، فتمخر عباب البحر، وتمر على الثغور المهمة فيه مثل جدة، وينبع، والسويس(٣)، وظل ذلك الأمر حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، بدأ العثمانيون يسمحون للسفن بالتوجه إلى جدة، حتى تستفيد الدولة من الرسوم التي تفرض على السفن، وفي تلك الآناء، عقد محمد بن أبي الذهب معاهدة مع شركة الهند البريطانية، التي عرفت بالمعاهدة المصرية البريطانية ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م(٤)، ومِن خلالها يسمح لهم بالتوجه مباشرة إلى

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، «**النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العُثماني (١٥١٧-١٧٩٨م)**»، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، الرياض، ربيع أول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م، ص ٩٤-٩٥.

(٢) عرفة محمد حماد، «**سياسة الدولة العثمانية تجاه الساحل الغربي للبحر الأحمر**»، مجلة دراسات حوض النيل، عمادة البحوث والتنمية والتطوير، جامعة النيلين، السودان، مج٩، ع١٧، يوليو ٢٠١٥م، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٣) فاروق عثمان أباظة، **أثر تحول التجارة**، ص ١٣٣.

(٤) شهد النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي تطلع الدول الأوروبية إلى دخول البحر الأحمر، الذي كان مُحَرَّمًا عليها دخوله - كما ذكر آنفًا- وقد كانت هناك عدة عوامل ساعدت علَى ذلك، ومِنْها: أولاً- ضعف الدولة العثمانية، والَّذِي =

ميناء السويس[١]، وقد احتج شريف مكة على هذه المعاهدة، ورفع شكواه إلى السلطان العثماني، الذي قام بدوره بالتدخل لإلغائها؛ للمحافظة على دخل الدولة مِن الضرائب، وإضعاف المماليك، وحماية الأراضي المقدسة الإسلامية.

٣. المخصصات المالية للحرمين الشريفين:

لم يكن اهتمام العثمانيين بإرسال بعض المخصصات المالية للحرمين الشريفين وليد مرحلة ضمهم للحجاز عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، بل يرجع إلى ما قبل ذلك، حيث حرص بعض سلاطين الدولة العثمانية على إرسال الصُّرَّة[٢]، التي تحوي كثيرًا مِن المخصصات إلى هذه المنطقة،

= بدى واضحًا خلال حروبها مع الروسيا. ثانيًا- ظهور أهمية البحر الأحمر في الطريق إلى الشرق خلال حرب السنوات السبع بين إنجلترا وفرنسا (١٧٥٧-١٧٦٣م) لنقل البريد والمسافرين. ثالثًا- توقيع معاهدة باريس ١٧٦٣م، التي أطلقت يد إنجلترا فِي الهند فاقتصر اهتمام الحكومة الإنجليزية على إيجاد أصلح الطرق وأقصرها، ولذَلِكَ فكروا فِي الطريق البري عبر مصر، فالرحلة من مِدراس إلى لندن عبر مصر تستغرق ثلاثة وستين يومًا أي ربع مدة الرحلة بطريق رأس الرجاء الصالح. رابعًا- تطلع شركة الهند الشرقية البريطانية إلى فتح طريق مباشر بين الهند والسويس. ولقد اتخذت أهم الخطوات فِي سبيل تحقيق ذلك فِي عهد علي بك الكبير الذي أقنعه مستشاره المالي Carli Rossetti كارلو روستي بأن زيادة موارد مصر يكمن فِي فتح طريق التجارة بين الهند والسويس مباشرة. للمزيد عن المحاولات الأوروبية في الدخول إلى البحر الأحمر انظر: عمر عبد العزيز،**المشرق العربي**، ص ٢٢٤-٢٣٢؛ حسام عبد المعطي،**العلاقات المصرية الحجازية**، ص ١٧٤-١٧٩.

(١) James Capper,**Observation on the Passage to India through Egypt and across the great desert. in (1778-1779)**,London 1785, P. VII.

(٢) **الصُّرَّةُ**: الصرة لغة هي: ما يُصَرُّ على الشيء لجمعه وحفظه. واصطلاحًا هي: ما ترسله الدول الإسلامِيَّة سنويًا مِن أموال عينية إِلَى الحرمين الشريفين لإعانة الدَولة والحجيج والساكنين بمكة والمدينة. وعادةً ما ترسل الصُّرة مع المحمل المتوجه إلى الحرمين، وكانَ هناك أمين للصرة يتولى توزيعها، بعد لقاء شريف مكة المكرمة. انظر: لمياء أحمد عبد اللَّه شافعي: «**الصرة العثمانيَّة الموجهة إلى مَكةَ المكرمة (٧٩١-٩٧٤هـ/ ١٣٨٩-١٥٦٦م)**»، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلاميَّة، ع ٥٤، محرم =

وهـؤلاء السلاطين: بايزيد الأوَّل (٧٩١-٨٠٥هـ/ ١٣٨٩-١٤٠٢م)، ومحمد الأوَّل (٨١٦-٨٢٤هـ/ ١٤١٣-١٤٢٢م)، والسلطان مُراد الثاني (٨٢٤-٨٥٤هـ/ ١٤٢١-١٤٥١م)، وبايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ/ ١٤٨١-١٥١٢م)، ولا ريب أنَّ ذلك قد أدَّى إلى وجود ترابط بين العثمانيين وأهل الحجاز قبل امتداد نفوذهم السياسي للمنطقة(١).

وبعد ضمّ الحجاز للعثمانيين صارت الدولة العثمانية ترسل الصُّرَّة إلى الحجاز بصورة سنويَّة، حيث كانت تخرج مِن الخزينة المصريَّة حتى عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م، حيث ألغى السلطان إرسالها مِن مصر، وقرَّر أنْ تخرج مِن إستانبول(٢)، ويتسلَّمها أمين الصُّرَّة هناك، وكانت ترسل مِن إستانبول في شهر رجب مِن كُلّ عام في احتفال كبير، حتى تصل إلى والي الشام، الذي يقوم بتأمينها حتى وصولها إلى الحرمين الشريفين، وكانت توزع هناك بمعرفة أمين الصُّرَّة، حيث كان معه دفتر بأسماء المستحقين، ويتم الحصول إلى توقيع مَن يصرف نصيبه، وتوضع إشارة على اسم المتغيب، أو المتوفى، وكان الأمين يعود بالدفتر إلى إستانبول مع رسالة الشريف للسلطان(٣).

أبقى العثمانيون على جميع الأوقاف، والعادات، والصدقات التي كانت جارية على الحرمين الشريفين وأهلهما، منذ أنْ ضمت المنطقة إلى دولتهم، بل وأضافوا إليها أوقافًا جديدة(٤)، وتسابق رجال ونساء البلاط العثماني في إرسال الهبات إلى الحرمين الشريفين، والمساهمة في الأعمال الخيرية هناك(٥).

ويتضح مما سبق أنَّ الدولة العثمانيَّة سعت إلى ضمّ الحجاز في مطلع

= ١٤٣٣هـ، ص ٤١٣-٤٥٦.

(١) ابتسام كشميري، مكة بداية الحكم العثماني، ص ٤٠.

(٢) محمد فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين**، ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) محمد عبد اللطيف هريدي، شئون الحرمين الشريفين، ص ٣٥-٣٦.

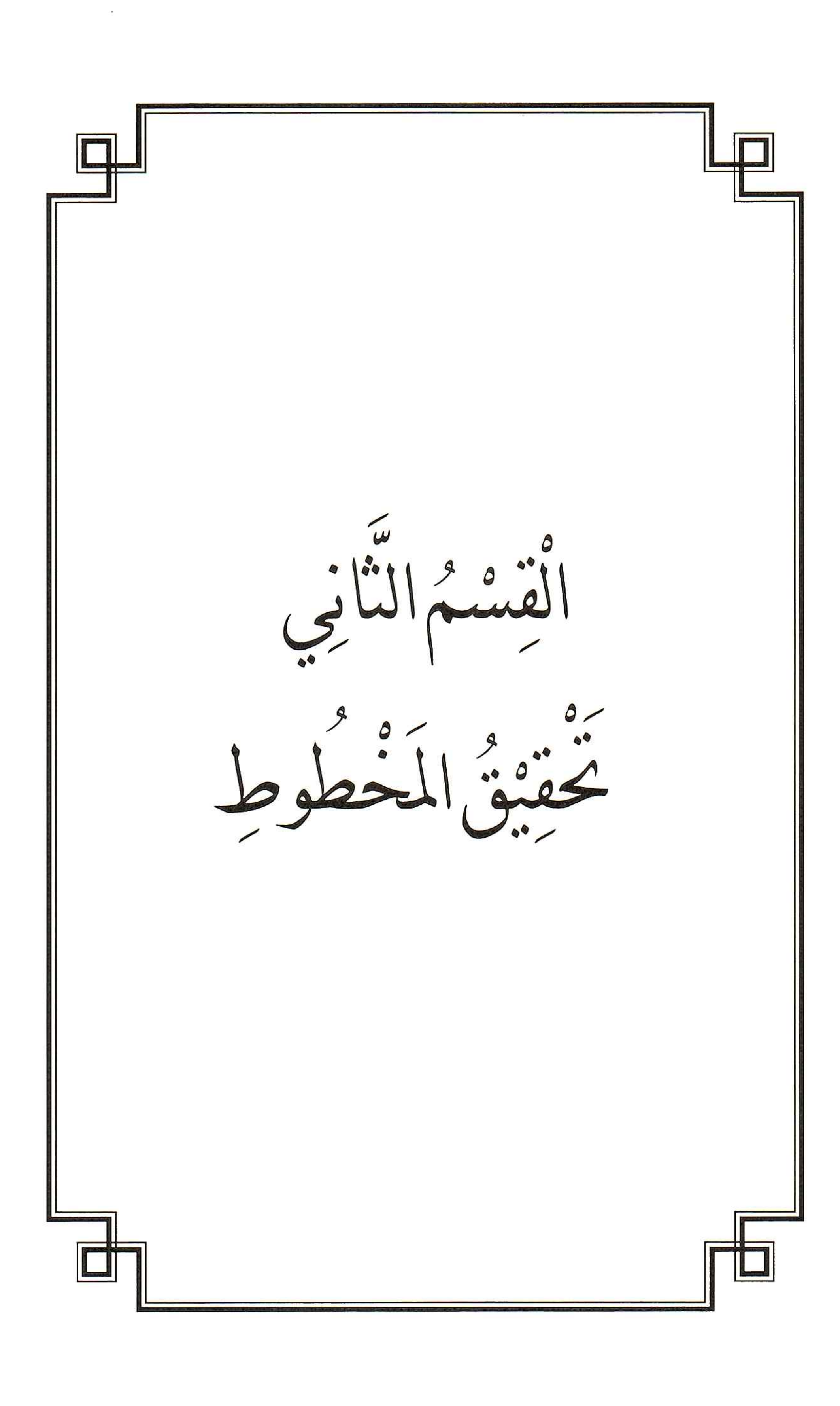
(٤) محمد فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين**، ص ٥٥-١٢٩.

(٥) سيد محمد محمود، **الحكم العثماني في الحجاز**، ص ١٣٠-١٣١.

العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي لأسباب عدة لعلّ أهمها الإشراف على الحرمين الشريفين، وقد اهتمت الدولة بإحداث نظام إداري يتناسب مع هذه المنطقة من حيث الإبقاء على منصب شريف مكة المتواجد فيها مُنذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولكن لإحداث نوع مِن التوازن في السلطة أقامت ولاية جدة، التي كان يتولّى حكمها أحد قيادات الدولة، وكان يساعدهما كثير مِن الموظفين مثل: قاضيي مكة المكرمة والمدينة المنورة، والمفتين، وشيخي الحرم المكي والنبوي، وغيرهم.

وقد أولت الدولة العثمانية للحجاز عناية خاصة، تجلّت في إعفاء أهله من أيّة ضرائب، أو إخضاعهم لنظام الإقطاع العسكري، وعملت على توفير الحماية اللازمة للمنطقة، وكذلك الرفاهية مِن خلال المخصصات المالية والعينية، فضلاً عن إشرافها المباشر على محامل الحج، وتوفير الطرق الآمنة لها؛ وبذلك نالت الدولة العثمانية مكانة كبرى في العالم الإسلامي، نتيجة خدمتها للحرمين الشريفين.

□ □ □



الْقِسْمُ الثَّانِي

تَحْقِيقُ الْمَخْطُوطِ



[مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّف]

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، وبه الإعانة ونسأله التوفيق، وصلى اللَّه تعالى على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

يا مُوجِد هذا الوجود مِن العدم، ومُكَوِّن الكائنات، ومُختَرِع العالم، نظَّمت حِكْمَتُك هذا النظام بغير مثال تَقَدَّم، وأعجزت الواصفين عن إدراكها بالكيفِ والكمِّ، ورَقا قَلَم قُدرتك على صفحات الدهور ورَقَّم، وحكمت بالفناء على هذه المصنوعات مِن سَالف القِدَم، وبالبقاءِ لوَجْهك الأكرم، فطوبى لِمَن كانت سيرته حسنة، وسلك في دنياه الطريق الأقوم، وويحٌ[١] لِمَن ضلَّ سَعْيُهُ في الحياةِ الدنيا، وكان مِن الذين يَحْسَبون أنهم يُحْسِنون صنعًا، وزَلَّت بهم القدم، وأتاه يوم القيامة نادمًا، وهَيْهَات أنْ ينفعه الندم.

إِنَّمَا الْمَرْءِ حَدِيْثٌ بَعْدَه
فَكُن حَدِيْثًا حَسَنًا لِمَنْ رَوَى[٢]

سبحانه مِن ملكٍ حكيمٍ قادرٍ، ملكَ رقابَ العالمِ، وأرسل رسله[٣] بالهُدى ودين الحقِّ، وبيَّن له [شعاير][٤] الشرايع[٥]، وما حَلَّل وحَرَّم، فهو

---

(١) وَيْحٌ: كلمة ترحُّم وتوجُّع. وقيل: هي بمعنى ويل. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٠٦١.

(٢) البيت لأبي بكر محمد بن دريد. انظر: أحمد ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٩٤؛ الحسن بن عبد اللَّه العسكري، **جمهرة الأمثال**، ج ١ دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٣٥٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رسوله، حيث تأتي مفردة لتستقيم مع ما بعدها.

(٤) زائدة مِن النسخة (ب) ورقة ١. وصوابها: شعائر.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الشرائع.

نبيه الكريم، وحبيبه المُعظم، وريِّسهم الأعظم، وإكْسير كيمياء السعادة الذي سلَّم عليه الحجر المُكَرَّم، وأنزل عليه الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾(١)، وفيه أعْظَم الحِكَم، أعجز به مَصَاقِع(٢) قُرَيْش بغير مازقة وأفحم، وأمَدَّنا باتباع شريعته التي هي نُورٌ على نُورٍ ونَارٌ على عَلَمٍ(٣)، صلى اللَّه تعالى عليه صلاة دايمة(٤) ما تعاقبت الأنوار والظلم، وعلى آله المُطَهَّرين مِن الأرجاس، أهل المكارم والشِّيَم، وأصحابه نجوم الاقتداء لِمَن بهم يأتمُّ، ومَن شَكّ في ذلك يأثم.

وبعد، فيقول راجي فيض غُفرانه، المُفتقر لمحض جُوده وإحسانه، أحقر الخليقة في الحقيقة، المُفتخر/ ق٢/ بأعظم افتخار إذا انتما(٥) لخدمة تراب أعتاب العُلما(٦) عبد اللَّه بن محمد عبد الشكور المشهور، غفر له ورزقه اللَّه تعالى حسنَ الطَّوِيَّة والأجور: لمَّا رأيت أحوال الزمان كُلّ حين تتغيَّر، والدَّهر أبو الغير، وهو عبرة لِمَن اعتبر، وفيه تبصرة لِمَن استبصر، عجايبه(٧) أكثر مِن وقع المطر، لا تُعَدُّ ولا تُحصر، وما زالت الأيام ترينا عجايبها(٨)، وتجيِّش جيوشها وكتائبها، والوقت [ينسي](٩) المرء ما يحفظه، وإنْ حفظ شياء(١٠) فالزمان يلفظه.

وَكَـم مِـنْ عَـجَـائِـبٍ شَـاهَـدتـهـا
تَـفُـوق عَـلَـى الـسُّـحـب الْـهُـمَّـعِ

(١) القرآن الكريم، **سورة فصلت**، آية رقم ٤٢.
(٢) **مَصَاقِع**: جمع مِصْقَع، وتعني البليغُ يتفنَّن في مذاهب القول. **المعجم الوسيط**، ص ٥١٨.
(٣) **عَلَم**: جبل. **المعجم الوسيط**، ص ٦٢٤.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: دائمة.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: انتمى.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: عجائبه.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: عجائبها.
(٩) وردت في الأصل (ينبئ)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

فـأتْـرك فِـي الْـحَـال تـقـيـيـدَهَـا
كَـأنْ لَـمْ تَـمُـر عَـلَـى مَـسْـمَـعِـي

والأذْهَـان كُـسِـيَـتْ ثَـوْب الـنِّـسْـيَـان
والـذِّهـن كـمـا فِـي الْـمَـثَـل خَـوَّانِ

وكان علم التاريخ مِن أجلِّ العلوم قدرًا، وأسْمَاها مكانةً، وأشهر ذكرًا، وأعْذَبِهَا مُذاكرةً ومُفاخرةً، وأقربها للأذْهان في المُحاضرة، وألطفها معنى، وأشرفها مغنى، حتى قال الإمام الشافعي - رضي اللَّه تعالى عنه: «عِلْمَ التَّارِيخِ يَزِيدُ فِي العَقْلِ»؛ أحببتُ أنْ أجعل تاريخًا يشتمل على ما وقع في عصر ثاني الفتن[١]، وما شاهدناه مِن البلايا والمِحن، وتغيُّر أحوال الزمن، وانقلاب ظَهْر المِجَنّ شامًا ويمن[٢]، مِمَّا خلا مِنْه بطون التواريخ وكتب السِّير، وتناقلته الركبان بدوًا وحضر[٣]، وصَدَّرْتُهُ بترجمة [أسياد الناس][٤] الأفاضل الأكياس، مَعْدِن الشرافة، وأهل الاستحقاق للخلافة، ملوك مكة الأكارم، وحماتها القادة الهواشم، تيجان الملوك، ووسايط[٥] جواهر السلوك، المُنتمين للنبي المختار، وكفاهم بهذا القدر افتخار[٦].

قَـوْمٌ تَـخَـالُ وُجُـوهَـهُـمْ إِنْ أَشْـرَقَـتْ
يَـوْمَ الـفَـخَـارِ أَهِـلَّـةَ الأعْـيَـادِ

رَضَعُوا لِبَانَ الْمَجْدِ فِي حِجْرِ العُلا
فَـعَـلَـوْا عَـلَـى الأكْـفَـاءِ والأنْـدَادِ

وشرعت فيهم بترجمة الشريف مسعودٍ، وتفايلت[٧] بطالع اسمه

---

(١) وردت في النسخة (ب) (في عصرنا في الفتن)، ورقة ١.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يمنًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: حضرًا.
(٤) وردت في الأصل (سيّد الناس)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: وسائط.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: افتخارًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: تفاءلت.

المسعودِ، لِنَيْلِ المقصود، فأذكر كُلّ شريف / ق٣/ ، وما صدر في أيام دولته مِن الحوادث، بمقتضى الوقايع[(١)] والأمُور البواعث، وأسطر ما شاهدته مِن الوقايع[(٢)]، وأرسل لاقتناص ما لم أشاهده سبق خيول طلايع[(٣)]، والتزمت فيه التسجيع، وأسقيتُ بِمَا[(٤)] القريحة روضه المريع، حتى جاء نزهة الأبصار ونادرة الزمان، وتحفة المجالس، وليس الخبر كالعِيان، وأودعت فيه مِن نفايس[(٥)] الشواهد وغرايب[(٦)] الأشعار، ما يونَس[(٧)] بذكره الفَرَزْدَق[(٨)]، وبَشَّار[(٩)]، وفي مُفاكهة المُحاضرة حلوةَ [المجاني][(١٠)]، ما يسرّ بها الحَسَن بن

(١) كذا في الأصل، والصواب: الوقائع.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الوقائع.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: طلائع.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بِمَاء.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: نفائس.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: غرائب.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: يؤنس.
(٨) **الفَرَزْدَق**: أبو فراس هَمَّام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي، مِن شعراء الطبقة الأولى في العصر الأموي، لُقِّب بالفرزدق لغلَظه وقِصَرِه. ولد في بني تميم، وقد نال شهرة واسعة، وتَمَيّز شعره بقوة الأسلوب، وكان لا ينشد الشعر بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعدًا، وله أخبار كثيرة مع شعراء عصره مثل جرير والأخطل، توفي عام ١١٤هـ/ ٧٣٢م في مدينة البصرة بالعراق. عبد اللّه بن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، ج١، تحقيق وشرح: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص ٤٧١-٤٨٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٨/ ٩٣.
(٩) **بَشّار**: أبو مُعَاذ بَشَّار بن بُرد بن يَرْجوخ، أشهر شعراء العربية المولدين، أصله مِن طخارستان (غربي نهر جيحون)، وهو مِن البلغاء الفصحاء المخضرمين؛ حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. ولد حوالي عام ٩٥هـ/ ٧١٤م، عند بني عقيل في بادية البصرة، فنشأ وتعلم بها، وكان كفيفًا. اتهم بالزندقة في أواخر حياته؛ فضرب بالسياط، فمات بعدها بقليل عام ١٦٧هـ/ ٧٨٤م، ودُفِنَ في البصرة. هاشم منَّاع، **بشار بن برد: حياته وشعره**، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٧-٢٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ٢٥.
(١٠) وردت في الأصل (المحاني)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٣.

هَانِي[١]، والقاضي الأَرَّجَانِي[٢]، وألتمس مِمَّن نظر إليه مِن أرباب الأفكار اللوذعية، والأفهام الزكية، إصلاح ما أفسده القلم بعد التأمّل والانتقاد، وإسبال ذيل الستر كما هو شأن الكرام الأمجاد، فقد يكبو الجواد، ويفل الحسام المُستجاد[٣].

وَمَــن ذَا الَّــذِي تُــرْضَــى سَـجَـايَـاهُ كُلُّهَـا
كَـفَـى الـمَـرْءُ فَخْـرًا أَنْ تُـعَـدَّ مَـعَـايِـبُـه[٤]

والترتيب فيه أنْ أذكر كُلّ واقعة في محلّها وموضعها، إلاَّ قصة الشيخ النجدي[٥] جميعها[٦] في موضع واحد بخلاف موقعها لكن في زمن طويل،

---

(١) **الحَسَن بن هَانِي**: أبو نواس الحسن بن هانيء الحكمي، مِن أشهر شعراء العصر العباسي، ولد في الأحْواز عام ١٤٥هـ/ ٧٥٦م، ثم انتقلت أسرته إلى البصرة ونشأ بها، ثم رحل إلى بغداد واتصل بالخلفاء العباسيين، ومدح بعضهم، ثم رحل إلى دمشق، ثم القاهرة، ثم عاد إلى بغداد فأقام بها. قال فيه الجاحظ: «ما رأيت رجلاً أعلم باللغة، ولا أفصح لهجة مِن أبي نواس». وهو أوّل مَن نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه مِن اللَّهجة البدوية، ونظم في جميع أنواعه. توفي في بغداد عام ١٩٨هـ/ ٨١٤م. عبدالله بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ٢/ ٧٩٦-٨٠٨؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ص٢/ ٢٢٥.

(٢) **القاضي الأَرَّجَاني**: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين ناصحُ الدين الأَرَّجَاني الشافعي، ولد عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٥م، في بلدة أَرَّجان مِن الأحْواز، وإليها نسبته. وقد عمل قاضيًا في تُسْتَر، بإقليم خُوزستان، وكان أشهر شعراء زمانه، وله ديوان شعر معظمه قصائد مدح في السلاجِقة. توفي في مدينة تُسْتَر ربيع الأوَّل عام ٥٤٤هـ/ يوليو ١١٤٩م. شمس الدين محمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٠، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعِيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢١٠-٢١١.

(٣) المستجاد، أيّ الجديد، وفلول السيف كسور في حده.

(٤) البيت ليزيد بن محمد المهلبي. انظر: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي، **الحماسة المغربية: مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب**، ج٢، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٢٤٧؛ أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٩٤.

(٥) كُتِبَ على هامش الأصل، ورقة ٤، «قوله: النجدي هو علم على إبليس اللعين، وهنا قصد بها قصة الوهابية لأنَّها مِن نجد وشيخهم ابن عبد الوهاب».

(٦) وردت في النسخة (ب) جمعتها، ورقة ١.

وليتأمَّل فيها الناظر المجيل، فذكرتها في موضع مجموعة، لأمور ونكت مودوعة، مِنْها إظهار زيف عقايده[١] المصنوعة، وأباطيل أحاديثه الموضوعة، والتزمت أنْ أُترجم بعض الفضلا[٢] وأعيان الزمان، الحايزين[٣] مِن المجد أشرف مكان، وأُعَرِّف لكُلٍّ ما يستحقّه مِن جميل الأوصاف، وأسلك فيه بينهم طريق الإنصاف، أُبيِّن فضل أهل الشيم، وأبني لهم بيتًا من المدح كأنَّه صرح، وأُفري أديم مَنْ يستحق الذَّم، وأقْدَح فيه بزناد[٤] الفكرة أعظم قَدْح، إذ هي فايدة[٥] مطالعة التواريخ لِمَن أراد أنْ يُدِيرَهَا ويَرْوِيهَا؛ فحينئذ يسلك أحب الطريقتين الذي يرتضيها، ليعلم ما يؤل[٦] إليه المآل، مِن قول مَن قال:

إِذَا مِـتُّ كَـانَ الـنَّـاسُ صِـنْـفَـان شَـامِـتٌ

وَآخَــرُ مُـثْـنٍ بـالَّـذِي كُـنْـتُ أَصْـنَـعُ[٧]

واعْلَمْ أنَّ مِن فنِّ التاريخ ومطالعته يكون الفطنة والاعتبار، والتَّفَكُّرُ في الحوادث التي يجري بها الفَلَكُ الدَّوَّارُ ليلاً ونهار[٨]، والعاقل الذي يقتدي بِمَن مَضِى / ق٤/ مِن أمثاله، وذو الجهل يمرح في غيِّه وضلاله، وفيما ورد في الكتاب العزيز كفاية لِمَن أراد الصواب: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٩]، وما رواه سيد المرسلين من أحاديث الأمم الماضين، عن ما

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عقائده.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفضلاء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الحائزين.

(٤) وردت في الأصل (بزيادة)، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فائدة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: يئول.

(٧) البيت لعجير السلولي. انظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ج٩، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٧٢؛ محمد حسن شُرَّاب، **شرح الشواهد الشعرية في أمَّات الكتب النحوية**، ج٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٩١.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: نهارًا.

(٩) القرآن الكريم، **سورة يوسف**، آية رقم ١١١.

في التوراة والإنجيل، وما قَصَّهُ من قَصَصِ بني إسرايل[١]، وفي قصة الخضر وموسى، ترويحًا للقلوب وتانيسًا[٢].

إِذَا عَـرَفَ الإِنْسَـانُ أَخْبَـارَ مَـنْ مَضَى
تَوَهَّمْتَهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ
وَتَحْسَبُهُ قَدْ عَاشَ آخِرَ عُمْرِهِ
إِلَى الحَشْرِ إِنْ أَبْقَى الجَمِيلَ مِنَ الذِّكْرِ
فَكُنْ عَالِمًا أَخْبَارَ مَنْ عَاشَ وَانْقَضَى
وَكُنْ ذَا نَوَالٍ وَاغْتَنِمْ أَطْوَلَ العُمْرِ[٣]

وأرجو مِمَّن وسمته بوسمه، ورسمته باسمه، قَبُوله إذا تَمَّ، كما هي عادة ذوي الشيم، لأنَّ الكريم يَقْبل ما يُهْدَى إليه، والْمُعَوّلُ في فضله عليه، عَلَّه أنْ يتشرَّف بوضعه في خزانته المُتممة، التي فيها كُتب قيِّمَة، على أني وإنْ أرَّخت غيره قبله وقدَّمته عن مكانه، فما هو إلاَّ لأسبقية زمانه، ولا يلزم مِن التقديم أفضلية عند ذوي البصاير[٤]، فكم ترك الأوَّل للآخر، وفي تأخير منازل الأعداد ما يشهد للمتأخر بالازدياد، ولا تظهر النتيجة عند الالتباس، إلا إذا تقدَّمها القياس، والنوافل تتقدَّم قبل الفرض، ولا تصل مرتبتها يوم العرض، والثمرة لا تطلع إلا بعد الإغصان، والسّنان يكون في آخر الْمُرَّان، وفي آخر المرسلين استشهاد بالفضل المبين، والحديث الذي أسفر الزمان بسوافره: «**أُمَّتِي كَالْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**»[٥].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إسرائيل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ترويحٌ للقلوب وتأنيسٌ.

(٣) الأبيات لأحمد بن محمد الأرجاني القاضي. انظر: جلال الدين السيوطي، **المحاضرات والمحاورات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٨١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: البصائر.

(٥) أخرجه الطبراني عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي نُجَيْدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. انظر: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، **المعجم الأوسط**، ج ٤، تحقيق: طارق بن عوض اللّه وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، =

على أني أستغفر اللَّه العظيم مِن الزلل، وما طغى به القلم في القول والعمل، سيَّما وقد تعاطيته في سِنِّ المشيب، والزمن الذي كُلّه أعاجيب، وتركته في زمن تقَدَّم بالأمس، وكانت تُحَدثني به النفس، وكُنَّا نقضي مِن الزمان الشئون، وطرق لأوقات اللذّات في يد الخلاعة مرهون، والوقت يُتْحِفُنَا بأنسه، ونقطف بأنامل المُفاكهة مِن جَنَى غرسه، وكنا نتعاطى كوس اللطايف[1]، ونجني ورد الربيع مِن خدود / ق٥/ اللطايف[2]، قبل أنْ تتكدَّر عليه تلك المشارب، ويبدو في سنام سعده للنحوسات غارب، ويتوالاه أفْجَر الفُجَّار، وزاملة العار، عثمان المضايفي له الويل والدمار، ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾[3]، كيف لا وقد صيره مأوى البوم، وشهب الأفلاك على شياطينه رُجُوم، بعد أنْ كان مطلع زواهر النجوم، وطاير[4] السَّعْد على أفْنَان أغصانه يَحُوم، فأفسدته يد البغاة الذين نجَّسُوا وجه الأرض وأفسدوها طولاً وعرض[5]، ولعمري كم محوا مدينة مِن مدن الإسلام، ونثروا مِن جِيدها عقد النِّظام، فعليهم لعنة اللَّه تعالى إلى قيام الساعة وساعة القيام، ما غرَّدت الأطيار حوله، وهزَّ الكلب ذيله.

وها أنا بالمقصود قُمت، في زمن الألسنة لبني الآداب صِحْت، ومَسَامع الكِرَام عن المَدِيح صُمَّت، يقولون لسائلهم: الأفضل لك لو صُمْت.

مع أني أحمد اللَّه تعالى لم أجعل حرفة الأدب وسيلة للطلب، ولم أبتغِ بها سخب[6] ولا نشب[7]، ولا جعلت هذه البضاعة للنوال صناعة، ولسانُ

= ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٧٨.

(١) كذا في الأصل، والصواب: كئوس اللطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: اللطائف.

(٣) القرآن الكريم، **سورة غافر**، آية رقم ٤٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: طائر.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: عرضًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: سخبًا. وهي جمع سِخَاب، والسِّخاب كل قِلادة كانت ذات جوْهر، أو لم تكن. **المعجم الوسيط**، ص ٤٢١.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: نشبًا. وتعني المال والعقار. **المعجم الوسيط**، ص ٩٢١.

العفاف يقول لي: حين عَفَّ كَذَّبُونِي بواحدٍ يرهبُ الألفِ، ومع هذا فلا يخلو الآنام مِن الكرام، ومَنْ رام أمرًا بلغ المرام، ونرجو مِمَّنْ[1] مَنَّ بالابتدا[2]، [أنْ] يتفضل بِحُسْن الختام.

□ □ □

(١) وردت في النسخة (ب) مِنْ مَن.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الابتداء.

[عهد الشريف مَسْعُود بِن سَعِيْد]

[نسبه وولايته الشرافة]

هذه ترجمة[1] مولانا الشريف مسعود، منِ اسمه كَطَالِعِه مسعود، ملكٌ فتاكٌ نافذ الكلمة، ذو مهابة وعظمة، ينظر لِرَعِيَّته بعين رِعَايَته، ولا يزالون مِن حميته وهم في حمايته، سار بسيرته الركبان، وتحلّى بذكره جِيْد الزمان.

فَثَغْرُ مَكَّةَ بالإقْبَالِ يَبْتَسِمُ
وَالرُّكْنُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

بنى للحماسة والسماحة أساسًا، وأيّ أساس، وله حدثٌ في الأمُور أيس عن إدراكه إِيَاس[2]، حَاتِم[3] ....

---

(١) كتب على هامش الأصل، ورقة ٦ ما نصَّه: «إذا قال المؤلف في التاريخ: صاحب الترجمة هكذا مبهمة، فإنَّه يقصد به الشريف الذي يترجمه فتنبَّه لمَا يأتي واستغني بذا ولا تستفتي».

(٢) إِيَاس: أبو واثلة إِيَاس بن مُعَاوِيَةَ بن قُرَّة المُزَنِيُّ، قاضي البصرة، وأحد التابعين، كان يضرب به المثل في ذكائه وفطنته، فيقال: أذكى مِن إِيَاس. ولد في منطقة اليَمَامَة عام ٤٦هـ/ ٦٦٦م، ثم انتقلت أسرته إلى البصرة، فنشأ بها وتَعَلَّم، وكان يتردد على دمشق لتحصيل العلوم، فأخذ عن بعض الصحابة، وجِلَّة التابعين، وقد ولي قضاء البصرة في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٦٨١-٧٢٠م). توفي في مدينة واسط عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م، ودُفِنَ بها. محمد بن خلف بن حيَّان، **أخبار القضاة**، مراجعة: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٩٩-٢٣٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ٣٣.

(٣) حَاتِم: أبو عَدِيّ حَاتِم بن عَبْد اللَّه بن سَعْد الطَّائِيُّ، شاعر جاهليّ، يضرب به المثل في الجود والكرم، ولد في جبل طيئ في حائل - شمالي المملكة السعودية حاليًا - وبها نشأ، وقد نال شهرة واسعة بكرمه، وقد خلف ابنته سفانة وابنه عَدِيًا، وقد أدركا الإسلام فأسلما، وقد روي عن ابنه عَدِي أنَّهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِل الرَّحِم، وَكَانَ يَفْعَل وَيَفْعَل، قَالَ: إِنَّ أَبَاك أَرَادَ أَمْرًا فَأَدْرَكَه». يعني: الشهرة والذكر. توفي في =

زمانه عند المُرتجى، عنتري[1] البأس لدى الهيجا[2]، فلا يقاتل في موضع يحتاج النوال، ولا يرفق في محلّ القتال.

إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلرِّفْقِ مَوْضِعُ
وَرِفْقُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

سيرته في الرعيَّة سيرة عُمَرِيَّة، تخمد النار مِن فكرته وذكائه، ولم يرضَ غير بنات المجد مِن أكفائه، قَلَّمَ أظفار الحوادث بأيدي عزمه، وكادت لا تهب الرِّياح بغير إِذْنِه في حكمه، ومع /ق٦/ هذا العزم والفتك والمقدرة، لا يفعل شياء [3] بغير المشورة، اتخذ قرنا[4] الخير مِن الأمجاد، يدلُّونه على سبيل الخير والرشاد، قَدَّم الأمر قبل الشجاعة، ومَدَّ لبيتي المتنبي[5] باعه:

الـرَّأيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
هُوَ أوَّلٌ وهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

= عَوَارِض - أحد الجبال في بلاد طيئ - عام ٤٦ق.هـ/ ٥٧٨م. عبد اللَّه بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ١/ ٢٤١-٢٤٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ١٥١.

(١) **عَنْتَرِي**: نسبة إلى عَنْتَرَة بن عَمْرو بن شَدَّاد العَبْسِيِّ، مِن أشهر شعراء وفرسان العصر الجاهلي. وهو مِن أهل نَجْد، أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد مِنْها، وكان مِن أحسن العرب شيمة، ومِن أعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، مات قبل الإسلام، قيل حوالي عام ٢٢ق.هـ/ ٦٠٠م. عبد اللَّه بن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، ١/ ٢٥٠-٢٥٤؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٥/ ٩١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الهيجاء. ويقصد بها الحرب وساحة القتال. **المعجم الوسيط**، ص ١٠٠٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قرناء.

(٥) **المتنبي**: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي الكوفي، أشهر شعراء العربية على الإطلاق، عُرف بالمتنبي، قيل لأنَّه ادعى النبوة ثم تاب. ولد في الكوفة عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، ونشأ في الشام، وتلقى العلم فيها، وقد ظهرت براعته في الشعر منذ صغره، فذاع صيته وراح يمدح الحكام والأمراء في الشام ومصر والعراق وفارس، ومات مقتولاً قرب بغداد عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. أبو منصور عبد الملك الثعالبي، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ج١، تحقيق: مُفيد محمد قميحَة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٣٩-٢٧٧؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ١/ ١١٥.

وإذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً
بلَغَتْ مِنْ العَلْيَاءِ خَير مَكَانِ(١)

كان لا يخدم الأوغاد والأراذل، ولا يُقَرِّب لخدمته إلا كُلّ شهم عاقل، يُعْطِي القوس لباريه ولا يُباريه.

[روايته عن وصوله لشرافة مكة]

أَخْبَر مَرَّة بعض جُلسائه مِن خواصه وأقربائه، إنَّ أخي الشريف عبد اللّه(٢) حين قَرُبَ موته، ودنا فوته، وكان ابنه محمدٌ غايبًا(٣) بأرض اليمن، ولم يكن مثلي مُقَرَّب(٤) عنده وموتمن(٥)، عزمت على أني متى غَمُضَتْ عينه، وحَانَ حَيْنُهُ(٦)، جلست موضعه، قبل أنْ أُشَيِّعه، وتَمَكَّنْتُ مِن الشرافة، وناديت لنفسي بالخلافة، فيستقر لي المُلك، ويَشْرق سعدي في دُجا الحلك، ولم أجد لي منازع(٧)، ويحقّ لي أنْ أُنْشِد البيت الشايع(٨):

خَلاَ لَكِ الْجَوّ فَبِيْضِي وَاصْفِرِي
وَنَقِّرِي مَا شِئْت أنْ تُنَقِّرِي(٩)

فلمْ أزل أُقَدِّم رجلاً وأُأخر أُخْرى، ولسان حال ابنه يقول: لنْ تستطيع معي صبرًا، وكان لي صاحبان، كأنَّهما الفَرْقَدَان(١٠)، لهما حدث وأفكار،

(١) إسماعيل بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٥٤.
(٢) الشريف عبدِ الَه بن سعيد، سبقت ترجمته.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُقَرَّبًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مؤتمنًا.
(٦) **حَيْنُهُ**: الحَيْن هو الموت والهلاك. **المعجم الوسيط**، ص ٢١٣.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: منازعًا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الشائع.
(٩) البيت لطرفة بن العبد، انظر: عبد اللّه بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ١/ ١٨٤.
(١٠) **الفَرْقَدَان**: نجمان قرب القطب الشمالي، أولهما المسمى بالنجم القُطْبي، وبقربه نجمٌ =

يوافق القضاء والأقدار، ويستمد مِنْهما التيار، ويُحدى لهما برأيهما الحادي إذا سار، فبادرت لبيت أحدهما وهو حسن البغدادي، لأخبره بِمَا في مُرادي، وأخبرته أنَّ طوق أخي صار في قبضة المَنِيَّة، ولي على الجلوس في مكانه عزمٌ ونيَّة، فما خاب مَن استخار، ولا ندم مَن استشار، فأجابني: لا أشير بها عليك، والأمر إليك، فطلبت مِنْه دليلاً واضحًا يسكن خاطري إذا سكنت، وكيف أترك مُلْكًا مِنْه تَمَكَّنْت، ثم إني لست بِعَيّ[1]، إذا وضحت لي ما أبهم عليَّ، فخب في المجال، وبادر ارتجال، فقال: اعلم أنَّ أخاك ذو أموال ونقود، وعساكر وجنود، وابنه مِن دهاة الرجال، الصناديد الأبطال، فمتى بلغه موت أبيه بالتأكيد، جاءك يسعى على خيل البريد[2]، فلا مال لك يُقَاوِمَه، ولا رجال تُصَادِمَه، فَيُخْرِجُك مِنْها كيف أحَبَّ، كما خرج موسى خايفًا[3] يترقَّب، فلم ياويك[4] غير الجبال، وتصير مثلاً مِن الأمثال، فلا ملكًا حَوَيْت، ولا بدارك اسْتَقَرَّيْت / ق٧/ . قلت له: فما الرأي، قال: تنادي بالمُلك لابنه محمد، وأنت وكيله وصارمه المهند، وقُمْ مَقَامَه حتى يحضر، وانهي[5] بطريق الوكالة وأمر، فإذا حضر وأجلسته محلَّ أبيه، حزت عنده مكانًا ترضيه، فَصَير نفسك مِن نصائحه، وأعظم أخصَّائه، ثم اجتهد في تبديد ما معه مِن المال، وعَادِ بينه وبين الرجال، فإذا أفلس وصغرت راحته، وتعب وقَلَّت راحته، أَفْرقه وَنِبْ، واطلب ما يجب، ولا تحتجب.

ففعلت ما به أشار، وجعلت عليه المدار، وطلبت مِنْه كتماني، وغدوت

= آخر مماثلٌ له، وأصغر مِنْه، وموقعها ثابت، ولذا يَهْتَدِي بهما الناس. **المعجم الوسيط**، ص ٦٨٦.

(١) أيّ عاجز.

(٢) دليل على القدوم على وجه السرعة، لأنَّ الخيل المخصصة لإرسال البريد تكون سريعة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خائفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يأْوِك.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: انهِ.

لصاحبي الثاني، وكان رجل[1] رأيه موافق للصَّواب، وهو حسن الكتاب، فأخبرته بِمَا نَاب، وعن وجه أسراري رفعت له النِّقَاب، فلمَّا قصصت عليه السيرة، وما أعلمته بأني أخبرت بها غيره، قال لي: دع المجال في طلب المحال، وأنشد فقال:

دَعْـهَـا سَـمَـاوِيَّـةً تَـأْتِـي عَـلَـى قـدر
لاَ تَـعْـتَـرِضـهَـا بِـشَـيء مِـنْـك تنحرمُ

فإنَّ الأشياء مرهونة بأوقاتها، وإذا جات[2] ظهرت عَرَايسها[3] مِن مُخَدَّرَاتها، فاترك الرأي المسكين قبل التمكين، واعلم أنَّ أخاك خلَّف أموالاً لا تُحصى ولا تُعَدّ، وخلَّف ابنه النجيب محمد[4]، ومتى تحقّق موت أبيه جاءك للمُلك يبتغيه، فلا يقر لك قرار، وهيهات إنْ تَمَكَّن مِن القرار، فإنَّ المال سُلمٌ للآمال، والمال المبذول مصرعة للعقول، صاحبه مخدوم، وطير السعد حوله يحوم، فالرأي السديد، والقول المُفيد، أنْ تشيد المُلك لابنه، وتتمسك بِرُدْنِه، فإذا تَمَكَّنْت مِن الخدع وشتّت ماله تمَّ لك الدَّستْ أي الجَمِيْع، وطاب الجلوس لك على الدّست[5] أي المُلْك؛ فخرجت مِن عنده غنيًّا بطوله، رخيًّا بقوله، وعجبت مِن توارد الخواطر، وكيف وقع الحافر على الحافر، ثم لمَّا توفي أخي، ناديت باسم الغايب[6]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رجلًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءت.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عرائسها.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٥) **الدّست**: كلمة فارسية، معناها: المحل المخصص للسيد الكبير في صدر المجلس، ودخلت إلى العربية في العصر الإسلامي ليعبر من خلالها عن مقرّ السلطان أو الملك، ورُبَّمَا جاءت بمعنى كرسي الحكم أو العرش. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٨١.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الغائب، ويقصد به ابن أخيه الشريف محمد بن عبد اللَّه.

وحمدت رأيهما الصايب[١].

[ولاية الشريف محمد بن عبدِ الَه الأولى]

فلمَّا وصل الشريف محمّد في غاية القعدة سنة ١١٤٣[٢]، أجلسته على سريره، وكُنت وَلِيّ أمره في تدبيره، دخرت عنده القِدْحَ المُعَلاَّ، ولساني كالسَّيف الذي لا يعتريه فَلاًّ[٣]، فشرعت أفرِّق أمواله شذر مذر، وربيت رجالاً يحمد بهم السُّرَيّ واستخصَّيت بجانبي مِن الأشراف، واتخذت مِن عُمَد تلك الأطراف / ق٨/ حتى صاروا يدي ولساني، وأطوع لي مِن بناني، ثم شرعت أُعَادِي بينه وبين أقربائه وأخصَّائه، حتى أقصاهم بأعظم استقصاء، وعاديت بينه وبين الكُمَاة الضَّيَاغِم[٤]، الذين يُجرعون مُعاديهم سَمّ الأرَاقِم[٥]، ولمَّا نويت على ما عليه نويت، أفرقته وادعيت، وأرسلت كتابًا للنب، ودقيت زير الحرب.

هذا ما أخبر به الشريف المترجَم، لا زال سامي المجد والشيم.

□ □ □

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الصائب.

(٢) غاية ذي القعدة ١١٤٣هـ/ ٥ يوليو ١٧٣١م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فَلٌّ.

(٤) **الضَّيَاغِم**: جمع ضَيْغَم، الأسد الواسع الشِّدْق. **المعجم الوسيط**، ص ٥٤١.

(٥) الأرَاقِم: جمع أرْقَم، ذكر الحيات وأخبثها. **المعجم الوسيط**، ص ٣٦٦..

فصل في ذكر ما وقع بينه وبين ابن أخيه وما أنتجه عزمه وعدم تراخيه

أوَّل واقعة وقعت بينهما:

قيل: لمَّا خرج مولانا الشريف مسعود، قَدَّم قبله جميع الأشراف والجنود، بحيث لم يبقَ عند ابن أخيه ما يقوم بالمقصود، فتَوَجَّه بِمَن لديه إلى الطايف[١]، وأخرج أتباع الشريف محمد مِن تلك المواقف، وكان خروجهم بالحيل وخدع الرجال، لا بالمُكافحة والقتال، فاستقلّ بالطايف[٢] ونواحيه، وأطاعته عُربانه وبَواديه، فنادى المُنادِي باسمه، ودخلت العُربان والرعايا تحت حُكمه، وذلك في شهر ربيع الثاني سنة ١١٤٥[٣].

واستمرّ بالطايف[٤] يفعل بِمَا هو الأولى، إلى رابع جمادى الأولى[٥]، ثم نزل بِمَن لديه مِن المراجل والسادة الأشراف أهل الحميَّة، على طريق الثنية، وأسرع مُجِدًّا وانبرى، وأرسل أثقاله على طريق كَرَى[٦]،..............

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف.

(٣) شهر ربيع الثاني ١١٤٥هـ/ ٢٠ سبتمبر - ١٨ أكتوبر ١٧٣٢م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) ٤ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٢ أكتوبر ١٧٣٢م.

(٦) **طريق كَرَى**: طريق تربط بين مكة المكرمة والطائف، وقد عرفت الطريق بهذه الاسم نسبة إلى جبل كرا أكبر الجبال بين مكة والطائف، وهو جبل ضخم كانت تمر به الطريق المذكورة، وكانت طريقًا وعرة صعبة، لا تصعدها غير الحمير، والبغال، نظرًا لشدة الصعود والانحدار، وكثرة الأحجار والانعطافات، وكانت تمرّ بالأماكن الآتية: عرفات، ووادي نَعْمَان، وشدَّاد، ووادي خريف الرأس، والكُرّ، وجبل كَرَا، والهَدَى، ووادي محرم، وحرة قَرْن، وجباجب، ومسرة، ومعشي، والطائف. وقد تمَّ تعبيد هذه الطريق=

فلمَّا استبطاهم[١] الشريف محمد بتطويل الإقامة، وعلم أنَّ الأمر يئول إلى السلامة، نهض على طريق يَعْرِج [٢]، ليتدارك الأمر المهم المزعج، وأقام بوادي قَرْن[٣]، بقصد الاستراحة، وتقلَّد مهنده وجعله وشاحه.

فلمَّا بلغ الشريف مسعود[٤]، وصول ابن أخيه بالجنود، وقد صك عليهم الليل، وأسبل بظلامه عليهم الذيل، أمر أنْ يشعلوا النيران على روس[٥] الجبال، ويسمعونهم صد الطبال، وجعل مَن يزعق ليسمعهم الصَّدى، حتى بعد عنهم مدا ونزل مِن طريق الثنية، على هاتيك النية، واستعمل هذه الحيلة، التي هي خير مِن قبيلة، والخَصْم غافل عنه، ولم يعلم مرامه، إلى ضحى اليوم الثاني، وقد تبطن تهامة، فأسرع مُجِدًّا خلفهم حين بلغه الخبر، وهيهات أنْ يدرك الصيد بعد ما نفر، فما لحقهم إلاَّ على جبل الْخَطم[٦] / ق٩/ ، وقد ترَّسه بالجند الذي يحطم الأعادي حطم[٧]، فوقع به الحرب والضرب، واشتجر الطعن والسلب، وشرعت الرماح للكفاح، وسال نجيع القتلى بهاتيك البطاح، وطال

= وافتتحت في ٣ صفر ١٣٨٥هـ/ ٢ يوليو ١٩٦٥م، في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز (١٣٨٤-١٣٩٥هــ/ ١٩٦٤-١٩٧٥م). إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**،١/ ٣٥١-٣٥٣؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٣٥٩-٣٦١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: استبطأهم.

(٢) **يَعْرِجُ**: وادٍ مِن روافد نَعْمَان، يسيل بين كرا جنوبًا وتفتقان شمالًا، ثم يجتمع مع وادي الكُر عند القُرين مكونًا مع أودية أخرى صدور وادي نَعْمَان. وأهله الحساسنة مِن هُذَيْل. عاتق ابن غيث البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج ١٠، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ١٨٦٠.

(٣) **وَادِي قَرْنُ**: يقع على الطريق بين مكة والطائف، ويقال قَرْنُ المنازل، وفيه ميقات أهل نجد والطائف. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٦٣، ١٣٧١-١٣٧٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مسعودًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٦) **جبل الخطم**: جبل أخشب فيه بياض، مستطيل على شكل عرف، يكنع في وادي عُرَنَة من الشمال الغربي، شمال عرفة، بينهما سيل عُرَنَة، ويسيل غربه وادي السقيا، وبسفحه الجنوبي قرية للرياشي، وهم بطن مِن هُذَيْل، ويتصل في الشمال بجبال الشُّعُر. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٥٧.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: حطمًا.

بينهم القتال، وذاق كُلّ فريق مِن صاحبه أشَدَّ النكال، وانصب عليهم سوط عذاب وقع النبال، وبرقت بوارق نصال النضال، وتطايرت الرِّماح للأحداق، وبرزت البيض الرقاق، لمُعانقة الأعناق، وقدم عليهم الشريف مسعود إقدام مثله، وأوجف عليهم بخيله ورَجله، وسطا عليهم بمهنده البَتَّار كما سطوا أُسُود الغاب، فانهزم قوم الشريف محمد وتقطعت بهم الأسباب، فما انكشف المضمار، ولا انْجَلَا[1] الغبار إلا وقد ظهر نجم مسعود، بالطالع المسعود، وأشرقت زواهره على الوجود، فأسفر الأمر أنْ ابن أخيه راح مكسورًا، وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا، فانحازت العساكر تحت لوائه، ودقت الطبول في أثنائه، على ثنائه.

وكانت هذه الوقعة[2] مِن أشدّ الوقايع[3]، وأكثرها فتكًا بالجيوش والطلايع[4]، حيث إنَّ السادة الأشراف هم الذين باشروا القتال بأنفسهم، حتى قُتِلَ كثير مِن أعزّهم وأنفَسهم، ومع هذا كانت عدتهم لا تجاوز الماية[5]، فأكرم بها مِن عصبة هاشمية، وخير فئة، كيف لا وهم أبناء علي الفاتك الكرَّار، والحيادِرَة الذي[6] لا يبارون في مضمار.

[ولاية الشريف مسعود بن سعيد الأولى]

فعند ذلك أخذ الشريف محمد[7] ذمة من عمّه على الطريقة النموية، وتَوَجَّه إلى الحُسَيْنِيَّة[8]، وأقام بها أيامًا وظعن، ووجه خاطره تلقاء اليمن فاستقر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب، انْجَلَى.

(٢) كانت واقعة الخطم في ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٣٢م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوقائع.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب، الذين.

(٧) كانت مُدَّة ولايته الأولى سنة وخمسة أشهر واثني عشر يومًا، وهي الفترة الممتدة منذ ٢٩ ذي القعدة ١١٤٣هـ/ ٤ يونيو ١٧٣١م حتى ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٣٢م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.

(٨) **الحُسَيْنِيَّةُ**: قرية قرب عين ماء تعرف بهذا الاسم، تقع جنوبي مكة المكرمة، وهي في وادي=

بموضع يقال له: المَخْواةُ[١]، رآه حصنًا منيعًا يتفيَّءُ في داره، ثم بعد أيام دنا المسير رحيله، وقصد جبال بَجِيْلَةَ[٢]، وما زال بفنائها عاكف[٣]، حتى ظهر بدر محيَّاه بأُفق الطايف[٤]، فتلّقته عُربان بني ثقيف[٥]، ولفت عليه في زمن وريف، وعرضوا أنفسهم عليه، وأقبلوا بِكَلاَكلهم[٦] لديه.

وعندما سمع ذلك الشريف مسعود، لم يطب له القعود، وما أظنَّ ركوبه عليه عن مشورة مِمَّن لديه دِراية، لمَا سيظهر بعد هذه الغاية، فركب عليه بعدَ / ق ١٠/ جهد جهيد، وتعبٍ شديدٍ، فالتقى الجمعان على جبال المثنى، وتقابلت الفرسان فُرادى ومثنى، وحمى بينهم الوطيس، والتقى الخميس بالخميس[٧]، فصعدوا بني ثقيف[٨] بهاتيك الجبال، ولم تدعْ لخيل الشريف مسعود في بحر الحرب

= عُرَنَة قبيل اجتماعه بِنَعْمَان، ترى مِنْها جنوبًا كُسَاب، وشمالاً غربيًا جبل ثور، سُكَّانها مِن الأشراف ذوي زيد. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٧٠.

(١) **المُخْوَاةُ**: بلدة كبيرة في تهامة زَهْرَان، ومعظم سُكَّانها مِن قبائل بني عُمر إلى جانب قبيلة غامد الزناد. علي بن صالح الزهراني، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد غامدٍ وزَهْرَان**، دار اليمامة،الرياض، ط ٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) **جبالُ بَجِيْلَةَ**: تقع جنوب الطائف، بين بلاد بَلْحَارِث شمالًا وزَهْرَان جنوباً، وتُسَمَّى السَّراة الوسطى. وعُرِفَت بهذا الاسم نسبة إلى قَبيلة بَجِيْلَةَ التي سكنت هذه المنطقة. ياقوت بن عبد اللَّه الحموي، **معجم البلدان**، ج ٣، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٢٠٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عاكفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) **ثقيف**: مِن أشهر القبائل العربية، تسكن القبيلة نفسها جنوب غربي الطائف، وينقسمون إلى: طُوَيْرِق، والنُّمور، وثمالة، وبني سالم، وبني عَوْف، وبني سُفْيان. **قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج ١، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م ص ١٤٧-١٤٨؛ ماكس فرايهير أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ج ٢، ترجمة: محمد كبيبو، تحقيق وتقديم: ماجد شبَّر، شركة دار الوراق للنشر، لندن، ط ٢، ٢٠٠٧م، ٥٦٣-٥٦٥.

(٦) **كَلاَكِلَهم**: مفردها كَلْكَل، وهو الصدر. **المعجم الوسيط**، ص ٧٩٦.

(٧) **الخميس**: الجيش. **المعجم الوسيط**، ص ٢٥٦.

(٨) كذا في الأصل، والصواب، فصعد بنو ثقيف.

سبحًا ولا مجال[١]، وما زال الرصاص يهمي عليهم كالمطر، ونار الحرب ضرم جمره واستعرّ، فما رأى الشريف مِن شدّةِ وقعِ الرَّصاصِ، غير أخذ الذمة له خلاص[٢]، فعند ذلك تمَّ للشريف محمد ما تمَّ، وتَقَلَّد عقد الشرافة المنظم، وكان مُدَّة غيبته عن مكة نحو مائة يوم، وهي مُدَّة شرافة الشريف مسعود[٣]، وكانت الواقعة في شهر شعبان مِن العام المعهود[٤].

[ولاية الشريف محمد بن عبدِ الَه الثانية]

فدخل الشريف محمد وطلع في دار سعادته، وجلس على كرسي سيادته، وأقبل عليه الناس زمرًا زمرًا وحلا له بعد سورة القتال[٥] لسان الشعرا[٦]. وأمَّا الشريف مسعود فقد تَوَجَّه إلى خُلَيْص[٧]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب، مجالًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.

(٣) مُدَّة ولايته الأولى نحو مائة يوم، الفترة الممتدة منذ ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٣٢م حتى ١٨ شعبان ١١٤٥هـ/ ٢ فبراير ١٧٣٣م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٩٣.

(٤) كانت الموقعة في ١٨ شعبان ١١٤٥هـ/ ٢ فبراير ١٧٣٣م. العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٢٧١.

(٥) **سُورة القتال**: سُورة مُحَمَّد، وهي مِن السُّور المدنيَّة، وعُرِفَت بهذا الاسم - أيضًا - لأنَّها تتناول الجهاد في سبيل اللَّه، والقتال ومشروعيته وبعض أحكامه، وفيها يقول اللَّه تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾﴾. [**سورة محمد**: آية رقم ٢٠]. انظر: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج ٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣١٤.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الشعراء.

(٧) **خُلَيْص**: وادٍ كثير الماء والزرع، واسع على شكل مربع، يقع شمالي مكة على بعد ١٠٠ كيلًا، سكانه قبائل مِن: حرب، وزبيد، والبلادية، وفيه ثلاثون قرية، وبه عَيْن خُلَيْص، وعندها قرية مشهورة بنفس الاسم، وهي غزيرة الماء، وبها نخل كثير، وقد جددت هذه العين بعد عام ٩٣٨هـ/ ١٥٣٢م، في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م)، الذي أمر والي مصر سليمان باشا (٩٣١-٩٤١هـ/ ١٥٢٥-١٥٣٥م)، فأرسل الأخير أحد عساكره ويدعى خير الدين الرومي، فقام بتنظيف عَيْن خُلَيْص وتعميرها، وتزوج امرأة هناك من أولاد مالك، وظلّ في خُلَيْص حتى وفاته، ولعلّ في ذلك ما =

ووقع في حَيْص بَيْص[١]، فسبحان الحكيم الملك القهار، الذي يفعل ما يشا[٢] ويختار، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[٣].

[الفتنة بين عسكر الشريف محمد والحامية العسكرية]

ثم اعْلَمْ كيف تجري المقادير بإذن اللطيف الخبير، وهو أنَّ في أيام دولة الشريف محمد طلع المَعْلَا[٤] عسكري، مِن عسكر أهل اليمن، ما عقل هذا الأمر ولا فطن، واغتسل في بركة بستان أم مطر، وأزال عن جسده وأثوابه الكدر. وكان في يومها مِن القضاء.............

= يفسر تسمية عين خُلَيْص بعين الباشا، وقد أشار الرَّحالة المغاربة بوجود حصن في خُلَيْص بُني على جبل ليكون حصنًا وملجأً لأمراء الحجاز، بغرض صد هجوم الأعراب والأشراف المناوئين، ويبدو أنَّ خُلَيْصًا كانت مِن الأماكن المهمة لأمراء الحج منذ زمن طويل، فقد ذكر ابن جبير وابن بطوطة أنَّ هناك حصنين، أحدهما جديد والآخر متهدم، ولعلَّ ذلك ما يفسر الأهمية الاستراتيجية لهذا الموقع بالنسبة للأشراف خلال صراعهم مع بعضهم البعض؛ وسيتضح ذلك جليًّا في خضم الأحداث التي سنمر بها خلال هذه الدراسة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٣/ ٥٦٦-٥٦٩؛ عواطف محمد يوسف نواب: **كتب الرحلات فِي المغرب الأقصى مصدر مِنْ مصادر تاريخ الحِجازِ فِي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين**، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ص ٢١٠-٢١١. وللمزيد عن خُلَيْص وتطورها التاريخي، انظر: مبارك محمد الحرشني المعبدي، **مقتطفات مِن تاريخ خُلَيْص في الماضي والحاضر**، ط١، ١٤٠٧-١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص ١٣ وما بعدها.

(١) **حَيْص بَيْص**: أيّ في مأزق أو ضيق وشدّة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يشاء.

(٣) القرآن الكريم، **سورة آل عمران**، الآية رقم ٢٦.

(٤) **المَعْلَا**: القسم العلوي مِن مكة، وهو ممتد من المدعا والقشاشية إلى جهة الحَجُون فما فوقها إلى مِنَى فعرفات، وهذه الجهات عالية عن المسجد الحرام؛ لذلك تسمّى عوالي مكة، وكان فيه المقبرة التي عُرِفَتْ بالمَعْلَا لوقوعها في هذا المكان. عبد اللّه الغازي، **إفادة الأنام**، ٢/ ١٤٥ وما بعدها؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٢٥٨؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦٢٤، ١٦٤٠.

والمقدر، حسين[١] أفندي[٢] آغات[٣] الإنقشارية[٤]، مِن جماعة الوجاقات

---

(١) **حسين أفندي**: نشأ في مصر، وتولى بعض المناصب فيها، وكان مِن أرباب الأقلام، وقد صار بسببه فتنة في البلاد، فتَمَّ نفيه إلى مكة المكرمة، وقد وُلي منصب السردارية فيها منذ عام ١١٤٤هـ/ ١٧٣٢م، ويُعَلِّق العاملي على وفاته بقول: «ولعمري لقد كان هذا الرجل أحد الجبابرة الطغام، وأوحد المتكبرين على الأنام، أقام بمكة المشَرَّفة ثلاث سنين، وهو لم يَرَ له بها قرين، يسوم أهلها بالخسف والهُوان، ويعاملهم بالتحقير والامتهان، لا يعرف الشفقة على عباده، ولا تلابسه الرحمة على صلحاء البلد الحرام وعُبَّاده». رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٧٣، ٢٨١-٢٨٢.

(٢) **أفندي**: لقب فخري، قيل في أصلها مِن الكلمة اليونانية العامية أفنديس Efendis المأخوذة مِن الكلمة القديمة Aventuns دخلت في اللغة التركية الأناضولية واستعملها الترك في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وتعني: الصاحب، والمالك، والسيد، والمولى، وقد شاع لقب أفندي في البلاد التي خضعت للدولة العثمانية، واستعمل لقبًا لأصحاب الوظائف الدينية والمدنية ورجال الشريعة والعُلماء، على أنَّ أشهر استعمال لهذا اللقب كان للرجل الذي يقرأ ويكتب، وفي التراكيب التي وصلت إلينا لهذا اللقب نجد أنه يأتي بعد اسم العلم وقبل اسم الوظيفة وليس بعدها. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٢٠-٢٣؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة، د.ط، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٥٠-١٥٣.

(٣) **أَغَا**: كلمة تركية مِن المصدر أغمق، ومعناها: الكبر والتقدم في السن، وقيل: إنَّها مِن الكلمة الفارسية أقا، وتطلق في التركية على الرئيس، والقائد، وشيخ القبيلة، والخادم الخصي. وقد بلغ هذا اللَّقب أهمية كبرى في الدولة العثمانية، والقاعدة في اللغة التركية العثمانية تقتضي أنْ يفصل بين الألف والهاء بياء الوقاية، ويكتب بالصيغة التالية: أغايه. وقد كان قائد كل أوجاق في مصر في العصر العثماني يحمل لقب أغا، ولمَّا كان السردارة قادة لأوجاقاتهم في الحجاز؛ فكان يحمل لقب أغا. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١٧؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف**، ص ١٧٣-١٧٥.

(٤) **الإنقشارية**: كذا في الأصل، والصواب: الإنكشارية، وهي كلمة تركية مكونة من مقطعين: يكي Yeni بالنون الخيشومية بمعنى جديد، وجري Cery بالجيم المشربة بمعني العسكر، فيكون المعنى: العسكر الجديد، وقد أُنشئ هذا الجيش في عهد السلطان أورخان (٧٢٦-٧٦١هـ/ ١٣٢٦-١٣٦٠م) عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، وكانت نواته من أهل الفتوة في الأناضول ثم اعتمدوا على أبناء نصارى البلقان بعد تتريكهم وتنشئتهم على الإسلام، وكانوا يخضعون لنظام عسكري صارم، وكان الجنود عُزَّابًا، ثم سمح لهم بالزواج في عهد السلطان سليم الأول(٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م) بشرط كبر السن، ثم أُطلق حق الزواج. وقد أدى الإنكشارية دورًا مهمًّا في الفتوحات العثمانية في أوروبا، ولكن مع ضعف السلاطين بدأ نفوذ الإنكشارية يزداد؛ فتدخلوا في عزل الوزراء والسلاطين، =

المصرية[1]، يُقَيِّل[2] في البُسْتان بحريمه، وخدمه، وجماعته، وحشمه، فكانوا حريمه في طاقة المجلس المُطِلَّة على الماء، فخرج له جندي ضربه حتى أَلَمَه أَلَمًا، فاستفزع العسكري بأنصاره وأعوانه، وصاروا يضربون الأفندي بالرصاص وهو في بستانه، ونهبوا بعض الأمتعة، وما أَعَدَّه للقيلة[3] معه.

فلمَّا سمع مولانا الشريف محمد أَجَدَّ على فرسه بالمهند، ونادى آغات

= ثم بدأ الفساد يتفشى بين الإنكشارية، وتضاءلت صلاحيتهم للحرب الحديثة؛ فخسروا معظم الحروب التي خاضوها في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التالي، وقد فشلت محاولات إصلاحهم، ولذلك عمل السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) على القضاء عليهم، فنجح في ذلك فيما عرف بالواقعة الخيرية عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٦م. انظر: أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، **دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٢ وما بعدها؛ إيرينا بيتروسيان، **الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، د.ط، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١٩ وما بعدها.

(١) **الوجاقات المصرية**: الوجاقات جمع: وجاق وأصلها في التركية أوجاق، بضم الهمزة ضمة مبسوطة مفخمة، ومعناه الأوَّل الموقد أو المدخنة، ثم أطلق على الجماعة التي تتلاقى في مكان واحد، ثم استخدم أخيرًا للدلالة على فرقة مِن فرق الجند. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١٩٤. وقد كان في مصر في العصر العثماني سبعة أوجاقات عسكريَّة، وهي: الجونوللیان، التفنكجيان، الجراكسة، الإنكشارية، العزبان، الجاويشان، المتفرقة. الثلاثة الأولى مِن السباهية أي الفرسان، والأربعة الأخرى مِن المشاة. والمقصود بجماعة الوجاقات المصرية، هي الحامية العسكرية المصرية المتواجدة في الحجاز. وخلال النزاع الذي دار على السلطة في مصر إبَّان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي بين أمراء المماليك، كان الأمير الذي يصل إلى السلطة يعمل على إبعاد أعدائه عن مصر، فيرسلهم ليكونوا سرادرة على أوجاقاتهم في الحجاز، ومِن أولئك حسين أفندي المذكور أعلاه. حسام محمد عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٤٧-٥٥. وللمزيد عن الوجاقات المصرية انظر: عراقي يوسف محمد، **الأوجاقات العثمانية في مصر في القرنين السادس عشر والسابع عشر**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٨م.

(٢) وردت في النسخة (ب) مُقَيِّل. ورقة ٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: للقائلة. أيّ الظهيرة.

الإنقشارية[1]، ليفهمه بأصل القضية، فلمَّا سمع صوت الشريف محمد فتح الطاقة، وجعل يخبره بِمَا قاساه من البلاء الذي ليس عليه قدرة ولا طاقة، فضربه عسكري برصاصة /ق١١/ في صدره، لم تكن بعلم الشريف ولا بأمره، وكان فيها انقضاء عمره، فتولَّد من قتله فتنة عظيمة، وتأسَّس بينه وبين الأتراك عداوة مُسْتَديمة[2].

فعند ذلك اجتمع عساكر مصر في سُوَيْقة[3]، وتَرَّسُوا البيوت، وسَدُّوا الطرقات، وضربوا الطبول والباقات، وأرسلوا [للألضاشات][4] الذي[5] كانوا بجدة، فوصلوا إليهم في أسرع مُدَّة، وأرسلوا إلى مصر، وأخبروا بِمَا وقع عليهم مِن القتل والأسر، ومكثوا على هذه الحالة مقدار شهر، وشريف مكة في داره بجنوده وأنصاره، وهم مُصَمِّمُون على رفعه ونزعه، وإزالته وخلعه.

[باكير باشا والي جدة يحل أمر الفتنة]

وفي هذه الأثنا[6] أرسلوا دراهم[7] للشريف مسعود، ليجمع بها

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الإنكشارية.

(٢) يذكر العاملي هذه الحادثة بتاريخ ٢٤ ربيع الأول ١١٤٦هـ/ ٣ أكتوبر ١٧٣٣م، بينما يذكرها دحلان بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١١٤٦هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٧٣٣م. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٨١؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٨٨.

(٣) **سُوَيْقة**: تصغير سَاق، وهي منطقة كانت تقع شمال الكعبة، وقد دخلت في توسعة الحَرَم. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٥٧.

(٤) جاءت في الأصل للألضاباشات، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٨. والألضاشات، وتكتب - أيضًا - ألداشات؛ وهي مِن التركية يولداش، وتتكون مِن: «يولد» أيّ الطريق، و«داش» أداة المشاركة، واليولداش هو الرفيق في الطريق، وتطلق على الزملاء وأعضاء الحزب الواحد. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٢٥-٢٦.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

(٧) **دراهم**: جمع درهم، مِن النقود التي كانت متداولة في العصر الإسلامي. اشتق اسمه من الأصل اليوناني دراخمة Drachma جاءتهم عن طريق الفرس. والدرهم مصكوك مِن الفِضة، وكان وزنه يعادل ٢,٩٧ جرام، وقد تغيَّرت قيمة الدرهم من حيث تركيبه وقوته الشرائية بتغيّر الأزمنة والدول، وما زال الدرهم حتى يومنا هذا، ضمن الوحدات النقدية في بعض الدول العربية. مصطفى الخطيب، **المعجم الموسوعي**، ص ١٧٩-١٨٠.

القبائل والجُرُد، فأخذ الدراهم وتَوَجَّه على الأثر، وأقبل بِمَن معه على وادي مَـرّ[١]، فأرسل يستدعي السادة الأشراف، ومَن لديه مِن العُربان الذي[٢] بتلك الأطراف، وهم على حالهم في الأماكن بالتتريس، وقاطعين طريق العامة بالرأي الخسيس، فعند ذلك وصل حضرة الوزير الأعظم[٣] والمشير الأفخم باكير[٤]..

---

(١) **وادي مَرّ**: يعرف أيضًا: بوادي مَرّ الظَّهْران، أو وادي فاطمة، أو وادي الشريف. وهو مِن أهم أودية الحجاز، ولا يوجد مثله خصوبة، وماء، وكثافة سكانية، وقيل: إنَّه كان فيه ثلاثمائة عين جارية، ويأخذ مَرّ الظَّهْران أعلى مساقط مائه من منحدرات السراء الشرقيَّة، حيث يقاسم وَجّ وعقيق الطائف الماء قرب المحرم، ويتكون مِن رافدين عظيمين، هما: نخلة الشاميَّة، ونخلة اليمنيَّة، وبه عديد مِن البلدان المشهورة، مثل: بلدة الجموم، وبلدة بحرة، وبلدة حَدَّاء. عبد اللَّه بن عمر الحسيني،«**مر الظَّهْران: وادي فاطمة**»، مجلة العرب، س ٦، ع ٤، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، الرياض، ص ٢٥٥-٢٦٢؛ عاتق بن غيث البلادي، **معالم مكة التأريخية والأثرية**، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، د.ط، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٢٥٨-٢٦٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٣) **الوزير الأعظم**: هو الصدر الأعظم، وهو منصب رفيع مِن حيث المنزلة يأتي في الترتيب بالمقام الثاني بعد السلطان، وأوَّل مَن تولاه علاء الدين باشا شقيق السلطان أورخان، وقد لُقِّب بالوزير الأوَّل منذ عهد السلطان سليمان القانوني، وكان مَقَرُّه في الباب العالي، تحت قبة الوزراء، التي حلّ محلَّها فيما بعد: الديوان الهمايوني، ويُقَدَّر عدد الذين حملوا هذا اللقب طيلة العصر العثماني بنحو ٢١٠ من الصدور العظام، وقد ألغي هذا اللقب في عهد السلطان محمود الثاني عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، وحلّ مكانه لقب: باش وكيلي؛ أي رئيس الوزراة. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٤) **باكير باشا**: ويُعْرَف في بعض المصادر أبو بكر باشا، حيث إنَّ «با» تركية عثمانية؛ تعنى «أبو» في اللغة العربية. وكان مِن أشهر الولاة العثمانيين، وتولى حكم عديد مِن الولايات، ومِنْها: ولايته الأولى على مصر (١١٤١-١١٤٢هـ/ ١٧٢٨-١٧٢٩م)، ثم عزله العساكر وولي على جدة ولايته الأولى (١١٤٣-١١٤٧هـ/ ١٧٣٠-١٧٣٥م) ثم عزل مِنْها وولي على مصر ولايته الثانية (١١٤٧-١١٤٩هـ/ ١٧٣٥-١٧٣٧م)، ثم عزل مِنْها وولي على جدة ولايته الثانية (١١٥٠-١١٦٠هـ/ ١٧٣٧-١٧٤٧م) ثم عزل مِنْها وولي على حلب، ثم عزل مِنْها وولي مصر ولايته الثالثة عام ١١٧٥هـ/ ٢ أغسطس ١٧٦١ - ٢٢ يوليو ١٧٦٢م، فما لبث فيها سوى بضعة أشهر، حيث وافته المَنِيَّة، ودُفِنَ بالقرافة بجوار الإمام الشافعي في القاهرة. أحمد الدمرداشي كَتْخُدا عزبان، **الدرة المُصانة في أخبار الكنانة**، تحقيق: =

باشا[١]،وأتى مسرعًا وما تحاشا، وقد أرسلوا إليه رُسُلًا كثيرة وهو يستمهلهم بالمَعَاذير[٢]، فلمَّا وصل إلى مكة قويت شوكة الأتراك، واستعدوا للقتال والعراك، فاستمهلهم ثلاثَ ليالٍ لينظر الأصلح، ويقف على حقيقة الحال، ولم يزل يحل ما أبرموه بالنقض، ويستعين بالبعض على البعض، فلمَّا عَلمُوا مقصد هذا الوزير، وما جنح إليه من الصُّلح، وكان عين الرأي والتدبير، رجع كُلّ عن مطلبه آيس[٣]، وخمدت نار فارس، ثم إنَّه أصلح بينهم وبين الشريف محمد، وأعاد سيف الشقاق في قرابه وأغمد، ونادى منادي الصلح في باطن المسجد الحرام، وأطراف الشوارع، ولم يبقَ أحد مِن الفريقين إلا وهو طايع[٤].

ثم في اليوم الثاني نزل الذي[٥] من جدة من عساكر الأتراك، ولحق بهم

= عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، نصوص عربية ودراسات إسلامية، المجلد ٢٨، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٠١- ٢٠٨؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج١، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تقديم: عبد العظيم رمضان، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ط، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٢٠-١٢١، ٢٥٣-٢٥٨، ٤٠٥.

(١) **باشا**: أحد الألقاب الفخرية في العصر العثماني، وكان يمنح للأشخاص المدنيين والعسكرين على حد سواء، وقد اختلفت الآراء حول أصله، ولعلَّ أرجحها أنَّه مِن الكلمة التركية «بَاشْ»، ومعناها: رأس، أو طرف، أو زعيم، أو قائد. وظهر هذا اللَّقب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكان علاء الدين أخو أورخان بن عثمان أوَّل مَن لُقِّب به، والباشوية تنقسم إلى ثلاث درجات متتالية: الأولى باشا بذيل، والثانية باشا بذيلين، والثالثة باشا بثلاثة ذيول. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٣٦-٣٧؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف**، ص ٨٠-٨٥.

(٢) يُعلل العاملي أسباب تأخر باكير باشا في القدوم إلى مكة المكرمة لسببين، وهما: أولًا- إنَّه مع طول المدة، تنحل عنهم الغلظة والشدة. ثانيًا- مراعاة الشريف محمد بن عبد اللَّه لأنَّه يعلم بأنَّ ما وقع مِن عسكره، ليس بأمره ولا عن مراده وهواه. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: آيسًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: طائع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

من كان هناك، فلمَّا وصلوا جدة أظهروا نقض العهود، وأرسلوا في طلب الشريف مسعود، وما زالوا يرسلون له الدراهم صرَّة بعد صرَّة، والذخاير[١] مرَّة بعد مرَّة، ومنعوا أحكام الشريف مِن البَنْدَر[٢]، وتقوى كُلّ على وزيره وتغندر، فعند ذلك صلحت للشريف مسعود / ق١٢/ أحواله، وقويت لطلب الملك آماله، فرحل من تلك الأندية، ونزل بواد الحُدَيْبِيَّة[٣]، وكان بهذا السبب قطع طريق جدة وتلك الجهات، وسببًا للغلا[٤] وارتفاع الأسعار في الأقوات، وشريف مكة قد برز بالمراجل والعساكر، وخَيَّم بطُوَى[٥] وأطراف الزاهر[٦]، فما كان مِن السادة الأشراف فكلهم قد انحازوا هناك، ولم يبقَ مع الشريف محمد إلا العسكر لما بينهم مِن عداوة الأتراك، والأتراك تَوَجَّهوا مِن جدة ونزلوا على الشريف مسعود، ويدهم واحدة في اليوم المعهود، ثم تَوَجَّه الأمير مسعود يطوي شقة البين، ونزل مقابلاً بحيث تُرى العين بالعين، فلمَّا أصبح الصباح، ونادى منادي القتال بحيَّ على الفلاح، ضربت الطبول والبرق، وركض كُلّ فارس وسبق، ولم تزل نار الحرب تستعر، وتتقد وتَتَّعِر، والأبطال تُقَاتل الأبطال، ببوارق البواتر والعُسال، حتى انتصف النهار، وآن وقت الزوال، وكفَّ كُلّ مِن الفريقين القتال، أسفر الأمر على انتصار الشريف محمد على عمّه وعلى الأتراك، وغنّى له طير السعادة على غصن الأراك.

فتَوَجَّه الشريف مسعود وأصحابه إلى البَنْدَر المعمور، وبذل الجهد في

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٢) **البَنْدَر**: لفظ فارسي معناه: ميناء أو مدينة ساحلية، دخل اللغة العربية عن طريق اللغة التركية. **المعجم الوسيط**، ص ٧١؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٨٧.

(٣) **وادي الحُدَيْبِيَّة**: يقع غربي مكة، وفيه عين ماء بذات الاسم. عاتق البلادي، **معالم الحجاز**، ص ٤٢٥.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: للغلاء.

(٥) **طُوَى**: وادي يمر بين الحَجُون وريع الكحل مارًّا بِجَرْوَل حتى يجتمع بوادي إبراهيم في المسفلة، ويوجد فيه بئر ماء يعرف ببئر طُوَى. عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٦٨-١٧٠.

(٦) **الزاهر**: حي يقع غربي مكة، ويمر فيه الطريق إلى جدة. عاتق البلادي، **معجم الحجاز**، ص ٧٥٢، ٧٦٩.

إحاطتهم حتى أدخلهم السور، ونزل ومَن معه خارج البلاد، وشرع في تدبير آخر واجتهاد، وطلب مِن الوزير باكير باشا خِلْعة[١] الشرافة، وأنْ يُنادى باسمه لم يستطع أحد خلافه؛ فامتنع عن ذلك باكير باشا وأبى، وأوعده في العام القابل يقضي له أربا، وقال له: قد أرسلت للأبواب العالية، ونوهتُ باسمك، فلعلَّ الدولة ترسم لك الشرافة، وتكون مِن قسمك، فخرج مِن عنده غير راضٍ بهذا الوعد، وصمَّم على تجديد الحرب في الغد، فلمَّا بلغ الشريف محمد[٢] وصول عمّه إلى جدة جمع الجيوش وردَّه، ومشى خلفه مسرعًا بالعساكر والجنود، وأرسل كتابًا يفسد به الأشراف الذي[٣] كانوا مع عمّه مسعود، وأوعدهم بزيادة المعاش والنفقة والمجاهي التي لهم فيها كمال الانتعاش، ثم نزل بنفسه الشريف محمد وخَيَّم بالحفَر، وعندما رآه عمّه ترك كُلّ ما معه وفرّ، فأصبحوا ولم يعلم أحد بفراره، وإلى أيٍّ مقرَّ قراره، لكونه سرى على خيل وركاب، وتلقا[٤] مهامه / ق١٣/ وهضاب، فحصل لابن أخيه اضطراب، وخشي مِن عاقبة الأمر تؤل إلى الخراب.

فلمَّا كان في اليوم السادس والعشرين [من شعبان[٥]] سنة ١١٤٦ [٦]،

---

(١) **خلعة**: اسم عربي لِمَا يُسَمَّى بالتركي قُفْطَان. وهو نوع مِن الملابس الخارجية، أو ما يُسَمَّى بالبشت أو العباءة أو الرداء، الذي كان السلطان يكسيه على موظفيه أو ولاته أو وزرائه إعرابًا عن رضائه عنهم. ولهذه الخلعة درجات وأنواع، وكانت أعلاها ما تمنح للأشراف، وهي مِن نوع فرو السَّمُّور، ويطلق على مَن يكلف بإلباس الخلعة للشريف قُفْطَان آغاسي، أي أغا الخلعة، كما أنَّ الصدور العظام والوزراء كانوا يلبسونها لِمنَ يهمهم أمره. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة: عبد الرازق محمد بركات، مطبعة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة (٤٣)، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٠٣.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: تلقى.

(٥) الشهرلم يذكر في الأصل، وقد رجحه الباحث تبعًا لسير الأحداث التالية.

(٦) ٢٦ شعبان ١١٤٦هـ/ ٣١ يناير ١٧٣٤م.

أصبح الشريف مسعود الطايف[١]، ونزل بساحة الحَبْر[٢]، ومعه شرذمة خيل وركاب، ونهب بها دار شيخ العسكر، فعرضت عليها العُربان قبيلةً بعد قبيلة، حتى صارت يده هي اليد الثقيلة.

[ولاية الشريف مسعود الثانية]

ولمَّا سمع الشريف محمّد بهذا الخبر، لم يهنه مقام بجدة ومقر، فعند ذلك أخذ طلبة[٣] مِن التجار الذي[٤] هناك، ولم يترك مَن يتعاطى الأسباب ولو مِن الأتراك، لكون يده خلت مِن النقود، بواسطة ما صنعه عمّه مسعود، ثم فرَّق ما جمعه على الأشراف، وتَوَجَّه إلى مكة حاذرًا مِن الخلاف، وفي ثاني يوم وصوله أرسل رتبةً على عمّه إلى الطايف[٥]، وظهر الحال أنَّ أمرها غير نايف، وكان طريقها على يَعْرِج، فبلغهم أنَّ الأمر قوي مزعج، فتحَصَّنوا بحصن العَبَدة، وأقاموا بها أيامًا وفرايصهم[٦] مرتعدة، وما زالوا بذلك المكان، والحرب لم تشب له نيران، ومولانا الشريف محمد مُقِيْم بمكة، محافظ لكُلّ ناحية وسكة، لكن ظهر للعساكر والرجال، أنَّ المانع له عن النزال خلوّ يده مِن المال[٧].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف.

(٢) **الحَبْر**: عبد اللَّه بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ ولد في شِعْب بني هاشم بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات (٦١٨م)، وقد أطلق عليه حَبْر وترجمان الأمة نظرًا لفقهه وعلمه في الدين، فقد دعا لهُ الرسول فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»، وهو مِن مفسري القرآن، روي عنه ١٦٦٠ حديثًا، توفي في الطائف ودُفِنَ فيها عام ٦٨هـ/ ٦٨٧م. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٣/ ٣٣١-٣٥٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ٩٤.

(٣) أيّ ضريبة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فرائصهم.

(٧) يذكر العاملي أنَ الشريف محمد بن عبد اللَّه لم يخرج لقتال عمّه لعدة أسباب مِنْها: أولًا- خلو يده بسبب تعصب الأتراك وإفسادهم للتجار وذوي الأموال، ومنها ثانيًا- انفضاض كبار الأشراف مِن حوله لتقصيره في أداء حقوقهم، ومنها ثالثًا- برودة وقعت بينه وبين أخيه السيد ثقبة بن عبد =

وما زال مُقيمًا في خلال الأطلال، حتى أقبل عليه عمّه للقتال، ومعه شرذمة مِن الخيل والرجال، ذوات المهند والعسال، وقد صمَّم الشريف مسعود أنْ لا يرجع عن مقصده ولا يعود، إِمَّا بتمام إربه، أو يموت بسببه، فلمَّا التقى الجمعان، بصارم ومران، وجالت الفرسان، في حومة الميدان، وحمل كُلّ بطل وجال، وقطع بصارمه حبل الآجال، انكشف الأمر عن قتالهم بعد مضي ساعة بنصر الشريف مسعود، لكونه ركض بنفسه إلى قبب المَعْلاً فنال المقصود، فاستذم الشريف محمد واستأجل، وخرج إلى الحُسَيْنِيَّة وما أمهل، وكانت مُدَّة ولايته الثانية[١] على ما تحرر سنة كاملة ونصف شهر.

ثم إنَّ الشريف مسعود[٢] دخل مكة يوم الخميس أوَّل ساعة مِن النهار، وكان يوم أنيس عمَّ بسروره جميع الأمصار في ٢٣ رمضان سنة ١١٤٦هـ[٣]، فدخل بسيادته إلى دار سعادته، وكان دخوله بأتم نظام، فلهذا قام بمكة واستقام، فأطد أساسها / ق١٤/ ورتب أحكامها وحرَّاسها، وشيّد الأمر على السداد، وأحسن فيما صنع وأجاد، واستدعى أعيان البلاد مِن السادة الأمجاد، واختار مِن أخيارهم ذوي الرشاد، مَن ارتضاه رأيه الكامل المستجاد، فَقَرَّبَه وأدناه، وأناله ما تَمَنَّاه، ثم أقبل عليه التجار والأتراك الذي كانوا بجدة، ومعهم الهدايا تُحَف[٤] مِن النقود والعروض والتُّحَف، فقام بأمرهم القيام التام، حتى انتظمت دولته أحسن انتظام، فمد معاصريه مِن أهل الأدب، وأنالهم مِن الكرامة أَسْنى الرتب، فَمِن ذلك ما قيل في دخوله الأوَّل يوم الخطم:

= اللَّه، واستمرَّت إلى حين وصول الشريف مسعود إلى مكة. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٩٦.

(١) مُدَّة ولايته الثانية مِن ١٨ شعبان ١١٤٥هـ/ ٣ يناير ١٧٣٣م حتى ٧ رمضان ١١٤٦هـ/ ١٠ فبراير ١٧٣٤م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٩٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مسعودًا.

(٣) ٢٣ رمضان ١١٤٦هـ/ ٢٦ فبراير ١٧٣٤م. وقد ذكر العاملي ودحلان أنَّ دخوله كان يوم الخميس ٧ رمضان ١١٤٦هـ/ ١٠ فبراير ١٧٣٤م. رضي اللَّه العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٩٦؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ١٩٠.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: تُحَفًا.

اختير للخلق شهم كُلّ معتمده
عَلَى الإله فَمَا أخلاه مِن مددهْ
لَيْثٌ ينوب عَنْ الأنياب صَارمه
وَمِن مَخالبه سمر القنا بيده
رَوَى الشَّجَاعَة عَن سَعْدٍ وَعَنْ حَسَنٍ
عَنْ الإِمَام عَلِيّ الْمَشْهور فِي جلده
كم صَابر الْقَوم حَتَّى صَار مسلكه
لَمَّا رَأَى مِنْهم مَا كَانَ فِي خلده
بَاعُوا نُفُوسًا كِرَامًا وَاشْتَروا شَرَفًا
بِمَوقف الْخطم مَلهى الأَب عَن ولده
عَادُوَا وَعَاد مُعَاذًا عَنْ مَسَرَّتهم
يغتر عَنْ حسن عَامٍ صَح فِي عَدَده
فِي شَطْر بَيْتٍ أتى سَعْد مؤرِّخه
الرَّب شَرَّف مَسْعُود عَلَى بَلَده[1]

بيان الحوادث الواقعة في أيام دولته

[وقوع كسوف كلي للشمس]

لمَّا مضى مِن ولايته ست[2] وستون يومًا؛ ٢٩ من ذي القعدة[3]، حصل

---

(١) جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي: الرب: أ ١ + ل ٣٠ + ر ٢٠٠ + ب ٢= ٢٣٣. شرف: ش ٣٠٠ + ر ٢٠٠ + ف ٨٠ = ٥٨٠. مسعود: م ٤٠+ س ٦٠ + ع ٧٠ + و ٦ + د ٤= ١٨٠. على: ع ٧٠ + ل ٣٠ + ي ١٠= ١١٠. بلده: ب ٢ + ل ٣٠ + د ٤ + هـ ٥= ٤١ الأجمالي ٢٣٣ + ٥٨٠+ ١٨٠ + ١١٠ + ٤١ = ١١٤٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ستةٌ.

(٣) ٢٩ ذو القعدة ١١٤٦هـ/ ٢ مايو ١٧٣٤م.

كسوف كلي للشمس، وظهرت جميع النجوم والكواكب، وشاهدوا مِن الفزع والأهوال عجايب وغرايب(١)، فسرجت الناس المصابيح في البيوت والأسواق مِن شدة الظلمة التي لا تطاق، وقد أجمع المنجمون أنَّه كسوف جزئي لا تدركه الأبصار، فكان قولهم كذبًا واللَّه يفعل ما يشاء ويختار(٢).

[إخراج الغرباء عن مكة المكرمة]

ولمَّا سمع أهل الآفاق بسيرة مولانا الشريف مسعود، وحسن سيرته التي هي زينة الوجود، ومعاملته مع رعيته بسلوكه / ق١٥/ مع ذويه وأنصاره وحميته، رغبوا في استيطانها، وكانوا مِن جملة سكانها، فامتليت(٣) مِنْهم البلاد، وجاروا على أهلها باحتكار الزاد، وتضايق أهلها من السكنى والمعاش، ولم يبقَ لهم رمق ولا انتعاش.

وهذه سُنَّةٌ قَدِيمَةُ الأصل أنَّ الرعيَّة تكثر في بلد العدل، ولَمَّا راى(٤) الأغرابَ اتخذوها وطنًا وجعلوها مسكنًا، وبنوا فيها الدور، واشتروا الجرايات والصُّرور، وتعالت على أهلها بسوء فعلها، وترك كُلٌّ وطنه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عجائب وغرائب.

(٢) بالإضافة إلى ما ذكره مؤرخنا، فقد ذكر العاملي بعض المعلومات الأخرى، مِنْها قوله: «قال مُنَجِّم مكة المشرفة في ذلك الزمان، القاضي حسن بن القاضي محمد ابن القاضي أحسن في الدرّ المحلول الذي استخرجه مِن زيج أُلغ بيك، وقوَّم فيه الشهور والبروج، ومسير الشمس والقمر، وضبط الكسوفات والخسوفات، ما هذا لفظه، ومِن خطّه نقلت، بعد أنْ ذكر تقويم هلال ذي القعدة مِن السنة المذكورة: وفيه يحصل كسوف جزئي في يوم الاثنين تاسع عشرينه، وذلك بعد مضي أربع ساعات وعشر درج، وآخره بعد مُضي خمس ساعات وتسع درج، ومن أوَّله إلى آخره أربعة عشرة درجة، والمقدار المنكسف ثلثا إصبع، فلا يظهر إلا بعرض الماء الراكد بقطر مكة المكرمة، واللَّه أعلم تعالى أعلم. فتأمَّل في هذه الأغلاط الواضحة، والأوهام الفاضحة، مع أنَّه من أضبط أهل زمانه، ومرجع معاصريه وأقرانه، ولم يتفرَّد هو وحده بذلك، بل رأيت مثل هذه العبارة في تقويم آخر لبعض منجمي العجم، فسبحان الملك العلام الذي لا يسهو ولا ينام». رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٠١-٣٠٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فامتلأت.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأى.

ومر، وجعلها دار مقر، مع أنّ هذا البيت الحرام، قبلةُ للآنام، وفيه البقعة التي يقصدها الإسلام، للحج في كُلّ عام، ياوي[١] إليها الوفود مِن جميع المسالك، لأداء الفروض والمناسك، وهو موصوف بأنَّه وادٍ غير ذي زرع، ولا ينبت فيه ثمر، ولا يدر به ضرع؛ فأطلق بها المُنادي: أنْ لا يسكنْها إلا العاكِفُ دُونَ البادي، وإنْ أقام بها غريب، فهو قتيل وسليب، وحَثَّ الغربا[٢] جميعًا على الخروج، وترك كُلًّا مِنْهم في بحر الفكر يموج، فما زالوا يخرجون مِنْها وحدانًا ومثنى وثلاث، ويبيعون الدور والصرور والأثاث، والمُنادي كُلّ حين يقول: يا أهلَ الشامِ شامَكم، يا أهلَ اليمن يمنكم، هذا ديدنه في خلال الدور، وجميع المسالك، وقيل: إنَّ سيدنا عمر بن الخطاب كان يفعل مثل ذلك. فما زالوا ينشالون ويخرجون، ومِن كُلّ حَدَب ينسلون، وما تخلَّف أحد مِنْهم ولا نجا، ولم يَقْبَلْ في جلوس واحدٍ شفاعةً ولا رجا[٣]، فبعد ذلك طاب الوقت وزان، وحسن حال السكان، وحَمَدت الناس جميعًا بكل لسان. وكانت هذه الواقعة في عام سنة ١١٤٧[٤]، ألف ومائة وسبعة وأربعين، والغرض مِنْها يتم بقدر هذا التبيين[٥].

[منع التظاهر بشرب الدخان في مكة المكرمة]

وفي هذا العام المذكور[٦]، صادف المقدور أنَّ صاحب السيادة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يأوي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغرباء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رجاء.

(٤) ١١٤٧هـ/ ٢ يونية ١٧٣٤-٢٢ مايو ١٧٣٥م.

(٥) ذكر العاملي حادثة إخراج الغرباء عن مكة المكرمة في أحداث عام ١١٤٨هـ/ ٢٣ مايو ١٧٣٥-١٠ مايو ١٧٣٦م، بينما ذكر دحلان في أحداث عام ١١٤٩هـ/ ١١ مايو ١٧٣٦-٢٩ أبريل ١٧٣٧م. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٠٧-٣٠٨؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٤.

(٦) ذكر العاملي تحريم شرب الدُّخَان في أحداث عام ١١٤٨هـ/ ٢٣ مايو ١٧٣٥-١٠ مايو ١٧٣٦م، بينما ذكره دحلان في أحداث عام ١١٤٩هـ/ ١١ مايو ١٧٣٦-٢٩ أبريل ١٧٣٧م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٠٨-٣٠٩؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة** =

والشرافة، ومَعْدِن الإيالة والخلافة، نادى مناديه بأنْ لا يتظاهر أحد بشرب الدُّخَان[1]، ولا يمر به شارب على شارع ولا دكان، وتوعَّد شاربه بالتهديد، وأظنَّه لا يفيد، فرفع مِن القهاوي / ق١٦/ والأسواق، وصار حاكمه يقبض مَن يراه عنده مِن الأطواق، وما أظنُّ هذا الشريف الجليل فعله عن تحريم ولا تحليل؛ وإنَّما لَمَّا تظاهر شربه في الشوارع الأراذل والأسافل، صاروا لا يرفعونه مِن أيديهم إذا مَرَّ بهم شريف أو عالم أو فاضل، ورُبَّمَا شُرِبَ بين الصفا والمروة اللذان[2] هما مِن شعاير[3] اللَّه، ويجب تعظيمهما على كُلّ مسلم - وسيما على الولاة، ورُبَّمَا أفحش بعض الناس وقلَّ الأدب فيه، ومر به والشريف جالس في بدايته وهو في فِيه[4].

وللعُلماء أبحاث فيه وأقاويل بين إباحة، وتحريم، وتحليل[5]، ولم أرَ مَن

= **الكلام**، ص ١٩٣-١٩٤.

(١) **الدُّخَان**: والمقصود به التبغ أو التنباك الذي انتشر في أنحاء الدولة العثمانية، وقد قيل: إنَّه انتقل إليها مِن مصر. أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ٢/ ٤٥٦. وقد تحدث الرحالة بوركهارت عن انتشار التبغ، والتنباك، والحشيش في الحجاز، وذكر أنَّ الناس يدخنون النرجيلة الفارسية، وكان مِنْها ثلاثة أنواع: القدرة، والشيشة، والبوري. جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العربية**، ٥٠-٥١، ٦٠-٦١. وللمزيد عن التبغ ودخوله إلى الأقطار العربية انظر: علي محمد علي حبيب، **التبغ في الإمبراطورية العثمانية**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ١٣ وما بعدها.

(٢) كذ في الأصل والصواب: اللّذين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شعائر.

(٤) **فِيه**: أي في فمه.

(٥) شهدت الفترة التي ظهر فيها انتشار التبغ في الدولة العثمانية اختلافًا بين عُلماء المسلمين ما بين التحليل، والتحريم، والإباحة، ويتجلى ذلك في العديد من المؤلفات التي تناولت هذه المسألة، ومنها: عبدالغني بن اسماعيل النابلسي، **الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان**، مخطوط في مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، تحت رقم (٢٩٦ فقه حنفي)؛ أحمد بن مصطفى، **رسالة في الدخان**، مخطوط في مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، تحت رقم (٢٥٩ فقه حنفي)؛ نور الدين علي الأجهوري، **غاية البيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان**، مخطوط في مكتبة جامعة الملك سعود، الرياض، تحت رقم (٤٢٩ فقه مالكي)؛ محمد بن حمزة كوزل حصاري، **رسالة في بطلان بيع الدخان**، مخطوط في مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، تحت رقم (٢٢٠ فنون متنوعة)؛ شهاب الدين أحمد بن علي النوبي، **رسالة** =

قال بتحريمه مستندًا مِن السنة أو مِن الكتاب إلاَّ محض أقيسة، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، مع أنَّ البلوى به عامة بين الأشراف، والعُلما[١]، والعامة، ويلزم على القول بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم؛ حيث كانوا إمَّا شارب، أو في بيته مَن يشربه، أو مشاهد، فما خرج أحد مِن الثلاث عن واحد؛ فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدلٌ - خصوصًا - هو شرط في شهود النكاح، ويترتب على هذا أنَّ الأنكحة على بعض المذاهب سفاح، نعوذ باللَّه تعالى مِن التعصب، ومِن القول الذي لم يكن قائله مصيب[٢].

وكان أوَّل ظهور شجرة الدُّخَان في [تسع مائة وتسع وتسعين][٣][٤]، مِن هجرة سيِّد المرسلين، وقد أرَّخ بعض الفضلا[٥] تاريخًا، فقال:

خَلَّى عَن الدُّخَان أَجبني
هَل لَه فِي كتابنا إِيْماء
قلت مَا فَرَّط الْكِتَاب بِشَيء
ثُمَّ أرَّخت يَوْم تَأْتِي السَّمَا[٦]

وما أحسن جواب القاضي لنايبه[٧]، قيل: كان قاضي بمكة - شرفها اللَّه تعالى - مولع[٨] بشرب التنباك، وله نائبٌ يُحَرِّمُه، ويبغض مَن يشربه

= سد الآذان عن شرب الدخان، مخطوط في مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، تحت رقم (٧٠٥٥) وللمزيد انظر: علي حبيب، **التبغ في الدولة العثمانية**، ص ١٥ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مُصِيبًا.

(٣) وردت في الأصل تسع مائة وتسعين، والتصويب من النسخة (ب) ورقة ١١.

(٤) ٩٩٩هـ/ ٣٠ أكتوبر ١٥٩٠ - ١٨ أكتوبر ١٥٩١م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الفضلاء.

(٦) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: يوم: ي ١٠ + و ٦ + م ٤٠ = ٥٦. تأتي: ت ٤٠٠ + أ ١ + ت ٤٠٠ + ي ١٠ = ٨١١. السما: ا ١ + ل ٣٠ + س ٦٠ + م ٤٠+ أ ١+ أ ١= ١٣٢. الإجمالي ٥٦ + ٨١١+ ١٣٢ = ٩٩٩.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: لنائبه.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: مولعًا.

مِن إذ ذاك، فقال لأستاذه يوم ثامن ذي الحجة: يا مولاي إنشا[١] اللَّه تعالى تتركون شربه في غد يوم عرفة، فقد أحببتُ لكم ذلك واستحسنته، فقال له القاضي: بل أتركه الآن إذا أحْرَمْتُ؛ أراد بذلك تركه إذا أحرم، لكونه طيبًا، والطيب لا يحل للمحرم، فانظر لهذا الجواب المُسْكت، وأعجب له كيف يهزءُ بنائبه ويبكت، وقد نظم في هذا المعنى كثير مِن الفضلاء فَمِن ذلك / ق١٧/ :

اِشْـرَب مِـنْ الـتـنباك واقْـصـد بِـه
تَـوْدِيْـعَـه يَـا مَـنْ غَـدًا يَحْـرم

فَـهُـو لأهـل الـذَّوق طـيـب لـه
وَمَـنْ أَحْـرم فَـالطِّـيب يَحْـرم

ولبعضهم في التنباك بغير هذا المعني:

لَـقَـدْ عَـنَّـفُـونَـا بِـالـدُّخَـان وَشُـرْبِـه
فَـقُـلْـت: دَعُـوا التَّـعْـنِـيف فَـالأمْـر أحْـوجَا

ألاَ إنَّ عِـفْـرِيـتَ الْـهُـمُـومِ بِـصَـدْرنـا
عَـصَـانَـا فَـدَخَّـنَـا عَـلَـيْـه لِـيَـخْـرُجَا

وفيه لوالدنا[٢] الشيخ محمد علي عبد الشكور[٣] ابن المورخ[٤] المذكور:

يَـقُـول صَـدِيْـقِـي مُـذرَأَى الـلِّـي فِـي فَـمِـي
وَدُخَـان نَـار الـتِّـتـن[٥] يَـصْـعَـد فِـي الْـهَـوى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إن شاء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: لولدنا؛ وذلك في ضوء الفَهم الصحيح بسياق الجملة.

(٣) سبقت ترجمته، ص ٤٤، حاشية رقم (١).

(٤) كذا في الأصل، والصواب: المؤرخ.

(٥) **التِّتن**: من التركية توتون tütün، ومعناها: الدُّخَان، ثم أطلقت على ورق التبغ. أحمد السعيد سلمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٥١.

مَتَى أَنْت تَشْرَبُها وَقَد كُنْت سَابِقًا
تكرهها قُل لِي رَكنْت إِلَى الْهَوى

فَقلت له: نَارُ الْمَحَبَّة أَشْعَلَتْ
قلبي حِيْن الخل بالْهَجْر قَد نَوى

فَأَوْهَمتُ عُذَّالِي بِأَنَّ الدُّخَان ذَا
مِن التّتن لاَ مِنْ حُرقة دَاخِل الْجَوا

ومِن ذَرى قال في المعنى:

ومَا شربي الدخانَ مِن أجل لذة
ولا طعمه كالْمِسك شيب بعنبر

ولكنني أشفي قليبي بشربه
كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

والحاصل أنَّ مدايحه[1] كثيرة، والأعذار في شربه شهيرة. انتهى.

[هجوم الجراد على مكة]

وفي عام ثمانية وأربعين سنة ١١٤٨ [2]، جاء مكة مِن جنود الدَّبا[3]، ما ملا[4] السهل والرُّبا[5]، وأعجز عن وصفه أَلْسنة الأدبا[6]، حتى حسبوه عذابًا مِن اللَّه تعالى وغضبًا، فغشي جميع بيوت مكة، ولم تخل مِنْه ناحية ولا سكة،

(١) كذا في الأصل، والصواب: مدائحه.

(٢) ١١٤٨هـ/ ٢٣ مايو ١٧٣٥-١٠ مايو ١٧٣٦م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الدَّبَى؛ وهو الجراد. كمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج١، د.ن، د.ط، د.ت، ص ٢٩٥.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ملأ.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الرُّبى، وهي الأماكن المرتفعة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الأدباء.

يأوي إلى فراشهم وهُم نيام، ويقع في أزيار[1] الماء وأوان الطعام، فضاق بهم الحال، وزاد الاشتغال بحيث لا يَجِدُون لهم راحة في المآكل والمشارب والمضاجع، حتى لا يشك أحد في قوله ولا ينازع: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾[2]. ولو لم يكن هذا ممنوعًا تخففًا مِنه ورحمة، لقالوا: هذا / ق١٨/ مِن عذاب تلك الأمة، وصاروا لايطؤن إلا فوقه، ولا ينامون إلا عليه، والأمر للَّه وحده والمنتهى إليه، ثم تضرَّعوا إلى اللَّه تعالى في كشف هذه الغُمَّة، لأنهم ليسوا مِن تلك الأُمَّة.

لطيفة: قيل: إنَّ رجلاً غريبًا كان ببلدة فحشرته الأمطار، ومنعته عن التسيار، حتى ضاق ذرعه مِن المقام، ولم يكفف الغَمَام، فهجا أهل تلك البلدة، فقال:

وَإِنْ يَدُوم الْقَطر وَالْغَيث كَذَا
جَاء بالطُّوفَان والبَحْر الْمُحِيْط
مَا هُم مِن قَوْم نُوح يَا سَمَا
أقْلِعِي عَنْهم فَهُم مِن قَوْم لُوط

وما زال هذا يملأ البيوت والشوارع، ويأكل الثمار والمزارع، وما برح ينشال على مكة مِن جميع الشعاب والهضاب، إلى أنْ تمَّ أربعين يومًا، وفرَّج اللَّه تعالى عنهم هذا العذاب، فسلخ جانب جناحه وفر، وجانب امتلئت مِنْه الآبار والحفر.

[الصلح بين الشريف مسعود وابن أخيه]

وفي شهر رمضان[3] مِن هذا العام أقبل الشريف محمد بن عبد اللَّه،

---

(١) أزيار: جمع زير، جرّة كبيرة واسعة الفم يوضع فيها الماء. معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٠١٥).

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية رقم ١٣٣.

(٣) شهر رمضان ١١٤٨هـ/ ١٤ يناير – ١٢ فبراير ١٧٣٦م.

وكان في أعمال رُهَاط[١] وما يلي، ومعه طايفة[٢] مِن الرُّوقَة[٣] آل علي، كانوا جنبه يقطعون الطريق، ويجتمع عليهم كُلّ فاجر وزنديق، فلمَّا أقبل بهم على وادي مرّ، وقد استمال آل بركات بالمعاليم والمقر، حصل اضطراب لمولانا الشريف مسعود لكونه لم يستعد لشيء مِن الجنود، فأشار عليه بعض العُقَّال[٤] مِنْ الرجال أنْ يستميل مَنْ مال مع ابن أخيه بالمال؛ فأرسل لآل بركات واستمالهم وجَدَّد لهم معاليمهم، واستمالهم وأوعدهم بالمقرّرات والمعاش، وأنعش مَن أخصّ جناحه وأراش؛ فمالوا معه، وتركوا الشريف محمد[٥]، وهان أمره بعد أنْ اشتدّ، فعند ذلك لم يطب له المقام والمقال في هذه الخلال، وتَوَجَّه الشريف محمد دام عُلاه إلى خُلَيْص وما والاه، فتعب وتعطَّلت أحواله، وقلّ سبحه ومجاله.

وما زال مُقيمًا إلى وصول الحج الشامي حتى اتجه بأميره سليمان باشا بن العظم[٦]، لا زال قـــدره.........................

---

(١) **رُهَاط**: وادٍ كثير العيون والنخل، يقع في الشمال الشرقي من مكة حوالي ١٢٢ كيلًا، كان مِن ديار هُذَيْل فأصبحوا بعيدًا عنه، وحاليًا يسكن أعلاه الرُّوقَة مِن عُتَيْبَة، وأسفله مُعَبَّد مِن حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٣٥-٧٣٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٣) **الرُّوقَة**: جذم مِن قبيلة عُتَيْبَة، ومنازلها أقرب إلى الحجاز، وينقسم إلى ثلاثة أفخاذ: ذوو ثبيت، الطليحة، المزاحمة. وهم مُنتشرون مِن رُهَاط إلى كُشُبٍ وفي عالية نَجْد إلى السِّر. عمر رضا كحالة، **قبائل الحجاز**، ٢/ ٤٥٤؛ حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**، منشورات النادي الأدبي، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٤) أيّ العُقَلاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٦) **سليمان باشا العظم**: ثاني حكام أسرة آل العظم التي حكمت باشوية دمشق، وتمتعت بمكانة مهمة لدى الباب العالي، هذا، وقد تولى باشوية دمشق عام ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م، وظلّ في هذا المنصب خمس سنوات، وفي خلال ولايته نفى عددًا كبيرًا مِن الإنكشارية، ثم عُيِّن واليًا على مصر (١١٥٢-١١٥٣هـ/ ١٧٣٩-١٧٤٠م)، وقد ترك العظم وراءه فراغًا سياسيًّا في دمشق، فاضطربت الأوضاع فيها، وعجز الولاة في السيطرة على الأمُور، فقام السلطان بتعيين سليمان باشا مرة أخرى واليًا عليها (١١٥٤-١١٥٧هـ/ ١٧٤١-١٧٤٤م)، فاستقرّت الأوضاع إلى حدٍ كبيرٍ، وقد توفي عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م. أحمد البديري الحلاق (ت١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م)، **حوادث دمشق اليومية** (١١٥٤-١١٧٥هـ/ ١٧٤١-١٧٦٢م)، =

سامي[١]، وكان بينهما مودَّة قديمة، ومحبَّة مُستديمة، فعالجه الشريف محمد على أنْ يخلع عليه الخِلْعة السلطانيَّة، وينوِّه باسمه في الأقطار الحرميَّة، فلمْ يفعل ذلك سليمان باشا، وخشي سطوة السلطان فتحاشى، واعتذر له ولِمَن معه من الأشراف، بعدم الإذن مِن الدولة المُطاعَة / ق١٩/ ، وأنْ ليس له قدرة على ذلك ولا استطاعة، وأعمل لهم الحيلة في الخلاص مِن أيديهم، ونوى أنْ يفعل لهم ما يرشدهم ويهديهم، ولَمَّا تَوَجَّه إلى مكة المشرفة، واتجه بحضرة مولانا الشريف مسعود أصلح بينه وبين ابن اخيه، وربط المواثيق والعهود، وتكفَّل لِمَن يحصل مِنْه النقص بالنقص، ووقع المكاتبة على هذا النص.

وعندما عاد إلى المدينة المنوَّرة، أعطى المكاتيب لحضرة مولانا الشريف محمد بعقد الصلح، فأقبل على مكة بكمال المسرة والنُّجْحِ، فخرج له عمّه وقابله بالإعزاز والإكرام، ورتب له ولِمَن معه ما يكفيه على وجه التمام.

[وفاة وزير الشريف في جدة وتولية ابنه]

وفي عام ثلاثة وخمسين[٢] توفي وزير الشريف بجدة، وهو ذو محاسن عدة، الوزير الكبير ذو الرأي والتدبير، واحد الزمن، صاحب الرأي والفطن،

= وقف على تحقيقها ونشرها: أحمد عزت عبد الكريم، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م، ص ٨-٤٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٢٥٨-٢٥٩؛ إبراهيم فاعور صيتان، **سليمان باشا العظم والي دمشق المرحلة الأولى (١١٤٦-١١٥١هـ/ ١٧٣٤-١٧٣٨م)، المرحلة الثانية (١١٥٤-١١٥٦هـ/ ١٧٤١-١٧٤٣م): دراسة تاريخيَّة وثائقيَّة**، مجلة الدارة، الرياض، العدد الأول، المحرم ١٤٢٩هـ/ مايو ٢٠٠٨م، ص ١٨٨-٢٢٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: ساميًا.

(٢) عام ١١٥٣هـ/ ٢٨ مارس ١٧٤٠-١٦ مارس ١٧٤١م.

ذو المقام السامي إبراهيم بن عبد الرحيم الشامي[(١)] فولي ابنه الجمال محمد[(٢)] سنة ١١٥٣، وتقلَّد عِقدها الثمين المنضد، فكساها ثوب إجلال ومهابة، وظهر عليه مع صغر سنه أثر الكمال والنجابة، فرسم أمور الدولة وحرَّرها، وأقام بِمَهَمَّات أمُورها ودبَّرَها، فزها به دست الوزارة، وعمَّر البندر، وربا تجارة، فقلَّده سيده جميع الأمُور، وبه صار البَنْدَر معمور[(٣)]، وما زال له الحل والعقد، وبيده العرُوض والنقد، حتى صار يختار مِن الرجال لكلّ منصب فيغرسه، فإذا عيَّنه صاحب الترجمة يُلْبِسَه، وكان قد تطوَّق بعقد الوزارة لست وعشرين خلون مِن شهر رمضان سنة ألف وماية[(٤)] وثلاثة وخمسين[(٥)]، وعاش ممتعًا له العزُّ والتمكين، واستمر في الوزارة اثنا[(٦)] عشر عامًا في دولة الشريف مسعود، وما زال في صعود وسعود، ثم وليها في دولة أخيه الشريف مساعد، وتسَمَّى قدره للعلا وتصاعد، وسأذكر مدته الثانية بعدما أترجمه، وأُشَيِّد عقد مفاخره وأنظمه.

[قدوم سيل عظيم على مكة]

وفي عام ثلاثة وخمسين في شهر رمضان[(٧)] سال سيل عظيم[(٨)] مهم،

---

(١) **إبراهيم بن عبد الرحيم الشامي**: كان أديبًا شاعرًا، وعمل كاتبًا للشريف مسعود، توفي في مكة المكرمة ١٠ جمادى الأولى ١١٥٣هـ/ ٢ أغسطس ١٧٤٠م، ودُفِنَ في مقبرة المَعْلَاة. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٣٨؛ القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٦٦؛ عبد اللَّه غازي، **نظم الدرر**، ص ٢٥٠.

(٢) **جمال الدين محمد بن إبراهيم الشامي**: تولى الوزارة في ٢٦ رمضان ١١٥٣هـ/ ١٤ ديسمبر ١٧٤٠م، وقد خلف إناثًا مُتْنَ بعده، وقد تبقى مِن بعدهم ذرية معاتيقهم، ويُعرفُون ببيت وزيرية. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٣٨؛ عبد اللَّه ميرداد، **المختصر من نشر النور**، ص ٤٦؛ عبد اللَّه غازي، **نظم الدرر**، ص ٢٥٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: معمورًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٥) ٢٦ رمضان ١١٥٣هـ/ ١٤ ديسمبر ١٧٤٠م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: اثني.

(٧) رمضان ١١٥٣هـ/ ١٩ نوفمبر - ١٨ ديسمبر ١٧٤٠م.

(٨) أدى موقع مكة المكرمة في وادٍ تحيط به الجبال من كل جانب إلى أنه إذا سقطت الأمطار =

تحسبه سيل العرم[1]، حتى أهال أهل مكة، وعَمَّ كُلّ ناحية وسكة، ولم يُبقِ دكانًا ولا دكة، فدخل داخل / ق ٢٠/ البيت الحرام، وطاف بالركن والمقام، ووصل إلى قرب الحِزام، ومَنَعَ الناس عن صلاة الجمعة إلا خمسة أشخاص لا زيادة، خطب لهم الإمام وصلى بهم على دكة باب الزيادة[2]، فترادفت بعده الخيرات مِن كُلّ الجهات، وارتخت الأسعار، وصلحت المزارع والثمار، وكان هذا السيل مِن جملة النِّعم على سكان الحرم.

وفي اليوم الثاني نزل إلى المسجد، حضرة مولانا الشريف مسعود،

= عليها بشدة، تأتي على هيئة سيول، تنزل من جميع الجبال والمرتفعات، وتجرف معها ما كان في طريقها مِن الحجارة والأتربَة والرمال، وتنزل إلى الأماكن المنخفضة فتتجمع في الشوارع، وتدخل المسجد الحرام، وتحدث به كثيرًا مِن الأضرار؛ ولذلك اهتم الحكام المسلمون بإقامة السدود عند مخارج السيول؛ لحماية الكعبة المشرفة مِنْها. للمزيد عن أشهر السّيول والسّدود في مكة المكرمة، راجع: محمد طاهر الكردي المكي، **التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم**، ج٢، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٤٢-٢٦٥.

(١) **سيل العرم**: سيل عظيم وقع في مملكة سبأ في اليمن قبل الإسلام، وكان سببًا في انهيار سد مأرب، وسقوط دولتهم، وقد ذكر أخباره في القرآن الكريم في سورة سبأ الآيات ١٥-٢١. للمزيد انظر: محمد بيومي مهران، **دراسات تاريخية مِن القرآن الكريم: بلاد العرب**، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٢٩ وما بعدها.

(٢) **باب الزيادة**: أحد أبوب الجدار الشمالي للمسجد الحرام. شُيِّد في عهد الخليفة العباسي المعتضد باللَّه (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٣م) عندما أضاف المساحة المتبقية مِن دار الندوة للمسجد الحرام بين عامي ٢٨١-٢٨٤هـ/ ٨٩٤-٨٩٧م، وفتح في الجدار الشمالي لتلك الزيادة باب عُرِفَ باسم باب زيادة دار الندوة، أو باب السويقة لأنَّه يخرج مِنْه إلى السويقة، إلا أنَّ اسم باب الزيادة صار الأشهر، وكان له منفذان اثنان، وفي عام ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م أمر السلطان العثماني سليمان القانوني بفتح منفذ ثالث؛ فأصبحت الثلاثة منافذ باتساع ثمانية أمتار، وكان عند الباب دكة مرتفعة بنيت بالحجارة، وكان للباب درج ينزل منه إلى أرض المسجد بثلاث عشرة درجة، واستمر على عمارته حتى هدم في التوسعة السعودية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٤؛ محمد الكردي، **التاريخ القويم**، ٤/ ٥٣٢؛ طه عمارة، **تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني**، مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، د.ت، ص ١٤١-١٤٤، ١٨٦-١٨٧.

وحوله جميع العساكر والجنود، ونادى على جميع سُكَّانها وأكابرها وجيرانها، وقد أحضر المَسَاحِي[٣] والمَكَاتِل[٤] الكبار، لينقلوا فيها ما رماه السيل مِن دمار، فلمَّا اجتمعت الناس على طبقاتها، بساحة البقعة ورواقاتها[٥]، تقَدَّم صاحب الترجمة، وحَمَل مِن الطين بيده الشريفة، مِن تلك البقعة المُباركة المنيفة، فعندما شاهدت الرعيَّة فعلته السنية، رمت بأنفسها على حمل التراب، وطلبت الثواب مِن ربِّ الأرباب[٦]، امتثالًا لقول المعبود: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[٧].

[غزوة على الأشراف بني حسن في الشَّاقَّتَيْن]

وفي عام خمس وخمسين[٨] جرى مِن الحوادث، ما كان به الزمان باعث[٩]. اعلم أنَّ السادة الأشراف المسمين ببني حسن[١٠]، القاطنين

---

(٣) **المَسَاحِي**: جمع المِسْحاة، أداة تستخدم في تجريف الأرض وتسويتها، تشبه الفأس. **المعجم الوسيط**، ص ٤٢١.

(٤) **المَكَاتِلُ**: جمع مِكْتَل، وعاء يُعْمل مِن الخُوص. **المعجم الوسيط**، ص ٧٧٦.

(٥) وهي الأروقة، جمع رواق.

(٦) انفرد مؤرخنا بالمعلومة الخاصة بنزول الشريف مسعود إلى المسجد الحرام، ليرفع ما حل به من جراء السيل المذكور، وهو ما لم يذكره رضي الدين العاملي. قارنه مع: **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٣٩.

(٧) القرآن الكريم، **سورة البقرة**، آية رقم ١٢٥.

(٨) عام ١١٥٥هـ/ ٨ مارس ١٧٤٢ - ٢٤ فبراير ١٧٤٣م.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: باعثًا.

(١٠) **الأشراف بنو حسن**: ينتسب هؤلاء الأشراف إلى الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول (ت ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م)، وهو مَن جاء مِن نسله أبو نمي الثاني، مؤسس أسرة آل أبي نمي التي حكمت مكة، وقد ارتحل الأشراف بنو حسن إلى اليمن، وسكنوا الشَّاقَّتَيْن في تهامة، وصارت لهم مكانة كبرى هناك. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٣٣٩-٣٤١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز في بلاد الحرمين وما تفرَّع عنهم في مصر واليمن وغيرها من البلدان**، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٣٣٨-٣٤١.

بالشَّاقَّتَيْن[١] مِن أرض اليمن، لما زادوا في الطغيان، وحصل مِنْهم الضرر العام لأهل تلك البلدان، وصاروا ينهبون القوافل، ويفعلون كُلّ فعل هائل، ويقطعون السبيل جيل[٢] بعد جيل، فرصد عليهم صاحب الترجمة الأرصاد، وجعل عليهم عيونًا تراقبهم في ذلك الناد، وجهز ابن أخيه الشريف محمد[٣] وجيش له الجيوش وجند، فغزى على بني حسن المذكورين أهل الشَّاقَّة، وأذاقهم المتاعب الشَّاقَّة.

فلمَّا سمعوا بقدومه وأحَسُّوا بنار سمومه، ارتحلوا مِن أنديتهم إلى نادٍ حصينٍ يقي أنفسهم، ويتمَكَّنُون به غاية التَّمْكِين، ولا يرد القضا[٤] سيف اللَّه المنقضي، لأنهم فعلوا في طريق المسلمين فعلات هائلة، وسلكوا طرقًا عن الحق مايلة[٥]، فوقع فيهم في الموقع المُسَمَّى بالأراك، ووقع بهم كما يقع الصيد في الشباك، وأحاط بجوانب الموضع المذكور، إحاطة البلدة بالسّور، فقَلَّت مِنْهم الراحة، وضاقت / ق٢١/ بهم المساحة، وكُلَّمَا ند مِن إبلهم شيء أخذه العسكر، وما زالوا تحت الحصر والأسر، لا يعلمون ما يقع بهم القضا[٦] والقدر.

[غزوة على بني سليم]

ومِن تمام نُحُوسَاتهم، وإتمام عكوساتهم، أنْ جاء رجل وأخبر بدفائنهم

---

(١) **الشَّاقَّتَيْن**: الشَّاقَّةُ مَجرى السَّيْل. وهي منطقة جغرافية تقع جنوبي ميناء اللِّيْث في تِهَامة، وتبعد عن مكة بحوالي ١٨٠ كيلًا وعن جدة حوالي ٢٠٠ كيل، وهُما شَاقَّتَان: الشَّاقَّة الشَّامِيَّة (الشَّمَالِيَّة) والشَّاقَّة اليَمَانِيَّة (الجَنُوبِيَّة)، ويسكنها الأشراف ذوو حسن. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٧٦-٨٧٧؛ حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٢٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جيلًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مائلة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

مِن: نحاس، وحبوب، وأدْبَاش[١]؛ فأمر العسكر أنْ يتفرقوها وينتعشوا بها غاية الانتعاش، فلمَّا أجهدهم الحصار، ولم يطب لهم الاستقرار، ركبوا مطية الفرار، وفرُّوا كالزيبق[٢] الفرَّار، في ليلة حالكة الجلباب، غدا فيه الإهاب، إلى أنْ وصلوا جبال بني سليم إلا أنَّ أكثر أطفالهم ونسائهم ماتوا مِن التعب، وتلفت أكثر مواشيهم نهبًا وعطب[٣]، فتبعهم الشريف محمد بالجند المُجَنَّد، وأقام محدقًا بهم في تلك الأطراف، بِمَن لديه مِن أشراف وأطراف، ثم أوقع فيهم الحرب، والضرب، والنهب، والسلب، فظفره اللَّه تعالى عليهم ونصر، وقتل فيهم وأسر.

وقُتِل مِن شيوخ بني سليم جانب في تلك الواقعة، ثم أتت للشريف محمد وهي سامعة طائعة، فأناخت بساحته لمَا لحقها الخلاف، وجاء منقادًا إليه شيخهم عسَّاف، ومعه بقية الشيوخ، ووقعوا بعد قصَّ جناحهم كما تقع الرخوخ، فمنع عنهم نصال سهمه، وأرسل عسَّافًا ومَن معه لعمّه وأمَّنَ بني حسن، وأنزلهم مِن تلك الهضاب حتى يأتيه مِن عمّه الجواب، فنزلوا صاغرين، وقمعت شوكة الطاغين، وضعفت قواهم حتى حين، فعفيت مِنْهم الآثار، وخمدت تلك النار، وزالت عنهم تلك الدولة، ولم يبقَ لهم قُوَّة ولا صَوْلة، ومشاهم على قوانينهم القديمة، بعد أنْ هضمهم تلك الهضيمة.

وأمر على شيخهم عسَّاف أنْ يستوطن بأولاده في مكة، ولو وصل راسه[٤] السحاب وحكه، فاستوطنها أيامًا، وهو خاضع ذليل، وصار كالبعوض بعد أنْ كان كالفيل، ثم سلَّط اللَّه تعالى عليهم الجُدَرِيّ[٥] هو وجميع أولاده، ومات بمكة غريبًا ولم يصل إلى بلاده، وهذا ما كان مِن عاقبة البغي التي

---

(١) **أدْبَاش**: الدَبْشُ أثاث البيت، وسقط المتاع. **المعجم الوسيط**، ص ٢٧٠.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الزئبق.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عطبًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأسه.

(٥) **الجُدَرِيُّ**: مَرَض فَيروسيّ مُعْدٍ، يتسم بطفح جلديّ، وقروح ممتلئة ماء وقيحًا. **المعجم الوسيط**، ص ١١٠.

لا تنفع، ولكلِّ باغٍ كما قيل مصرع، وما صلحت أحوالهم بعد ذلك الفساد، وسلكوا طريق الرشاد، إلا بعد أنْ أذاقهم سمرَ القنا، وبيض القواضب، وأسال دمائهم[1] مِن كُلّ جانب / ق٢٢/ كما قيل:

لاَ يَسْلَم الشَّرَف الرَّفِيْع مِن الأَذَى
حَتَّى يُرَاقُ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّم[2]

تمت هذه الغزية.

[غزوة على بني مخلد]

وفي عام ست وخمسين بعد المائة[3] والألف[4] مِن هجرة مَن له العزُّ والشرف سلّ صارم عزمه المُهند، وجر عسكره الجرَّار وجرَّد، وأرسل ابن أخيه الشريف محمد[5]، بجيش يغزو به بني مخلد[6]، فَسُيِّر عليهم بتلك الجيوش[7]، تؤمَّه الطيور والوحوش، حتى وقع بتلك البغاة الفُجَّار، الذي[8] لا يتركون طريقًا لِمَارٍّ، فصكهم صكة عُمي، ولم يبقِ لتلك الخدور فَيء[9]، وما زال ينازلهم بالأسمر المُثقف والأبيض المُهند، ويَكْسُوها مِن دمائهم ثوب نجيعٍ مُوَرَّد، وجعل الفرسان الرماة تناصلهم مِن الأربع الجهات، ثم جرَّعهم كاسٍ[10] الويل، وهجم عليهم بالخيل، فوطئت سنابكها العدد الجم،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: دماءهم.

(٢) البيت للمتنبي، انظر: الصاحب بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، ص ٣٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٤) ١١٥٦هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٤٣ - ١٣ فبراير ١٧٤٤م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٦) **بني مخلد**: تنحدر أصولهم مِن بني شهر مِن الأزد، يسكنون في منطقة المجاردة، شرقي القنفدة.

(٧) كانت هذه الوقعة في شهر صفر ١١٥٦هـ/ ٢٦ مارس - ٢٣ إبريل ١٧٤٣م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٢٥٦.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٩) أي ظل مِن الحر.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

وما سلم إلا مَن بالجبال اعتصم، وتركوا ما لديهم مِن بعير وشاة، وتحصَّنوا بكهوف الجبال خوف الوشاة، واستغنوا بالجبال عن المال، وبالسلامة عن الوبال، فأخذ الشريف محمد ذلك المغنم، وعاد في سرورٍ ونِعم، يَقُودُ ما غَنِمَهُ مِن حُمر النَّعم، وقابل عمّه بِمَن معه مِن السادة السراة، فاستسر بفعله وحمد مَسْراه، فقسم جميعها على الجيوش، وهو ضاحك بشوش، وما دخلت بنو مخلد تحت الإطاعة - وهم راغِمُو الأُنُوف - إلا بعد أنْ صافَحَت رِقابهم أكُفَّ السُّيوف.

[وفاة السيد فائز ابن الشريف مبارك]

وقُتِلَ يومها السيد [فائز][1] بن الشريف مبارك بن أحمد ابن زيد[2] بعد أنْ كاد بني مخلد أعظم كيد، ضُرِبَ برصاصةٍ حكمت له في الساق، فعاش بعدها خمسة أيام، واعترا بدر عمره المحاق، ومات - رحمه اللَّه تعالى - ولم يعقب غير إخوانه الأُسُود، معادن الكرم والجُود، وما في هذا المقدار عليهم

---

(١) وردت في الأصل ناصر، والتصويب مِن رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٣٦٠. حيث إنَّه كان معاصرًا للأحداث، ولم يكن في ضمن أبناء الشريف مبارك بن أحمد، ولد يسمى ناصرًا. والسيد فائز كان والده الشريف مبارك قد سعى أنْ يُعَيِّنه على ولاية سواكن، فأرسله إلى مصر، ولكن الباب العالي رفض ذلك الأمر، ثم رجع إلى الحجاز مرة أخرى، ويبدو أنَّه كان مِن قوات الشريف مسعود - كما يتضح من سياق حديث مؤرخنا ابن عبد الشكور - فأرسله في الحملة على بني مخلد، والتي أُصيب خلالها، فمات متأثرًا بجراحه عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م. أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) **مبارك بن أحمد بن زيد**: تولى حكم مكة عام ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، حتى أواخر عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م، ثم انتزعها مِنْه الشريف يحيى بن بركات، فخرج إلى جهات الطائف، وأقام في موضع يسمى جرجة، ثم نزل يحيى بن بركات عن الشرافة لابنه بركات، فتقدَّم الشريف مبارك إلى مكة، وانتصر على الشريف بركات، وتولى الشرافة مرة أخرى في ١٢ محرم ١١٣٦هـ/ ١١ أكتوبر ١٧٢٣م، فظلَّ فيها خمسة أشهر، ثم عزل وتولى الشريف عبد اللَّه بن سعيد (١١٣٦-١١٤٣هـ/ ١٧٢٤-١٧٣١م)، فتوجه الشريف مبارك إلى اليمن، واستقرَّ بها حتى وفاته عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م، وأعقب سبعة أبناء، وهم: حسين، جساس، مبارك، فائز، عبد اللَّه، مهنا، سعيد. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٩١ وما بعدها؛ أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٣٤، ٢٤٥، ٢٥٤؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٥/ ٢٦٩؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٣/ ١٣.

مِن عار، فكم اقتحموا لجّة نار، ولم يرتضوا بالفرار، فهو مِن أهل الطراز الأوّل، ويشهد له قول السَمَويل[1]:

يُعَجِّلُ حُبُّ الْمَوتِ آجَالَنَا لَنَا
وَتَكْرَهُهُ أَجَالُهُم فَتَطُولُ

وإِنَّا أُنَاسٌ لاَ نَرَى الْمَوتَ سُبَّةً
إِذا مَا رآهَا عَامِرٌ وَسَلُولُ

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ
وَلاَ طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيْلُ[2]

كيف لا وهو فرع دوحة المجد، المُرتوية مِن دماء سيوفهم نمور كُلّ أرض نجد.

إِذَا مَات مِنْهم سَيِّد قَام سَيِّد
قَئولٌ بِمَا قَال الكِرَام فَعُول[3]

/ ق٢٣/

أبقاهم اللَّه تعالى على مَمَرّ الدُّهُور، وجعلهم حِصْنًا للحماية وسورًا - آمين -.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: السَّمَوْأل. السَّمَوْأل بن غريض بن عَادِياء بن رفاعة ابن الحارث الأزدي، مِن شُعراء اليهود في العصر الجاهلي، وهو مِن أهل تَيْمَاءَ، وكان له حِصن يُسَمَّى الأبلق الفرد، وضُربَ به المَثل في الوفاء، فيقال: أوفى من السَّمَوْأل، توفي حوالي عام ٦٥ق.هـ/ ٥٦٠م. محمد بن سَلاَّم الجُمَحِي، **طبقات فحول الشعراء**، ج١، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ١٩٧٤م، ص ٢٧٩-٢٨٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١٤٠.

(٢) انظر: ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ١/ ٢٠٩. وفيه: يقرب حب الموت.

(٣) البيت للسمؤل.،انظر: محمد بن هاشم الخالدي وسعيد بن هاشم الخالدي، **حماسة الخالديين: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين**، ج١، تحقيق: محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، د.ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٤٩. وفيه: بأقوال الكرام.

[بناء برجين لتحصين دار السعادة]

وفي هذا العام المذكور[١] أمر صاحب الترجمة ببناء بُرجين مُحكمين[٢] على يسار الداخل إلى دار السعادة، وبيت المجد ومحلّ السيادة، ولقد بالغ في إِحكامهما وأجاد كُلّ الإجادة، وحصل مِنْهما أعظم إفادة، فأحسن في إتقانهما، وإجادة بنيانهما، ومن جملة الإتقان أنهم خرقوا أحجارهما، زواياهما وأقطارهما، واصطنعوا لها أصياخًا مِن الحديد، كُلّ صيخ يجمع بين حجرين، ويتأبد فيه أعظم تأبيد، وينحصر أقوى حصر، إذا أفرغ عليه الجبس والقطر.

ولقد عاينتها بهذه الصِّفة حين هدمها أبو الذهب[٣]، وتعب فيها المعلّمُون أعظم تعب وذلك سنة ١١٨٤ [٤].

وهكذا حال الدنيا لا تستقر على حالٍ، فسبحان الملك الفَعَّال، وكان بناء هذين البرجين مِن أعظم الأمُور المهمة، للنازلات المدلَهِمّة، مع أنَّه لم يفطن لبنائها سلفه الذي سلف، فأنعم بهذا الخلف، ولمَّا تمَّ بناؤها، وظهر في

---

(١) عام ١١٥٦هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٤٣ - ١٣ فبراير ١٧٤٤م.

(٢) كان أحد البرجين أعلى مِن الآخر، وقد شرع في بنائهما في أوائل عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وكان الفراغ مِنْهما في أواخر جمادى الأولى ١١٥٦هـ/ يوليو ١٧٤٣م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) **أبو الذهب**: محمد بك أبو الذهب، كان مملوكًا عند علي بك الكبير، وقد عُرِفَ بأبي الذهب، لأنَّه لما لبس الخلعة بالقلعة، صار يفرق البقاشيش ذهبًا، وقد كان قائد جيوش سيده، قاد حملة الحجاز عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م - وسيأتي الحديث عنها مفصلاً في تاريخ ابن عبد الشكور - ثم قاد حملة الشام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، ولكنَّه انحاز بعد دخوله دمشق إلى الدولة العثمانية، فانسحب إلى مصر، وسحب في طريق عودته الحاميات التي تركها في الشام، وعندما عاد إلى القاهرة، دخل في حروب مع سيده علي بك الكبير، حتى استطاع التخلص منه، فولاه السلطان العُثماني منصب شيخ البلد، الذي استمر فيه حتى وفاته عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م. أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ج١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٥٤-٥٦؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٦٥١-٦٥٥.

(٤) عام ١١٨٤هـ/ ٢٦ أبريل ١٧٧٠ - ١٤ أبريل ١٧٧١م.

أفق المجد سناؤها، أبدها بالمدافع وما تحتاجه مِن الْمَهَمَّات، وتحصنت دار السعادة بعدها مِن كُلّ الجِهات.

ولنذكر بالمناسبة نادرة لطيفة، ومناقب ظريفة، فِيمَن أَسَّس بناء دار السعادة، وأَوَّل مَن اخترع أساسها وأجاده. اعلم أنها على اسمها دار السعادة، ومحل المجد والإفادة، صارت مسكن كُلّ مَن ولي الشرافة، وقلّد جِيده بعقدها عَاقِبًا أسلافه، أنشأها الهمام الأمجد، والصارم المهند، قُرَّة كُلّ عين، مولانا السيد حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبي نمي[١] الفايق[٢] على حاتم طيئ، وحسين هذا جد السادة آل زيد، كفاهم اللَّه تعالى كُلّ شر وكيد، وأبو الملوك الذي زانت بهم جوهر السلوك، بناها في أيام أبيه الشريف حسن[٣] وسكنها، وأحكم بنيانها وأتقنها، ولقد أحسن على أبنائه كُلّ الإحسان، بهذه الدار التي لا يوجد نظيرها فيساير[٤] البلدان.

هي الدَّار إِلاَّ أَنَّهَا دارة البدر

ومغن الغنا لكنها روضة الفخر

---

(١) **حسين بن حسن بن أبي نمي**: حسين بن حسن بن محمد أبي نمي الثاني بن بركات بن محمد الحسني الهاشمي، وهو جد ذوي زيد من الأشراف، ولد في مكة، وقد فوض إليه والده نيابة الإمارة (١٠٠١-١٠٠٣هـ/ ١٥٩٣-١٥٩٥م)، ولكنه ما لبث أنْ وافته المَنِيَّة عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م. وأعقب ستة مِن الأبناء، وهم: زيد، وواصل، وعلي، وحسين، وباز، ومحسن، والأخير تولى شرافة مكة. أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف في بلاد الحرمين حتى وفيات القرن الخامس عشر الهجري**، ج١، راجعه: أيمن فؤاد السيد، توزيع دار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص ٢٧٨-٢٧٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ٢٣٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفائق.

(٣) **الشريف حسن**: حسن بن محمد أبي نمي الثاني الحسني الهاشمي، ولد في مكة عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م، وتولى الحكم في عام ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م، وقد توفي بأقصى نجد في مكان يقال له: فاعية، في ٣ جمادى الآخرة ١٠١٠هـ/ ٢٨ نوفمبر ١٦٠١م، فحمل إلى مكة، ودُفِنَ في مقبرة المَعْلَاة. علي بن تاج الدين السنجاري، **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج٣، دراسة وتحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣٧٥-٥٠٨؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٥٦-٦٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سائر.

هي الدار يُنْسيك الخورنق حُسْنها
وتَسْلو بِهَا عن ذكر غمدان والقصر

/ ق٢٤/

فما إرم وغمدان لهما مقدار عند هذه الدار، ولم يزل يسكنها كُلّ مَن تولى مكة مِن أولاده، وينشأ فيها زيادة على فسيح أجياده، فإذا تولى مكة غير أولاده، عيَّنُوا عليه أجرةً لِسُكْنَاها، ليزيدون بأجرتها شيء في بناها[1]، رحم اللَّه تعالى منشيها[2]، فإنه كان حسنة مِن حسنات الدهر، ونادرة مِن نوادر العصر، مات بانيها - رحمه اللَّه تعالى - ولم يقسم له نصيب في تقليد عِقد الشرافة، ولم يذق طعم ثمرة الخلافة.

[فتنة بين حامية قلعة المدينة المنورة وشيخ الحرم]

وفي هذا العام المذكور، سنة ١١٥٦ [3]، وقعت الفتنة العظيمة، والفعلة القبيحة الذميمة، وهي الحرابة الواقعة بالمدينة المنوَّرة، والحجرة الشريفة المُطَهَّرة، بين أهل القلعة وشيخ الحرم[4]، فتهتكت فيها الأستار والحُرم، والسبب في ذلك العداوة والبغضا[5]، والفعل الشنيع الذي لا يقبله اللَّه جلَّ جلاله ولا يرضاه، والأصل الباعث في أسبابه، والداعي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ليزيدوا بأجرتها شيئًا في بنائها.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: منشئها.

(٣) ١١٥٦هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٤٣ – ١٣ فبراير ١٧٤٤م.

(٤) **شيخ الحرم**: كان حينها عبد الرحمن أغا الكبير. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٦٣. ولي مشيخة الحرم المدني عام ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م، وعزل مِنْها في عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٤م، وقد عُرِفَ بالكبير تميزًا له عن عبد الرحمن أغا الصغير، الذي ولي مشيخة الحرم المدني مِن بعده، وقد انتقل عبد الرحمن أغا هذا بعد عزله إلى مصر، وعاش فيها حتى وفاته عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م. جعفر بن حسين هاشم المدني (ت١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)، **الأخبار الغريبة بذكر ما وقع بطيبة الحبيبة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٨؛ أحمد عارف عبد الغني، **تاريخ أمراء المدينة المنوَّرة** (١-١٤١٧هـ)، دار كنان، دمشق، د.ط، ١٩٩٦، ص ٣٨٠.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: البغضاء.

لهذا الشر وفتح بابه، قتل شخص مِنْهم، يقال له: حسن كابوس[1]، فقام بينهم لأجله حرب البسوس[2].

---

(١) **حسن كابوس**: ينحدر أصله من أسرة مصرية، انتقلت إلى المدينة المنوَّرة في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وقد ولد في المدينة المنوَّرة، ونشأ فيها، ثم انخرط في فرقة النوبتجاية، وكان ذا شخصية قوية ومؤثرة، وحظي بمكانة مرموقة في فرقته العسكرية، رغم أنه جندي عادي فيها، وكان له دكانٌ قرب باب المصري - أحد أبواب المدينة المنوَّرة - يبيع فيه الحبوب في غير أوقات عمله الرسمية، وفي أواخر عام ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م، انتشر خبر في المدينة أنَّ كميات مِن الحبوب قد جاء بها عثمان بك [يبدو أنَّه عثمان بك ذو الفقار أمير الحج المصري في هذا العام. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٣٠٢] لتوزع على أهالي الحرم المدني، فاستولى عليها كبار الموظفين، ومِنْهم القادة العسكريون، وتصرفوا فيها، فغضب الناس، وكان حسن كابوس واحدًا ممن اشتد بهم الغضب، وتمكَّن مِن الحصول على دعم زملائه في الفرقة، وانضم إليه عددٌ مِن الأهالي الساخطين على الأوضاع، وقاموا بثورة في المدينة، وغلقوا أبواب المدينة، ووضعوا عليها حراسة، وتَوَجَّهت الجموع إلى قلعة المدينة، ولم يجد القادة العسكريون المُحَاصَرُون داخل القلعة مفرًّا مِن توقيع الصلح مع الثوار، الذين اشترطوا عليهم طرد المتورطين في الاستيلاء على الحبوب خارج المدينة، وقد كان، وعقب ذلك شعر القادة العسكريون بالمهانة، فعزموا على الثأر لأنفسهم، واستعادة هيبتهم في نفوس الناس، فقرروا قتل محرك الثورة حسن كابوس، فقامت مجموعة مِن عساكر القلعة بمباغتته في دكانه، وقتلوه وفَرّوا إلى القلعة، وذلك في صفر ١١٥٦هـ/ إبريل ١٧٤٣م؛ فغضب أهالي المدينة، واشتعلت الثورة مرة أخرى، لتؤدي إلى فتنة عظيمة. عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري، **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ٤١١-٤١٢؛ عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة المنوَّرة**، ج٢، د.ن، المدينة المنوَّرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٩٠-٣٩٢.

(٢) **حرب البسوس**: هي حرب في العصر الجاهلي، قامت بين قبيلة تغلب ضد بني شيبان، وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى البسوس بنت منقذ، ويرجع سببها إلى أنَّ الجساس بن مرة الشيباني قام بقتل كُلَيْب بن ربيعة ثأرًا لخالته البسوس بنت منقذ، وذلك لأنْ كُلَيْبًا قتل ناقة كانت لجارها سعد بن شمس الجرمي؛ فاندلعت الحرب بين الجانبين، واستمرت حوالي أربعين سنة، فصارت هذه الحرب يضرب بها المثل في الشؤم، وانتهت هذه الحرب في حوالي عام ٥٢٥م. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، سلسلة ذاكرة الكتابة (١٢)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٧٨-٣٨١. ولعلَّ تشبيهه الفتنة التي حصلت بالمدينة المنورة بحرب البسوس؛ نظرًا لتفاهة =

فعند ذلك تَرَّسُوا البيوت المقابلة للقلعة وغيرها مِن الأماكن، ونطق لسان الحرب بعد أنْ كان ساكن(١)، وغلقوا أبواب المساجد، وأبواب سور المدينة، وصار كُلّ حزب مثل الأسد يلازم عرينه، خايفين(٢) مِن إيقاع المهالك، مُسَددين الطرقات والمسالك، ثم دَسُّوا على [أهل القلعة](٣) دَسِيْسَة، وفعلوا بهم فعلة خَسِيْسَة؛ دَسُّوا عليهم دَسِيْسَة بالحيلة والصنعة(٤)، مع غلام خادم لأهل القلعة، بأنْ يطرح لهم حبلاً يربطه بأعلاها، ولمَّا فعل ذلك كان هو السبب في إيقاع بلواها، فصعدوا على الحبل ليلاً حتى تكامل العدد المطلوب، وفي آخر الليل وقع بينهم الضرب والمضروب، وما زال يعمل بينهم ضرب السلاح، حتى حَيْعَلَ للفجر داعي الصباح، فأسفر الأمر عن انكسارة أهلها وإخراجها، وتزحزحهم عنها واندراجها، وقتلوا مِنْهم جمعًا تلك القِلَّة، وأخرجوا الباقين وهم أذِلَّة، فأخذوا المواثيق والذِّمم، وانحازوا إلى بيت شيخ الحرم، فقال لهم: لا تثريب عليكم اليوم ولا ريب، قد وصلتم حِمَا كُلَيْب(٥) / ق٢٥/.

= سببها، وعظم الفتنة التي تمخضت عنها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: ساكنًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خائفين.

(٣) وردت في الأصل أهل المدينة، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ١٦.

(٤) بعد مقتل حسن كابوس لم يهدأ أهالي المدينة، فقام بعضهم بالاستعانة بالجلوية مِن قبيلة حرب، فجاءت مجموعة مِنْهم بقيادة عثمان بن أحمد الصالحي، وتمثلت الخديعة في أنهم دَسُّوا في أهل القلعة غلامًا خادمًا لهم، وأمروه بأنْ يسدل لهم حبلاً مِن أعلى القلعة، ليصعدوا به على أسوارها، وينزلوا بداخلها، فتمَّ الأمر على ذلك الحال؛ حيث نزلوا إلى داخل القلعة في ليلة ٢١ جمادى الآخرة ١١٥٦هـ/ ١١ أغسطس ١٧٣٤م، دون أنْ يشعر بهم الحُرَّاس، فأغلقوا باب القلعة، ليمنعوا دخول كثير مِن العساكر الذين كانوا ما يزالون خارجها، ثم تَوَجَّهوا إلى بيت قائد القلعة محمد سعيد الإنكشاري، فقتلوه، ثم قتلوا أخاه حمزة، فأحسَّ بهم حسين ابن قائد القلعة المقتول، فخرج لهم بالسيف، وتقاتل معهم إلى أنْ قتل قائدهم الصالحي، ثم اجتمعوا على حسين هذا فقتلوه، ثم فرُّوا إلى خارج القلعة. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٣٦٤-٣٦٥؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٣٩؛ عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة**، ٢/ ٣٩٢-٣٩٣.

(٥) **حِمَا كُلَيْب**: نسبة إلى وائل بن ربيعة التغلبي سيد بني معد، المُلَقّب بـ «كُلَيْب»؛ حيث كان له =

وكان معهم عين أعيان العُلما[١]، والماجد الذي فاض ينبوع فضله الما[٢]، الفاضل الجليل، والعالم النبيل، الشيخ عبد الكريم الأنصاري[٣]، لا زال بحر فضله جاري[٤]، وابنه الماجد الأريب، والكامل الأديب، شاعر زمانه، وفايق[٥] أقرانه، الشيخ يوسف بن عبد الكريم[٦] دام لجيد المجد عقد فضله النظيم؛ فحماهم حضرة شيخ الحرم، وعرف ما يجب لهم مِن المكارم والحرم، لكن وقع بينه وبين الجماعة الآخرين المعاندة والمعاداة، لكونه صَافى عدوّهم

= جرو يتركه في أرضه، فلا يجرؤ أحد أنْ يرعى في مناطقه التي يصل إليها نباح هذه الجرو، ولذلك ضرب به المثل في العزّة، وقيل: أعزّ من كُليب وائل. السيد عبد العزيز سالم، **العرب قبل الإسلام**، ص ٣٧٩.

(١) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الماء. وقد وردت (ونما) في النسخة (ب)، ورقة ١٦.

(٣) **عبد الكريم الأنصاري**: ولد بالمدينة المنوَّرة عام ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م، ونشأ بها، واشتغل بطلب العلوم، فأخذ عن والده، وعن البرزنجي، والخليلي المقدسي، والزرقاني، وغيرهم من العلماء، وصار أحد خطباء المسجد النبوي، وكان يدرِّس بالروضة المطهرة، وعقب قيام فتنة حسن كابوس المذكورة أعلاه، انضم إلى جانب شيخ الحرم عبد الرحمن أغا الكبير، ثم عقب عزل شيخ الحرم المذكور، رحل مع بعض أبنائه إلى مكة المكرمة، واستقر فيه إلى أنْ وافته المَنِيَّة في ذي الحجة ١١٦٢هـ/ نوفمبر ١٧٤٩م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٣/ ٨٠؛ مؤلف مجهول، **تراجم أعيان المدينة المنوَّرة في القرن الثاني عشر الهجري**، حققه وعلَّق عليه: محمد التونجي، دار الشروق، جدة، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٥٠؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٥٤، ٥٧؛ رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٤٣٩.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاريًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فائق.

(٦) **يوسف بن عبد الكريم**: ولد في المدينة المنوَّرة عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، ونشأ فيها، ثم شرع في طلب العلم، فتلقاه عن والده، ومحمد بن الطيب، وأبي الطاهر الكوراني، وأبي الطيب السندي، وقد ألَّف، ونظَم، ونَثر، وله منظومةٌ في المناسك، وعقب انتهاء فتنة حسن كابوس المذكورة أعلاه، وعزل شيخ الحرم المدني، رحل كما رحل والده عن المدينة المنوَّرة، وانتقل للإقامة في قرية بدر، وقد وُجِّه له بعد ذلك منصب الإفتاء في المدينة المنوَّرة، ولكن رُفِع عنه قبل أن يصل إليها، وقد توفي بالمدينة المنوَّرة في جمادى الآخرة ١١٧٧هـ/ ديسمبر ١٧٦٣م، ودُفِنَ بها. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٤/ ٢٤٧-٢٤٨؛ مؤلف مجهول، **أعيان المدينة**، ص ٥٢-٥٣؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٥٤، ٥٧.

وأَوَاه.

إِذَا صَافَى حَبِيْبُكَ مَنْ تُعَادِي
فَقَدْ عَادَاكَ وَانفَصَلَ الْخِطَابُ[١]

فقامت الحرب مِنْهم على ساق، ووقع الطعن في المتاعب والمشاق، وما زال لسان نار الحرب يستعر، وجمرته تتقد وتَتَّعِر، حتى أسفر الأمر بعد حرب طويل، وقتال عظيم مُهيل، عن انكسارة شيخ الحرم وأتباعه، ومواليه وأشياعه؛ فعند ذلك استعان شيخ الحرم بالقبايل[٢]، وأتى بالأمر القبيح الهايل[٣]، فلبت دعوته العرب، وأقبل عليه مِن طغام البادية وبني عِلَيّ[٤] كُلّ كلب أجرب، فجعل المناير[٥] والمدارس، حصونًا ومتارس، وترَّس بهم كُلّ موضع حصين، حول مسجد سيِّد المُرسلين، فاشتجر بينهم الحرب، وحمي القتل والضرب، وامتنعت الناس عن دخول المسجد للطاعة، وانقطعت الجمعة والجماعة، وصار الرصاص يصل إلى الحجرة المُطَهَّرة أشْرف البقاع، ويُمَزّق المصاحف والأرباع، ولم يكف أحد الفريقين يده عن الشر ويرجع عن غواه، ولم يفء أحد مِنْهم إلى أمر اللَّه، واستطال هذا الحال على هذا المنوال.

فعند ذلك أرسل شيخ الحرم نجَّابًا للدولة العليَّة[٦]، ونجَّابًا لصاحب

---

(١) البيت للإمام الشافعي، انظر: عبد الملك بن محمد الثعالبي، **اللطائف والظرائف**، دار المناهل، بيروت، د.ط، د.ت، ص ١٤٨. وفيه:
إِذَا وَافَى صَدِيْقُكَ مَن تُعَادِي
فَقَدْ عَادَاكَ وانفَصَلَ الكَلَامْ.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الهائل.

(٤) **بني عِلَيّ**: من مسروح مِن قبيلة حَرْب، وينقسمون إلى: ولد مُرَيْر، والجُبُور. ويسكنون حول المدينة، وفي نَجْد في: قُبَة، والطراق (في وادي الأجردي). حمد الجاسر، **قبائل المملكة**، ص ٥٥٠-٥٥١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: المنائر.

(٦) يذكر البديري أمر فتنة المدينة في تاريخه بوصول ثلاث نجابة إلى دمشق مِن المدينة المنوَّرة في =

الترجمة، ووالي جدة[١] المحميَّة، يطلبهم للنجدة والنصر، واستخلاصهم مِن الحصر والأسر، وفي الحقيقة نسبة الخطأ كما ذكر إليه، وهو السبب في إثارة نار الفتنة ومعوّلها عليه.

وأمَّا أهل القلعة فيقولون لشيخ الحرم: لا نكف عنك القتال، ولا نترك النصال، إلا إذا نفيت مِن مدينة المختار خمسة أنفار، هم السبب في هذه الفتنة، وإيقاع المسلمين في البلية والمحنة، فلم يطع شيخ الحرم / ق٢٦/ على تسفير هؤلاء الخمس، ولو سكن الرَّمْس[٢].

فعند ذلك استحسن صاحب الترجمة، لا زالت عقود هِمته منظمة، أنْ يرسل جيشًا مِن الكُمَاة الحماة الضياغم، لتردَّ أُنفَ الباغي مِن الفريقين وهو راغم، فأرسل هذا الجيش، وأمَّر عليه مِن السادة الأشراف أميرًا يحفظه مِن الأطراف والأكناف، وأمره بِمَا هو حامله، إنْ لم يرضَ شيخ الحرم بإخراجهم يقاتله.

فلمَّا بلغ شيخ الحرم إرسال هذه الرتبة، وعلم تحقيق الوثبة، غلب على ظنه أنَّ هذه الرتبة عليه لا له، وإنْ وصلت تُعين عليه وتُغير أحواله؛

= يوم الأربعاء ١٤ شعبان ١١٥٦هـ/ ٢ أكتوبر ١٧٤٣م، وأخبروا بأنَّ المدينة مُحَاصَرة، وأنها على ثلاثة أحلاف: حلف مع غزّ القلعة، وحلف مع شيخ الحرم عبد الرحمن أغا الكبير، وحلف مع أهل المدينة، وأنَّهم في قتال عظيم، وذكروا أنَّ شريف مكة أرسل إلى شيخ الحرم خمسة عشر بَيْرَقًا تساعده على ذلك، وأنَّهم - أي النجَّابَة - قاصدون إستانبول، ليخبروا حضرة السلطان بهذا الأمر. أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، ص ٤٧-٤٨.

(١) **والي جدة**: كان حينها أحمد باشا الكبرلي. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٦٦.

(٢) **الرَّمْس**: أيّ القبر. **المعجم الوسيط**، ص ٣٧٢.

فكاتب شيخ حرب(١) هزَّاع، وخدعه بأنواع الخداع، وأرسل لأعيان قبايل(٢) حرب أنْ يُقَاتِلوا هذه الرتبة، لتفرج عنه كُلّ كربة، واستمالهم بالمال، والمال مصرعة عقول العُقَّال، فجمع هزَّاع البوادي، ونادى عليهم مُناديه في كُلّ نادي، وأوهم عليهم إنَّما هي مُرسلة لقتالكم، واستباحة نسائكم وأموالكم، وليست هذه مُرسلة لأهل المدينة، بل ورَّى بها عليكم خديعة ودفينة، فأطاع هزَّاع كثير مِن العرب، وابتدر لقتال الرتبة وانتدب، فجمع القوم الحمرا على واد الصفرا(٣)، وأكَّد عليهم بقتالهم وحرض، وإذاقتِهم الموت الأزرق في اليوم الأبيض.

فلمَّا وصلت الرتبة إلى رابغ(٤)، وطنبت خيامها السادة النوابغ، معتمدين

---

(١) **حرب**: قبيلة خولانية قحطانية يمنية، استقرّت في منطقة ما بين الحرمين الشريفين في أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، واستطاعت أنْ توجد لها كيانًا عشائريًّا قويًّا ابتداءً مِن القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وتُعَدُّ مِن أكبر القبائل العربية وأقواها، وبخاصة في الحجاز. وتمتد ديارها في الحجاز من جنوبي ينبع إلى القُنْفُدَة، على محاذاة الساحل، وحول المنطقة الجبلية الممتدة من المدينة المنوَّرة إلى مكة المكرمة إلى قرب جبل أبانَيْن، ثم تمتد شرقًا إلى داخل نجد بقرب وادي الرمان، وحدها الجنوبي درب الحج من بريدة إلى مكة. وتنقسم قبيلة حرب إلى شعبتين كبيرتين، وهما: بنو سالم، وبنو مسروح. وقد رتبت لهم الدولة العثمانية رواتب ثابتة مِن أجل تأمين طرق قوافل الحجاج إلى بيت اللَّه الحرام، ولكنهم كانوا كثيري العصيان بين الفينة والأخرى. ويتضح مِن خلال تاريخ ابن عبد الشكور أنَّ قبائل حرب كانت في عداء دائم مع أشراف مكة؛ ولذلك فسوف ترد أخبارهم في مواضع عديدة في خضم الأحداث، وبخاصة فيما يتعلق بالفتن التي تقع في المدينة المنوَّرة، واشتباكاتهم العديدة مع أميري الحج المصري والشامي. للمزيد عن قبيلة حرب، انظر: عاتق بن غيث البلادي، **نسب حرب**، دار مكة للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٧ وما بعدها؛ فائز بن موسى البدراني، **فصول مِن تاريخ قبيلة حرب في الحجاز ونجد**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٩٩-١٢٢؛ ماكس أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ٢/ ٥٢٤-٥٤٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الصَّفْراء. وهو وادٍ مِن ناحية المدينة المنوَّرة، وهو أكبر أودية الحجاز، وتسميه العامة وادي بدر لاشتهار بلدة بدر، وبه كثير النخل والزرع والعيون، وسُكَّانه بنو سالم مِن قبيلة حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٩٩٣-٩٩٤.

(٤) **رابغ**: مرفأ يقع بساحل الحجاز، بين جِدة وينبع، ويبعد عن جدة ١٥٥ كيلاً شمالًا، وعن =

أنَّ هزَّاع[١] شيخ حرب مِن جملة الخدم، وأنه يقوم بِمَا يحتاجون إليه على قدم، كيف لا يكون كذلك، وقد أرسل إليه صاحب الترجمة كتابًا بالوصية، وأنْ يقوم لهم بالخدمة على الوجوه المرضية، فخاب مأمله في هذا الخبيث، ووثق بحبل مروته[٢] فكان رثيث[٣]، لأنَّه مَال مع المالِ، ولم يُبَالِ بالعار، وأغلب البوادي على هذا المقدار، فقصد رتبة الشريف بالقتال، ودهمهم ذلك الفاجر الخَتَّال[٤].

ولَمَّا أقبل على رابغ ترَّسوا له الأماكن، ولبسوا الدروع السوابغ، وتقاتل الجمع بالجمع، وحمي الوطيس، وثار النقع[٥]، فمالت الصفوف على الصفوف، ورعدت البنادق، ولمع برق السيوف وأمطرت سحايب[٦] القتام بالدما[٧]، ولاحت الأسنة في سماء النقع أنجمًا، وشبّ جمر الحرب بعد أنْ هَرِم، وسال مِن النَّجِيع[٨] الأحمر سيل العَرِم.

فلمَّا انجلى المضمار، وانكشف الغبار / ق٢٧/ أسفر الأمر عن انكسار الرتبة، ومَن معها، وعاد إلى خُلَيْص أجمعها، وكم فقد مِن الفريقين أشخاص،

= ينبع ١٩٥ كيلًا جنوبًا، وهو مجتمع طرق ثلاثة: الطريق الأوَّل: الجنوبي، ويتفرع إلى فرعين؛ أحدهما إلى مكة، والآخر إلى جدة. الطريق الثاني: الشرقي الشمالي، ويتفرع إلى فرعين؛ أحدهما يسمى بالطريق الفرعي، والآخر بطريق الغاير، وكلاهما يتجه إلى المدينة المنوَّرة. الطريق الثالث: الشمالي، يسمى بالطريق السلطاني، ويتفرع عند مَسْتُورة إلى فرعين؛ الشرقي مِنْهما يسمى الطريق السلطاني الملف، والشمالي يسمى بالطريق السلطاني فقط، وكلاهما يتجه إلى المدينة المنوَّرة، ومِن الفرع الشمالي طريق إلى ينبع. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ٢٠٢-٢٠٣؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٤/ ٦٥٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: هَزَّاعًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مروءته.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رثيثًا.

(٤) **الخَتَّال**: كثير الغَدْر والخِداع. **المعجم الوسيط**، ص ٢١٨.

(٥) **النقع**: التراب. **المعجم الوسيط**، ص ٩٤٨.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: سحائب.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: بالدماء.

(٨) **النَّجِيعُ**: دمُ الجوف. **المعجم الوسيط**، ص ٩٠٤.

ولا تسلم مِن الخواص، ورجع هزَّاع إلى واديه ببواديه، وأقام بواد الصفرا، وهو بالندم أحرى لعلمه أنَّ فعلته الفعلة الذميمة، وأنَّ عاقبتها عليه وخيمة، وسيفيق مِن سُكْر الغيّ، ويشبع مِن رأيه الفطير الني، وأيقن في ذهنه أنَّه عن قريب يركب عليهم بنفسه، ويكون سببًا لنزوله في رَمْسه.

ولَمَّا بلغ الشريف مسعود[1] ما وقع مِن هزَّاع، مِن الأمر الذي شاع وذاع، وغرته بذلك الأطماع، وجرأته الذي على عسكره تجرَّأها، ونقض أمرها وحلّ عراها، عزم على ما عزم عليه مِن الركوب عليهم، وسلب نعمتهم وجلب البلاء إليهم، ثم أمر على حكامه في بنادره أجمعين: أنْ لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين، وقبض على مَن وجد مِن أولئك الجنوس، وملأ مِنْهم المخازن والحبوس.

ثم تَوَجَّه عيد بن بردي، وقبايل[2] حرب، وهزَّاع بن مضيان، لمدينة سيد ولد عدنان، وأوقعوا فيها فسادًا، وأيّ فساد عمّ، وقَاتَلوا أهل القلعة وغيرهم لأجل شيخ الحرم، فقتل مِن الفريقين جمع عظيم، وشربت ريشة البادية مِن ماء البغي الوخيم، فعند ذلك أخرج شيخ الحرم مِن الحجرة دراهم وفرَّقها على البوادي، لِمَا صنعوه معه مِن الأيادي، ثم صارت المهادنة بين أهل القلعة وشيخ الحرم، وشدت بينهم الوجوه وأُخذت الذمم.

و[أمَّا][3] ما كان مِن صاحب الترجمة، فإنَّه لَمَّا علم أنَّ الشيخ منصور[4] ضد لهزَّاع، إلا أنَّ يده تقصر عنه في قوة المراجل والأتباع؛ فرأى أنه يقوّي الشيخ منصور ويمده، ويصيره شيخًا وخَادِمًا له ويستعده، وعادة الرجال نَضَد[5] الرجال، وتفعل بالرأي ما لا يفعله القتال، فجهز

(١) كذا في الأصل، والصواب: مسعودًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.
(٣) أضيفت حتى يستقيم النص.
(٤) **الشيخ منصور**: منصور بن بدوي، من مشايخ قبيلة حرب، توفي في عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٢٢.
(٥) **نَضَد**: تعني في هذا الموضع جمع الرجال، ويقال: نَضَدَ الشَّيءَ، أيّ ضمَّ بعضَه إلى بعض =

نحو ثلاثين خيَّالاً من عبيده وعبيد أبيه، وأرسلها مع ولد الشيخ منصور[١] وولد أخيه، فلمَّا وصلوا بدرًا[٢] خرج عليهم هزَّاع، وجلب عليهم مِن البلاء أنواع[٣]، فصار بينهم القتال، وقد أقبل عليهم بجنود كالجبال؛ فانكسرت خيل الشريف للأمر المقدور، وقُتِل ولد الشيخ منصور، ورجعت بقية الخيل إلى ساحل يمبع[٤]، فتلقاها وزير الشريف، / ق٢٨/ واستقرّت في ظلِّ عيش وريف.

ولَمَّا بلغ الشريف ما فعله هزَّاع اشتد عليه الغضب، وجزم على قتله بأدنى سبب، ولو لم يخشَ ضيق الزمن، لركب عليه بسراة بني حسن، وجلبها عليه شامًا ويمن[٥]، لكن الأمُور بأوقاتها مربوطة، والأشياء بأسبابها منوطة.

ولَمَّا أقبلت الحجوج، أرسل صاحب الترجمة لأمرائها المكاتيب، وأمرهم أنْ يسلموا للشيخ منصور جميع ما هو لحرب مِن المقررات والتراتيب، فسلم لمنصور والي الشام[٦] جميع ما هو لحرب مِن الأنعام، ووصل منصور مِن طريق الفرع[٧] إلى مكة صحبة الحج الشامي، والتقى

= مُتَّسِقًا. **المعجم الوسيط**، ص ٩٢٨.

(١) كذا في الأصل، والصواب: منصورًا.

(٢) **بَدْر**: قرية تقع في أسفل وادي الصفراء، في جنوب غربي المدينة المنوَّرة على مسافة ١٥٥ كيلاً، وتتميز بوفرة عيونها ونخيلها وزرعها، ويسكنها قبيلة حرب وبعض بيوت الأشراف. وقد وقعت فيها غزوة بدر الكبرى عام ٢هـ/ ٦٢٤م، بين المسلمين ومشركي قُرَيْش. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ١/ ١٧٧-١٧٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أنواعًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: يمنًا.

(٦) والي الشام أسعد باشا العظم. أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، ص ٥٢.

(٧) **طريق الفرع**: أو الطريق الفرعي، إحدى الطرق التي يسلكها الحجاج بين مكة المكرمة والمدينة المنوَّرة، وهي تبتدأ مِن رابغ متجهةً إلى الشمال الشرقي، وتمر على العديد من المحطات، وهي: وادي حرشان، ونقر الفار، وبئر رضوان، وأبي ضباع أو أم ضباع، والرياض أو وادي الريان، والغدير، ووادي المعظم، وبئر الماشي، وآبار علي، والمدينة المنوَّرة. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا** =

بحضرة مخدومه الجناب السامي.

وأمَّا هزَّاع فقعد للحاج المصري[١] ببدر وتلك الجهات، وأخذ بالقهر جميع ما عنده من المقررات، وجاء على الطريق السلطاني[٢] ذهابًاوإياب[٣]، وانساب مِن تلك المهامة كالحباب[٤]. وأمَّا شيخ الحرم فقد جاء عزله مِن الدولة وامتهانه، وانعكست أنصاره وأعوانه، وأمر عليه بالتسفير إلى مصر القاهرة، لِمَا فعل مِن تلك الفعلة القبيحة الظاهرة.

وجاء الأمر مِن الدولة العليَّة، بتفويض أمور المدينة لصاحب الترجمة، فاستقرَّت أحوالها - بحمد اللَّه تعالى - وصارت منتظمة، وتفرَّقت مِن البلد أشياع شيخ الحرم وفرَّت، وانحازت فورًا إلى هزَّاع وما استقرَّت، ورجع هزَّاع بالخيبة والدمار، يرعى أباعره في تلك القفار، وقد استحق هذا الصّعلوك، لمعاندته للملوك، فما برح خائفًا على نفسه حاير[٥] مقطوعًا مِن جميع أحكام الشريف في البنادر، حتى أذهبت الكثير والقليل، وصار أذَلَّ مِن ذليل، فما وسعه إلا أنه طاح على الشيخ منصور، وطلب مِنْه أنْ يستسمح له خاطر الشريف المذكور، وأنْ يكون مِن تحت أمر منصور، مدى الأيام والدهور،

= **الثاني خديوي مصر**، مطبعة الجمالية، مصر، ط٢، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ص ٢١٠-٢١١؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٣١١-٣١٢.

(١) أمير الحج المصري إبراهيم بك بلفية. أحمد الرشيدي، **حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولِّي إمارة الحاج**، حقّقته وكَتبت المُقدمة والحواشي: ليلى عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٢١٦.

(٢) **الطريق السلطاني**: إحدى الطرق الرئيسة التي يسلكها الحجاج بين مكة المكرمة والمدينة المنوَّرة، وهي أفضل الطرق، وأحسنها سيرًا، وأكثرها ماءً، وكانت القوافل تخرج من باب العُمْرة في مكة المكرمة وتسير إلى الشمال الغربي، وتمر خلال هذه الطريق على عديد من المحطات، وهي: وادي فاطمة، المحسنية، وعُسْفان، خُلَيْص، القديمة (القضيمة)، رابغ، مَسْتُورة، بئر الشيخ، بئر ابن حصاني، الحمراء، الجديدة، بئر عباس، بئر درويش، آبار علي. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية**، ص ٢٠٩-٢١٠؛ إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ٢/ ١٩٩-٢٠٦.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: إيابًا.

(٤) **الحباب**: فقاقيع على وجه الماء بفعل الرِّياح. **المعجم الوسيط**، ص ١٥١.

(٥) كذا في الأصل ، والصواب: حائرًا.

فاستعطف له خاطر الشريف فسمح، وعُدَّت مِن المحاسن والملح.

قف على قصة طهماز

وفي عام سبعة وأربعين بعد المائة والألف[١] سنة ١١٤٧هـ[٢]، جاء رسول نادر شاه[٣] سلطان.........

---

(١) يبدو أنَّه قد وقع تصحيف مِن المؤلف نفسه في إثبات هذا العام، فجميع النسخ الخطية أوردته كذلك، ولكن التتابع الزمني للأحداث يدل على أنَّ هذا العام هو عام سبعة وخمسين بعد المائة والألف ١١٥٧هـ/ ١٤ فبراير ١٧٤٤ - أوَّل فبراير ١٧٤٥م، وليس العام المذكور أعلاه، بالإضافة فإنَّ هذا الرسول وهو السيد نصر الدين الحسني - كما هو مثبت في المصادر التاريخية المعاصرة للأحداث - قد جاء وحضر موسم الحج في عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٥م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٧٧.

(٢) ١١٤٧هـ/ ٢ يونيو ١٧٣٤ - ٢٢ مايو ١٧٣٥م.

(٣) **نادر شاه**: ولد في أبيورد في إقليم خراسان محرم ١١٠٠هـ/ نوفمبر ١٦٨٨م، وأصله مِن قبيلة أفشار التركمانية، وقد دخل في خدمة زعيم الأفشار، ثم تزوج مِن ابنته، وبعد وفاة صهره، تولى نادر شاه زعامة القبيلة، وقد ذاع صيته في تلك الفترة، فأرسل إليه الشاه طهماسب الثاني الصفوي (١١٣٥-١١٤٤هـ/ ١٧٢٣-١٧٣١م)، في خرسان يستدعيه لخدمته، وأصبح قائدًا عامًّا للجيش، وتمكن نادر شاه مِن طرد الأفغان مِن إيران في عام ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م، وفد دخل في حروب طاحنة مع العمانيين وطردهم من مناطق في غربي إيران، ولمَّا بلغه أنَّ طهماسب شاه عقد صلحًا مع العثمانيين في ١٥ ربيع الأول ١١٤٤هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٣١م، فعزله ونصب مكانه ابنه عباسًا الثالث (١١٤٤-١١٤٨هـ/ ١٧٣١-١٧٣٦م) وكان يبلغ من العمر ستة أشهر، وقد تمَّ تتويجه على عرش البلاد في ٢٤ شوال ١١٤٨هـ/ ٧ مارس ١٧٣٦م، وتسمَّى نادر شاه، وقد قام بحملات عديدة على العراق، وحاول الاستيلاء على مدنها، فكانت الحرب سجالاً بينه وبين العثمانيين، وعقد معهم الصلح مرات عديدة، وحاول التقريب بين السنة والشيعة، في مؤتمر النجف عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٤م، وقام بحملات عديدة على بلاد الهند، والداغستان، وقد مات مقتولاً على يد بعض قادة جيشه مِن القزلباش في ١١ جمادى الآخرة ١١٦٠هـ/ ١٩ يونيو ١٧٤٧م. للمزيد عن عصره انظر: رضا زاده شفيق، **نادر شاه أفشار: مؤسس الدولة الأفشارية وأوَّل مفعل للتقريب بين المذاهب الإسلامية (١١٠٠-١١٦٠هـ/ ١٦٨٨-١٧٤٨م)**، ترجمة: أحمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م. عباس إقبال الآشتياني، **تاريخ إيران بعد الإسلام مِن بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م - ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)**، نقله عن الفارسية وقدَّم له وعلَّق عليه: محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ١٤٠٩هـ/ =

العجم[1]، الفاجر الذي أتلف مَمَالك الإسلام بيد بغيه ورجم، ولقب هذا النحس بطهماز[2]، لكونه انضم لطرف الشر وانحاز، فهو الملك الظالم الغشوم الذي وجوده على الناس نكد وشؤم، طغى في البلاد وأكثر فيها البغي والفساد / ق٢٩/ ، وسار في الأقطار سير الفلك الدَّوار حتى تَجَرَّأ على بعض الممالك العثمانية[3]، ولم يخشَ من سطواتهم القوية، فأخذ قطر عراق العرب، وسطا على البصرة وما حولها وما انتدب، وملك قلعة أرويل، وكثيرًا مِن بلدان الأكراد، فأكثر فيها الفساد والعناد، ومَلَكَ مشهد سيدنا علي بن أبي طالب[4]، وجميع القُرى التي بتلك الجوانب، ولمَّا وصل إلى..............

= ١٩٨٩م، ص ٦٩٥-٧٢٢؛ Percy sykes,**A History of Persia 1867-1945**, Mac-millan, London, 1915, vol.2, p.p. 254-255.

(١) **العَجَم**: خلافُ العَرَبِ، والواحد عَجَمِيٌّ. وقد كان العرب قبل الإسلام يطلقون على الفرس كلمة العَجَم، واستخدمت في القرآن الكريم بصفة أعمّ لتشمل غير العرب. **المعجم الوسيط**، ص ٥٨٦.

(٢) **طهماز**: أصلها طهماسب. فعندما قام طهماسب الثاني الصفوي، شاه إيران، بإدخال نادر شاه في خدمته منحه لقب «طهماسب قلي»؛ أيّ غلام طهماسب، وهذا هو الاسم الذي اشتهر به نادر شاه بين العراقيين عندما سار لغزو أراضيهم، وقد اختزل اللقب على ألسنة العامة فصار طهماز. علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج١، انتشارات الشريف الرضى، أمير - قم، ط١، ١٣٧١- ١٤١٣هـ، ص ١١٠.

(٣) كان ذلك جُزءًا من الصراع الإيراني العثماني على المناطق المتاخمة لهما، الأمر الذي أدى لإضعاف قوتهما، وتوقفت الفتوحات العثمانية في أوروبا، وترتب عليه التدخل المُشين للدول الأوروبية في العالم الإسلامي والاستيلاء عليه. للمزيد انظر: محمد عبد اللطيف هريدي، **الحروب الفارسية العثمانية وأثره في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا**، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ٤١ وما بعدها؛ عباس إسماعيل صاغ، **تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية - الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين**، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٢٥ وما بعدها.

(٤) **مشهد سيدنا علي بن أبي طالب**: ينسب هذا المشهد إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقع في مدينة النجف، التي تبعد حوالي مائة وخمسة وستين كيلو مترات جنوبي بغداد، وقد كان قبر الإمام علي لا يعرف مكانه أحدٌ إلا آل بيته، حتى اشتهر مكانه، فقام الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) ببناء قبة على قبره عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، ومنذ ذلك الحين طرأ على المشهد العديد مِن التوسيعات والتجديدات. وعندما دخل نادر شاه إلى النجف عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، كانت القبة =

الموصل[1]، عجز عن أخذها لا بالحيلة ولا بالقتال، بل أتعبه أهلها وعُربانها، وأذاقوه أنواع النكال؛ فقام عنها عاجزًا مقهورًا، وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا[2]، فعاد بجيشه إلى المشهد، وجمرة غيظه تتوقَّد، ثم عاد إلى بلاده بعد جوره وإفساده، وقد سبق له أنَّه مَلَكَ أرض السِّند، وبخارى، والهند، وأرض الداغستان، وما حولها مِن البلدان.

= والإيوان والمئذنتان مِن الآجر المزجج (القاشاني)، فأمر بتذهيبها، وأنفق في سبيل ذلك أموالاً طائلة بلغت نحو خمسين ألف تومان، عدا قيمة الذهب والنحاس، وقام بالتذهيب أكثر من مائتي صائغ ونحَّاس جمعهم من سائر البلدان، وقد كتبت أسماء أكثرهم على الطباق النحاسي وراء الذهب. للمزيد انظر: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، **ماضي النجف وحاضرها**، ج ١، دار الأضواء، ، ط ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٤-٥٠، ٦٤-٧٠؛ جعفر مرتضى العاملي، **دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام**، ج ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط ٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٠٣-٢٣٢.

(١) **الموصل**: تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة في العراق، وهي مِن أهم مدن شمال العراق، وكانت حينئذٍ ولاية عراقية تابعة للدولة العثمانية، تحكمها الأسرة الجليلية (١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤م)، التي أدت دورًا مهمًّا في تاريخ هذه المدينة المهمة طوال فترة تزيد عن قرن مِن الزمان. عماد عبد السلام رؤوف، **الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (١١٣٩-١٢٤٩هـ/ ١٧٢٦-١٨٣٤م)**، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٩-١١، ٣٩-٦٠.

(٢) قام نادر شاه في خلال فترة حكمه بمحاصرة الموصل مرتين: الأولى كانت في شوال ١١٤٥هـ/ مارس ١٧٣٣م، نتيجة المساعدات التي أرسلتها الموصل لوالي بغداد أثناء حصار نادر شاه له، الأمر الذي استفز الأخير فقام بإرسال قوة عسكرية مؤلفة من ثمانية آلاف بقيادة نركز خان للاستيلاء على الموصل، ولكن فشلت الحملة نتيجة حصانة المدينة، وبسالة أهلها في الدفاع عنها، ومقتل نركز خان أثناء المناوشات بين الجانبين. وأمَّا الأخرى فكانت في شعبان ١١٥٦هـ/ سبتمبر ١٧٤٣م، حيث تَوَجَّه نادر شاه بنفسه لحصار الموصل، واستمر أربعين يومًا، ولكنه فشل في نهاية الأمر، فانسحب إلى بلاده، والحصار الذي يذكره مؤرخنا أعلاه هو حصاره الأخير. للمزيد انظر: سليمان صائغ، **تاريخ الموصل**، ج ١، المطبعة السلفية، مصر، د.ط، د.ت، ص ٢٧٣-٢٨٧؛ عماد عبد السلام، **الموصل في العهد العثماني**، ص ١٠٠-١١٣.

ثم إنَّ طهماز المذكور لا زال مازور[١]، أرسل كتابًا مع السيد نصر اللَّه الحسيني[٢] لحضرة مولانا الشريف مسعود، بلغه اللَّه تعالى كُلّ مقصود، مضمون الكتاب: أنَّه قد حصل الوفاق والاتفاق[٣]، وانحسم الأمر بيننا وبين

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مأزُورًا، وهي مِن الوزر أيّ الذنب.

(٢) **نصر اللَّه الحسيني**: أبو الفتح نصر اللَّه بن الحسين بن علي الحائري الموسوي الفائزي الجعفري الإمامي، ولد في حدود عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٨م في مدينة كربلاء، وقد تلقى العلم في النجف على أيدي عُلمائه، وذاع صيته بعد ذلك في الأوساط العلمية الشيعية والسنية، وكان مِن أفاضل أهل العلم بالحديث، أديبًا وشاعرًا، خطيبًا مصقعًا، وقد جلس للتدريس بالمشهد الحسيني بكربلاء، وسافر إلى إيران عدة مرات، مِنْها في عهد نادر شاه، وله العديد مِن المؤلفات، مِنْها: «سلاسل الذهب»، و«رسالة في تحريم شرب التتن»، وديوان شعر. كان أحد أعمدة مؤتمر النجف عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وبعد الانتهاء توجه إلى مكة المكرمة حاملاً رسالة نادر شاه إلى الشريف مسعود، فوقعت لقدومه الفتنة هناك، حتى جاء أمير الحج الشامي وقتئذٍ أسعد باشا العظم، فحمله معه إلى الشام ثم أرسله إلى إستانبول، وهناك سجن فترة حتى تم قطع رأسه برحبة باب السرايا في رجب ١١٥٨هـ/ أغسطس ١٧٤٥م بأمر مِن السلطان العثماني. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٧٨-٣٩٣، ٣٩٨؛ محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ج ١٠، حقَّقه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢١٣-٢١٨.

(٣) يقصد بذلك المؤتمر الذي عقد في مدينة النجف في العراق عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م للتقريب بين السنة والشيعة، تحت رعاية نادر شاه، حيث قام بجمع كافة رؤساء علماء الشيعة في مملكته، وطلب مِن أحمد باشا والي بغداد إرسال وفد ديني مِن عُلماء السنة ليتناظروا في النجف، ويجدوا مخرجًا للفرقة بين المسلمين، فأرسل الباشا مِن قِبَله الشيخ عبد اللَّه السويدي، الذي تولى المناظرة في النجف؛ وقد انتهى هذا المؤتمر بعدة قرارات مهمة، وهي: **أولاً**- منع سبّ الصحابة مِن قبل الشيعة، **ثانيًا**- الاعتراف بالمذهب الجعفري، وأنْ يكون مذهبًا فقهيًّا خامسًا ومكملاً للمذاهب الأربعة، وله ركن في الحرم المكي، وكان القرار أنْ يُصَلِّي الجعفرية في مقام الشافعي، **ثالثًا**- أنْ يُعين أمير للحج الإيراني، ويسمح للحجاج الإيرانيين بالسفر عن طريق الشام، **رابعًا**: أنْ يدعى لنادر شاه بعد السلطان العثماني في الخطبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ وبعد انتهاء المؤتمر توجه جميع العلماء إلى الكوفة ليصلوا صلاة الجمعة هناك. وقد قال نادر شاه للشيخ السويدي: «يا عبد اللَّه أفندي، لا تظن أنَّ الشاهنشاه يفتخر بمثل ذلك، وإنَّما هذا أمرٌ يسَّره اللَّه تعالى ووفقني له؛ حيث كان رفع سبّ الصحابة على يدي، مع أنَّ آل عثمان منذ كان السلطان سليم إلى يومنا هذا، كم جهّزوا عساكر وجنودًا، وصرفوا أموالاً، وأتلفوا نفوساً؛ ليرفعوا السبّ في إيران فما توفقوا له وأنا لله الحمد والمنة رفعته بسهولة». وقد أرسل نادر شاه السيد نصر اللَّه بقرارات المؤتمر إلى شريف مكة مسعود بن مساعد، فرفض تنفيذها، =

الدولة العليَّة، وزال كُلّ أمر شاق، بحضرة وكيلهم أحمد باشا[1] والي بغداد، ومحضر مِن العُلماء الأمجاد، مِن إظهار حقيقة المذهب الجعفري[2] لأنَّه

= وتم ترحيل الحائزي إلى إستانبول حيث قطع رأسه كما ذُكِرَ آنفًا، ولكن جهود نادر شاه لم تتوقف، حيث أرسل إلى السلطان برسائل يعدل فيها عن بعض مطالبه مثل الاعتراف بالمذهب الجعفري، وبالركن الخامس في البيت الحرام، وتمنى أنْ تدوم الألفة بينه وبينهم، وقد انتهى الأمر بتوقيع الصلح بين الجانبين عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، ولكنّه لم يدم طويلاً، فقد ساء ذلك الشيعة في إيران فدبرت مؤامرة لقتله، وانتهت معه وقتئذ كافة الآمال التي كانت مِن الممكن أنْ تزيل الخلافات بين السنة والشيعة، وتجنب المسلمين ويلاتها التي استفاد منها الأوربيون لضرب العالم الإسلامي. عبد اللَّه بن حسين السويدي، **الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية**، مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ٥ وما بعدها؛ عباس العزاوي، **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣١٢-٣٢٠؛ علي الوردي، **من تاريخ العراق**، ١/ ١٢٠-١٢١، ١٣١-١٤٤؛ رضا زاده شفق، **نادر شاه أفشار**، ص ١٢-١٤.

(١) **أحمد باشا**: ولد في مدينة جفلكة بالقرب مِن إستانبول في عام ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٤م، وهو ابن حسن باشا (١١١٦-١١٣٦هـ/ ١٧٠٤-١٧٢٤م) الذي كان يُعَدُّ مِن أشهر ولاة بغداد في العصر العثماني وأعظمهم. وقد كان الابن مِن طراز والده؛ ولذلك نال مكانة في الدولة العثمانية، وولي على العديد مِن المدن والمناطق المهمة، ومِنْها: ولاية شهرزور عام ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م، ثم انتقل إلى ولاية قونية عام ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م، ثم تولى ولاية حلب عام ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م، ثم تولي ولاية أورفا (الرها) عام ١١٣٣هـ/ ١٧٢١م، ثم انتقل إلى ولاية البصرة، وفي النهاية أُسْندت إليه ولاية بغداد، بعد وفاة والده، في عام ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م، وقد عاصر حملات نادر شاه على العراق، وقد اتهمه بعض المؤرخين بأنَّه كان متواطئًا مع نادر شاه، وأنَّ الباب العالي كان يرتاب من تصرفاته، بينما ينفي بعضهم الآخر عنه تلك التهمة، ويرون أنَّه لولا السياسة الحكيمة التي اتبعها أحمد باشا لتمكن نادر شاه من الاستيلاء على العراق بما فيها بغداد، وقد ظلَّ أحمد باشا في حكم ولاية بغداد حتى وفاته في ذي القعدة ١١٦٠هـ/ نوفمبر ١٧٤٧م. للمزيد انظر: عبد الرحمن عبد اللَّه السويدي، **حديقة الزوراء في سيرة الوزراء**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٢٦-٢٣٥؛ رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٤١٦-٤١٧؛ علي الوردي، **من تاريخ العراق**، ١/ ١٠٥ وما بعدها.

(٢) **المذهب الجعفري**: أحد المذاهب الشيعية. ينسب إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق، سادس الأئمة الإثني عشرية. والإمام جعفر لم يطلب الإمامة، ولم ينازع أحدًا على الخلافة، وكان غزير العلم، وأغلب أقواله في الفقه، والإمامية يأخذون مذهبه في الفروع. ولمَّا سمع ما يقوله عنه الغلاة تبرَّأ مِنْهم ولعنهم، وتبرَّأ من خصائص مذهب الرافضة في الغيبة والرجعة، والبداء والتناسخ، والحلول والتشبيه. شريف يحيى الأمين، معجم الفرق =

بالظهور حري، وصلاة إمام خامس في جميع الأوقات، وفي كُلّ الجهات، يُصَلِّي الخمس الصلوات، وأنْ يكون هذا في جميع المساجد، ومَن أراد الاقتداء به فلا معارضة ولا معاند، وأنْ يدعى لنا على المنابر والمقام، كما يدعى للدولة العليَّة في جميع الممالك الإسلامية، فواصلكم إمام مذهبنا السيد نصر اللَّه، فلا يكن مِنْكم له اعتراض؛ فيكون سببًا لشن الإغارة والانتقاض، فدعوه يُصَلِّي بالناس صلاة خامسة في المسجد الحرام، وفي مسجد مدينة النبي - عليه أفضل الصلاة والسلام - ولا يسلم كتابه هذا مِن التهديد والترغيب، إذ لا يشك أحدٌ في غلاظة العجم ولا يستريب.

فحصل للشريف مسعود ولأهالي مكة كربٌ عظيم، من هذا الخطب الجسيم، حتى أزعج سكان أم القرى، بِمَا طلبه هذا الخرا، مِن إظهار مذهب الرافضة، والفئة الباغضة، مع أنَّ جميع ما ذكره في كتابه زورٌ وبهتان، على دولة آل عثمان، أعزَّها اللَّه تعالى عن ذلك ورفع شأنها / ق٣٠/ عن كُلّ ما أرذلها وشانها[١]، فعند ذلك استشار مولانا الشريف أرباب دولته وغيرهم مِن العُقَّال، وأمعن الفكرة فيما يول[٢] إليه مِن المآل، وخشي مِن سطوة هذا الجاير[٣]، وتيقن أنَّه إنْ رام أمرًا فهو عليه قادر، فأنتجت مقدمة هذه المشورة بالآراء المضبوطة المحررة، أنْ يرسل للدولة العليَّة صورة الكتاب، ويستمهل رسول طهماز مُدَّة الذهاب والإياب، وأنْ يُعامل رسوله بالمُلاطفة والموادَدَة، لينظر صلته وعايده[٤]، ففعل ما انتجت الفِكَر مِن الإرسال، ولم يكن له توان في الأمر ولا إمهال، وأكرم رئيس المِلّة الرافضيَّة، حتى يظهر له ثمرة هذه القضية، إلا أنَّ والي جدة باكير باشا لم يرضَ بهذه المشورة، ولم يقبل، وقال:

= الإسلاميَّة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٨٢ وما بعدها؛ عبد المنعم الحفني، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٤٠-١٤١.

(١) **شَانها**: مِنَ الشَّيْنِ، أي العَيْبِ والقُبْحِ. **المعجم الوسيط**، ص ٥٠٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يؤل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الجائر.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: عائده.

لا بدّ لهذا الرسول مِن القتل، فأبى - أيده اللّه تعالى - عن تسليمه لِقَتْلِهْ، لأنَّه عارٌ لم يَصْدُرْ مِن مثله، وأجابه بأننا نبقيه حتى يصل الجواب مِن الباب العالي[٥]، لِكَوْننا خُدَّامٌ والخَدَمَةُ تحت أمر الموالي، فأغلظ عليه باكير باشا وتَعَصَّبْ، واتهم الشريف أنَّه اعتقد هذا المذهب.

فخشي الشريف أنْ يرميه عند الدولة بهذا الاعتقاد، الذي لم يسبقه به أحد مِن الآباء والأجداد، فاستشار - أيَّده المَلك العَلاَّم - في دفع ما يرفع عنه هذا الاتهام، فأعملوا فكرتهم الوقادة، وقرايحهم[٦] النقادة، بأنْ يجهروا بلعن الرافضة وأهل البدع على المنبر والمقام، ليزول ما توهمه مِن الاتهام، عنده وعند جميع الأروام[٧]؛ فزال مِن خواطرهم هذا الحَرَج، وسُرَّ الشريف بذلك وابتهج.

وفي هذه الأثنا[٨] ورد كتاب لوالي جدة مِن ابن أخته أحمد باشا المرقوم،

---

(٥) **الباب العالي**: أطلق في العصر العثماني على المقرّ الرسمي للصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) في إستانبول ابتداءً من عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م، وكان مِن قبلِ ذلك يطلق على البلاط السلطاني. ويعرف هذا الاسم في التركية: باب آصفي. ويبدو أنَّ التسمية اشتقت مِن الطبيعة المرتفعة لمدخل باب رئاسة الحكومة المنقوش عليها الطغراء السلطانيَّة والتي ورد ذكرها في بعض المصادر باسم بوابة همايون. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٥٦.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: قرائحهم.

(٧) **الأروام**: ويقصد بها العثمانيين. وكانت كلمة الروم شائعة في الكتابات العربية الإسلامية قبل العثمانيين، وكان يقصد بها الأتراك المسلمون الذين استوطنوا في آسيا الصغرى، على مقربة مِن أراضي الروم (البيزنطيين) الذين وردت سورة في القرآن الكريم باسمهم، فأطلق المؤرخون العرب على مَن جاورهم هذه التسمية؛ فنجد سلاجقة الروم، وأحد كبار المتصوفة الأتراك وهو جلال الدين الرومي. وعلى الرغم مِن أنَّ العثمانيين مِن الأتراك، ولغتهم يطلق عليها اللغة التركية، فإنَّ إطلاق كلمة تركي على أحدهم كان يُعَدّ إهانة له؛ ولعلّ ذلك يرجع إلى أنَّ العثمانيين كانوا يطلقون كلمة تركي على البدو مِن الترك عمومًا والشيعة مِنْهم بوجه خاص، ويقرنونها بالجهل أو ضعف الإيمان، ويطلقونها على الفلاح العثماني الجاهل أو أحد سُكَّان قرى الأناضول. أحمد السعيد سليمان، **التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة**، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٧-١٨؛ عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية**، ١/ ١١-١٣.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

الذي أبقته الدولة محافظًا في الأَرْزرُوم[١]، بأنَّ عساكر الدولة كسروا عساكر طهماز، وأنَّه رجع القَهْقَرَى إلى بلده وانحاز؛ فأظهر باكير باشا البشاير[٢] والفرح، وسُرَّ خاطره وانشرح، لكن حضرة الشريف لم يصل إليه الجواب الذي أرسله، وخاطره ما زال مؤمله، لكن مولانا الشريف مسعود فعل كما فعل والي جدة، مِن إظهار الفرح والسرور، خوفًا مِن أنْ يُنْسَب إليه شي[٣] مِن الأُمور.

ولمَّا ورد الحاج الشامي، بالفيض الهامي، وكان أميره أسعد باشا[٤] دام مجده، وعلا جده وسعده، جاء معه الأمر العالي بطلب / ق٣١/ السيد نصر اللّه إمام المذهب[٥]، وحرَّضُوا على صاحب الترجمة بالطلب، فأخذه معه

---

(١) **الأَرْزروم**: مِن المدن الرئيسة في شرق الأناضول (تركيا حاليًّا)، ترد في بعض المصادر أيضًا بـ: أَرْضُرُّوم وأَرْزن الروم، تقع على هضبة ترتفع حوالي ٦ آلاف قدمًا، وقد اكتسبت أهمية كبرى من الناحيتين الحربية والتجارية بسبب موقعها، حيث كانت تتحكم في ممرات تجارية تربط بين إيران والبحر الأسود، بجانب كونها ولاية حدودية، وفي حالات الصراع بين الدولتين الإيرانية والعثمانية، فكانت مركزًا لتجمع القوات العثمانية وتوجيهها. **دائرة المعارف الإسلامية**، مج١، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرين، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م، ص ٦١٠-٦١٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: البشائر.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيء.

(٤) **أسعد باشا العظم** (١١٥٦-١١٧٠هـ/ ١٧٤٣-١٧٥٧م): ثالث حكام أسرة آل العظم في دمشق، وقد تولى الحكم بعد وفاة عمّه سليمان باشا عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وقد ظلَّ في حكم الشام أربعة عشر عامًا، خرج خلالها بإمارة الحج، واستقرت الأوضاع في عهده في الشام، وفي ربيع الآخر ١١٧٠هـ/ يناير ١٧٥٧م قام الباب العالي بعزله من دمشق وتعيينه على ولاية حلب، ثم قام بإعدامه عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م. أحمد البديري الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، ص ٣٥-٣٦، ٤٧-١٩٥؛ عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي**، ص ١٦٠-١٦١؛ حسين سلمان سليمان، **أسعد باشا العظم والي دمشق ١٧٤٣-١٧٥٧**، مجلة تاريخ العرب والعالم، لبنان، مج٢٠، ع ١٨٦، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٢-٣٧.

(٥) يذكر عبد اللّه السويدي – الذي ذهب للحج في موسم هذا العام - وقد ذكر كثير من التفاصيل عن موقف الشريف مسعود من السيد نصر اللّه الحسيني، حيث ذكر السويدي أن الشريف مسعود أرسل له ليقابله، وذلك بقوله: «فأرسل يطلبني الشريف مسعود ابن الشريف سعيد والي مكة؛ فامتنعت من الذهاب إليه وقلت لرسوله :إن الحاج ذهب. فقال: إنَّ الشريف يريد الاجتماع بك هذه الليلة بعد العشاء وإلا فضحى ثاني يوم. قلت: =

....

= لا أستطيع ذلك والحاج يبعد عني، فقال: يرسلك الشريف مع ركب إلى عسفان فيما بعد. فامتنعت واعتذرت بأني لا أستطيع التخلف، وكان السيد يونس الأدهمي حاضرًا فقال: امتثل أمر الشريف وأنا أبقى معك ولو إلى عشرة أيام، فأجبت. ولم يتهيأ الاجتماع معه تلك الليلة فبتنا في مكة إلى ضحى يوم الاثنين، فأرسل خلفي واجتمعت به وأكرمني غاية الإكرام، فرأيته رجلًا عاقلًا صالحًا لا دعوى ولا أنانية، وهو حنفي المذهب متعصب على الشيعة. ثم إنه أمر خدامه ومن كان حاضرًا بالانصراف وإخلاء المكان، فبقيت أنا وهو لا غير، فقال :ألك علم بقضية الخبيث السيد نصر اللّه الكربلائي؟ فقلت: لا. قال:جاءنا هذا الرجل ومعه كتب من نادر شاه، واحد لي، وواحد لقاضي مكة، وواحد لمفتيها، وواحد لعلماء مكة، وواحد لشيخ الحرم المدني، مضمونها أن السيد نصر اللّه يصلي بالشيعة إمامًا في مقام إبراهيم ومذ دخل هذا السيد وهو يرغب ويرهب، فناديته وقلت له :ما الذي جرأك على أن تأتي ديارنا وتدعو الناس إلى مبايعة شاه العجم؟ كأنك ظننت أن الشرفاء روافض وأنك إذا أرغبتهم مالوا إلى مقابلتك، واللّه الذي لا إله إلا هو لو جاء سلطان آل عثمان الذي أنا تحت طاعته وبيعته وقاتلني من الشبيكة فلا أطيعه في ذلك ولا أجيبه، وأقاتله إلى أن أقتل أو أفر إلى أحد أقطار ثلاثة هي قطر اليمن أو قطر الهند أو قطر الحبشة، وما دمت هنا فلا أمكن أحدًا من ذلك، كيف وهذا أمر من لدن سيدنا رسول اللّه ﷺ ما صدر ولا جرى، أيجري في زماني؟ كلا واللّه لا يكون ذلك أبدًا، فإما أن أقاتل حتى أقتل، وإن لم أجد لي ناصرًا أهاجر إلى أحد الأقطار المذكورة، وللبيت رب يحميه، أو ظننت أن الشرفاء ملقون يحبون الدنيا فأردت أن ترغبهم بالأموال؟ واللّه لو جرى من نحو العجم نهر من الذهب لأمرت العرب أن تسده بالأحجار وقتل من يصل إلى الحجاز، أيها الرجل، إنما كان طاعتنا لآل عثمان لكونهم غزاة مجاهدين، يمدون الحرمين ومذهبهم مذهبنا فلأجل هذه الأمور دخلنا تحت طاعتهم، فكيف أطيع العجم ولا سبق لأحد من أسلافي الإطاعة والانقياد لهم، فقل لي ما الذي جرأك وحملك على هذا وبأي وسيلة توسلت بها وأي مستند استندت إليه حتى تجرأت على ما ذكرت؟ فذكر لي أعذارًا باردة واهية مفتراة محض كذب، فكذبته وأقمت الدليل على كذبه، ثم إني عرضت جميع أحواله على الدولة العثمانية، فجاء المرسوم الشريف بالقبض عليه وعلى المنلا حمزة الأفغاني وعلى ميرزا أبي الفضل، أما الملا حمزة فقد حج العام الأول وذهب ولم ينطق بشيء، وأما ميرزا أبو الفضل فقد تمرض في بعض قرى نجد وهو في هذه المدة محبوس عندي وحملته لأمير الحاج أسعد باشا، لأن في المرسوم أنه يحبس في قلعة دمشق. ثم إن الشريف خلع علي خلعة فاخرة من الأصواف الأنقروية، وأنا أيضًا كذبت نصر اللّه فيما اعتذر به، وقلت: يا ابن رسول اللّه! ورب هذا البيت إن هذا لكاذب فيما قال وإنما مراده ذلك ليخلص نفسه. ثم إن الشريف أثنى على الوزير أحمد باشا ودعا له كثيرًا، وكتب له كتابًا أثنى به عليه، وقال: واللّه إني أحبه لما أسمع من مكارم أخلاق وجعله اللّه منصورًا على أعدائه، ثم إنا ودعنا الشريف وطفنا طواف الوداع ولحقنا بالحاج في وادي فاطمة. وهذا السيد نصر اللّه أتى به إلى دمشق وحبس بالقلعة، ثم طلب من الدولة، فأرسله =

أسعد باشا المعظم، وقصد الأبواب العالية وأمَّ[١].

وفي أواخر هذا العام جات البشاير[٢] على وفق المطلوب، ودقت نوبات الهنا[٣] في ساحات القلوب، بظفر الدولة العليَّة على طهماز بِبرّ فارس، وأبادوا مِن عسكره كُلّ غَضَنْفَر فارس، وأنَّ عساكرهم المنصورة على مَمَرّ الأعوام، طردت خلف عُرضيه[٤] إلى أربعة أيام، وقتلت في العجم قتلًا شنيعًا، ما سمع بمثله في زمن مِن الأزمنة، ولا في مكان مِن الأمْكنة، حتى شاع ذلك في جميع الأماكن مِن إقليم العجم، أنَّ مُلْك نادر شاه بعد هذه القتلة يَتَضَرَّم.

ومع هذا فإنَّه أظهر قُوَّةً وجلد[٥]، وجهز في العام الثاني جيشًا مستعدًّا للقتال بأنواع العدد، فأحاط بهذا الجيش على بغداد، ورتب عليها العساكر والأجناد، فلمَّا بلغ هذا الخبر أعتاب الدولة، زادها اللَّه تعالى قُوَّةً وصولةً، أرْسَلوا عليه عُرضيًّا جرَّار[٦]، لا يوصف أوله وآخره بمقدار، جنودًا مجندة فيها للزمان عِبَرْ، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾[٧].

ومعه وزيره الأعظم محمد باشا وجملة مِن البَوْش[٨]، لو عاداهم الزمان لخاف مِنْهم وارتعش، فوصل إلى العراق هذا العُرضي الهمايوني السلطاني، لا زال منصورًا بالمدد الرحماني، إلى أنْ استقبل الجيش بالجيش، واستأدمت

= أسعد باشا ولم أدر ما يفعل به، عامله اللَّه بما يليق به». للمزيد انظر: عبد اللَّه بن حسين السويدي البغدادي (ت ١١٧٤هـ)، **النفحة المسكية في الرحلة المكية**، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٢٥-٣٢٧.

(١) **أمَّ**: تعني قصد؛ يقال: أَمَّ الشيء أيّ قصده. **المعجم الوسيط**، ص ٢٧.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءت البشائر.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الهناء.

(٤) **عُرضيه**: العُرضي مِن التركية أردو بمعنى: الجيش، أو المُعَسكر. أحمد السعيد، **تأصيل الدخيل**، ص ١٥٠.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: جلدًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: جَرَّارًا.

(٧) القرآن الكريم، **سورة المدثر**، آية رقم ٣١.

(٨) **البَوْش**: جماعة كبيرة مختلطة. **المعجم الوسيط**، ص ٧٦.

الأسنة مِن دمايهم[١] كما يُسْتَأدَم بالعيش، ولمع برق السيوف مِن سحايب[٢] المدافع، وصارت الجماجم كالنَّسْر الواقع، وغدا دم القتلى كالسيل بواد العراق، وسال الفرات على الدجلة بالدم المهراق، والحرب سجال بين الأبطال، يكرّون تارة عليهم ويفرّون، وتغوص الفرسان في غمرات السحايب[٣] الجَوْن[٤]، حتى طالت مُدَّة القتال، ولم يكن لأحد الجانبين تأخير عن هذا المجال، فحينئذ اتفق الحال بين الوزير وطهماز أنْ يتقاتلوا غير قتال العادة، مرة واحدة لا زيادة، على أنْ لا يكون الحتوف، إلا بالأسنة والسيوف، وكل مَن غلب، فاز بالمنقلب، وحصل بينهم الشرط الواقع، أنْ لا يقاتلونهم بالمدافع، وكتبوا بذلك الخطوط ووضعوا عليها الأمهار[٥]، ثم تصنموا صهوات الخيول والأمهار[٦].

وأظنُّ العجم يجيدون ضرب النصال / ق٣٢/ دون بقية آلات القتال، فلمَّا قابل الخميس الخميس، وابتاعت الأرواح في سوق القتال بيعًا بخيس[٧]، صالت على الترك العجم، وتَقَهْقَر جيش الوزير ووَجَم، وأناف عليهم جيش طهماز، وظهر بالبديهة أنَّه سَيَمْتَاز، فعند ذلك استقبل ريِّس المدافع جيش العجم، وشحن المدافع بالدش، ورماها على جيشهم حتى طَشَّ[٨]، وانحازت الخيول حوزًا، والمدافع ترمي ريزًا، ورَدَّت خيل الأتراك جميعًا، وقتلت في العجم قتلاً شنيعًا، وما زالت خيل الأتراك تسوق، وتضرب بالأعناق والسوق، حتى غدوا طعامًا لتلك السيوف، ووَلّوا وهم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: دمائهم.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: سحائب.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: السحائب.
(٤) **الجَوْن**: تعني الأسْود عكس الأبيض. **المعجم الوسيط**، ص ١٤٩.
(٥) **الأمهار**: أي التوقيعات.
(٦) **الأمهار**: إبل مهرية نَجَائِب تسبق الْخَيل، منسوبة لقبيلة مهرَة بن حيدان. **المعجم الوسيط**، ص ٨٩٠.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: بخيسًا.
(٨) **طَشَّ**: أيّ ضعف بصره. ومِنْه المثل: الطَّشَاشُ ولَا العَمَى. **المعجم الوسيط**، ص ٥٥٧.

راغمين(١) الأنوف، والسبب في ذلك كله ضرب المدافع، الذي ليس لهم عنها مدافع، حتى قيل: إنَّ الوزير قتل ريِّسهم لعدم الوفاء وقلة أدبه، ولو أنَّ هذا النصر لم يحصل إلا بسببه، لأجل حفظ المواثيق في الأمر المقصود، ومِن خصايص(٢) الأمراء حفظ العهود.

ثم إنَّ طهماز(٣) المذكور كان مِن اشتياقه في حب قتل النفوس، لا يميز بين دين الإسلام والمجوس، جبار عنيد يزيد فعله على يزيد(٤)، إنما يستنشق مِن سفك المهج، طيب الأرج، وأنَّه لا يرى في قتل النفوس قصاصًا ولا حرج(٥)، اتفق أنَّه أمر عسكره في شاه جهان أباد(٦) أنْ يطلقون(٧) السيف في رقاب العباد، وأنْ يكون ذلك سبع ساعات لا زيادة، ثم يضبطون المقاتيل الذين حازوا الشهادة؛ فامتثل كُلّ مأمور، وصَنَع ما لم يصنعه التَّيْمُور(٨)، فأسفر الأمر عن

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: راغمو.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خصائص.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: طهمازًا.

(٤) **يَزِيد**: يَزِيد بن مُعَاوِيَة بن أبي سُفيان، ثاني خلفاء الدولة الأموية، ولد بالماطرون عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، ونشأ في دمشق، وشارك في إحدى الغزوات على القسطنطينية، ثم ولي الخلافة عام ٦٠هـ/ ٦٧٩م، وشهد عصره العديد مِن الاضطرابات؛ حيث رفض مبايعته عبد اللَّه بن الزبير، والحسين بن علي؛ فوقعت الحروب بينهما، وانتهت باستشهاد الحسين في الكوفة عام ٦١هـ/ ٦٨٠م، ثم أرسل جيشًا إلى مكة للقضاء على ابن الزبير فلم ينجح في القضاء عليه، ولم يدم في الحكم حيث مات عام ٦٤هـ/ ٦٨٣م. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٤/ ٣٦-٤٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٨/ ١٨٩.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: حرجًا.

(٦) كتب على هامش الأصل ما نصّه: «قوله شاه جهان أباد هي أكبر بلاد في الهند، وبها تخت المملكة، وجميع ملوك الهند تحت أمره، ويسمَّى أيضًا دِلّي، فاستمع ما أملى». وهي مدينة بناها الإمبراطور المغولي شهاب الدين محمد شاه جهان (١٠٣٧-١٠٦٩هـ/ ١٦٢٨-١٦٥٨م)، في عامي ١٠٥٨-١٠٥٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٤٩م، وهي جزء مِن مدينة دلهي حاليًّا. أحمد رجب محمد علي، **قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٨-٢٤٤.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: يطلقوا.

(٨) **التَّيْمُور**: يقصد به تَيْمُور لنك، مؤسس الدولة التيمورية (٧٧١-٩٠٧هـ/ ١٣٦٩-١٥٠٠م)، وهو تيمور بن ترغاى بن أبغاى، مؤسس الدولة التيمورية، ولد في مدينة كش، جنوبي =

مائة ألف وسبع وعشرين ألف قتيل، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، وطالما أمر عسكره في أغلب الأيام، أنْ يأتونه[١] بعشرة أفق مِن العيون ومثلها مِن الأخشام، فيخرجون في الطريق، ويقلعون عيون مَن يصادفون بإذن ذلك الزنديق.

وفي عام ألف وماية[٢] وستين ١١٦٠ [٣]، جاء الخبر اليقين[٤]، الذي أسَرَّ جميع المسلمين، بقتل طهماز اللَّعين، ففرَّج اللَّه تعالى بهذا الخبر، واستسرّ كُلّ مُسلم واستبشر، فإنَّه لم يحصل للناس مثلما حصل لهم في قتله مِن السرور، وزالت بحمد اللَّه تعالى عنهم الشرور، واطمأنت[٥] المسلمون بهذا الخبر، وكون روحه استقرّت في سقر.

قيل[٦]: كان قاتله ابن أخته / ق٣٣/ ، وأنَّ الدولة أطمعته بالجلوس على

= سمرقند في شهر شعبان ٧٣٦هـ/ إبريل ١٣٣٦م، ثم دخل في خدمة ملك الدولة الجغتائية، الذي زوّجه بحفيدته، وبمرور الوقت ارتفع شأنه، وانتخبه أعيان سمرقند حاكمًا عليهم، وكانت له طلعات توسعية، فقام بغزو مساحة كبرى مِن الأراضي الإسلامية كبلاد وراء النهر، إيران، والهند، والعراق، والشام، وآسيا الصغرى، وراح ضحية حروبه كثير مِن المسلمين، وقد كوَّن إمبراطورية مترامية الأطراف، وتوفي خلال إحدى حملاته على الصين في ١٧ شعبان ٨٠٧ هـ/ ١٨ فبراير ١٤٠٥م، ودُفِنَ في سمرقند. انظر: أحمد معمور عسيري، موجز **التاريخ الإسلامي**، د.ن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(١) كذا في الأصل، والصواب: يأتوه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٣) عام ١١٦٠هـ/ ١٢ يناير ١٧٤٧ – ٣١ ديسمبر ١٧٤٧م.

(٤) وصل خبر مقتل نادر شاه إلى مكة المكرمة في شوَّال ١١٦٠هـ/ أكتوبر ١٧٤٧م، في رسالة بعثها أحمد باشا والي بغداد إلى الشريف مسعود بن مساعد. انظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (١).

(٥) كذا في الأصل، والصواب: واطمأن.

(٦) تعددت الأسباب وراء قتل نادر شاه، ويبدو أنَّها ترجع إلى أنَّ نادر شاه قام بتوقيع الصلح مع الدولة العثمانية، وعمل على التقريب بين الشيعة والسنة، والقضاء على معالم المذهب الشيعي الذي روَّج له الصفويون، وبالإضافة إلى أنَّه قد عزم على التخلص مِن جميع الإيرانيين (القزل باش) في جيشه حتى لا يبقى فيه سوى التركمان والأزبك، فلمَّا وصلت هذه الأخبار إلى بعض القادة الإيرانيين وضعوا خطة لقتله بالاتفاق مع ابن أخيه علي قلي خان ميرزا، ورئيس الحرس الملكي، وكان نادر شاه على مقربة مِن منطقة كوشان التي ذهب إليها لمحاربة بعض الأكراد التي ثارت عليه، فدخلوا على خيمته ليلاً، فاستيقظ، =

تخته[١]، والصحيح أنَّ الذي قَتَل طهماز[٢] هم حُرَّاسه مِن الغزل باش[٣]، ووقعت عليه بعض نسائه ساعة القتل فقتلوها معه، وهو نايم[٤] لا يعلم بالليل، فأذاقوه قوة الوبال والويل.

إِحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً
واحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّه
فَلَرُبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيْق
وَكَانَ أَدْرَى بالمَضَرَّة[٥]

= وشرع يقاتلهم حتى قَتَل مِنْهم اثنين، ثم قتلوه، وذلك في ١٢ جمادى الآخرة ١١٦٠هـ/ ٢٠ يونيو ١٧٤٧م. Persy Sykes, op. cit, vol 2, p. 273 ؛ علي الوردي، **لمحات في تاريخ العراق**، ١/ ١٤٤؛ عبد العزيز نوار، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ٣٤٣-٣٤٤.

(١) **تخته**: التخت في الفهلوية Taxt ومعناها: العرش والسرير؛ وهو ما يجلس عليه الملوك في المواكب والاجتماعات العامَّة، ليكون مميزًا عن غيره مِن الناس. وقد عُرف بعض الملوك والسلاطين في بعض المصادر بلقب: صاحب التخت، وقد يعني بالتخت مقرّ العاصمة التي يُقيم فيه السلطان. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٥١-٥٣؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٠٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طهمازًا.

(٣) **الغزل باش**: كذا في الأصل، والصواب: القزل باش. وهم الجنود الشيعة الذين قامت على أكتافهم الدولة الصفوية في إيران، وهم يقابلون عند العثمانيين الإنكشارية. ويتكون المصطلح مِن لفظين تركيين: قزل ومعناه: أحمر اللون، وباش ومعناه: رأس، ومعنى المصطلح: أصحاب الرءوس الحمراء. وهم شيعة إمامية إثنا عشرية. وقيل وجه تسميتهم بذلك إنَّ السلطان حيدر بن جنيد الصفوي رأى في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع سائر الأئمة في مجلس ونظر إليه بعين العطف والرحمة، وأمره أن يجعل علامة مميزة لأصحابه فوقع في نفسه أنَّه اخترع تاجًا مِن السقرلاط الأحمر، له اثنا عشر ركنًا ولبسه على رأسه، وقد سمَّاه أتباعه قزلباش أيّ ذو الرأس الأحمر، وأطلق هذا الاسم أيضًا على سائر أتباعه ومريديه، وبقي رسم هذا التاج معمولاً به إلى زمن الشاه حسين الصفوي ثم ترك، والآن اسم قزلباش في بلاد إيران مشهور. أحمد الخولي وبديع جمعة، **تاريخ الصفويين وحضارتهم**، ج١، دار الرائد، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص ٤٤-٤٨؛ محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ١/ ٢٠.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: نائم.

(٥) البيتان لمحمد بن عبد اللّه بن مَعْروفٍ القاضي، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر** =

ولم يظهر بعده خارجي غير هذا المشرقي اللعين[١]، عليه غضب رب العالمين، ثم إنَّ مولانا الشيخ محمد عُقَيْلة[٢] أرّخ موته وحاز الأجر والفضيلة، فقال:

إنَّ طَهْمَاز في لَظَى
مَعَ قَرِيْنٍ مناقِضِي
قُتِلَ العِلْج فانْطَفَى
بَعْدَه كُلّ باغِضِي
أهْلَكَ اللَّه حِزْبَه
رَاجِلاً بَعْد رَاكِضِي
يا أُلِي الفَضْل أرّخوا
هُو كَلْب وَرَافِضِي[٣]

= الفريد وبيت القصيد، ٢/ ١٨٨.

(١) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذكر آنفًا أنَّ مؤرخنا ابن عبد الشكور كان من الرافضين للدعوة الوهابيَّة.

(٢) **محمد عقيلة**: محمد بن أحمد بن سعيد الشهير والده بعقيلة، الحنفي المكي، ولد بمكة المكرمة عام ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٥م، ونشأ بها، وتلقى العلم على عُلماء عصره، ثم رحل إلى اليمن وخدم بها بعض السادة العلوية، ثم عاد إلى مكة، وقد قام بالعديد من الأسفار إلى الشام، والعراق، وإستانبول، ومصر؛ فأخذ عنه العديد من طلبة العلم، وقد نال شهرة واسعة في الحديث، والتصوف، والتاريخ، ومن مؤلفاته: «فقه القلوب ومعراج الغيوب»، و«رسالة في الرد على المعتزلة»، و«نسخة الوجود في الإخبار عن حال الموجود»، توفي في مكة المكرمة عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، وقيل عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، ودُفِنَ في زاويته بأوَّل المَعَابِدَة. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٤/ ٣٠-٣١؛ رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣٢٠-٣٢٢؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٠٤-٣٠٦؛ محمد الحبيب الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ٣٩٣-٣٩٦.

(٣) **جاءت بحساب الجُمَل كالآتي**: هو: هـ ٥ + و ٦= ١١. كلب: ك ٢٠ + ل ٣٠ + ب ٢= ٥٢. ورافضي: و ٦ + ر ٢٠٠ + أ ١ + ف ٨٠ + ض ٨٠٠ + ي ١٠= ١٠٩٧. الإجمالي ١١ + ٥٢+ ١٠٩٧ = ١١٦٠ سنة وفاة نادر شاه. ويبدو أنَّ هذا التأريخ الشعري ليس للشيخ محمد عقيلة؛ لأنَّه مات قبل نادر شاه كما ذكرت في ترجمته.

وأرَّخه غيره من الأفاضل الأمجاد، فأحسن فيما صنع وأجاد، فقال:

تـأمَّــل بِـعَــيْـن فَــتًـى عَــارفًـا
إِلَــى نَــادِرٍ بَــعْــد أنْ مَـلَــك

أبَــادَ الــورَى ثُــمّ أَخْـلَـى الْـقُـرَى
وَقَـلَّــد تَـيْــمُـور فِـيْـمَـا سـلـك

فـلـمَّـا دَنَــى مَـسـيره فِـي لَـظَـى
ألـمَّــت بِــهِ دَائِــــرَات الْـفـلـك

فَـسَــلَّــط حُــرَّاســـه لَـيْـلَــةً
عَـلَـيْـه فَـصَــادُوه جَــوفَ الـشـرك

وَحَـــزَّ أخــو عــزمـهـم رَأْسَــه
بِـسَـــيْـفٍ لـجـبـهـة قَــدْ فَـتَــك

فَـلِـلَّـــه درّك مِــنْ فَــاتــكٍ
وَدرّك يَــا سَــيْـف مَــا أَعْــدَلــك

فـخــذ مـنـتـهـى الـعــزّ مُـسْـتـخـرجًـا
لِـتَـارِيْـخَـه مِــنْ خَـبِـيْـث هَـلَـكَ[1]

فأخرج السبعة مِن قوله: فخذ منتهى العزّ، وأراد بها الزّينَ وهي سبعة، كما هو ظاهر بالعين.

وكان في قتل طهماز هذا عِبْرة لكل ملكٍ جبار، وتذكرة لأولي الأبصار، ولقد مَرَّ به يوم قتله راع يرعى ماشِيَةً له في وقت الصباح، وهو في جُنْدٍ عظيم، وجيش يضيق مِنْه البطاح، فلمَّا عاد الراعي وقت العصر بالمواشي، لم يجد

(١) جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي: خبيث: خ ٦٠٠ + ب ٢ + ي ١٠ + ث ٥٠٠ = ١١١٢. هلك: هـ ٥ + ل ٣٠ + ك ٢٠= ٥٥. الإجمالي ١١١٢ + ٥٥ = ١١٦٧، فإذا حذفنا (ز) التي قال إنَّها في مُنتهى كلمة (العزّ)، فيكون ١١٦٧ – ٧ = ١١٦٠ سنة وفاة نادر شاه.

في هذا الموضع راكبًا ولا ماشي[١]، سوى طهماز رآه مقتولًا [مضرجًا[٢]] بدماه[٣]، ملقا[٤] به في التراب، وهو في أطْمَاره[٥]، وتأكل مِن لحمه الكلاب، فانظر مُتأمِّلاً في عواقب الأمُور، وصروف الأيام كيف تَدُور، وما يلقاه الظالم في دنياه مِن نَكَد، وهذا في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ.

اعلم بأنَّ الدهر / ق٣٤/ يحكم أمره فيما يشاء لِمَن يشاء، ولو أخَّر عن أمر مَن يجريه لا عن أمره، جرت المشيئة في التصرف في البشر، فليأخذ المَلك اللبيب لنفسه في هذه الدنيا الدَّنِيَّة معتبر[٦]، فإنَّ هذا المَلك قد توسَّع مُلْكَه، وسارت في بحار الأقطار فُلْكَه، وجمع مِن الأموال ما لم يجمعه قارون، مِن النقود ومِن الجوهر المكنون، وكان جلوسه في تخت السَّلطنة عام ألف وماية[٧] وثمانية وأربعين ١١٤٨ [٨]، فأرَّخ لولايته بعض أهل بلدته: الخير فيما وقع[٩]، فكتب هذا التاريخ في سكته[١٠]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ماشيًا.

(٢) وردت في الأصل (مطرحًا)، والتصويب مِن (ب)، ورقة ٢٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بدمائه.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ملقى.

(٥) **أطْمَاره**: الثوب الخَلَق البالي. **المعجم الوسيط**، ص ٥٦٥.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: معتبرًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٨) ١١٤٨هـ/ ٢٣ مايو ١٧٣٥- ١٠ مايو ١٧٣٦م.

(٩) **جاءت بحساب الجُمَل كالآتي**: الخير: أ ١ + ل ٣٠ + خ ٦٠٠ + ي ١٠ + ر ٢٠٠ = ٨٤١. فيما: ف ٨٠ + ي ١٠ + م ٤٠ + أ ١ = ١٣١. وقع: و ٦ + ق ١٠٠ + ع ٧٠= ١٧٦. الإجمالي ٨٤١ + ١٣١+ ١٧٦ = ١١٤٨.

(١٠) أيّ العملة والنقود. وقد كتب على الوجه الآخر للعملة بيت شعر بالفارسي، وهو:

سكّه بر زر كرد نامي سلطنت را در جهان

ادر إيران زميني خسروي قيتي سنان

وتعريبها: ضرب السكَّة على الدراهم باسم السلطنة في العالم نادر أرض إيران الذي تنثني الرقاب له، ويأخذ خراج العالم. وقد أودع في قوله «نادر أرض إيران» مِن فنّ التورية ما لا يخفى. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٣١٦.

ولولاَ خوف فتح الكَنِيْف[١]؛ لملئت مِن سيرته هذا التاليف[٢]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

[وقوع فتنة في القُنْفُدَة بين وزير الشريف والعساكر]

وفي هذا العام[٣] وقع في القُنْفُدَة[٤] شَرٌّ عظيم، بين عساكرها[٥] ووزير الشريف الكنباتي أحمد بن عبد الرحيم، لمنعه الجوامك[٦] والمقرّرات المُعتادة، وكُلَّمَا طلبوه لم يحصل لهم إفاده، فطال بينهم وزاد الملام والإيلام، حتى أفضى الأمر إلى قبضه مِن رُدنه، ووضعه في سجنه، مع شتمه وشتم آبائه، وضربه حتى جُرِحَت بعض أعضائه، وأهانوه الإهانة التامة، بين الخاصة والعامة، ولم يقدر هذا الوزير على خلاصه مِن أيديهم، وإطفاء جمرة تعديهم، حتى استخلصوا مِنْه جميع العوايد والمقرّرات القديمة والقواعد، وقبضها شيخ العسكر حسين المعمري، وكان رجلاً عاقلاً شجاعًا لكنَّه جري[٧]، ثم

---

(١) **الكَنِيْفُ**: يقصد بها بيت الرَّاحَة، والمِرْحَاضُ. **المعجم الوسيط**، ص٨٠١؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٧٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: التأليف.

(٣) أي عام ١١٦٠هـ/ ١٢ يناير ١٧٤٧- ٣١ ديسمبر ١٧٤٧م.

(٤) **القُنْفُدَة**: مدينة على ساحل البحر الأحمر، تقع جنوب جدة بحوالي ٣٢٠كم، وقد تطورت المدينة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وكانت ملجأ للأشراف إبان صراعاتهم مع بعضهم بعض، وارتفعت مكانتها مع قدوم قوات محمد علي باشا إلى الحجاز حيث اتخذت قاعدة لقواته. سميرة بنت مبارك بنت علي بلسود، **موانئ تهامة ومراسيها (١١٧٩-١٣٥١هـ/ ١٧٦٥-١٩٣٢م): دراسة تاريخية حضارية**، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٦٢-٦٨. وقد كانت المدينة تخضع لسلطة أشراف مكة المكرمة.

(٥) ذكر العاملي هذه الواقعة في أحداث عام ١١٦٢هـ/ ١١٤٩م. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٣٢-٤٣٤.

(٦) **الجوامك**: جمع الجامكية، وهي مِن الفارسية جَامَه؛ بمعنى الثياب أو اللباس، والجامكية في الاصطلاح الجراية الشهرية تعطى مِن غلة الوقف، فهي مِن ناحية أجر، ومِن ناحية مِنحة. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٥٩؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١١٩.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: جريء.

نادى في شوارع البلد حتى أسمع كُلّ أحد، على أنَّ مَن له قبل العسكر شيء مِن الخلاص، يأتي لأخذ القصاص، وما برح إلى ثلاثة أيام وهو ينادي، حتى بلغ صوت مُناديه كُلّ نادٍ، إلى أنْ علم أنْ لم يبقَ أحد حصل له المنع؛ أخذ بذلك حُجَّة مِن قاضي الشرع، ثم تَوَجَّه عن البلدة وظعن إلى ساحل اليمن.

فبلغ صاحب الترجمة ما صنع العسكر بوزيره، مِن إساءة فعلهم وقبح تدبيره، وشقّ عليه هذا الفعل بالوزير، ورأى أنَّه أمر خطير، وعار كبير، فعند ذلك جهز عسكر[1] في المراكب، وأمرهم يجِدُّون السير في ثياره، وجعل الإمارة في سلحداره[2]، وأصحبه كتابًا لأمير صنعا[3]، وأحسن له التلطف صنعًا، وهو الإمام العباس بن الحسين بن القاسم[4]، واحد الزمان وواسطة عقد الفواطم، وجهز جملة مِن السادة الأشراف كُلّ أسدٍ قَسْوَر، وجَدَّ/ ق٣٥/ خَلفهم السير على طريق البر، وقال للسادة الأشراف: سدوا عليهم المناسم وابلغوا في إدراكهم غاية الجهد، ومتى وجدتموهم فخذوهم واقتلوهم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عسكرًا.

(٢) **السلحدار**: سلاح دار أو سلحدار؛ وظيفة اشتهرت في الدول الإسلامية ذات الطابع التركي، وتتألف من مقطعين: أولهما سلاح العربية، وثانيهما دار الفارسية، وتعني حملة السيوف أو حملة السلاح، وقد احتفظ العثمانيون باللقب في صيغته الفارسية سلاح دار، وقد أنشئ هذا المنصب في أيام بايزيد الأول الصاعقة (٧٩١-٨٠٥هـ/ ١٣٨٨-١٤٠٣م)، وألغي في عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣٠م، وألغيت أيضًا السلاحداريات التي كانت في مكاتب الوزراء. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٢٧-٢٨؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، ص ١٩٣-١٩٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: صنعاء.

(٤) **الإمام العباس بن الحسين بن القاسم** (١١٦١-١١٨٩هـ/ ١٧٤٨-١٧٧٥م): ولد في عام ١١٣١هـ/ ١٧١٩م، وتولى الحكم بعد وفاة والده عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، وتلقب بالمهدي، وكان إمامًا فطنًا، ذكيًّا، عادلاً، قوي التدبير، عالي الهمة، نشر الأمن بين رعاياه، وقرب إليه العُلماء، ويعده بعض المؤرخين آخر الأئمة ذوي الشأن في تاريخ حكم الإمامة في اليمن، وفي عهده زار اليمن الرحالة الدانمركي كارستين نيبور Carston Niebuhr، وقد استقبله في قصره بصنعاء في ٧ محرم ١١٧٧هـ/ ١٩ يوليو ١٧٦٣م، وقد سجل في رحلته حالة الأبهة والعظمة في بلاطه، توفي العباس في صنعاء رجب ١١٨٩هـ/ سبتمبر ١٧٧٥م. محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٣١٠-٣١٢؛ حسين عبد الله العمري، **مئة عام مِن تاريخ اليمن الحديث** (١١٦١-١٢٦٤هـ/ ١٧٤٨-١٨٤٨م)، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٩-٤٣.

واقعدوا لهم كُلّ مرصد.

[اتصال الشريف بإمام اليمن لإعادة عساكر القُنْفُدَة الهاربين]

فما أدركتهم العساكر البحريَّة، إلاَّ وقد وصلوا لُحَيَّة(١)، فمنع أمير اللُّحَيَّة السِّلَحْدَار عن أخذهم، وقال له: إنَّهم في أمان الإمام بعد إدْلاَجِهِم وَوَخْذِهِم، فأَلَحَّ السلحدار بالطلب، وامتنع الأمير وغلب، ولو كان للسلحدار عليه اقتدار، لأخَذَهم غصبًا عليه ضحوة النهار، فلمَّا تحقق الامتناع، وزاد التشاجر والنزاع، طلع سلحدار الشريف بنفسه لمواجهة الإمام، وتسليم مكاتيب الشريف - زاده اللَّه تعالى إنعام(٢) - وطلع معه المعمري بحُجَّته لإظهار روجه ومحَجَّته.

فلمَّا قرأ الإمام المكاتيب، ورأى ما فيها مِن الأمر العجيب، ومع السلحدار حُجَّة مِن قاضي القُنْفُدَة، على أنَّ الحُجَّة التي بأيدي العسكر كانت جبرًا عليه مُنَفَدة، قابل الإمام بين الحُجَّتَيْن، وتأمَّل في المحَجَّتَيْن، وظهر له فيما تحرر، أنَّ العسكر أخذوا شياء(٣) أكثر مِن المقرر، فأمر برد جميع ما أخذوه مِن الوزير مِن المال، جزاءً لما صنعوا ووبال(٤)، وكان قدره ألفين وماتين(٥)

---

(١) لُحَيَّة: مِن المدن اليمنيَّة على ساحل البحر الأحمر، وهي جزيرة متصلة باليابسة، ومرفؤها غير صالح للملاحة؛ بسبب الصخور التي تعيق المراكب الكبيرة والصغيرة على حد سواء، وأرضها قاحلة غير صالحة لزراعة، وفي الجهة الغربية مِنْها عدة جزر صغيرة، وكانت غير مسوَّرة، ولكنها محاطة بآكام مرتفعة، عليها اثنتى عشر قلعة. إبراهيم أحمد المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢، دار الكلمة، صنعاء، د.ط، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ١٣٧٠-١٣٧١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إنعامًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: وبالًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

دينار[١][٢]، قبضها السلحدار، وأودع قلوب العساكر النار، واعتذر مِن حضرة الشريف أنَّ في رجُوعهم عار[٣] عليه عند العرب، لأنَّهم وفدوا في حماه، وللضيف على المضيف حقٌّ وجب، وأنَّه يخشى مِن إثارة فتنة القبايل[٤]، وحماقة كُلّ وغد جاهل؛ فوصل مكة سلحدار الشريف بالدراهم[٥] والجواب، وأحسن هذا الإمام في الخطاب فيما أجاب، فانظر لهمة هذا الشريف مسعود، وبذل همته في نيل المقصود، حيث لم يترك مثل هذا الأمر الذي صار في بندره، وعلى وزيره يضيع سُدَى، فليت الملوك جميعًا له فدا[٦].

[فرمان السلطان محمود الأوَّل بقراءة قصة المعراج]

وفي عام واحد وستين بعد المائة[٧] والألف ١١٦١[٨]، وصل فرمان[٩]

---

(١) ذكر العاملي أنَّها كانت ألفين ومائتي ريال. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٣٣.

(٢) **الدينار**: كلمة مشتقة مِن اللفظ اللاتيني Denarius Aureus، وهو اسم وحدة مِن وحدات النقود الذهبية عند الرومان، وقد عرف العرب هذه العملة الذهبية قبل الإسلام وبعده، والدينار يساوي مثقالاً واحدًا، والوزن الشرعي له ٤,٢٥ جرامًا، وما يزال لفظ الدينار يستخدم في عديد من الدول حتى يومنا هذا، وإنْ كان لا يعني بالضرورة عملة ذهبية. محمد بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ)، **النقود والمكاييل الموازين**، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١م، ص ٤٠-٤١؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٨٩-١٩٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عارًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٥) ذكر منذ قليل بأنها دنانير!

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فداء.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٨) ١١٦١هـ/ أوَّل يناير ١٧٤٨ – ٢٠ ديسمبر ١٧٤٨م.

(٩) **فرمان**: لفظ فارسي معناه: أمر أو حكم أو دستور مُوقَّع مِن الملك. استخدمه الأتراك في العصر العثماني بمعنى الاوامر السلطانية، ويكون أمرًا واجب النفاذ. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٣٨.

عالي الشان[١]، أمضى مِن السيف والسنان، يجب له الخضوع والإذعان، مِن حضرة سلطان سلاطين العالم، ومَلِك ملوك أقاليم الديلم، مَنْ خضعت لهيبته الملوك الأكاسرة، وزالت لأعتابه رقاب الجبابرة والأُسُود النافرة، ظلّ اللَّه تعالى الممدود، مولانا السلطان محمود[٢]، فتلقي بالإعزاز والإقبال، وقُوبل بالقَبُول /ق٣٦/ والإجلال، وقُرِئ بحضرة صاحب الترجمة عزَّ قدرًا وسما، وحضرة السادة الأشراف والعُلما[٣].

ومضمونه أنَّ حضرته العليَّة أمر بقرآة[٤] قصة المِعْرَاج [في ليلة السابع والعشرين مِن رجب المُعَظَّم][٥]، وأنْ يظهروا في تلك الليلة كمال السرور والابتهاج؛ يجلسون تجاه البيت المُعظَّم الحرام، ويدعون لحضرة سلطان الإسلام، ثم تجتمع العُلما[٦] في مولد النبي[٧] ﷺ،

(١) كذا في الأصل، والصواب: الشأن.

(٢) **السلطان محمود الأول** (١١٤٣-١١٦٨هـ/ ١٧٣٠-١٧٥٤م): ابن السلطان مصطفى الثاني، ولد في ٤ مِن المحرم ١١٠٨هـ/ ٢ أغسطس ١٦٩٦م، وقد اتصف بالعدل، والحلم، وميله إلى المساواة بين جميع رعاياه دون نظر لفئة دون أُخرى، وخاضت الدولة في عهده حروبًا ضد الفرس، انتهت بتوقيع معاهدة مع نادر شاه في عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، ووقعت في عهده معاهدة بلغراد مع الروسيا عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م، والتي أعادت بعض ممتلكات كانت قد افتقدتها الدولة العثمانية جراء معاهدة كارلوفتس ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م، وقد توفي يوم الجمعة ٢٧ صفر ١١٦٨هـ/ ١٢ ديسمبر ١٧٥٤م، بعد أنْ حكم السلطنة خمسة وعشرين عامًا. انظر: محمد فريد بك، **تاريخ الدولة العليَّة**، ص ٣٢٠-٣٢٦؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية المجهولة**، ص ٣٥١-٣٥٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: بقراءة.

(٥) ما بين القوسين إضافة من: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٢٤.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٧) **مولد الرسول**: المكان الذي ولد فيه رسول اللَّه ﷺ وهو في فم شِعْب عَلي، الذي كان يسكنه بنو هاشم، وقد بقيت الدار كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفة العباسي هارون الرشيد، فأمرت بإقامة مسجدٍ يصلى فيه، ودخل على هذا المسجد كثير من التعميرات كان أهمها في عهد السلطان محمد الثالث (١٠٠٣-١٠١٢هـ/ ١٥٩٥-١٦٠٣م)، عام ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م، حيث أمر في ذلك العام بعمارته، وبنى في أعلاه قبة عظيمة ومنارة، =

بـعـد قــراآة[1] قـصـة الإســراء، ثـم يَـتَـوَجَّـهُـون فـي دار خديـجـة الكبرى[2]، ثم يعُودون للمسجد الحرام، ويفتحون البيت الشريف، زاده اللَّه تعالى مَجْدًّا وتشريف[3]، ويطلقون العود والعنبر والند، بمسمع مِن السادة العُلما[4] ومشهد.

وعَيَّن أربعة فراوي مِن أفخر السَّمُّور[5]، تلبس بين ذلك الجمهور، أحدها لحضرة شريف مكة، والأخرى لقاضي الشرع، والثالثة لفاتح البيت المعظم، والرابعة لمفتي الإسلام على مذهب الإمام الأعظم[6]، وفروًا مِن الكاكم لشيخ الحرم المُحترم، ومعها خلعًا[7] وقفاطين للخدمة والمباشرين،

= ووقف عليه وقفًا، ورتب له مؤذنًا، وخادمًا، وإمامًا، وفي مرحلة تالية جعل له مُدَرِّسًا يُدَرِّس فيه ويتقاضى مرتبًا. وكان مسجد المولد أحد المزارات الرئيسة للحجاج في مكة المكرمة، وقامت المملكة العربية السعودية بهدم هذا المسجد نظرًا لكثرة تبرك الناس به، وأُقِيم في مكانه مكتبة مكة. علي السنجاري، **منائح الكرم**، ٣/ ٥٠٦-٥٠٧؛ إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٦-١٨٩؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(١) كذا في الأصل، والصواب: قراءة.

(٢) **دار خديجة الكبرى**: كانت تقع في زُقَاق الحِجْر بمكة، وتنسب إلى السيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ، التي توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات، ودفنت في دارها، وفي عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م أُقيمت قبة مِن الحَجَر الشميسي على قبرها، بأمر مِن الأمير محمد بن سليمان الجركسي دفتردار مصر، في ولاية داود باشا (٩٤٥-٩٥٦هـ/ ١٥٣-١٥٤٩م) نائب السلطان العثماني سليمان القانوني، وكان على القبر قبل القبة تابوت خشبي، وقد جُعِلَ لخادم القبر مرتبًا. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣١، ١٨٩-١٩٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: تشريفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: العُلماء.

(٥) **السَّمُّور**: حيوان بري مِن آكلات اللحوم، يعيش في شمالي قارة آسيا، ولا يصاد إلا بالحِيَل، ومِنْه يتخذ نَفِيس الفِراء لا يلبَسُها إلا الملوك وأكابر الأعيان، لحُسْنها ودِفئها، وأحسنه ما كان شديدَ النُّعُومة مائلاً إلى السواد. أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج ٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، ص ٤٩؛ كمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ٢/ ٤٠-٤١.

(٦) **مذهب الإمام الأعظم**: مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وهو المذهب الرسمي الذي أقرَّته الدولة العثمانية، في المناطق التي خضعت لها.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: خلعٌ.

وكان مقدار هذا المنصرف قدر أربعة آلاف[1]، عيَّن لها في تلك الجهات أوقاف[2]، جزاه اللَّه تعالى أفضل الجزا[3]، وضاعف له الثواب وأجزا[4]، وما زالت جارية لعصرنا هذا على النمط المسطور، ونرجو أنْ تكون إلى مَمَر الدُّهُور[5] / ق٣٧/ .

[الخلاف بين الشريف ووالي جدة على اقتسام العشور]

في سنة[6] صارت ببَنْدَر جدة حادثة، وكانت صروف الأيام لها باعثة؛ وهي أنَّ علي باشا والي هذا البَنْدَر المعمور، رام أخذ شيء مِن العشور، لم يكن له مسطور، وأرسل لصاحب الترجمة أنَّ له في البَنْدَر نصف ما تَحَصَّل مِمَّا قَلَّ وجَلَّ، مع أنَّ الذي طلبه لصاحب الترجمة خاصة، والفرامين السلطانيَّة عليه ناصَّة، وهي المعاشرة فيما يرد مِن الأطعمة العربية، وزالة البن المرسل إلى الديار المصريَّة.

وهكذا جرت القواعد القديمة، والمقررات المُستديمة[7]، وصمَّم والي

---

(١) ذكر العاملي أنَّها أربعة آلاف قرش. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٢٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أوقافًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الجزاء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أجزى.

(٥) رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٦) ذكر ابن عبد الشكور هذا الحدث دون أنْ يحدد العام الذي وقع فيه، بينما ذكره زيني دحلان في عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، في الوقت الذي نرى العاملي - الذي كان مهتمًّا بذكر كل صغيرة وكبيرة في عهد الشريف مسعود - لم يسجله رغم أنَّ تأريخه توقف حتى نهاية عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م، والواضح أنَّ دحلان قد نقله عن ابن عبد الشكور، الذي كتبه بعد عام ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، فاختلط عليه الأمر، وذكره ضمن أحداث هذا العام المذكور، رغم أنَّ صاحبه لم يذكر له عامًا محددًا، وعلى ذلك يرى الباحث أنَّه رُبَّمَا يكون هذا الحدث وقع في الفترة ما بين عامي ١١٦٣-١١٦٥هـ/ ١٧٥٠-١٧٥٢م، أيّ في الفترة التي أعقبت توقف العاملي عن تسجيل الأحداث، لأنَّه ليس مِن البدهي أنْ يتجاهل العاملي هذا الحدث الذي يُعَدُّ غاية في الأهمية، بينما نراه يتطرق إلى حوادث أخرى أقل أهمية منه. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٤١٨-٤٢٨؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٥.

(٧) كانت الضرائب المُحَصَّلة مِن ميناء جدة، تقتسم بالمناصفة بين شريف مكة ووالي جدة. =

جدة على ما صمَّم عليه، ولم يعلم أنَّ في عاقبة الأمُور يعود الندم لديه، فأبرز الشريف الفرامين لينظرون[1] في فحواها ويعملون[2] بمقتضاها؛ فما زاد والي جدة إلاَّ تَصَلُّبًا وشِدَّةً وعتوًّا ونفورًا، وقال بهتانًا وزُورًا، فتكَلَّم مع التجار أعيان البلد، وأرْشَدُوه عن طلب ما لا يرومه أحد، فرفع أنفه وشمخ على طود عزم رسخ، فطال بينهم المجال، وكثر القِيل والقَال، ونصبت بينهما الوسايط[3] مِن استماع القول الشايط[4]، فأعاد التجار عليه القول، وتكَلَّفُوا له بشيء مِن الدراهم وتكفلوا، وجَمَعُوه في الحال له وألفُوْا؛ فلم يصنع لهذا الخطاب، وارتكب الخطأ وترك الصواب، وأخذ ما [رامه[5]] قهرًا وجباه، وتَرَّس سُور البلد وحماه.

فعند ذلك جهز حضرة الشريف ركوبة قوية، أهل نجدةٍ وحميةٍ، وجمع فيها من الكُمَاة الصناديد، والحماة الصِّيد، الطاعنين في البات والوريد، وجعل أميرها أخاه الشريف جعفر بن سعيد[6]، فتَوَجَّه لقتاله وإبطال ما يرومه

= انظر: ص ١٣٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: لينظروا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يعملوا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوسائط.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الشائط.

(٥) وردت في الأصل رآه، والتصحيح مِن النسخة (ب)، ورقة ٢٥.

(٦) **الشريف جعفر بن سعيد**: جعفر بن سعيد بن سعد بن زيد النموي الحسني، كان أحد القادة العسكريين لأخيه الشريف مسعود؛ حيث أرسله على رأس حملة - نتيجة الخلاف الذي وقع بينه وبين علي باشا والي جدة على اقتسام إيرادات مرفأ جدة - قامت بمحاصرة جدة حصارًا شديدًا، فرَّ على إثره علي باشا عن طريق البحر إلى إستانبول، فأرسل الباب العالي واليًا آخر مراعاة لجانب الشريف مسعود. وفي موسم الحج ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، وقع خلاف بين الشريف مساعد وأمير الحج الشامي عبد اللَّه باشا، فقام الأخير بعزل الأوَّل وتولية أخيه الشريف جعفر، وبعد عودة أمير الحج، تنازل الشريف جعفر لأخيه الشريف مساعد عن الشرافة في ١٤ محرم ١١٧٣هـ/ ٦ سبتمبر ١٧٥٩م، بعد أنْ ظل فيها مُدَّة شهر، وتَوَجَّه بعدها الشريف جعفر إلى الطائف وأقام بها، واشترى بها بساتين، وظل بها حتى وفاته عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، ودُفِنَ بمسجد عبد اللَّه بن عباس، ولم يذكر له عقب ذكور، وله ابنة واحدة هي الشريفة راية، وكانت صاحبة أموال كثيرة، توفيت في ١٠ شوال ١٢١٠هـ/ ١٦ مايو ١٧٩٦م. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٨٣، ٢٨٥؛ =

مِن محاله، ولمَّا أقبلوا على البَنْدَر المذكور، وأحاط بعساكره على دايرة[(١)] السُّور، ووقع بينهم النضال، وجال كُلّ هُمام في سوق الآجال، فلم يحصل لهم بعض تَمْكِين لمتانة سُورها الحصين.

وكان لصاحب الترجمة اليد مع أعيان البلد، وله فيها رجال تفتل الريح ولم يشعر بها أحد، مِنْهم كَتْخُدا[(٢)] عسكر جدة، يمهد له الأمُور في هذه المدة، فلمَّا مهدوا الأمُور، وجرى على وفق مرادهم المقدور، وساقي الخيانة بكاس[(٣)] الوَلُوس يدور؛ أرسلوا للشريف جعفر أنْ يحمل مِن جهة اليمن بِمَن معه مِن الجنود، وركنوا على العسكر أنْ لا يرموهم بغير البارود.

فلمَّا هجم الجند على سُور البلد، فرَّ مَن كان خلفه مِن العسكر وشرد، وملكوهم مِن تلك الأبراج، وخرجوا / ق٣٩/ وعلى روسهم[(٤)] العجاج، ونَقَبُوا في السُّور نقبًا بقدر الباب، ودخل الجيش جميعه خيلاً وركاب[(٥)]، فلم يسع علي باشا مِن خوفه أنْ يُقْبَض عليه إلا ركوبُه في المراكب بخواصه

= أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٨؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ١/ ١٨٠-١٨١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: دائرة.

(٢) **كَتْخُدا**: وتكتب كخيا أيضًا. أصلها مِن الفارسية كدخدا، وتتكون مِن مقطعين: كد بمعنى بيت، وخدا بمعنى الرب أو الصاحب، أي إنّها في الأصل تعني رب البيت، وقد اصطلح على استخدامه لِمَنْ يعمل نائبًا أو قائمًا بالأعمال، وكان يطلق في البداية على من يشرفون على أعمال رجالات الدولة أو الوزراء أو من ينوبون عنهم، ثم شاع ليطلق في معناه الواسع على مديري الأعمال أو المشرفين العاملين في معيَّة الكبار، المعتمدين عليهم في إدارة الأمُور الخاصة، وقد استخدم الاسم في الدولة في الدائرة التي يتبعها الشخص؛ فقيل: كَتْخُدا الخزينة، كَتْخُدا الصدارة، كَتْخُدا العسكر. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ١٨٨-١٨٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بكأس.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رءوسهم.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ركابًا.

الذي[١] بين يديه؛ فعند ذلك تمكّن الشريف جعفر مِن كامل البندر، ولم يحصل على البلد نهبة ولا خلاف من البادية والأجلاف، ثم إنَّ الشريف جعفر[٢] أرسل نجّابًا لأخيه وأخبره بِمَا وقع، وأعاد الجواب بأنْ يسترجع والي جدة فما رجع، فلم يعد إلى مكانته، ويكف عنهم بجنايته، ورأى أنَّه لو أقام بهذه الحالة ينذل، فسافر إلى حيثُ آلْ.

[وقوع فتنة بين العساكر في جدة]

وفي سنة[٣] وقع ببَنْدَر جدة مِن ألضاشات السفرلية مِن العساكر المصرية، حرب شديد لا يخلو مِن التنكيد؛ والسبب العام الذي أوجب هذا الانتقام، أنَّ المفرق البن جمركه[٤] على مقتضى العادة، وفي هذا العام طلب حضرة الشريف الزيادة، فامتنعوا عن تسليم المُعتاد، ولو رقي السبع الشداد، فزاد بينهم القِيل والقَال، وطال بينهم الشر المفضي للقتال؛ فعند ذلك نزل صاحب الترجمة بنفسه، وأشرقت في البَنْدَر شموس قدسه، وفكر في أمرهم بحسب تخمينه وحدسه، فظهر له أنَّ العسكر لا يمكنهم الرجوع، وأنَّ القول لديهم غير مسموع، فوقع بينهم الكلام الشاق، ثم قامت الحرب بينهم على ساق، واستمر بينهم الحرب على هذا المنوال في ذلك اليوم بِمَا طال؛ فأسفر الأمر عن انكسارهم وانتصاره، وعرف كُلّ واحد مِنْهم بمقداره، ثم أرسل للدولة العليَّة واستأذنهم في الازدياد، فعاد له الجواب على وفق المراد.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جعفرًا.

(٣) لم يذكر مؤرخنا السنة التي وقعت بها الحدث، ويرى الباحث أنَّه رُبَّمَا يكون هذا الحدث وقع الفترة ما بين عامي ١١٦٣-١١٦٥هـ/ ١٧٥٠-١٧٥٢م، أي في الفترة التي أعقبت توقف العاملي عن تسجيل الأحداث.

(٤) **جمرك**: أصلها مِن التركية كمرك، ومعناها: ما يؤخذ على البضائع الواردة مِن البلاد الأخرى، ودخلت العربية مُنذ العصر العثماني. انظر: مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٣٨.

[وقوع فتنة بين السنة والشيعة في مكة]

هذه واقعة عجيبة[(١)]، وهي في الحقيقة غريبة، ضمنها مُصيبة، وهي أنَّ رجلاً صالحًا مِن دراويش[(٢)] الهنود[(٣)]، كان مُلَازمًا للبيت الحرام، طوافًا وصلاةً، وركوعًا وسجودًا، فرأى على حين غفلة مِن المطاف عجميًّا مِن الرافضة الأجلاف، لوَّث بالنجاسة موضع الحجر وركن البيت الشريف، زاده اللَّه تعالى تبْجِيلاً وتشريف[(٤)]، فلمَّا شَنَّ عليه الغارة، فَرَّ شَارِدًا نحو القرارة[(٥)]، فاجتمعت السادة الأكياس لإزالة نجاسَة الأرجْاس، وغَسَلوا ركن البيت المشرف، وطَهَّرْن مِن درن مَن أجنى على نفسه وأسْرف، وسئلوا الدرويش عن اسم الرجل وعن صفته، فلم يقطع بمعرفته؛ لكن / ق ٤٠/ بحسْب الفراسة أنَّ ما وضع هذه النجاسة غير طايفة[(٦)] الأعجام، لرفضهم وكراهتهم الخاص والعام، راجين مِن كرم الباري، أنْ يستدلوا على وجه هذا الخاري.

فما مضي برهة مِن الأيام حتى دعى الدرويش إلى داره رافضيٌّ مِن

---

(١) يذكر كلٌّ من العاملي ودحلان هذه الواقعة ضمن أحداث عام ١١٤٤هـ/ ١٧٣٢م. انظر: رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٧٢-٢٧٤؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٨٤.

(٢) **دراويش**: جمع درويش. أصله فارسي، ومعناه: فقير أو مسكين، ودخل إلى العربية منذ بدء العصر الإسلامي، وتطوَّر معناه حينما اتصل بأرباب التصوف، وأصبح الدرويش مَن سلك طريق الدروشة والتوكل على اللَّه، أيّ انقطع للعبادة والتجرد للذكر والتهجد، وأصبح لهم تكايا خاصة، ينفق عليها الأثرياء، ولكن انحرفت أوضاعهم في آخر الأمر؛ حيث غلبت عليهم البلاهة، وتحولت عندهم أفكار المُتصوِّفة مِنْ السمو الفلسفي الروحي إلى شعوذات وخرافات، لا أصل لها في العقيدة الإسلامية. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٨٠-١٨١.

(٣) ينفرد هنا مؤرخنا بذكر أصل وطبيعة مَنْ رأى تلك الحادثة، ثم يوضح ما حدث له، بينما يكتفى العاملي الذي كان معاصرًا لتلك الحادثة، وشاهد عيان لها، بأنْ ذكره بقوله: «زعم بعض العوام...». رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود السنية**، ٢/ ٢٧٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: تشريفًا.

(٥) **القرارة**: حي يقع شمالي المسجد الحرام. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٢.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

الأعجام، فلمَّا أدخله إلى داره، وصار بين أعْوانه وأنصاره، تجَبَّرُوا على هذا الضعيف، وصاروا يضْرِبُونَه ضربًا عنيف[1]، ولم يكفهم ما فعلوه فيه مِن هذا المنكر، حتى فلحُوا لحمه بالأمواس، وملأوه بالفلفل الأحمر؛ فتحقق الناس أنَّ ما وَضَعَ هذه النجاسة غير هؤلاء الملاعِين، بدليل فعلهم في هذا الضعيف المسكين[2]؛ فصاح الناس مِن هذا الجُور والباطل، وتحل كُلّ جِيد كان مِن عقد المفاخر عاطل[3]، فاجتمعت الناس بعد صلاة الجمعة في رواق المسجد الحرام، حتى انْغَص المسجد مِن شدّة الازدحام، فأجمع رأيهم على أنْ يذهبوا لقاضي الشرع الشريف[4]، ليحكم لهم بمقتضى الدين الحنيف، فوصلوا إلى القاضي، وحمله شخص مِنْهم على كاهله، وصاح في الناس بباطله، فصاح الحاضرون بلسانٍ واحدٍ، ولم يبقَ غايب[5] إلا وهو شاهد.

وفي هذا اليوم أصبح حضرة الشريف[6] مِن جدة، وكان غايبًا[7] مُدَّة، فتركه الناس، ولم يرفعوا إليه هذه الشكاية، ولم يخبروه بِمَا وقع على الدرويش مِن النكاية، وتَوَجَّهوا جميعًا إلى دار باشة جدة، وأخبروه بِمَا وقع مِن هذا اللُّكَع[8]، فما أوْسَعه إلا أنَّه أمَرهم بنهب بيوت الأعجام، واستباحة المال الحرام، فأغارُوا على تلك البيوت كما هي، وما تركُوها بعد لحظة إلا وهي خَاوية، فوَجَدوا في تلك البيوت الحصينة أموالاً وجواهر ثمينة، فتفرَّقَت في أيدي الناس شذر مذر، وكانت هي النصرة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عنيفًا.

(٢) يبدو أنَّ العجم فعلوا هذا الأمر انتقامًا مِن الدرويش الهندي الذي قلَّب عليهم أهل مكة، وليس بالضرورة فعلهم ذلك لأنَّه كشف أمرهم.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عاطلاً.

(٤) هو قاضي السلطان في مكة المكرمة، وكان على المذهب الحنفي.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: غائب.

(٦) الشريف محمد بن عبد اللَّه، وذلك في ولايته الأولى منذ ٢٩ ذي القعدة ١١٤٣هـ/ ٤ يونيو ١٧٣١م - ٧ جمادى الأولى ١١٤٥هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٣٢م. رضي الدين العاملي، **تنضيد العقود**، ٢/ ٢٦٣-٢٦٤.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.

(٨) **اللُّكَعُ**: الرجل اللئيم والأحمق. **المعجم الوسيط**، ص ٨٣٧.

على مُبغضي أبي بَكْرٍ وعُمَرَ، وَمِنْ بَعْدَهَا ضَعُفَتْ شَوْكة الأعجام بمكة وافتقرت، وخربت منازلهم وأقفرت[1] / ق٤١/.

(١) يذكر العاملي أنَّ العامة قد اجتمعوا في مكة عند حضرة الوزير باكير باشا والي جدة، وكان عنده مُفتي مكة، وقاضي الشرع، وأنَّهم انتزعوا مِنْهم حكمًا بإخراج العجم مِن مكة، وأرسَلوا مناديًا مِن لدنهم في شوارع مكة بأنَّ مَن بقي مِن العجم فهو منهوب مقتول، وقد أغاروا على بعض بيوتهم، وتدخل بعض السادة الأشراف لمنع ذلك، وكل ذلك والشريف على غير علم به، ثم إنَّ العامة ذهبوا إلى القاضي وطلبوا مِنْه أنْ يرسل إلى الشريف محمد ليوافقهم على طرد العجم من مكة، فرفض الشريف ذلك، ولكنهم أخافوه بأشياء اقتضاها الوقت [رُبَّمَا هددوه بالوقوف مع عمّه الشريف مسعود ومعاونته ضده]، فوافقهم على ذلك، فأطلقوا مناديًا لخروج العجم من مكة، فخرجوا عن فورهم متَوَجِّهين إلى الطائف، وجدة، وغيرهما مِن مُدن الحجاز، فهدأت الأمُور بعد ذلك، ولكن لما اقترب موسم الحج، أرسل الشريف إلى مَن كان مِن أولئك الأعاجم في الطائف، يأمرهم بالقدوم إلى مكة، فوصلوا في أواخر ذي القعدة ١١٤٤هـ/ مايو ١٧٣٢م، مع وصول حجاج آخرين مِن بني جنسهم ومذهبهم برًّا وبحرًا، فاضمحلت القضية، ولم يعترضهم معترض، ويرجع العاملي وقوع هذه الحادثة نتيجة تعصب الأتراك وأغواتهم، ويذكر مِنْهم حسين أغا والعساكر المصرية، ووالي جدة باكير باشا، وكذلك بعض أراذل القوم في مكة، وقد أوضح أنَّ أهل مكة الحقيقيين لم يكونوا راضين بذلك، وأورد شعرًا لإثبات ذلك، مِن نظم أحد أدباء مكة، وهو الشيخ تاج الدين بن عارف المنوفي [ت ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م]، حيث أرَّخ تلك الحادثة بقوله:

تعامى حادثٌ قد سلّ بغيًا	على أهل النهى بالفضل نصله
به الجهَّال قد رجموا سفاهًا	لقاضي الشرع أبقى اللهُ عدله
ومفتي مكة من غير جرمٍ	يبيِّن فرعه للناس أصله
وما عرفوا فضل العلم قدرًا	وما رفعوه بل خفضوا محلَّه
وما أدَّوا حقوق جوار بيتٍ	لهم قد بيَّن القرآن فضله
ولكن أسعف المقدور فيهم	ومزَّق جمعهم وأباد شمله
وداركنا بلطفٍ مِنْه أوهى	لقوَّة عقد ما برموا فحلَّه
فقد أحكمت في ضبطي بعامٍ	أساء به حليف الجهل فعله
مثالاً خذه مِنْه واستمعه	وأرَّخه بغلب الجهل أهله

= ١١٤٤

انظر: رضي الدين العاملي، تنضيد العقود السنية، ٢/ ٢٧٣-٢٧٤.

[عهد الشريف مساعد بن سعيد]

[نسبه وولايته الشرافة]

ترجمة مولانا الشريف مساعد ابن المرحوم الشريف سعيد بن الشريف سعد بن الشريف زيد بن الشريف محسن بن الشريف حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبي نمي.

مَلِكٌ مَلَكَ أزمّة المحامد والفضايل(١)، وجمع مِن المحاسن ما تفَرَّق في كُلّ هُمَام فاضل، وقد شُدَّت بالعناية والتوفيق خِلافته، وتبَسَّم ثغرُ الزمان حين لاحت شرافته، فعطس له أنف الصباح بالمسَرَّة، وغدا للقلوب والعيون مَحْبُوبًا وقُرَّة، أنار بدر السعادة سنا نوره المُضي(٢)، ووجد في بابه مثل: الصَّفِيّ(٣)، والرَّضِي(٤)، فَأُلْبِسَ خِلْعة الشرافة بعد أخيه وأمر ونهى، وتَسَنَّم غارب

(١) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المضيء.

(٣) **الصَّفِيّ**: عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي، المعروف بـ: صَفِيّ الدين الحِلِّي، مِن شعراء العصر المملوكي، ولد في مدينة الحِلّة عام ٦٧٥هـ/ ١٢٦٧م، ونشأ بها، واشتغل في التجارة فكان كثير الأسفار والترحال؛ فانتقل إلى ماردين وتَقَرَّب مِن ملوك الأراتقة ومدحهم، فأجزلوا له العطاء، ثم رحل إلى القاهرة عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م ومدح السلطان محمد بن قلاوون، ومِنْ مؤلفاته: ديوان شعر، والعاطل الحالي وهي رسالة في الزجل والموالي، والأغلاطي وهو معجم للأغلاط اللغوية، واستقرَّ في أواخر حياته في بغداد، فمات فيها عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ١٨.

(٤) **الرَّضِيّ**: محمد بن الحسين بن موسى الحسيني العلوي، المعروف بـ: الشريف الرَّضِي، مِنْ أشهر شعراء آل البيت، ولد في بغداد عام ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، ونشأ بها، ثم تولى نقابة الأشراف، ومِن مؤلفاته: ديوان شعر، الحَسَن من شعر الحسين، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل، تلخيص البيان عن مجاز القرآن، مات في بغداد عام ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م. =

الجوزاء[١]، واغترب غارب السُّها[٢]، فقهقهت بسعادة دولته مباسم الثغور، وماست في رياض الفخر قدود الأغصان بالزهور، فاستقامت له الأيام وقرّ مُلْكه، ورسى في تيار النجاة فُلكَه، وتفيّء الضعيف بظلّ كرمه الوريف، وغدا الْمَصر في زمنه مِصرًا وريف[٣]، أمَّا آيات كرمه في حِلّه وحرمه فلا يعرف لها قرار، وأمَّا محاسن شيمه وصدق عهوده وذِمَمه فقد تناقلتها الأخبار / ق٤٢/.

فَتَـى يَــرْوِي الْـمَـكَـارم عَـنْ أَبِـيـه

وَعَـــن أجْـــدَاده وَإِلَـــى عَـلِـيّ

سَـمَـاحـتـه تَـفُــوق الْـبَـحْـر مَـدًّا

وَيَـــزرِي بـالْـحَــيَـا كـفٌّ نَـدِيّ

وما زالت مكارمه تتناقلها الركبان، ويتلوها لسان الزمان في كُلّ أوان، حتى كاد لا يمحو له ذكرًا ولا أثر[٤]، ولا يعرف لمبتدأه خبر، ومع هذا فهو مرجع ذوي الألباب في الآداب، يفتض أبكار المعاني ويرفع عن وجهها النقاب، حتى تصل بخُرّدها الكعاب، بذهن يتقد ذكاؤه، ويخجل النيرين سناؤه، وله فَهْمٌ كالمصباح يتَوَقَّد، وذهن لمعالي الأمُور كُلّ يوم يتَجَدَّد، وله نظم يزري بجواهر السلوك، ويصلح عقد الجِيد الملوك.

مدحته شعراء زمانه بحسن معاني الأدب وبيانه، فطوّق جِيدهم بعقد إحسانه، وأغدقهم مِن صيب بنانه، فَقُلِّدَ عقد الشرافة يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني[٥]، وحضنته يد العناية بالآيات والسبع المثاني، وكان

= خير الدين الزكلي، **الأعلام**، ٦/ ٩٩.

(١) **الْجَوْزاء**: أحد بروج السماء، بين الثور والسرطان، وزمنه مِن ٢١ مِن مايو إلى ٢١ مِن يونيو. **المعجم الوسيط**، ص ١٤٧.

(٢) **السُّها**: كوكبٌ صَغيرٌ خَفيُّ الضوء في بناتِ نعش الكبرى أو الصغرى. **المعجم الوسيط**، ص ٤٥٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: وريفًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أثرًا.

(٥) ٢ ربيع الثاني ١١٦٥هـ/ ١٧ فبراير ١٧٥٢م.

في سنة ١١٦٥ ألف وماية[١] وخمسة وستين، وتَمَكَّن مِن المكَانة غاية التَّمْكِين، فزفّت إليه الملابس السنية، والخلع الفاخرة البهية، أُفيضت عليه مِن والي جدة وقاضي الشرع الشريف، فحصل الأُنس للقوي والضعيف، ونُودِي باسمه في أقطار البلاد وأطاعه، كُلّ حاضر وباد.

[السادة آل بركات يمتنعون عن مبايعة الشريف مساعد]

وأقبلت لِمُبَايعته السادات الأشراف، مِن جميع الأكناف والأطراف، ولم يتأخَّر عن بيعته أحد مِن جميع الجهات، إلا السادة آل بركات، فإنَّهم عاملوا الشريف محمد[٢] وتجَمَّعُوا بوادي مرّ، لأمر يجري به القضاء والقدر، ولم يظن صاحب الترجمة أنَّ لهم اليد مع الشريف محمد، كيف لا وهو أوَّل مَن حَضَرَ الْمُبَايعة، ولم يُبْدِ مُنَازعة، فما زال صاحب الترجمة يُوسط الوسايط[٣]، ويُرسل المراسيل، ويُعاملهم بالرفق والتعظيم والتبجيل، يوعدهم بكثرة المعاش، وزيادة الراحة والانتعاش، وهم لا يجيبونه إلى سواله[٤]، ولا ينيلونه بعض مناله، إلى أنْ مَضى شهران وثمانية أيام، وهم مُصَمِّمُون على الإضرار والإضرام.

[الشريف محمد بن عبد اللَّه يتحالف مع آل بركات ضد عمّه]

ثم بعد ذلك أرسل لهم جماعة مِن كبار الأشراف بطلب الصلح، ونيل ما يرونه مِن النُّجْح، وأرسل معهم الشريف محمد بن عبد اللَّه، وهو راس[٥] هذه الربطة، فكانت في الحقيقة هي الورطة، فلمَّا أنْ وصلوا إلى ناديهم، وأناخوا بواديهم، ورأت العين العين، ولم يبقَ كيف وأين، تقَدَّم الشريف محمد ورد لهم البيشان، وراح في شأن وعاد في شأن، ولم يعلم به عمّه /ق٤٣/ قبل هذا اليوم، أنَّ له يدًا مع القوم، فعادت المراسيل أصفار اليدين بخفي حنين،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوسائط.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سؤاله.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

وحصل الاضطراب بهذه الأسباب، وأخبروا صاحب الترجمة بهذا العجب العجاب.

[الشريف محمد يستولي على الطائف]

فعند ذلك أرسل أخاه السيد عبد اللَّه بن سعيد(١) إلى الطايف(٢) يجمع له قبايل(٣) العرب، وأرسل معه حمل بعير(٤) مِن الذهب، وأمره أنْ يجمع مَهْمَا قَدر مِن القبائل، لقتال الخَصْم الصايل(٥)، فتَوَجَّه مِن مكة جنح ليل، فوجد الشريف محمد(٦) قد نزل بالسَّيل(٧)، فاجتمعت عليه قبايل(٨) عُتَيْبَة(٩)، وتَوَجَّه بها إلى

---

(١) **عبد اللَّه بن سعيد**: عبد اللَّه بن سعيد بن سعد الزيدي النموي، سيتولى شرافة مكة المكرمة بعد وفاة الشريف مساعد، ولن يلبث بها إلا عدة أيام - كما سيأتي ذكره - حيث تنازل عنها إلى أخيه الشريف أحمد بن سعيد في محرم ١١٨٤هـ/ مايو ١٧٧٠م. ونلحظ أنَّ عبد اللَّه هذا غير عبدِ الَه بن سعيد الذي مات عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، وتولى مِنْ بعده ابنه محمد بن عبد اللَّه ثم الشريف مسعود ابن سعيد، فهما أخوان ولكن بعض المصادر تذكرهما بنفس الاسم، وهذا ما أوقعني في اضطراب شديد حتى تثبَّت مِن الأمر فالشريف سعيد بن سعد كان له ولدان يحملان اسم عبد اللَّه. انظر: أحمد زيني دحلان، **الجداول المرضية**، ص ١٥٨، ١٦١.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٤) **حمل بعير**: مكيال أو وزن كان متداولًا في العصر العثماني، وهو يساوي ٢٤٣ كجم في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وعُدّل ليصبح ٢٣٠ كجم في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٥١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الصائل.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٧) **وَادِي السَّيْل**: يُعرف أيضًا بوادي قَرْن المَنازِل، ويُسمّيه النجديون المَغاسل، لأنَّ الحاج يغتسل مِنْه عند الإحرام؛ لأنَّه مِيقات مِنْ المَواقِيت المكانيَّة، ويبعد عن مكة ٧٧ كيلو متر. عثمان بن بشر، **عنوان المجد**، ١/ ٢٦٣؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٦٣.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٩) **عُتَيْبَة**: قبيلة عدنانية من هوازن، وهي مِن أشهر قبائل الجزيرة العربية وأكثرها بطونًا وأفخاذًا، وتنقسم إلى قسمين: القسم الأول: عُتَيْبَة الذين ينزلون نجد وينقسمون إلى فرعين كبيرين؛ بَرْقة وروق. القسم الآخر: عُتَيْبَة الذين ينزلون الحجاز، وينقسمون إلى ثلاثة فروع: بنو سعد، شملة، بَرْقة. وتمتد مساكن القبيلة مِن سروات الطائف الجنوبية إلى سنام وأم سريحة ومصدة والغطغط في نجد. وكانت تمتد منطقة ترحالها مِن الطائف حتى القصيم. محمد بن منصور بن هاشم، =

الطايف[1]، غير مُكترث ولا خايف[2]، فملكه بعد حرب يسير، ونهب بعض البيوت بالنقب والتكسير، فأخرج مِنْه العسكر بالأمان، وخرجت صبيحة يومها عيانًا بيان[3]، وكان يوم الثلاث[4] الثامن عشر مِن جمادى الثانية سنة ١١٦٥ ألف ومايه[5] وخمس وستين[6] مِن هجرة سيد المرسلين، فجدوا السرى لأم القرى، وأخبروا صاحب الترجمة بِمَا جرى.

ولمَّا تَمَلَّك الشريف محمد مِن الطايف[7]، نادى باسمه في شوارع البلاد، وفعل كما يفعلونه على الرسم المعتاد، فأقبلت عليه جميع العرب ينسلون إليه مِن كُلّ حدب، وهم يرتجزون ويرتقصون، ويقولون له: إنَّا ننصرك غدًا، وهُم يَقُولُون ما لا يفْعَلون، وما تَمَّ له عشرة أيام في ذلك المقام حتى حث نجايب[8] السرى، وجَدَّ السير مُسْرعًا وانبرى، فوصل في غُرَّة شهر رجب[9]، بِمَا لديه من العرب، وتَرَّس بهم في موضع شامخ القدر يقال له: دُقْم الوَبْر[10]، ومعه مِن القبايل[11] جُمَل، ضاق عنها السهل والجبل، ففَرَّقَها ثلاث فِرَق، وتَقَلَّد سيفه واعتنق، وكحل عينه بميل الأرق، وانتظر هبوبَ النصر وانتشق، فأدركه عمّه بالدقم المذكور، ولسان السعد يناديه: إنك أنت

= **قبائل الطائف وأشراف الحجاز**، مطابع الحارثي، الطائف، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٧١-٧٥؛ تركي بن مطلق القداح، **دراسات حول قبيلة عُتَيْبَة**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٨ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الثلاثاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٦) ١٨ جمادى الآخرة ١١٦٥هـ/ ٢ مايو ١٧٥٢م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(٩) غُرَّة رجب ١١٦٥هـ/ ١٤ مايو ١٧٥٢م.

(١٠) **دُقْم الوَبْر**: النهاية الشرقية لجبل مِنَى اليماني، وله ذكر كثيرٌ في أنظمة المرور إبَّان الحج، إذ يعد محورًا ومُلتقى لطرق مُهِمَّة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٦٢٣، ٩٦٩.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

المنصور، فحصل بينهم ثمة ملحمة أيّ ملحمة، ابتاعت الأرواح بسوق المعركة بناقع الحمة، وبرزت الأساد للجلاد، وصفت الصفوف للحتوف في ذلك الناد، وحمي الوطيس بين واكز وطميس[(١)]، والتقى يوم الاثنين الخميس بالخميس، فأسفر الأمر عن نصرة الشريف مساعد، بعد قتال شديد ومُجَالَد، وانكسار الشريف محمد ونهب خزانته، التي بها صيانته، وتَفَرَّقَت قومه بأيدي سبأ، في تلك المهامه والرُّبَا.

وعاد الشريف /ق٤٤/ محمد إلى الطايف[(٢)] مُؤمِّن كُلّ خايف[(٣)]، وذلك يوم الخميس خامس رجب سنة ١١٦٥[(٤)]، فجمع العُربان مِن كُلّ مكان، وأقام به إلى اليوم الثاني مِن شهر شعبان[(٥)]، ثم تَوَجَّه بقومه وأقْبَل على مكة مِن تلك المواضع، وخرج له عمّه في اليوم السابع[(٦)]، والتقيا ليلًا وهم مُتَناورون ليلهم بِمَا طال، ونار الشريف محمد تشعل على روس[(٧)] الجبال، فمكث إلى نصف الليل وقوم محاربه راقدة، ونزل بقومه ولزم جبال المَعَابِدَة، وحضرة الشريف مساعد مُقِيْم بموضعه إلى الصباح، ينسق ريح النصر مع هبوب الرِّياح، وليس له بهذه الحيلة اطلاع، وكما يقال في المثل: الحَرب خداع[(٨)].

فلمّا أسفر اللَّه ﷻ بالصباح، ونشر الفجر راياته ولاح، بلغ الشريف مساعد[(٩)]

---

(١) أي بين ضَارب ومَضْروب مُشَوَّه.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مُؤَمِّنًا كل خائف.
(٤) ٥ رجب ١١٦٥هـ/ ١٨ مايو ١٧٥٢م.
(٥) ٢ شعبان ١١٦٥هـ/ ١٤ يونيو ١٧٥٢م.
(٦) ٧ شعبان ١١٦٥هـ/ ١٩ يونيو ١٧٥٢م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.
(٨) الحسن بن عبد اللَّه العسكري، **جمهرة الأمثال**، ج١، ٦٦، ١٩٧.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: مساعدًا.

أنَّ ابن أخيه قد انثنى، وتحصن بجبال الْمُحصَّب[1] والمُنحَنى[2]، فوَجَّه خلفه طُلَّع خيوله السوابق، عندما شام للنصر بارق، وما زال ينقل بها ويخب، ويرجو مِن اللَّه أنْ لا يخب، حتى التقى الجمعان بوادي المُنحَنى، وبها تصافحت أكفّ الصفاح واعتنقت قدود القنا، فمات مِن الفريقين مَن دنا أجله، وطاب مُرتحله.

[السيد عبد اللَّه الفِعْر يصلح بين الشريف مساعد والشريف محمد]

ثم عاد الشريف مساعد بالنصر والتَّمْكِين، لحماية البلد الأمين، وكان انهزام أحد الصفين، بعد قتال ساعتين؛ فتَفَرَّقَت الجيوش وتلك البوادي، واستجال الشريف محمد وتَوَجَّه إلى الوادي، فتتبعه السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر[3]،

---

(١) **الْمُحصَّب**: موضع بين مكة ومنى، وقيل: إنَّه المكان الذي تنتظم فيه الجمرات الثلاث، فهو يخصص مِن مِنَى بالْمُحصَّب، ومِنَى يشمل الْمُحصَّب، وخَيْف بني كنانة، حيث مسجد الخَيْف، وهو مِن مِنَى. عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٢٥٢.

(٢) **المُنحَنَى**: مكان الانحناء، وهو انحناءة وادي المُحصَّب عندما يدفع في الأبطح، والجبل الذي ينحني عليه هو جبل العَيْرة اليمانيَّة، ويُسَمَّى اليوم جبل الشيبي. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦٨٠.

(٣) **السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر**: عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر بن زين العابدين النموي الحسني، أحد القادة الأشراف؛ أدى دورًا بارزًا في مجرى أحداث تاريخ مكة في النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ومِن ذلك أنَّه عمل عقد الصلح بين الشريف مساعد وابن أخيه الشريف محمد بن عبد اللَّه في شعبان ١١٦٥هـ/ يونيو ١٧٥٢م، وفي موسم الحج في العام المذكور رجع مع قافلته إلى إستانبول ليخبرهم بأمر الصلح، فنال الإنعامات والتكريم، وعاد إلى مكة في موسم الحج التالي ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م. ويبدو أنَّه وقع خلاف بينه وبين الشريف مساعد، ولذلك أوعز الفِعْر إلى أمير الحج المصري حسين بك كشكش، في موسم عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، بعزل الشريف وتولية الشريف مبارك بن محمد ابن عبد اللَّه، فتَمَّ ذلك في ٢١ ذو الحجة/ ٢٥ أغسطس مِن العام المذكور، ولكن ما لبث أنْ استرد الشريف مساعد ملكه في محرم ١١٧٢هـ/ سبتمبر ١٧٥٨م، ولذلك أمر بإخراج الفِعْر مِن مكة، فذهب إلى اليمن، ثم توسط إمام اليمن المهدي عباس لدى الشريف؛ فأعاد الفِعْر إلى مكة في جمادى الآخرة ١١٧٢هـ/ فبراير ١٧٥٩م. وفي عهد الشريف أحمد ابن سعيد، أرسله في سفارة إلى إمام اليمن المذكور في ٢٤ رمضان ١١٨٥هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٧٧١م، لإعادة تجارة البن إلى جدة بعد توقفها، فنجح في ذلك. وفي عهد الشريف سرور، =

وأصلح بينه وبين عمّه صلحًا ومستمر[١]، وأرشده لِمَا هوالصواب، ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[٢] بنص الكتاب، واشترط شروطًا الشريفُ محمد؛ فتَمَّم له تلك الشروط، وأوْفَى له بها ولم يُخِل بأمر مَشْرُوط، ولما تَمَّت له مطالبه، وقضيت مآربه، ربط أمورًا سديدة لكل مَن تبعه، وعَنَّ معاشات للأشراف الذين كانوا معه، ودخل مكة في نصف شعبان[٣] وسرى بها ساريه، واجتمع بعمّه واستقرّ الماء في مجاريه، فخمدت بحمد اللَّه تعالى جميع الفتن، وانطفى[٤] الشر وسكن.

[السيد عبد اللَّه الفعر يذهب إلى إستانبول]

وفي موسم هذه السنة البهية[٥]، تَوَجَّه السيد عبد اللَّه الفِعْر بالعروض للدولة العليَّة، فأقام بذلك المقام إلى تمام العام، وفي موسم ست وستين[٦] أناخ مطاياه بحمى البيت الأمين، وقد أنعمت عليه الدولة - أجار اللَّه ساحتها مِن الزوال - بنفايس[٧] العروض والنقود والأموال، فحسن بعد ذلك حاله / ق٤٥/ وزان فاله[٨]، ومِن جُملة ما أهدى عليه مِن التحف والهدايا، التي تحف تلكيا مِن السَّمُّور، لو لبسه الزمان لدخل عليه السرور، لم نرَ نظيره في

= كان الفِعْر ضمن الفريق المعارض له، فدخل في حروب عديدة ضده، وانتهى أمره بأنْ قبض عليه الشريف سرور في شوال ١١٨٩هـ/ ديسمبر ١٧٧٥م، وسجنه في القُنْفُذَة، ثم نقله إلى ينبع، وتوفي بسجنها عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م، وقيل: إنَّه قُتِلَ خنقًا. أعقب ثلاثة أبناء، هم: محسن، ومنصور، وسليم. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٦-١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ١٣٥-١٣٦؛ سنوك هورخرونيه، **صفحات من تاريخ مكة**، ١/ ٢٥٠.

(١) كذا في الأصل، والصواب: مستمرًا.

(٢) القرآن الكريم، **سورة النساء**، جزء من آية ١٢٨.

(٣) ١٥ شعبان ١١٦٥هـ/ ٢٧ يونيو ١٧٥٢م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: انطفأ.

(٥) موسم الحج في ذي الحجة ١١٦٥هـ/ أكتوبر ١٧٥٢م.

(٦) موسم الحج في ذي الحجة ١١٦٦هـ/ أكتوبر ١٧٥٣م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: بنفائس.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: فأله.

قُطْر الحجاز، وما حواه غيره ولا حاز.

[وفاة الشريف محمد بن عبد اللَّه]

وفي عام سبع وستين[٩] خرج الشريف محمد بن عبد اللَّه إلى المبعوث[١٠] يحوم حول الحما ويعوث؛ فأقام به برهة يسيرة، وعينه بغير المُلك لم تكن قريرة، ومِنْه تَوَجَّه لزيارة الحَبْر صاحب رسول اللَّه ﷺ وابن عمّه، متوسّلاً به في كشف كربه وغمّه[١١].

وفي عام تسع وستين[١٢] حث نجايب[١٣] السرى، وأكحل عينه بإثمد الكرى، وتَوَجَّه لزيارة أشرف الورى، فنال سعادة الدنيا والآخرة، وكانت زيارته هذه خاتمة الألطاف، ونال بها من اللَّه تعالى فضيلة وإسعاف[١٤]، فأقام بالمدينة أيامًا في ظل عيش وريف، وفي كُلّ يوم يُقَبِّل أعتاب صاحب القبر الشريف[١٥]، وكيف لا ينال أَسْنَى الرتب، وعند ذلك المرجا ينتهي الطلب، ثم أعمل ركايب[١٦] السرى، وتَوَجَّه نحو أم القرى، فتوعك في أثناء الطريق واشْتَدَّ ألمه، وقلَّتْ راحَته وزاد سَأمُه، فلمَّا طلع مِن ثنية خُلَيْص هبط مِنْها للوداع، وشرعت روحه في غَرْغَرة ونزاع، واختار دار البقا[١٧] على الفنا[١٨]،

---

(٩) ١١٦٧هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٧٥٣ - ١٦ أكتوبر ١٧٥٤م.

(١٠) **المبعوث**: وادٍ فيه زراعة، وهو مجمع أودية العرج وشرب والمهيد، فيصب في سهول ركبة في سيوح هناك، ويقطعه طريق الطائف، المنجد على قرابة ٦٠ كيلاً، وسُكَّانه اليوم من قريش. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٩٦.

(١١) لا يجوز التوسل بِمَنْ مات.

(١٢) ١١٦٩هـ/ ٦ أكتوبر ١٧٥٥ - ٢٤ سبتمبر ١٧٥٦م.

(١٣) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(١٤) كذا في الأصل، والصواب: إسعافًا.

(١٥) وهذا من البدع المُستحدثة.

(١٦) كذا في الأصل، والصواب: ركائب.

(١٧) كذا في الأصل، والصواب: البقاء.

(١٨) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.

وركب سفينة نعْشه وسافر واستراح مِن العنا[1]، فتلقوه إلى مكة وأسْكَنُوه في بيته المعلوم، ودُفِن على ضريح والده المرحوم، بلغ مِن العمر اثنتين وأربعين سنة، وسار في الناس سيرة حسنة، وأعقب ثلاثة مِن البنين الكُمَاة الحماة: السيد مبارك[2]، والسيد أحمد، والسيد بركات، رحمة اللَّه تعالى عليه، وعلى أسلافه الطاهرين، ورزقنا محبتهم في الدنيا والدين.

[أمير الحج المصري يعزل الشريف مساعدًا ويولي السيد مباركًا]

ثم بعد وفاة الشريف محمد المذكور، طاب الوقت لصاحب الترجمة، وانقادت له الأمُور وما زال مُتَمَكِّنًا غاية التَّمْكِّين، إلى غاية إحدى وسبعين، فوردت الحجوج، وكادت الأرض مِن الازدحام تَمُوج، وكان في ذلك العام السامي، عبد اللَّه باشا شتجي[3] أميرًا على الحاج الشامي، وحسين

(١) كذا في الأصل، والصواب: العناء.

(٢) **السيد مبارك**: مبارك بن محمد بن عبد اللَّه بن سعيد الزيدي الحسني، تولى شرافة مكة عدة أيام في ذي الحجة ١١٧١هـ/ أغسطس ١٧٥٨م، عندما قام أمير الحج المصري حسين بك كشكش بعزل الشريف مساعد بإيعاز من السيد عبد اللَّه الفِعْر، ولكن هذه الحركة لم تفلح، فوقف لهم الشريف مساعد بالمرصاد، واسترد مُلْكه، ففَرَّ السيد مبارك إلى وادي مَرّ؛ ثم طلب العفو مِن الشريف فعفا عنه، ورجع إلى مكة في غُرَّة محرم ١١٧٢هـ/ ٣ سبتمبر ١٧٥٨م، وفي منتصف الشهر المذكور، قبض عليه الشريف، ووضعه في السجن، وظلّ فيه حتى توفي في ٨ ذو الحجة ١١٧٢هـ/ أوّل أغسطس ١٨٥٩م، ودُفِنَ بالقرب مِن منطقة الزاهر بمكة المكرمة. إسماعيل حقي، **أشراف مكة**، ص ١٨٠-١٨١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٣/ ٢٤-٢٥.

(٣) **عبد اللَّه باشا شتجي**: عبد اللَّه باشا بن إبراهيم الحسيني الجرمكي الشَّتَجي. والشَّتجي، أو الجتجي، أو جته جي كلمة تركية معناها: الغازي، أو رجل العصابات، وقيل: إنَّ الجته جي نسبة إلى قرية مِن قرى ديار بكر (بجيم فارسية مثلثة وتاء مثناة وهاء وجيم مفخمة آخرها ياء مثناة تحتية). ولد في جرمك مِن أعمال ديار بكر عام ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وتنقَّل في حكم الولايات الكبرى في الدولة العثمانية، وشارك في قتال نادر شاه، وحصار بلغراد، وولي الصدارة العظمى، وقد ولي على دمشق فدخلها في ٢٧ ربيع الآخر ١١٧١هـ/ ٧ يناير ١٧٥٨م، وقضى على الفوضى التي تسببت فيها الإنكشارية، وخرج بإمارة الحج مرتين: الأولى عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، والأخرى عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، وفي الأولى قام بمقاتلة قبيلة حرب وتأديبها، وفي الأخرى قام بعزل الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر، وفي آخر سنة مِن حكمه في دمشق وقع زلزال شديد أدى إلى تدمير عديد مِن مبانيها. وقد =

بيه[1] كشكش[2] أميرًا على الحاج المصري؛ صنجقًا لا يحسب لعواقب الأمُور

= عُزل مِن دمشق في جمادى الآخرة ١١٧٣م/ فبراير ١٧٦٠م، وذلك درءًا للفتن التي قد تقع بينه وبين الشريف مساعد إذا ما خرج بإمارة الحج الشامي، وبخاصة بعد أن تَمَكَّن الأخير مِن العودة لشرافة مكة، وقَدَّم عريضة للباب العالي يشكو فيها عبد اللّه باشا؛ ولذلك قام السلطان بعزله وتوليته على حلب، ثم على ديار بكر، وقد توفي أثناء ولايته على الأخيرة عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦١م. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٣/ ٨١-٨٢؛ أحمد الحضراوي، **تاج تواريخ البشر**، ٣/ ٢٨٧-٢٨٩؛ صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق في العهد العثماني**، دمشق، ١٩٤٩م، ص ٨١-٨٣؛ جعفر بن حسن البرزنجي المدني (ت ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م)، «**النَّفحُ الفَرَجِيُّ في الفَتْحِ الجِتَه جِي**»، دراسة وتعليق: حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٥-٦، س ١٢، ذوا القعدة والحجة ١٣٩٧هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٧، الرياض، ص ٣٥٣-٣٩٦؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ٦٤.

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) **حسين بيك كشكش**: أبو فيض اللّه حسين بيك الكبير الشهير بكشكش بيك، مِن المماليك القازدغلية، تابع إبراهيم كَتْخُدا قازدغلي. كان أسمر الجسم، جهوري الصوت، عظيم اللحية يخالطها الشيب. تولى إمارة الحج أربع مرات: الأولى عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، والثلاث الأُخر مُتَتَالية في الأعوام: ١١٧٤هـ/ ١٧٦١م، ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م، ١١٧٦هـ/ ١٧٦٣م. وقد اشتهر حسين بك كشكش بالشَّجاعة الفَائقة، فقد كان ذا قُوة وذا بأْسٍ شَدِيدٍ في محَاربة العُربان وتأْمين قافلة الحج، ومِن مَواقفه الشَّديدة في التعامُل مع العُربان أنَّه في موسم الحج عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦١م، وقف له العُربان في أحد المضَايق على الطريق، وطلبُوا عوائِدهم، ولكنَّه لم يرد إعطَاءهم مقرراتهم، فخادعهم حتى خرج مِن المضيق إلى مكان أكثر اتساعًا، فتقاتل معهم، وتَمَكَّن مِن قتل زعيمهم هزَّاع بن مرعي الحويطي وما يزيد عن عشرين آخرين، وفرَّ الباقون وتوعَّدوه بالانتقام وأخذ ثأرهم؛ فعاد كشكش بيك إلى مصر ومعه رءوس القتلى، فاجتمع مع الأمراء، فعنَّفُوه على فعلته؛ «وقال له علي بيك: إنك أفْسَدت علينا العرب، وأخْرَبْتَ طريق الحج، ومَنْ يطلع بالحج في العام القَابل، بعد هذه الفعلة التي فعلتها؟ فقال: أنا الذي أُسَافر بالحج في العام القَابل، ومِني للعرب، أصطفل». فلمَّا خرج بالحج العام التالي، قَعَدَ العُربان وترَبَّصُوا به على طَريق العَوْدة، فقاتلهم قتالاً عنيفًا؛ شتَّت شملهم، وفرَّق جمعهم، فخَافه العرب وهابُوه حتى إِنهم كانوا يخوفُون بذكره أطْفالهم، ولم يتعرض له أحد مِنْهم ذهابًا وإيابًا، ولم تقم لهم قائمة طوال فترة إمارته لقافلة الحج. ويرى بعض الباحثين أنَّ كشكش بيك نشر الرعب في قلوب العُربان؛ رغبْة في كسر شوكتهم، والتخلص مِن شُرورهم خِدمة للحجاج، وليس رغبْة في الاستحواذ على عوائدهم المالية. وبعد أنْ صار لكشكش بيك مكانة كبرى في البلاد؛ بدأ يدخل في صراع ضد علي بيك الكبير، للسيْطرة على الأمُور في مصر، وقد انتهى الأمر بقَتْله في طنطا ١٦ محرم ١١٨٢هـ/ أوَّل يوليو ١٧٦٨م. أحمد الرشيدي، **حسن الصفا والابتهاج**، =

ولا يدري، فدخل عليه السيد عبدالله بن أحمد الفِعْر / ق٤٦/ ، وجَهَّمه على ركوب أمر خَطِر، وحمله على أنْ يلبس السيد مبارك بن محمد عقد الشرافة المنضد، وأبذل له شيا[1] جزيلًا عروضًا ومال[2]، فصغى لرأيه القاصر ومال، ووافقهم برأي غير صايب[3]، ولم يفكر في العواقب، فربطوا جملة مِن السادات الأشراف، وأرضعوهم مِن ثدي الخِلاف، ووافقهم السرادلة المصريَّة، مع أنَّهم لشريف مكة حمية، فحَزَمُوا أمُورهم وسَدَّدُوهَا، ورَبَطُوا الحُزْمة وعَقَدُوها، وصاحب الترجمة راقد على سرير الغفلة، لم يدرِ عن هذه الفعلة.

ولمَّا تَمَّت الربطة، وحققت الورطة، اجتمعوا في يوم الأحد، وكان نحسًا عليهم كالسيف الأحد، إحدى وعشرين مِن ذي الحِجة[4][5]، وألْبَسُوه عند القاضي بغير فرمان ولا حُجَّة، وفَرَّقُوا جميع العساكر على أسطحة الحرم والمنبر، واتخذوا جميع المدارس حصونًا ومتارس، وتَرَّسُوا البيوت المشادة، المطلة على دار السعادة، والشريف مساعد نايم[6] في داره، لم يفقْ مِن غراره، وما انتبه إلا ورَمْي الرصاص كالمطر، ولم يجدْ له غير الثبات مقرّ[7]، فسأل أرباب دولته عن الواقعة، ومَن كان سبب هذه المبايعة، فتَلوا

= ص ٥٦؛ مصطفى الصفوي القلعاوي، **صفوة الزمان فيمن تولى على مصر مِن أمير وسلطان**، تحقيق: محمد عمر عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٢٥٧، ٢٦٠-٢٦١؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٤٠٥-٤٠٦، ٤٨٤-٤٨٥، ٥٠٤؛ ٢١٨؛ سميرة فهمي، **إمارة الحج في مصر**، ص ٩٨.

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مالًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: صائب.

(٤) كُتِبَ على هامش النسخة (ب) سنة ١١٦٩. ولا أعرف مِن أين جاء هذا التاريخ، لأنَّ سير الأحداث يوضح أننا في عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، فكيف رجعنا القهقرى، ويبدو أنَّه وقع خطأ في نسخ هذا التاريخ، ولعَلَّ ما يثبت أنَّ هذا التاريخ خطأ وفي غير موضعه، أنَّ كشكش بيك المذكور لم يتولّ إمارة الحج قبل عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م.

(٥) ٢١ ذو الحجة ١١٧١هـ/ ٢٥ أغسطس ١٧٥٨م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: نائم.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: مقرًا.

عليه سُورة الوَاقِعَة قصَصًا، وأحْكَمُوا مِن أمْرها قِصَصًا؛ فعند ذلك استدعى العساكر والرجال، وبذل لهم الجَمّ الكثير مِن المال، فقامت الحرب بينهم على ساق، وصالت حين جالت الفرسان على العناق، واستمر الحرب ذلك اليوم بِمَا طال، ودَنَى الحمام لقصير الآجال.

[الشريف مساعد يسترد الشرافة]

وفي ليلة الاثنين اشْتَدَّ العِراك على الأتراك، ووقعوا في الحيرة والارتباك، وما زال بين الفريقين في ليلة الاثنين، إلى أنْ أصبح اللَّه تعالى بالصباح، وقد عنق المجدة مِن بياض الصبح وشاح، فظهرت الصولة لصاحب الدولة، ووقعت الأتراك في الشباك، فأعلنوا بالأمان مِن كُلّ مكان، فعند ذلك طلب السيد مبارك الذِّمَة، واستنجد للخلاص عمّه، لمَّا غشيه الكرب وعمَّمه، وأخذ الأمان له وللصنجق[١]، لمَّا ظهر عليه الغلب وتحقَّق. وكان السبب في انكسارهم، وإظهار عوارهم، نزول الشريف أحمد بن سعيد[٢] بالعساكر مِن أسفل مكة، وطلوع الحاكم عبد النبي بأولاد الحارات مِن كُلّ ناحية وسكة، حتى نهبوا جميع ذخيرته، ونفايس[٣] أمواله وخيرته، فنهبوا جميع ما كان في السرداليَّة[٤]، وثنوا بِمَا كان مِن خيل وبغال في التكية[٥] / ق٤٧/ .

---

(١) **صنجق**: مفرد صناجق، وتكتب سناجق وسنجق. وهي كلمة تركية تعنى لواء أو علم أو راية، وتأتي بمعني قسم مِن ولاية كبيرة، وكان حاكم الصنجق حاكمًا عسكريًّا ومدنيًّا، غير أنَّه ليس متاحٌ له التدخل في شئون القضاء. سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ص ١٣٦؛ أمَّا في مصر فإنَّ مصطلح صناجق يعني إمَّا حُكَّامًا فِعْلِيِّين على بعض الأقاليم، وإمَّا مجرد رتبة أو وظيفة، وقد كان أمير الحج مِن صناجق مصر. سميرة فهمي علي، **إمارة الحج في مصر العثمانية**، ص ٦٩-١٠٣.

(٢) **الشريف أحمد بن سعيد**: سيتولى شرافة مكة المكرمة في الفترة (١١٨٤-١١٨٦هـ/ ١٧٧٠-١٧٧٣م)، وستأتي ترجمته بالتفصيل ضمن الأحداث.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: نفائس.

(٤) المكان الذي كان يُقيم فيه عساكر السرادلة المصرية لحماية مكة.

(٥) **التكية**: هي تكية السيدة فاطمة، وقد أُنشئت في عام ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م، في عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٨م)، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٦.

[أمير الحج المصري يطلب الأمان]

فلمَّا علم الصنجق بنهب خزاينه[١]، كُسِر ظهره، واشْتَدَّ مِن الغيظ قهره، وأمَّا السيد مبارك فقد أخلى المكان، بعد أنْ طلب الأمان، وتَوَجَّه إلى وادي مَرّ الظَّهْران، وأمَّا الصنجق فقد تشتَّت أحواله، وخابت آماله، ونهبت أمواله، فامتنع عن السفر ولا يمكنه الرحيل بأمر مستحيل، وأحزم الناس مَن لا يرتكب سببًا حتى يفكر ما تُجْنى عواقبه، فالتمس مِن حضرة الشريف مساعد ووقع في ركابه، وأناخ جملة في ساحة بابه، على أنْ يعيد له ما ذهب، ويجمع ما تشتَّت بأيدي العرب؛ فعند ذلك أمر صاحب الترجمة حاكمه القايد[٢] عبد النبي بن ألماس، أنْ يجمع له ما يلقاه بأيدي الناس، فجمع ما وجده بأيديهم شاهرًا ظاهرًا كالخيام، والقرب، والخف، والحافر، فأخذ ما تحصَّل له وارتحل، ونادى خلفه لسان شومه[٣] إلى حيث آل.

إِذَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأُمِّ عَمْرٍو
فَلاَ رَجَعَتْ وَلاَ رَجَعَ الْحِمَارُ[٤]

[الصلح بين الشريف مساعد والسيد مبارك]

ثم إنَّ السيد مبارك بن محمد أقام بالوادي جملة أيام كأنَّمَا هي أعوام، فدخل بينهم السيد عبد اللّه بن سعيد، والسيد سليمان بن يحيى[٥] بالصلح،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: خزائنه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: القائد.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شؤمه.

(٤) البيت محدث مولّد ينشد في تكذيب خبر وإبطاله، انظر: محمد بن العباس الخوارزمي، **الأمثال المولدة**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، د.ط، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٢٩.

(٥) **سليمان بن يحيى**: سليمان بن يحيى بن سعد بن زيد النموي الحسني، أحد السادة الأشراف وقد ظهر اسمه في ثلاثة أحداث مهمة؛ **أولها**: تدخله لعَقْد الصلح بين الشريف مساعد بن سعيد والشريف مبارك بن محمد بعد الحرب التي وقعت بينهما عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، وانتهت بوضْع الأخير في السجن ثم وفاته بعدها في ٨ مِن ذي الحجة ١١٧٢هـ/ أوَّل =

وأرشدوه لطريق الخير والنُّجْح، وتَمَّمَا له مِن حضرة الشريف كُلّ ما طلب، وعاد معهم إلى مكة وفاز بالطلب، وذلك في غُرَّة محرم افتتاح اثنين وسبعين[1] مِن هجرة سيد المرسلين.

وفي ليلة النصف مِن هذا الشهر[2] المبارك طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك؛ فقبضه عنده وسجنه، وأراح نفسه وبدنه، ولبث في السجن إلى تمام السنة، وفي ثامن ذي الحجة[3] الحرام أضَرَّ به حبسه، وفاضت به نفسه، فبدا محاق بدره، ومَزَّقت أيدي القضا[4] صحف عمره، وأُخْرِج مِن السجن مَيْتًا، ودفن دون الزاهر على آبائه الكرام الأطاهر، أعقب ذلك الجناب المصان ابنه السيد سليمان.

[طرد السيد عبد اللَّه الفِعْر إلى اليمن]

وقد تحقَّق مولانا الشريف مساعد، أنَّ ما حصل عليه مِن هذا الفساد المشاهد، إلا مِن السيد عبداللَّه بن أحمد الفِعْر، وثبت ذلك لديه وشهر؛ أمره بالرحيل عن أقطاره، ولا يقر قراره بمَصْر مِن أمْصَاره، وأقسم إنْ لم يرحل

= أغسطس ١٧٥٩م. **وثانيها**: حينما وجهه الشريف أحمد بن سعيد لعزل وزيره على جدة يوسف قابل وتولية حسن بن إبراهيم الشامي بدلاً منه، وعندئذٍ ذهب الشريف سرور إلى جدة - وكان على علاقة طيبة بالوزير يوسف - ومنع السيد سليمان مِن أنْ ينفذ مهَمَّته، وأعَدَّ جيشًا تَمَكَّن به مِن هزيمة عمّه الشريف أحمد وطرده من مكة، وتوليه الشرافة بدلاً منه وذلك في شوال ١١٨٦هـ/ يناير ١٧٧٣م. **وثالثها**: أنَّه رُشِّحَ لشرافة مكة عندما حدثت منافرة بين الشريف سرور بن مساعد و أمير الحج المصري مراد بك، إبَّان موسم الحج في ذي الحجة ١١٩٣هـ/ ديسمبر ١٧٧٩م، فأراد الأخير تولية سليمان بدلاً من سرور، فقام الشريف سرور بالقبض عليه وحبسه في مكة، ثم أرسله إلى ينبع وحبسه بها، ثم أطلق سراحه بسبب مرضه في صفر ١١٩٦هـ/ يناير ١١٨٢م، فتوفي بعدها بعشرة أيام، وقد أعقب ابنين، هما: ناصر، وماضي. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٧، ٢١٦؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ٤٤.

(١) غُرَّة محرم ١١٧٢هـ/ ٣ سبتمبر ١٧٥٨م.

(٢) ١٥ محرم ١١٧٢هـ/ ١٧ سبتمبر ١٧٥٨م.

(٣) ٨ ذو الحجة ١١٧٢هـ/ أوَّل أغسطس ١٧٥٩م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

بِمَا لديه ليهدمن داره عليه؛ فخرج بعبيده وأتباعه، وبعض عشيرته وأشياعه، وارتحل عن مكة وظعن، ووَجَّه وجهه تلقاء اليمن / ق٤٨/ .

وأرسل صاحب الترجمة خلفه رتبة قويَّة تتبعه، تسير خلفه لئلاَّ يجهل مربَعُه، حتى عدّته عدة مراحل، وأنضت جسمه على فراق وطنه وصار ناحل[١]، حتى أقرَّ قراره بصنعا[٢] وأكرمه صاحبها[٣] وأحسن إليه صُنعًا، ومنحه بالإكرام والمنن، وقابله بالخلق الحسن، وعرض عليه أنْ يمدّه بالأموال والرجال، ويعود مُقاتلاً تلك الأطلال؛ فشكره على ما صنع، واعتذر عن القتال وامتنع، ثم أرسل إمام اليمن لصاحب الترجمة يستنجده، ويُستنحيه ويسمح عنه، ويُعيد له ما كان عليه مُجريه، فلمَّا وصل إليه الكتاب، وفهم ما فيه مِن الخطاب؛ سَمَح عنه وقبل ما عليه عوَّل، وعاد إلى وطنه في جماد الأوَّل[٤]، فأقام في مكة في عيش رغيد، وطَالع ميمون سعيد.

ولمَّا أقبل موسم الحج، وأقبل اليَعْمَلات[٥] مِن كُلّ فجٍّ، وكان والي الحج الشامي عبد اللَّه باشا شتجي - المُتَقَدّم ذكره - المشهورة حيلته ومكره، فحج جميع الوُفاد، ووقفوا بساحة الملك الجَواد، ووقف صاحب الترجمة بالمَحْمَلين على مُعتاده، وبلغ كُلّ قاصد نيل مراده، فبات بالمُزْدَلِفَة[٦] حتى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ناحلًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بصنعاء.

(٣) كان صاحب اليمن الإمام المهدي لدين اللَّه العباس بن الحسين. وسبقت ترجمته.

(٤) جمادى الأولى ١١٧٢هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٧٥٨ - ٢٨ يناير ١٧٥٩م.

(٥) **اليَعْمَلات**: جمع يَعْمَلة، وهي النَّاقَة السَّرِيعَة، اشتقَّ لها اسمٌ من العمل. انظر: جمال الدين ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، ج١١، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٤٧٦.

(٦) **المُزْدَلِفَة**: تقع بين مِنَى وعرفة، وهي إحدى مشاعر الحج، ينزل إليها الحجاج ليلة عشر مِن ذي الحجة، بعد وقوفهم في عرفات، ، ويُصَلّى فيها المغربُ والعشاء، قصرًا وجمعًا، وتُسَمَّى المُزْدَلِفَة جَمْعًا لاجتماع الناس بها، وقيل لاجتماع آدم وحواء فيها، وقيل لجمع الصلاتين بها. وفي وسط المُزْدَلِفَة المشعر الحرام المذكور في القرآن بقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩٨]، ومِنْها يُسَن للحاج أنْ يلتقط =

أصبح وتَوَجَّه بالمُنَى والمنح، وحلق وما قصر في رمي الجمار.

[عزل الشريف مساعد وتولية أخيه السيد جعفر]

وفي اليوم الثاني لبس خِلْعة الاستمرار، وقرئت باسمه العروض، وطاب كُلّ قلب مروض، فلمَّا دعا داعي البواعث، واقتضى النزول في اليوم الثالث، نزل مِن مِنَى[١] بعد نيل الهنا[٢]، ونزل والي الشام بالْمُحصَّب، وأقام به الخيام وطنب، ثم فتل حبل الحيلة وأبرمه، ونوى على قبض صاحب الترجمة، فأرسل له طلبه بنا[٣] على أنْ ينظروا في إصلاح عَيْن زُبَيْدَة[٤]، وقد تَمَّم له الحيلة والمكيدة، فركب حضرة الشريف بمعسكره، لقضاء اللَّه وقدره، فاستلحق فورًا في الوقت والحين، وجمع القضاة وأمراء الحجوج والمعلمين، واجتمعوا جميعًا للمشورة كأسود مُتنمرة.

ولمَّا فاض الحديث بينهم في أمر العَين، وارتفعت الأصوات بينهم، أغلظ والي الشام في قوله وتبيانه، ولسع صاحب الترجمة عقرب لسانه قائلاً:

= الجمار. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣٣١-٣٣٤؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٣١٥-٣٢٠.

(١) مِنَى: تقع في شرق مكة، وبها تؤدى إحدى مشاعر الحج، وهي آخر منازل الحجاج بعد الوقوف بعرفات؛ فالعيد الأكبر للحجاج يكون في منى، ويقضون فيها ثلاثة أيام بلياليها، وفيها موقع رمي الجمرات، والتي تتم بين شروق وغروب الشمس في تلك الأيام مِن الحج، ويذبح فيها الهدي. ثم ينصرف مِنْها الحجاج إلى مكة، ثم يرجعون إلى بلادهم، وفيها العديد مِن المعالم التاريخية والأثرية، منهما مسجدان مهمان: أولهما مسجد الخيف، وثانيهما مسجد الكوثر. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣٢٢-٣٣٠؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٢٨٨-٢٨٩؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٢٦٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الهناء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بناءً.

(٤) عَيْنُ زُبَيْدَة: عين عذبة الماء غزيرة، أنشأتها السيدة زبيدة زوج الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠-١٨٦هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)، وهي تنبع من وادي نَعْمَان، ثم تمر في عرفات فتقطع وادي عُرنَة إلى الخَطم ثم تنحدر إلى منى ثم إلى مكة، وكانت مصممة بطريقة انحدارية، وكانت سقيا أهل مكة، وقد ظل الولاة والحكام يولونها عناية خاصة، فيتعهدونها بالإصلاح والعمل، وهي لا تزال باقية حتى يومنا هذا. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢١٠-٢٤٢؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٩٧.

أنت أعطشت أهل هذه البلدة المحميَّة، وأجريت العين لسقيا العَابِدِيَّة، مع أنَّها أفيكت أفـاك[١]، وعين زبيدة لا تركب هناك، وقد كذب عليه مَن قال وأخبروه بالزور والمحال، فلم يصغ لقوله ويقبل عذره، وقد أصَرَّ على ما أصَرَّ عليه ونوى غدره / ق٤٩/ ، ثم أمر مَن لديه مِمَّن لا عقل له ولا خلاق، وجذبه جذب الحمام بالأطواق، وألبس أخاه الشريف جعفر[٢] عقد الشرافة الأزهر، وقَلَّده حماية البيت لا زالت أركانه مشادة، وأرسله مع كَتْخُداه إلى دار السعادة.

ولمَّا شاع الخبر في الآفاق، وقع الجري في الأزِقَّة والأسواق، وداست الناس بعضها بعضًا، واشتفى قلبٌ مُلِئ حسدًا وبغضًا، ولمَّا بلغ والي الشام ما وقع مِن الدوس والازدحام؛ ركب مِن فوره هو وجميع حكام الحج، ووالي جدة، والقضاة، وقرأ فرمانًا في المسجد الحرام أنَّ الأمر له مقتضاه[٣]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أفاكًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جعفرًا.

(٣) إنَّ قضية عزل الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر، لم تأتِ مِن قبل أمير الحج الشامي نتيجة للأسباب التي احتجَّ بها على الشريف بتعطيشه أهل مكة المكرمة، كما أنه لم يكن بمقدور أمير الحج عزل الشريف دون الحصول على أمر مباشر مِن الباب العالي؛ حتى لا يثير الفوضى في هذه البقعة المباركة، والحقيقة أنَّ قرار عزله جاء نتيجة الاقتتال الذي وقع في موسم الحج في ذي الحجة ١١٧١هـ/ أغسطس ١٧٥٨هـ، بينه وبين أمير الحج المصري حسين بك كشكش، وقد أوضح أمير الحج المصري بأن الحجاج المصريين لنْ يتَوَجَّهوا إلى مكة المكرمة طالما ظلَّ الشريف مساعد في منصبه، ووصلت أنباء تلك الحادثة إلى الباب العالي، الذي خشي مِنْ تفاقم الأمر واختلال الأمن في موسم الحج التالي؛ فبادر بإصدار فرمان بعزل الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر، وذلك بناءً على توصية مِن أمير الحج الشامي عبد اللّٰه باشا، وقد أُرِّخ هذا الفرمان بأواخر رمضان ١١٧٢هـ/ مايو ١٧٥٩م، أيْ قبيل موسم الحج الذي عزل فيه الشريف مساعد. (**نامة همايون دفتري**، رقم ٨، ص ٤١٠). ونلحظ هنا أنَّ عبد اللّٰه باشا لم يُرِد أنْ يُظهر فرمان العزل في بدء موسم الحج حتى لا يتسبب في إثارة الفوضى، فيتعَطَّل الناس عن أداء المناسك، فتظاهر بتثْبيت الشريف مساعد على الشرافة، وبعد انتهاء مناسك الحج، استدعى الشريف لمناقشته في بعض الأمُور، وعندئذ أشهر له فرمان عزله وتولية أخيه الشريف جعفر بدلاً مِنْه. ولكن بانصراف أمراء الحج، تَمَكَّن الشريف مساعد مِن الاتفاق مع أخيه واستعادة ملكه (أحمد واصف، **محاسن الآثار وحقايق الأخبار**، ج١، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٤٦هـ، ص ١٠٧، ١١٢-١١٣). وقد أرسل الشريف مساعد مِن فوره عريضة للباب العالي – مِن خلال والي بغداد – يشتكي فيها عبد اللّٰه باشا شتجي، وأنَّ ما قيل ضده افتراء، وأنَّ أخاه تنازل له عن شرافة مكة، وأنَّه مطيع للدولة ولكنه لم يَعُدْ يأْمَن =

ولما تَمَّت قرآة المراسيم، والشريف جعفر واقفٌ مع ذلك الجمع العظيم، نادى باسمه في شوارع البلاد، وحصل الاطمئنان في كُلّ ناد، ثم دعى له فوق المقامات والمنابر، وأطاعه كُلّ باد وحاضر.

وفي آخر اليوم أطلق الشريف مساعد، بوجَاهَة الشريف جعفر، وتَوَجَّه إلى العَابِدِيَّة[1]، وأقام به الشهر[2]، وجميع أرباب المناصب خدموا الشريف جعفر[3]، وصار لهم العقد والحل، ولم يتَعَرَّض لهم بتولية ولا عزل.

= جانب والي الشام، وقد عَزَّز الشريف موقفه بأنْ أرفق محاضر مِن المفتين على المذاهب الأربعة، وعندئذ اجتمع السلطان مع هيئة مِن كبار رجال الدولة ترأسَّها بنفسه، وقد أصدر - درءًا للمفاسد التي قد تحدث بين والي الشام وشريف مكة - فرمانين: أحدهما بإبقاء الشريف مساعد في الشرافة (**نامة همايون دفتري**، رقم ٨، ص ٤١٩)، والآخر بنقل عبد اللَّه باشا إلى ولاية حلب، وتقديرًا لخدماته، فقد جرى إبلاغه بأنَّ هذا التغيير قد فرضته الضرورة. أحمد واصف، **تاريخ واصف**، ١/ ١١٣؛ إسماعيل جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١٨٢-١٨٥. ويتضح بذلك أنَّ قرار عزل الشريف مساعد جاء بأمر مِن الباب العالي، ولكن لمَّا تَمكَّن الشريف مِن استعادة حكمه مرة أخرى وأرسل عريضة للدولة، اجتمع السلطان بنفسه لمباشرة الأمر، ويبدو أنَّ الباب العالي أدرك القوّة التي يتمتع بها الشريف هناك؛ ولذلك أقَرَّه في الشرافة، كما أنَّه أيضًا كان حريصًا على استقرار الأمن في الحجاز، مهما كَلَّفَه الأمر، فنراه يعزل أحد أهم ولاته وهو عبد اللَّه باشا شتجي نتيجة شكوى الشريف، وذلك حتى لا تحدث اشتباكات بينهما، إذا ما خرج على رأس قافلة الحج الشامي مرة أخرى. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٣/ ٨١؛ أحمد البديري، **حوادث دمشق**، ص ٢٢١-٢٢٢، ٢٢٥.

(١) واعتقل الشريف مساعد عدة أيام، في بستان والده الشريف سعيد بالأبطح، ثم طلب من عبد اللَّه باشا أن يتَوَجَّه إلى العَابِدِيَّة، فتَوَجَّه وأقام نحو شهر، ثم عاد إلى مكة، فتنازل له الشريف جعفر عن الإمارة. ونلحظ هنا أنَّ الحضراوي ذكر أنَّ عزل الشريف مساعد كان في يوم ١٨ من ذي الحجة ١١٧٠هـ/ ٢ سبتمبر ١٧٥٧م، وذكر تنازل الشريف جعفر عن الإمارة في يوم ١٧ من المحرم ١١٧١هـ/ ٣٠ سبتمبر ١٧٥٨م، والواضح أنَّه أخطأ في ذكر سنوات الحدث، فالصحيح ما ذكره مؤرخنا عبد الشكور، وما يؤكد ذلك أنَّ عبد اللَّه باشا الشتجي - كما ذكر آنفًا - لم يخرج لإمارة الحج إلا في عامي ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، كما أنَّ عزله كان في عام ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، أي بعد تمكن الشريف مساعد من العودة لإمارة مكة. أحمد الحضراوي، **تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السِّير**، ج٢، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم ١٢٢، ورقة ١٥٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شهرًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: جعفرًا.

[تنازل الشريف جعفر لأخيه الشريف مساعد عن الشرافة]

ولمَّا تَوَجَّهت الحجوج، واعتدلت الأيام العوج، اتفق الأمر بين الأخوين الشريفين، والقمرين المنيفين، أنْ يتقلَّد الشريف مساعد - لا زال سامي المجد - بعقد الشرافة المنضد، ببذل شيء من الدراهم النقود، ومُقررات يجري نفعها عليه ويعود، فتقَلَّدها حضرة الشريف مساعد، أعانه الزمان وساعد، فارتسمت المراسيم برسمه، فأجيب المنادي بالتأمين في رابع عشر محرم سنة ثلاث وسبعين سنة ١١٧٣[١].

[وفاة الشريف جعفر بن سعيد]

ولمَّا تسلَّم الشريف جعفر، ما تقرر بينهم مِن النقود وتحرر، وَجَّه عزمه لساحة الطايف[٢]، ليجني به مِن ثمار الأنس واللطايف[٣]، فشرى به بساتين وغَرَس فيه وعَمَّر، واقتطف مِن قدود أغصانها يانع الزَّهر، ولم يزل يتنزه بين الخمايل[٤]، ويميس في رياضها بلطف تلك الشمايل[٥]، ويرتع بين رياضه ويَكْرَعُ[٦] نميرًا مِن حياضه، إلى أنْ مضى ثمان وسبعون، اقتطفت زهرة عمره يد المنون، فجاور الملك الغفار، واختارها بتك الدار، / ق٥٠/ فدُفِن بجوار العفيف، ونال بقربه غاية التشريف.

[فتنة بين الشريف مساعد وأخيه الشريف أحمد]

ثم إنَّ صاحب الترجمة لا زالت أُمور دولته مُنتظمة، ما زال وهو قرير العين، سالمًا مِن الدَّرِن[٧] والشَّيْن، والأمُور تدور معه وتنقاد على ما شاء

---

(١) ١٤ محرم ١١٧٣هـ/ ٦ سبتمبر ١٧٥٩م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: اللطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الخمائل.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الشمائل.

(٦) وردت في الأصل يكر، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٣٥.

(٧) **الدَّرِن**: الوَسخ. يقال: دَرِن الثوبُ، تَلَطَّخَ بِالوَسَخِ. **المعجم الوسيط**، ص ٢٨٢.

مِن وفق المراد، والزمان مِنْ جملة الخدم يسعى إليه على قدم، حتى مَضَى أربعة وسبعون[1] على ما حقَّقه الراوون، رجع الزمان إلى دوره، وتكور كورًا على كوره، وهكذا حكم الأيام واللَّيالي، فإنَّها لا تستقرّ على حالٍ، فرمت بينه وبين أخيه الشريف أحمد يد الحوادث، وتسببت الأسباب وانبعثت البواعث، فتنافرت القلوب بعد تلك المودّة، وفتح الزمان عينه بعد تلك الرقدة.

والسبب الباعث لهذه الفتنة، واجتلاب المشقة والمحنة، عبدٌ لوزير الشريف محمد الشامي كان مُقَرَّبًا لديه، أذنب ذنبًا وذهب للشريف أحمد متدخلاً عليه، فأخذه الشريف أحمد مِنْ يده، وقاده لبيت سيده، وتَوَجَّه عليه أنْ يسمح عن خطاه، فقبل جاهه في ظاهر الأمر وسمح، ومال لشيء في نفسه وجنح، وفي الخاطر شيء أخفاها الحيا[2]، فما خرج مِنْ دار الوزير، واستقر في داره يسير[3]، حتى فتك بالعبد وضربه بالسياط، وما فكر في عاقبة الأمر ولا احتاط؛ فهرب العبد مُقَيَّد[4] إلى بيت الشريف أحمد، فأخبره الخبر لأمر جرى به القضاء والقدر، فأنهى الأمر لأخيه، وكلما شدد حبل الشكاية يرخيه، وقد قيل: إنَّ عدم النصفة بين الخدم تفضي إلى الندم، وكما يقال: المُنافسة بين الخدم سم في دسم، وكما يقال: تعدي الخادم عن طوره دليل على ظُلم المَخدوم وجُوره.

فلمَّا لم يرَ مِن أخيه نصفة، ولم يتكلم مع وزيره ببنت شفة، فطلب القتال وأفرق، وصعب الأمر بينهم وشقّ، وتَوَجَّه إلى وادي نَعْمَان[5]

---

(١) سنة ١١٧٤هـ/ ١٢ أغسطس ١٧٦٠ - ٣١ يوليو ١٧٦١م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الحياء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يَسِيْرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُقَيَّدًا.

(٥) وَادِي نَعْمَان: وادٍ من أكبر أودية مكة المكرمة، وكان يعرف بِنَعْمَان الأراك، تأتي أعلى نواشغه من طود الحجاز، وله راوفد كبار أثناء مسيرته، وتصب فيه مياه جبال شوامخ، ثم ينحدر وادي نَعْمَان بشكل شبه مستقيم فيمر جنوب عَرَفة، ثم يجتمع بوادي عُرَنة، فيفقد اسمه ويصبح الاسم لعُرَنة، وتوجد به بعض العيون مثل: عين زُبيدة، وعين سمار، وعين العَابِدِيَّة، وسُكَّانه فوق عرفة هُذَيل، وأسفله لقُرَيْش، ومعظم المزارع للأشراف الحسنيين. =

لجمع العُربان، وجمع خمسماية وقيل ثلاث[1]، فوصل بها عمرة التَّنْعِيْم[2] وما لاث. وقد جمع له صاحب الترجمة جنودًا مِن كُلّ محل، حتى ضاق عنها السهل والجبل، مُصَمِّمًا على قتاله، عازمًا على نضاله بنصاله، وكان مِن جملة الرأي والتدبير، جميع هذا المُنصرف مِن كيس الوزير، بناءً على تنفيذ كلمته، فانظر لهذا الوزير وهِمَّته، وصاحب الترجمة مُطلق لوزيره جميع الأمُور، ومفيضٌ له أمُور الجمهور/ ق٥١/.

[الصلح بين الشريف مساعد وأخيه الشريف أحمد]

فلمَّا التقى الجمعان، وشَمَّر عن ساعد الحرب العوان، وأضرم جمر الحرب والتهب، بالجبال التي حول أبي لَهَب[3]، فطال بينهم القتال وما طال، ومات مَن دنت مِنْه الآجال، وقعت بينهم ملحمة وأيّ ملحمة، وأسفرت عن انكسارة الشريف أحمد، وانتصار صاحب الترجمة، فنهبت خزانته وقَلَّت إعانته، ثم طلب ذِمَّةً مِن أخيه وسَكَن، وارتحل لوادي مَرَّ وقَطَن، فمكث بها

= عاتق البلادي، **معالم مكة** ص ٣٠٤-٣٠٧.

(١) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة وقيل ثلاثا.

(٢) **التَّنْعِيْم**: وادٍ ينحدر شمالاً بين جبال بشم شرقًا وجبل الشهيد جنوبًا، فيصب في وادي ياج. وهو ميقات لِمَن أراد العمرة مِن المكيين، وتسمَّى عمرته: عمرة التَّنْعِيْم؛ أي مكان الاعتمار. وقد ثبت أنَّ الرسول ﷺ أمر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أنْ يعمر عائشة أخته مِن التَّنْعِيْم، ومِن ذلك الوقت اتخذه أهل مكة عمرة، وهو أقرب الحلّ إلى المسجد الحرام، فهو يقع على قرابة ستة أكيال شمالاً مِن المسجد الحرام على طريق المدينة المنوَّرة. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ١٥٣؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٥٠-٥١.

(٣) **أبي لَهَب**: منطقة تقع في مكة، تصل بين جَرْول في ذي طوى وبين الزاهر غربًا، وتفصل بين جبل يعرف بأبي لَهَب وجبل جُحَيْشة، ويقال: إنَّ قبر أبي لَهَب وزوجه، عند هذا الجبل الذي عُرِف باسمه. وفي العصر العثماني كان من عادة بعض الحجاج والمعتمرين الذهاب إلى هذه المنطقة ورجم قبرهما. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٧٩-١٤٨٠؛ سامح إبراهيم عبد العزيز، **الظواهر الطبيعية والآثار العمرانية في مكة المكرمة من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي**، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود لدراسات تاريخ مكة المكرمة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٢٤٨.

أيامًا وليالي غير قرير العين ولا سالي[١]، حتى دخلوا بينه وبين أخيه بالصلح ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾[٢] فوصل إلى داره ومَقَرّ قراره، وأقَرَّ اللَّه تعالى عينه بأخيه، وأنزله المنزل الذي يرضيه، وأمر أنْ ينقاد له الوزير، ليسمح عَمَّا جناه مِن التقصير، ولو فعل ذلك مِن الأوَّل، لزال هذا الشر وتحوَّل، فاعترف له بِمَا هفا، وسمح عن الذنب وعفا، كقول القايل[٣]:

وَيُمْكِنُ وَصْلُ الحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
ولَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ أَثَرُ الرُّبَطْ[٤]

وقول الآخر:

إِنَّ القُلُوبَ إِذا تَنَافَرَ وُدُّهَا
شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لا يُجْبَرُ[٥]

[فتنة بين الشريف مساعد وآل بركات]

وفي عام اثنين وثمانين بعد الألف والماية[٦][٧]، حصل بين صاحب الترجمة - لا زال سامي الجناب - وبين السيد أحمد[٨] ابن الشريف عبد

(١) كذا في الأصل، والصواب: ساليًا.
(٢) القرآن الكريم، **سورة النساء**، جزء من آية رقم ١٢٨.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: القائل.
(٤) البيت لا يعرف قائله، انظر: لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب في حدائق العرب**، ج ٣، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣، ص ٦٧؛ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٧٥.
(٥) البيت من قصيدة تعرف بالزينبية لصالح عبد القدوس وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب**، ٤/ ٩١؛ أحمد الهاشمي، **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، ص ٦٨.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مائة.
(٧) ١١٨٢هـ/ ١٧ مايو ١٧٦٨ - ٥ مايو ١٧٦٩م.
(٨) **أحمد بن عبد الكَريم**: أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن يعلى البركاتي، وقع خلاف بينه وبين الشريف مساعد، لا يعرف سببه، ولكن يبدو أنَّ آل بركات أرادوا إعادة نفوذهم على الشرافة؛ فتكَوَّنت جبهة للمعارضة، تزعمها الشريف عبد اللَّه بن حسين البركاتي، وقد أدى =

الكريم مُنافرة هي أصل هذا الخراب فنفر وأفْرَق، وكان داعية الخراب المحُقَّق، واستقر بالوادي، واجتمع عليه آل بركات وسُكَّان ذلك النادي، وأجمع رأيهم أنْ يُصِّدِرُوا السيد عبد اللَّه بن حسين[(١)]، ويجْعَلُوه محَلّ القلب والعين، فوافقهم وبذل المال، وجمع ما أمكنه مِن الرجال؛ فأوَّل ما بنوا أمرهم عليه، ومالت نيتهم إليه، أنْ ينهبوا بَنْدَر جدة؛ لتزيد قوتهم بِمَا فيه مِن سِلاح وعدة، وقد وَرَدَ في الحديث عن سيد الكائنات: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[(٢)].

= السيد أحمد دورًا مهمًّا أثناء تواجد الحملة المصرية في الحجاز عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وسوف يخوض معارك عدة ضد الشريف أحمد بن سعيد في الطائف ونواحيها، وبعد رحيل الحملة سيختفي عن مسرح الأحداث. توفي في مكة المكرمة في ٥ صفر ١١٩١هـ/ ١٤ مارس ١٧٧٧م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١٩٩-٢٠٠، ٢٠٤؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ٨١. وللمزيد حول الأشراف المكارمة انظر: ناصر بن علي الكريمي وإبراهيم بن منصور الهاشمي، **سيرة أمير الحرمين الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى البركاتي (١٠٦٦-١١٣١هـ/ ١٦٥٥-١٧١٨م)**، شركة الريان، بيروت، ط ١، ١٤٣٨/ ٢٠١٧م، ص ٦٥ وما بعدها.

(١) **السيد عبد اللَّه بن حسين**: عبد اللَّه بن حسين بن يحيى البركاتي، من نسل الأشراف آل بركات، وقد سعى لتولي الشرافة، فدخل في صراع مع الشريف مساعد بن سعيد من آل زيد، ولكنه هزم، فاتجه إلى مصر لطلب مساعدة علي بك الكبير، الذي أرسل حملة بقيادة محمد بيك أبو الذهب، فولته الشرافة عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، ولكنه لم يستمر فيها سوى شهرين وثلاثة وعشرين يومًا من العام المذكور، حيث تَمَكَّن الشريف أحمد بن سعيد مِن استرداد مكة؛ فاتجه الشريف عبد اللَّه إلى مصر ثم إلى إستانبول، فخصَّص له الباب العالي معاشًا واستقر هناك، ثم نقل إلى أدرنة عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، ومنها هرب إلى مصر محاولاً العودة إلى الحجاز، فقبض عليه، ونقل إلى إستانبول عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، حيث صدر الأمر بوضعه في جزيرة أغريبوز، ثم نقل إلى أسكودار، ثم إلى أزمير التي توفي فيها بعد عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٠، ٢٠٤-٢٠٥؛ أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٩٧؛ إسماعيل حقي، **أمراء مكة**، ص ١٨٨-١٩٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، عن مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه ﷺ وسننه وأيامه**، ج ١، تحقيق: محمد زهير ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٦.

فجمع القوم وتَوَجَّه بهم في غاية صفر[1] مِن العام المذكور، يروم ما يروم مع وجود السور، فلمَّا أشرفوا عليها، وأسرفوا على أنفسهم لديها، تحَصَّن أهلها واعتنقوا بالسور مِن كُلّ محل، ورموهم بالمدفع والقلل، فطال بينهم المرامي، ولم ينالوا مَرامًا وما وجَدوا لهم خلاص[2]، مع وجُود الرصاص. فقَيَّلوا في العشاش التي خارج البلد، بعد أنْ ند كثير مِنْهم وشرد، فاصْطَنعوا لهم نَشَّاشِيْب[3] / ٥٢/ جعلوا الكبريت الموقد في روسها[4] كالرياش، ورموهم بها فأحرقت تلك العشاش، فلم يقرّ لهم فيها قرار، بعد احتراقها بالنار، وقيل: إنَّ وزير الشريف أرسل مَن أحرقها، وأصح القولين أسْبقها.

[الشريف عبد اللَّه البركاتي يستنجد علي بيك الكبير]

فرجع الشريف عبد اللَّه بن حسين إلى الوادي، ولم يشفِ غَلِيْل قلبه الصَّادي[5]، فانحَلَّت عزايمه[6] عن طلب شرافة مكة، وتفَرَّقَت قومه[7] في كُلّ ناحية وسكة، ثم تَوَجَّه إلى مِصْر القاهرة، وسيوف العَزم لديه شاهِرة، وطلب مِن عزيزها صاحب المكانة إغاثة له وإعانة، وكان عزيزها عنيدًا يقال له: جن علي[8]،

---

(١) غاية صفر ١١٨٢هـ/ ١٤ يوليو ١٧٦٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.

(٣) **نَشَّاشِيْبُ**: جمع النُّشَّاب، وهي النَّبْل والسّهام، وهو من أدوات الحرب والصيد، على هيئة السهم، سمي كذلك لأنَّه مُسنَّن، سهل الدخول، صعب الخروج، يطلق بواسطة أداة على هيئة القوس. **المعجم الوسيط**، ص ٩٢١؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٤٢٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رءوسها.

(٥) **الصَّادي**: العطشان. **المعجم الوسيط**، ص ٥١١.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: عزائمه.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: تفرَّق قومه.

(٨) **جن علي**: ويقصد به حاكم مصر علي بك الكبير (١١٨٣-١١٨٧هـ/ ١١٦٩-١٧٧٣م)، وقد أطلق عليه المصريون لقب جن، ومعناه: النشيط الذي يَغْلِب ولا يُغْلَب؛ وذلك لتفوقه على جموع الأعراب، وإشارة إلى مهارته الفائقة في لعب الجريد. ولد حوالي عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م في قرية أماسيا في الأناضول، وكان ابنًا لقسيس يسمى داود، ثم خُطِف وهو في الثالثة عشرة مِن عمره وبيع في الإسكندرية، ثم أصبح مملوكًا عند إبراهيم كَتْخُدا، ثم دخل الإسلام وتحول اسمه =

يَخْلُف فِرعَون في الظلم ويلي، جبارًا غشوم[١]، وظلومًا وأيّ ظلوم، كم فتك وسفك، وترك في كُلّ ناحية معترك[٢]، خان الدوْلة العليَّة وعصَاها، وأبطل أحكامها وأقْصَاها.

[ذكر أخبار علي بيك الكبير]

ولم يزل سيف عدوانه شاهر[٣]، وعصيانه باطنًا وظاهر[٤]، وقيل: إنَّه ادَّعَى السلطنة لنفسه عيانًا بيان[٥]، وكتب اسمه فوق اسم السلطان[٦]، ولم يكفه هذا المرام، حتى جهز جيشًا ومَلَكَ به الشام[٧]، فانهزم والي الشام،

= من يوسف إلى علي، وبعد موت سيده تدرَّج في المناصب حتى وصل إلى منصب شيخ البلد عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، ثم بدأ يوطد نفوذه وينفرد بحكم مصر؛ فاستغل حروبها مع الروسيا عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م، وطرد الباشا العثماني، ومنع قدوم غيره، وتوقف عن إرسال الخزينة، وسك عملة فيها إشارة إلى اسمه مع اسم السلطان، وبدأ في إحياء حدود الدولة المملوكية، فتوسَّع في الحجاز، والشام، ولكن حركته فشلت نتيجة انحياز قائده محمد بك أبي الذهب إلى السلطان العثماني، فوقع القتال بين علي بك وأبي الذهب، فانتهى بانتصار الأخير وقبضه على الأوَّل، وسجنه إلى أن مات في سجنه ١٥ صفر ١١٨٧هـ/ ٨ مايو ١٧٧٣م، وقيل مات مسمومًا، ودُفِنَ عند الإمام الشافعي في القاهرة. محمد رفعت رمضان، **علي بك الكبير**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠، ص ١٨ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: غشومًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: معتركًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شاهرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٦) لم يَدَّعِ علي بك الكبير السلطنة لنفسه، ولم يتخذ هذا اللقب طوال الفترة التي انفرد بها بحكم مصر، وظَلَّ يستخدم لقب «قائمقام مصر»، حتى إنَّه ضرب عُملتين: فضية وذهبية، ووضع عليهما طغراء السلطان، وعلى الوجه الآخر وضع اسمه، وعبارة «ضُرِبَ في مِصْر». محمد رفعت رمضان، **علي بك الكبير**، ص ٦٠-٦٤، ١٦٥. ولعلَّ استخدام مؤرخنا ابن عبد الشكور لفظة: وقيل، تدل على عدم تثبته من الخبر المذكور.

(٧) **حملة الشام**: حينما استقرَّ حكم مصر في يد علي بك الكبير، سعى إلى ضم الشام، بدعوى عزل والي الشام عثمان باشا الصادق - الذي كان على خلاف معه منذ أنْ كان كل مِنْهما أميرًا للحج المصري والشامي عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٤م - فتحالف مع ظاهر العمر لإسقاط عدوهما المشترك، وأرسل حملة كبيرة بقيادة محمد بك أبو الذهب، والتي بدأت سيرها =

وهرب وما استقرَّ إلا بحلب.

ومَلَكَ إقليم الصعيد[(١)]، وقَتَل واليه أبو همّام[(٢)]، وكان رجلًا عظيم القدر خاتمة الكرام، فاستله على أوقاف الحرمين، وكان سببًا لقطع الخيرات عن سُكَّان البلدين الشريفين، وانقطَعت بسببه جميع الأوقاف، الواصلة مِن تلك

= برًّا في شعبان ١١٨٤هـ/ ديسمبر ١٧٧٠م، فاستولت على الرملة، ونابلس، ويافا، وعندما وصل إلى عكا انضم إليه الصفديين، واتجها نحو دمشق فخرج إليه عثمان باشا بقواته، في السهول الواقعة جنوب دمشق، ووقعت المعركة التي انتهت بهزيمة عثمان باشا وفراره إلى حمص، ودخول أبي الذهب دمشق في ربيع الأول ١١٨٥هـ/ يونيو ١٧٧١م، ولكن لم يلبث أبو الذهب حتى عاد إلى مصر سريعًا - بعد أنْ سحب في طريق عودته جميع الحاميات التي كان قد أقامها في الشام - وبدأ يحارب سيده. محمد خليل المرادي، **سلك الدرر**، ١/ ٥٤-٥٦؛ عبود الصباغ، **الروض الزاهر في تاريخ ضاهر**، دراسة وتحقيق: أسامة محمد أبو نحل، مجلة الجامعة الإسلامية، مج ١٠، ع٢، غزة - فلسطين، ٢٠٠٢م، ص ٥٥ وما بعدها؛ محمد رفعت رمضان، **علي بك الكبير**، ص ١٦١-١٧١.

(١) **إقليم الصعيد**: الإقليم الجنوبي مِن مصر، وقد أدَّى هذا الإقليم دورًا مهمًّا في تاريخ مصر العثمانية، ولذلك سعى علي بيك إلى ضمّه إليه الذي كان يخضع لشيخ العرب همّام، فدخل في صراع معه حتى تمكَّن في نهايته مِن هزيمة الشيخ. للمزيد انظر: صلاح أحمد هريدي، **دور الصعيد في مصر العثمانية (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م)**، تقديم: عمر عبد العزيز عمر، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٢٢-٢٢٨.

(٢) **أبو همّام**: شيخ العرب همّام بن يوسف بن أحمد الهواري، عظيم الصعيد، ولد حوالي عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، بقرية فرشوط، بمحافظة قنا حاليًّا، وكان والده أحد الملتزمين، فورث عنه ذلك الالتزام، ثم بدأ في التوسع فيه، وبحلول عام ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م تَمَّت له السيطرة على معظم أراضي الصعيد مِن المنيا إلى أسوان حاليًّا، وكَوَّن قوة عسكرية بلغت إلى خمسة وثلاثين ألف مقاتل، وصار على علاقة طيبة بالباب العالي في إستانبول، وقد أدَّى دورًا مهمًّا في تاريخ مصر في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وفي ذروة مجده ظهر على مسرح الأحداث علي بك الكبير الذي كان على علاقة طيبة به، لكن ذلك الود لم يدم طويلاً، وسرعان ما تحوّل إلى عداء، فنشبت الحرب بينهما، وانتهت بهزيمة الأخير، وتشتّت قواته، فتقتهر إلى إسنا حيث مات مقهورًا في قرية قمولة في ٨ شعبان ١١٨٣هـ/ أوَّل نوفمبر ١٧٦٩م. ليلى عبد اللطيف أحمد، **الصعيد في عهد شيخ العرب همام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م، ص ١٠٢-١٤٨؛ صلاح هريدي، **دور الصعيد في مصر العثمانية**، ص ٢٢٦-٢٣٠.

الأطراف، وأفقر مِن جَوْره جميع التجار، القاطِنين بتلك الأقطار، وأضعف الألضاشات والإنقشارية، الذين هم مِن طَرف الدولة العليَّة، وقَوَّى شوْكة الغُزّ والصناجق، وأضعف أهل الشوْكات، واستبدّ بالأمر وحده في جميع الجهات.

وعلى كُلّ حال، فإنَّه ما رأى مالاً إلا مال عليه، ولا ذهبًا إلا أذْهبه، ولا فِضة إلا فضها، ولا ضَيْعة إلا أضَاعها، فهو منشأ الفساد، وبقية ما دَمَّر اللَّه تعالى مِن قوم عاد، وكان يُقَدِّم في القتال مملوكًا له يقال له: أبو الذهب[1] ما سلك طريقًا للخير ولا ذهب، وكان يقال: مِن فتن الدنيا وعجايبها[2] مَن شَيَّد دولة لم تمت إلا بسيف صاحبها، إلا أبو الذهب فإنَّه هو الفاتك بسيده، والمتولي أمر قتله بيده، ولو لم يكن له مِن الذنوب التي لا تغفر، / ق٥٣/ والسيات[3] التي لا تكفر، إلا إرسال الجردة بالأتراك لقتال بلد اللَّه تعالى الحرام، والجرأة على البلدة التي هي قبلة الأنام؛ لكفاه هذا الفجور والبهتان والزور.

ومِن بعد وصول الجردة إلى مكة إلى تمام أربعين عام[4]، لم يحصل لمكة راحة ولا رقا لهم حال ولا استقام، كيف وقد نهبت بعض دورها نهبًا تام[5]، واختلط الحلال والحرام، فعسى اللَّه تعالى بفضله أنْ يصلح الأحوال، ويبلغنا الآمال.

[فشل أمير الحج المصري في عزل الشريف مساعد]

عودًا إلى وصول الشريف عبد اللَّه بن حسين إلى مصر القاهرة، وما

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عجائبها.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: السيئات.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: عامًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: تامًا.

صار بسببه مِن الفتن الظاهرة، فإنَّه طلب مِن علي بيه[١] نجدة وإسعاف[٢]، ولم ينظر للعواقب وما يترتب مِن الفساد والتلاقي، فأسعفه بِمَا طلب، وقضى له الذي اختاره وأحب، فأكد على أمير الحاج المصري أنْ يسعفه على وفق مراده، ويجتهد في تَمْكِيْنَه بغاية اجتهاده، وحَرَّض جنوده وأجْلاَفه، على جلوسه بكرسي الشرافة.

ولمَّا سلك أمير الحج هذا المنهج، بلغت الأخبار صاحب الترجمة واحتساها، وقرأ سورة الواقعة قبل الشمس وضحاها، ولمَّا وصل الحج المصري إلى الوادي، تَوَجَّه إلى مكة وترك الشريف عبد اللَّه يجمع في البوادي، ويترقب رنَّة وقوع الحرب في ذلك النادي، فأناخ أمير الحج المصري بالزاهر ركايب[٣] السرى، وخرج له شمس الخلافة مِن أم القرى، فلبس مِنْه الخِلْعة السَّمُّور وترك قلوب الحواسد مِن الغيظ تكاد تمور، وحجت الناس على حسب المعتاد، ونالوا مِن اللَّه تعالى قبولاً وإسعاد[٤].

[مُساندة أمير الحج الشامي عثمان باشا للشريف مساعد]

وكان والي الشام في هذا العام عثمان باشا الصادق[٥]،

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إسعافًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ركائب.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: إسعادًا.

(٥) **عثمان باشا الصادق** (١١٧٤-١١٨٥هـ/ ١٧٦١-١٧٧١م): أحد مماليك أسعد باشا العظم والي الشام. أصله كرجي، ويلقب بالصادق، وقد كان متسلمًا في حماة في عهد سيده، ولما قُتِلَ سيده كافأته الدولة؛ لأنَّه دلَّهَا على أمواله، فقامت بتعيينه وزيرًا بثلاثة أطواخ، وقَوَّته بتعيين ولديه: محمد باشا على طرابلس، ودرويش باشا على صيدا، كي يستطيع مواجهة الشيخ ظاهر العمر، وقد ظَلَّ في ولاية الشام حتى أسقطته الحملة المصرية التي أرسلها علي بك الكبير، بقيادة محمد بك أبو الذهب، وتَمَكَّنَت مِن دخول دمشق دون مقاومة تذكر عام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، ففرّ عثمان باشا على أثرها إلى حلب. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٣-٨٤؛ عمر عبد العزيز عمر، **المشرق العربي**، ص ١٦٢؛ عبد الغني عماد، **السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر**، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٤-٧٦.

مُحِب(١) لصاحب الترجمة وعلى أمره يوافق، فاتفق رأيهما على تقديم سفر الحج المصري، وإخراجه مِن مكة قبل أوانه، لما علموا مقصده مع الشريف عبد اللَّه بن حسين، والكتاب يقرأ مِن عنوانه، فأمروا عليه بالإخراج في اليوم الثامن عشر مِن ذي الحجة(٢)، وحيث لم يعهد ذلك حصل اضْطراب وضَجَّة؛ فتَعَطَّلَت على الناس بعض أسبابها، وكان شروعًا في فساد الأمُور وخَرابها، وما أقام بمكة والي الشام بعده غير ثمانية أيام، ثم حث نجايب(٣) عزمه وارتحل، بعد أنْ بلغ الجهد مع الشريف وبذل. هذا ما كان مِن أمر الأميرين/ ق٥٤/.

[حرابة بين الشريف مساعد والشريف عبد اللَّه البركاتي]

وأمَّا ما كان مِن أمر الشريف عبد اللَّه بن حسين، فَمِن حين ما بلغه إخراج الصنجق، زاد به الغيظ والحنق، فبذل المال واجتهد في جمع الرجال، ودق زير الحرب للإغارة وشن، واجتمعت عليه القبائل والأشراف ما عدا آل حسن.

وأمَّا صاحب الترجمة فقد جمع أضعاف ما معه، وفي دفتره مِن المراجل والعساكر نحو الخمسة آلاف مجتمعة؛ فأقبل مِن الوادي بالبوادي وبِمَن معه مِن السادة الحيادر، وخَيَّم بالجبال التي حول جوخي الزاهر؛ فخرج له صاحب الترجمة للقتال، بِمَن لديه مِن الأُسُود والأبطال، وما وجد لعساكره حصنًا مثل جبال المَعَابِدَة، وتلك الأماكن النادّة، فَمَكَّنَهم مِنْها غاية التَّمْكِين، وتحَصَّنُوا بها أعظم تحْصِين، ووضع فوق الجبل المطل على بستان المفتي مِن مِقْدار ألف مِن الرماة، يمْنَعون مَن يصل مِن شِعْب الْحَجُون(٤) ويحمون حماه، حزمًا وتحسبًا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مُحِبًّا.

(٢) ١٨ ذو الحجة ١١٨٢هـ/ ٢٤ أبريل ١٧٦٩م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(٤) **شِعْب الْحَجُون**: يقع بين جبل الحَجُون وقُعَيقَعان، ويصل بين وادي ذي طوى والأبطح، وتقع مقبرة أهل مكة القديمة بسفح جبل الحَجُون مما يلي الأبطح، والعامّة تقول: شِعْب الحجول لقرب مخرج الحرفين. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤١٨- =

للأُمُور البعيدة، وما يفعله العدو مِن المكيدة بالآراء السديدة.

فلمَّا كان في صبيحة اليوم السابع والعشرين مِن ذي الحجة سنة ١١٨٣[١]، نفث الزمان المصدور في العام المذكور، فالتقى الجمعان بجبال المَعَابِدَة، وتلك القلال الشايدة[٢]، فوقع القتال على روس[٣] تلك الجبال، وحملت خيل آل بركات مِن كُلّ الجهات، وأَقْبَل جانب مِنْها على ريع أذاخر[٤] إلى أنْ تعدَّت سوق المَعَابِدَة[٥]، وما برحت مِن وقع الرصاص بين راكعة وساجدة، وأبقوا كمينًا حمل مِن شِعْب الْحَجُون، يقتفون أثر القوم، ولولا الرماة التي على الجبل المقابل للحجون، لعاموا في دمائهم عوم[٦]، والحازم في أمره يقتدي بالراي[٧] السديد ويكفيه، ولا يخشى مِن أمر فيقع فيه.

ولمَّا حملت الخيل مِن الْحَجُون، وباعت الأرواح في سوق المنون، تَقَدَّم لمبارزتها في الحال، فارس الخيل وبطل الأبطال، وجال معهم مجالاً يقرب الآجال، وصال عليهم بضرب النصال، وأسال الدماء مِن القوم بريد نية العسال، عنتر الزمان إنْ لزم الْمُرَّان[٨]، وأشجع الشجعان في حومة الميدان، صاحب المكارم الزايدة[٩]، والفايق[١٠] على مَعْن بن زائِدة[١١]،

= ٤٢٠، ١٤٢٨-١٤٢٩.

(١) ٢٧ ذو الحجة ١١٨٣هـ/ ٢٢ أبريل ١٧٧٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الشائدة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٤) **ريع أذاخر**: الموضع الذي دخل منه النبي ﷺ عند فتح مكة، وهو الثنية التي تشرف على حائط خرمان، وحائط خرمان يعرف اليوم بالخرمانيَّة. عاتق البلادي، **معجم معام الحجاز**، ص ٨٢-٨٣.

(٥) **المَعَابِدَة**: حي مِن مكة، ويعرف بالأبطح. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦١٧.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: عومًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: بالرأي.

(٨) **الْمُرَّان**: الرِّماحُ الصُّلبةُ اللَّدْنة.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الزائدة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الفائق.

(١١) **مَعْنُ بن زائِدة**: أبو الوليد مَعْن بن زائِدة بن عبد اللَّه بن مطر الشيباني، مِن القادة العرب =

فارس الخيل القايد[١] مثقال ذو الكرم المشهور، وسلحدار صاحب الترجمة المذكور، فكم له قبل هذه الواقعة سوابق شهدت له بالسوابق، فشعتر[٢] تلك الخيول وبعثرها، واستوفَت / ق٥٥/ مِنْه آجالها ومُقدَّرها، وكم ترك في المعركة أسيرًا وجريح[٣]، ومقنطرًا[٤] على جواده ذبيح[٥]. وكان لمثقال في ذلك اليوم اليد البيضا[٦]، كيف لا ومِن جُملة قتلاه فارس خيلهم، وشقيق مليكهم السيد الرضا[٧]، فإنَّه حمله مِن ظهر فرسه وهو مُدَرَّع، ورفعه على قايم[٨] زنده، ونكته عن درعه، ورماه بين يدي جنده، ثم طعنه طعنة بالقنا قَرَّبت أجله فدنا، غفر اللَّه تعالى لنا وله، وبلغه مِن الجَنة أمله، أعقب مِن الذكور ابنه السيد مستور[٩]، وجاور المَلك الغَفُور بين ولدان وحور.

= الشجعان، اشتهر بالكرم والجود، حتى ضرب به المثل، فقيل: «أجود مِن مَعْن». وهو أحد القادة الأمويين الذين قاتلوا العباسيين في العراق؛ ولمَّا صار الأمر إلى العباسيين هرب واختبأ مِنْهم، فبعث الخليفة أبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) مَنْ يبحث عنه فلم يجده، حتى ثار جماعة مِن أهل خراسان على المنصور؛ فتَقَدَّم مَعْن وقاتل بين يديه، وكان سببًا في النصر، فحفظها له المنصور، وأكرمه وجعله في خواصه وولاه على اليمن، ثم ولي سجستان، فأقام فيها مُدَّة، وابتنى دارًا، وقد مات مقتولاً في عام ١٥١هـ/ ٧٦٨م. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٧/ ٩٧-٩٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٧/ ٢٧٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: القائد.

(٢) **شعتر**: كلمة عامية بمعنى فرّق.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: جريحًا.

(٤) **مقنطرًا**: أيّ مُقَوَّس، على شكل قوس. **المعجم الوسيط**، ص ٧٦٢.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ذبيحًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: البيضاء.

(٧) **السيد الرضا**: رضا بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات النموي الحسني، وهو أخو أمير مكة الشريف عبد الكريم - الذي عناه مؤرخنا بقوله: «شقيق مليكهم» - وكان السيد رضا مِن ضمن آل بركات الخارجين على الشريف مساعد، فقتل في الموقعة المذكورة أعلاه، وأعقب: مستورًا، ومباركًا. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٠؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ١/ ٣٤٢.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: قائم.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مستورًا.

[هزيمة الشريف عبد اللَّه البركاتي وعودته إلى مصر]

ثم أسفرت هذه المعركة، والواقعة المتربكة، عن انكسارة السيد عبد اللَّه بن حسين، وغدا بِمَن معه أثرًا بعد عَين، وحصل القتل في الجانبين، فتَوَجَّه إلى الوادي في سكناه، وطلب من صاحب الترجمة ذِمَّة فأعطاه، فمكث به ليالٍ وأيام[١]، ولم يطب له به مقام، ثم خشي وتَوَجَّه إلى خُلَيْص، خشية من وقوعه في حَيْص بَيْص، فما أَقَرَّ له به قَرار، وما دخلت في نظره تلْك الأقطار.

ولمَّا أنْ رأى أنَّ أمْواله ذَهَبَت، وضَاقت عليه الأرض بِمَا رَحبت، تَوَجَّه إلى مصر قاصِدًا عزيزها علي بيه[٢] الفاجر، الذي لا يُلْقى غير الشر لديه، فاتجه بالمذكور، وأخبره بِمَا قاساه مِن الشرور، فقال له: لا تثْرِيب عليك، وسأجْعَل الأمر إليك؛ فجَهَّز معه مملوكه محمد بيه[٣] أبا الذهب، ومعه صنجقين[٤]، لا أقرَّ اللَّه تعالى لهم عين[٥]، وجَهَّز لهم آلات الحرب مِن المدافع ثلاثين مدفعًا تامَّة العُدَد، ومِن العساكر ما يزِيْد على ثلاثة آلاف في العَدَد، ومعهم ما يَقْرُب [مِن][٦] ألف راس[٧] مِن الخيل بين مركوبة وجنايب[٨]، وجعل الذخاير[٩] والأثقال تباريهم في ثلاثة مراكب، ولم تزل تحاديهم في السير، وتباريهم مبارات الطير.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: صنجقان. وهذان الصنجقان هما: حسن بك شبكة، ومصطفى بك، وسيذكرهما مؤرخنا لاحقًا، وسوف أذكر ترجمتهما في موضعهما. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٥٥٠.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: عينًا.

(٦) أضيفت حتى يستقيم النص.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: جنائب. وهي الخيل التي تسير بدون راكب أو حمولة، لكي تكون مستريحة، وتحت الطلب عند احتياجها للقتال.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

[وفاة الشريف مساعد]

وقد أكد عليهم أنْ يُمَكِّنُوا الشريف عبد اللَّه مِن سيادته، ويخْرِجُوا صاحب الترجمة مِن دار سعادته، فقَدَّر اللَّه - سبحانه وتعالى - أنْ لا يتم قَوْله، ولا يجعل له عليه صَوْلة؛ فحصل له توعّك مِن يوم خروجهم مِن مِصْر قبل وصول الخبر، واستطال معه مقدار شهر، فغَرَّدَت أطيار المَنِيَّة على أغصان دوحته، و[سجع][1] العندليب على ضريحه في غدوته وروحته، وذوى غصنه الرطيب وذبل، واقتطعت زهرة عمره يد الأجل، ففاز بلقاء مولاه الكريم، واشتاقت / ق٥٦/ رُوحه لجنات النعيم، فجاور ربّه واختار قُربه، زهدًا في دار الفنا[2]، ونال مِن القرب غاية المنى، وغدا ضيف أكرم الأكرمين، فبشراه بالحُور العين.

وكانت وفاته يوم الأربعاء، لثلاث ليالٍ بقين مِن شهر محرم الحرام[3]، عام أربعة وثمانين بعد المائة[4] والألف مِن هجرة مَن له العز والشرف سنة ١١٨٤.

وكانت مُدَّة ولايته، واسترعاء الناس برعايته، تسع عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر.

[ذرية الشريف مساعد]

أعقب مِن الأولاد النجباء الذكور ابنه الشريف سرور[5]، والسيد مسعود[6]،

---

(١) وردت في الأصل (شجع)، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ٣٩.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.

(٣) ٢٧ محرم ١١٨٤هـ/ ٢٢ مايو ١٧٧٠م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٥) **سرور بن مساعد**: سوف يتولى شرافة مكة المكرمة في الفترة (١١٨٦-١٢٠٢هـ/ ١٧٧٣-١٧٨٨م). وستأتي ترجمته بالتفصيل.

(٦) **مسعود بن مساعد**: توفي في مكة المكرمة في ١٢ ربيع الأوَّل ١١٩٢هـ/ ٩ إبريل ١٧٧٨م.

والسيد عبد العزيز[١]، والشريف عبد المعين[٢]، والشريف غالب[٣]، والسيد محمد، والسيد لؤي[٤]، فلله در هؤلاء العصابة الهواشم الفواطم، أُسُود الغابة، ودُفِنَ بقبة أبي طالب[٥] مع أجداده الكرام، ونال رحمة الملك العلاَّم، وقد عقد لأخيه البيعة مِن بعده، وجعله ولي عهده.

□ □ □

---

(١) **عبد العزيز بن مساعد**: كان أحد القادة العسكريين في عهد أخيه الشريف غالب، قام بحملة على عالية نجد عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، لمحاربة الوهابيين، ثم تبعه الشريف غالب، ولكن الحملة لم تؤدِ النجاح المطلوب، كما سيأتي ذكره. توفي في مكة المكرمة في ٢٢ جمادى الأولى ١٢١١هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٧٩٦م، ودُفِنَ في قبة السيدة خديجة بالمَعْلَاة، لم يعلم له عقب. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٢٧، ٢٦١-٢٦٢، ٢٦٦؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٢٤-١٢٥.

(٢) **الشريف عبد المعين**: تولى شرافة مكة المكرمة بضعة أيام بعد وفاة أخيه الشريف سرور ١٨ ربيع الآخر ١٢٠٢هـ/ ٢٦ يناير ١٧٨٨م، ثم تنازل عنها لأخيه الشريف غالب، وعمل وكيلاً له على الطائف، وقد شارك في قتال الوهابيين في معارك عدة في الفترة بين عامي ١٢٠٥-١٢٢٠هـ/ ١٧٩١-١٨٠٥م، وحينما سيطر الوهابيون [السعوديون] على مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، عيَّنه الأمير سعود على شرافتها، ثم تنازل عنها مرة أخرى لأخيه الشريف غالب، عندما عاد الأخير من جدة إلى مكة، بعد خروج الأمير سعود مِنْها، وسوف ترد أخباره تفصيلية لاحقًا. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ٢٢٥، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٧٩؛ خليل مردم بك، **أعيان القرن الثالث عشر**، لجنة التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ص ١٢٦-١٢٧؛ إسماعيل حقي جارشلي، **أشراف مكة**، ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) **غالب بن مساعد**: سوف يتولى شرافة مكة المكرمة في الفترة (١٢٠٢- ١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م)، وستأتي ترجمته بالتفصيل.

(٤) **لؤي بن مساعد**: توفي في ١٠ ذي القعدة ١٢١٣هـ/ ١٤ إبريل ١٧٩٩م، لم يعقب سوى ابنته سفينة التي أوقفت دارها في منطقة القرارة - شمالي مكة المكرمة - على الفقراء والمسجد الحرام عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ٣٨١-٣٨٢.

(٥) **قبة أبي طالب**: قبة كبيرة أقيمت فوق قبر الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي الذي تولى شرافة مكة المكرمة (١٠٠٩-١٠١٢هـ/ ١٦٠١- ١٦٠٤م)، وكان قبره يزار، وينذر له النذور، واتخذ بعض الأشراف قبته للدفن فيها، انظر: علي بن تاج الدين السنجاري، **منائح الكرم**، ٣/ ٥٠٥-٥٢٤؛ أحمد العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ١/ ٤٠-٤١؛ سامح إبراهيم عبد العزيز، **الظواهر الطبيعية والآثار في مكة**، ص ٢٤٠.

[عهد الشريف عبد الله بن سعيد]

هذه ترجمة مولانا الشريف عبد اللَّه بن الشريف سعيد ابن الشريف سعد بن زيد بن محمد بن حسن.

ولي شرافة مكة بعد أخيه، وبعد أنْ تَمَّت له الْمُبَايعة تركها لتراخيه، ومع هذا نُودِي باسمه في شعور البلاد، وازدهى ناديه على سفح أجْياد، وألْبَسه قاضي الشرع الشريف الخِلْعة السَّمُّور، على مقتضى سلفه المبرور.

فما مكث إلا كلمحة شارق أو لمعة بارق، حتى طلع عليه أخوه الشريف أحمد بن سعيد لابِسًا ثوب النمر، وصاح عليه صيحة كاد القلب مِنْها ينفطر، فأبرق عليه وأرْعَد، وأوْعَد وتهَدَّد، وقال: أنا لها أنا لها، حتى تَمَّت له ونالها، فتَمَّ الأمر بيْنه وبين أخيه، على مَقَرَّرات يواسيه بها ويواخيه، وترك له مُنَافسة المملكة والمفاخرة، وتَوَجَّه لأمُور الآخِرة.

وعاش بعد ذلك ست سنوات، ثم عاده هادم اللذات، فنال مِن قرب مولاه أَسْنى المراتب، ودُفِنَ على أجداده بقبة أبي طالب. وأعقب مِن أبنائه الأماجد الأخاير السيد فهيد، والسيد محمد عامر، والسيد علي، والسيد عبد العزيز، والسيد دخيل اللَّه، والسيد مساعد، وفضل الجميع في الناس مشاهد.

□ □ □

[عهد الشريف أحمد بن سعيد]

[نسبه وولايته الشرافة]

هذه ترجمة مولانا الشريف أحمد بن الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسن، كان هُمَامًا شجاعًا فتاك[1]، كريم السجايا لا تعرف / ق٥٧/ رَاحَته الإمساك، عربي الطباع لا يعرف الغدر والخداع، مَناقبه ظهرت في غُرَّة الزمان بهجة، وقامت لِمَن قال كم ترك الأوَّل للآخر بالحجة، له فضائل لا تُحْصى، ومناقب لا تُسْتقصى، أفعاله حميدة، وأقواله سديدة، فاستقرّ على سريره، وساس الأمر بحسن رأيه وتدبيره، استراحت الناس في أيام دولته، وشَيَّد الأمر بقوة صولته، استقامت له الأحوال، وهبَّت على وِفْق مراده الجنوب والشمال.

[قصيدة تتنبأ بظهور السلفيين]

وأمَّا الحوادث الواقعة في أيامه؛ ظهر في أيام مُدَّته مِن الحوادث والأمر الذي يرويه وارث عن وارث، نجم في السماء ذو شعاع وله ذنب ما روته المورخون[2]، ولا رأته العرب، يطلع بعد المغرب، ولا يغرب إلا بعد الصبح، وطُوله في الحقيقة يزيد على رمح، وهو آية عُظمى أظهرها اللَّه تعالى في السماء، وكان ظهوره في أوائل صفر[3]، فمكث أيامًا هكذا ثم مرَّ، إلا أنَّ الناس أكثرت فيه الأقاويل، والقال والقيل، وأجمعوا على أنَّه عنوان أمر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فتاكًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المؤرخون.

(٣) صفر ١١٨٤هـ/ ٢٦ مايو - ٢٣ يونيو ١٧٧٠م.

يرويه جيل بعد جيل.

وقد شاهدت طلوعه عيانًا، وعلمت أنَّه لبعض الحوادث عنوانٌ، ثم بعد مُدَّة ظهرت للعلامة الفاسي قصيدة تؤذن أنَّ بعد ظهوره تبدو أُمور غير حميدة، والقصيدة بائية علامة في ظهور الطايفة[1] الوهابية، قال:

إِذَا لاَحَ نَجْمٌ مِن الْمَشْرِقَين
كَثِير الشُّعَاع طَوِيْل الذّنب

إِذَا مَا بَدَا فَاحْسِبُوا بعده
ثَلاَثِين عَامًا تَرَوْنَ العَجَب

خَوَارِج تَخْرج مِن مَشْرق
تَدُوس الْبِلاَدَ بِكَثر الْعَصب

يَكُون لِقَوم حُروب كَثِير
وَتَلْقَى العَشَائر أَقْصَى التَّعب

وَيَبْدُو شُرُور يَعُم البِلاَدَ
إِلَى أنْ تَوالِي الثّلاث الْحِقب

ويقمع صنعاء وأربابَها
وَمَنْ حَلّ مِنْ حَوْلِهَا وَاقْتَرب /ق٥٨/

برابعة بَعْدَ تِلْك الثَّلاَث
يَأْكُل زبيب وَتَمْر وَحَب

وَفِي الْخَمِيس يَنْبَعث الْمَشْرِقِي
يبدي الْبِلاَدَ بِكَثر الْعَصب

إِذَا مَا تقارنت زَهْرتان

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

لأَوَّل شَـــوَّال رَأَيـــت الـعَـجَـب

وزَادَ عـــطـــارد فِـــي سَـيْـره
عَـلَـى الْـمُـشْـتـري طَـالِـعًـا وَالْـتَـهـب

فَـــذَاك دَلِـيْـل يَـكُـون الْـكـسُـوف
لآخِـــر جُـمَـــادَى وَأَوَّل رَجَـــب

إِذَا انْـكَـسَف الشَّمْس عِنْد الْغروب
صَـحِـيْـح الـرّوَايَـــة لأَهْـل الأَدَب

بِـعُـسْـر وَخَـــوف وغَـيْـــث قَـلِـيْـلٍ
يَـقُـول الْـمـجـرب فِـيْـهَـا حَـسـب

يـقـيـمُـونَ فِـي الـــذّل دَهْـــرًا قَـلِـيْـلاً
وَتـفـنـى الـذَّخَـائـر وَالْـمُـكْـتَـسـب

وَفِـي الـسّـت يَـظْـهر سَـبط الـرَّسُـول
كَـرِيـم الـمَـنـاقِـب مـحـط الـعَـرَب

يـبـيـد الـفَـسَـــاد وَأَرْبَـــابـــه
وَيـذهـب فِـي الـخَـيْـر مَـع مَـن ذَهَـب

وَتَـنْـقـلـب الـنَّـــاس نَـحْـو الـسّـراة
يَـجـيـشـوا إِلَـيْـهَـا جَـمِـيْـع الـعَـرَب

وَيَـــأْتِـــيـــك عَـــامٌ بِـــه عَـوضـة
لِـمَـنْ عَـاش مِـنْ بَـعْـد مَـا قَـدْ ذَهَـب

وَفِـي الـسَّـبْـع يَـظْـهر دَاعِـي الـهُـدَى
أَعَـــزّ الـــبـريّـــة أُمًّـــا وَأَب

يُـصـفِـي الـبِـلاَد وَيُـحـيـي الْـعِـبَـاد
وَيَـحْـكـم فِـيْـهَـا بِـمَـا قَـدْ وَجَـب

فَطُوبَى لِمَنْ شَابَ فِي وَقْتِهِ
وَطُوبَى لِمَنْ هُوَ طِفْلٌ يُرَبْ

فَخذهَا بِرسم امرِئٍ عَالِمِ
نَبِيهٍ بَصِيرٍ بِمَا قَدْ كَتَبْ

فَإِنْ قِيلَ فِيمَا قَالَهُ كَاذِبٌ
أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ كَذَبْ

وأراد بذلك أنَّ الطايفة[١] الوهابية تدخل مكة بعد ثلاثين عامًا بهذه العصبية، وذكر هذا النجم العلامة البغدادي في لاميته، وأنَّه له دار متحقّق بأنَّه عنوان ظهور أهل المشرق، فقال:

وَيَبْدُو فِي السَّمَا نَجْمٌ طَوِيلٌ
لَهُ ذنبٌ وَذو شعرٍ طُوال

فَتِلْكَ دَلاَئِلُ التَّمَرِي
يَبْدُو الْغِوَايَةَ وَالضَّلاَلَ

واللاَّمية طويلة الأرْدان، ذكر فيها أغلب ما سيقع في البلدان، وعَدَد التَّمَريّ والمشرقي[٢] يتفقان في الحساب بغير شك ولا ارتياب.

[قدوم الجردة المصرية إلى الحجاز بقيادة محمد بيك أبو الذهب]

ومِن الحوادث التي ظهرت في أيام صاحب الترجمة، والأمُور التي في الغيب مُنَجَّمَة، وصل إلى يمبع[٣] الجردة بالعساكر المصريَّة[٤]؛ لقتال المرحوم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

(٢) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.

(٤) انظر أحداث هذه الحملة في: محمد رفعت رمضان، **علي بك الكبير**، ص ١٣٢- ١٤٠؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٥٤٩-٥٥٠؛

Abdulrahman Alorabi, The Ottoman policy in the Hejaz in the eighteenth century: A study of political and administrative developments, 1143-1202 =

الشريف مساعد شريف مكة المحميَّة، وكان أميرها أبا الذهب محمد بيه[١] - لا أحسن اللَّه تعالى إليه - ومعه صنجقان، وجملة مِن الكشاف مشمولين[٢] مِن مُرْسلهم بغاية القوة والإسعاف، ومعه مِن خيل الغُزّ / ق٥٩/ نحو ثمان مائة خيال، مجدين في ضرب المثقف والنصال، فأناخ ثلاثة أيام بساحل يمبع[٣]، وما[٤] الشّر في صفحات وجوههم تنبع .

[استيلاء الجردة على ميناء ينبع]

وكان وزيرها درويش أغا بيت المال، أسد البيدا[٥] في يوم القتال، وما زال القتال قايم[٦] بينهم في هذه الثلاثة أيام، ولم يبلغ مِنْها مرام[٧]، فلمَّا أعجزه الحال، وخابت مِنْه الآمال، قصرت مطايا عزمه عن وخزها، وعجز عن أخذها، فحينئذ شرع في تَدْبِير الحِيلة، وجعل نصَّار بن عطية لذلك وسيلة، فدخل على العسكر بالمطامع، وملكها بالخيانة في اليوم الرابع، ورضيوا[٨] العسكر بارتكاب الخيانة، وضاعت المروة[٩] والأمانة، وعندما لاح لهم الذهب نسوا ذِمَّة العرب، فَمَلَكَ يمبع[١٠] ونهبها بهذه الحيلة والتدبير، وصال عليها حتى قتل الوزير[١١]، ثم ضَمَّ هذا العسكر إلى عسكره، وقرَّر

= A.H./1731-1788 A.D, Ph.d, The University of Utah, 1988, p.p.89 -101.

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مشمولون.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ماء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: البيداء.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: قائمًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: مرامًا.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: ورَضِي.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: المرؤة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.

(١١) يؤرخ الجبرتي تلك الواقعة بقوله: «وفي ثاني عشري ربيع الأول [١٦ يولية ١٧٧٠م]، وردت الأخبار مِن الأقطار الحجازية بوقوع حرابة عظيمة بين المصريين وعرب الينبع، وخلافهم من قبائل العُربان والأشراف، ووقعت الهزيمة على المذكورين، وانتصر عليهم =

لهم مُقرَّرات في دفتره، ثم أجَدَّ السرى، وأقْبَل على أم القرى؛ ولمَّا وصل إلى رابغ أخرج مِن المراكب آلات القتال، وما أعَدَّه للحرب مِن الأثقال، فقابله الشريف عبد اللَّه بن حسين بِمَا جمعه مِن آل بركات، وما زال يجمع له كُلّ مَن أطاع مِن أهل تلك الجهات.

وفي هذه الأثنا[1] شاع بمكة وصول الجردة، وصاحب الترجمة راقِدٌ على سرير الغفلة أيّ رقدة، لم ينتبه مِن هذه الغفلة حتى تَمَّت الفعلة، إلا أنَّه أبذل الهمَّة في إرسال حريم آل زيد إلى الطايف[2]، وأقام بمعسكره على التوكل واقف[3]، والناس بين مُصَدّق ومُكَذّب، ومُهَوِّن ومُصَعب.

ولمَّا ظهر الأمر واتضح مثل الشمس في رابعة النهار، وصَحَا الجو ولم يبقَ على المسألة غبار، أرسل يجمع مِن البوادي عربيات الدار، وهو صفر اليدين خلي مِن الدرهم والدينار، فاجتمع له النزر القليل مِن العرب، وظهر للناس أنَّ نجمه مِن الشرافة غرب، فلم يعطِ العُربان شيا[4] لقلة ما في يده، وتحقَّق أنَّ الدهر غير مسعده، فتفَرَّقُوا عنه شذر مذر، وبهذا جرى القضاء والقدر، ولم يبقَ معه العُربان إلاَّ شرذمة مِن هُذَيْل[5]، لا قوة لهم على القتال ولا حيل.

= المصريون، وقتل وزير الينبع المتولى من طرف شريف مكة، وقتل معه خلائق كثيرة». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٥٥٠.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأثناء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: واقفًا.

(٤) كذافي الأصل والصواب: شيئًا.

(٥) **هُذَيْل**: إحدى القبائل العربية الكبرى تسكن الحجاز، واحدهم هُذَلي، بنقسمون إلى هذيل الشام (الشمال)، وهُذيل اليمن (الجنوب)، ويسكنون حول مكة، وفي تهامة، وغرب سراة الطائف وما انحدر من أوديتها صوب البحر الأحمر. ويحدها مِن الشمال قبيلة قُرَيْش، ومِن الجنوب قبيلة كِنَانَة، ومِن الشرق قبيلة بني سفيان ثقيف في شفا الطائف، ومِن الغرب قبيلة خُزَاعَة. محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل العربية: بحوث ميدانية تاريخية**، مج ٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٤٣٧-٤٤١؛ ماكس أوبنهايم، **البدو**، ٢/ ٥٥٧-٥٥٩.

[الجردة تستولي على مكة المكرمة]

وفي اليوم الرابع عشر مِن ربيع الأوَّل سنة ١١٨٤ [١]، وصلت الجردة إلى الوادي بكل مُعْتَد عَادٍ، فأرسل صاحب الترجمة مِن أعيان أهل البلاد، والسلالة والأمجاد، المفتي علي بن عبد القادر[٢] مفتي الأحناف، والسيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر؛ لكشف هذا الأمر المهم الخطر، فأناخوا على / ق٦٠/ أبي الذهب بوادي مَرّ، وجالوا معه بِمَا حلا مِن القول، فأجابهم بِمَا مَرَّ، وهو لا يرضى معهم إلا بجلوس الشريف عبد اللَّه بن حسين، وبحلوله في منزلة القلب والعين، ومع هذا فإنَّه أعاقهم عن الوصول لمرسلهم بالجواب، ومنعهم عنده عن مشافهة الخطاب، فما وسعهم إلا أنَّهم أرسلوا له خادمًا، يخبره عن أمر هذا العنيد، على أنَّهم حسْبما شاهد، والأمر مِنْه لا يفيد.

[الشريف أحمد يحصل على الأمان ويذهب إلى الطائف]

وفي اليوم السادس عشر مِن ربيع الأوَّل[٣] وصلت الجردة إلى مكة وأناخ أبو الذهب بجوخي الزاهر بكل عنيد فاجر، فرتب العسكر وانطوى على ما عليه انطوى، وصف المدافع تجاه بئر طُوَى، فلمَّا أناخ بهذا الموضع الذي أناخ، وظهر للخاص والعام أنَّه على صاحب الترجمة شاخ، خرج له الشريف

---

(١) ١٤ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ٨ يوليو ١٧٧٠م.

(٢) **علي بن عبد القادر**: علي بن عبد القادر بن أبي بكر بن عبد القادر البكري الصديقي، الحنفي المكي، مفتي السادة الحنفية بمكة المكرمة، ينحدر مِن أسرة تولَّت الإفتاء في مكة لفترة طويلة، حيث كان والده مفتيًا، وأخوه يحيى مفتيًا قبله، وابن أخيه عبد القادر بن يحيى مفتيًا مِن بعده أيضًا، وقد تولَّى هو الإفتاء لفترة تزيد على الأربعين عامًا، وعندما جاءت الحملة المصرية بقيادة محمد بك أبي الذهب عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، قام أبو الذهب بسجن المفتي مُكَبَّلاً إياه بالأغلال، ولم يطلق سراحه إلا بعد أنْ أخذ مِنْه عشرين ألف ريال. مات في مكة في شهر صفر ١١٨٧هـ/ مايو ١٧٧٣م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٩٩؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٩؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ٢٧٦-٢٨١، ٣٠٠-٣٠١، ٣٢١-٣٢٢.

(٣) ١٦ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ٩ يوليو ١٧٧٠م.

أحمد بعساكره ورجاله، وما بقي مِن المملكة شيء في آماله، فلم يتجاوز المصانع التي في الريع، وهو للقضاء مُسَلِّم ومُطِيع، فعند ذلك جال بنظره الألمعي، وتَفَرّس تَفَرُّس اللوذعي، فظهر له أنَّ الحزم قد فات، وأنَّ لتأخير الشيء عن وقته آفات، فما وسعه إلا أنَّه أودع عند السيد حامد بن حسين[١] أحرافه وأطرافه، على قانون أسلافه مَعْدِن الشرافة، وطلب مِنْه الأمان وأخلى له الديار وبان، فدخل مكة وهو واقف وتَوَجَّه مِنْها إلى العَابِدِيَّة، ثم إلى الطايف[٢]، فأقام بها يومًا واحدًا، ثم نفر، وفي هذا عبْرة لِمَن اعتبر. وفي يوم الجمعة ١٨ ربيع الأول[٣]، دخل أبو الذهب إلى مكة وملأت جنوده كُلّ ناحية وسكة، ونزل بدار المُلك ذوي السيادة، وبيت العزّ ودار السعادة.

وكانت مُدَّة الشريف أحمد بن الشريف سعيد خمسين يومًا ما تزيد.

[ولاية الشريف عبد اللّه البركاتي]

وجلس يومها على كرسي الشرافة، الهُمام الذي امتطى هام السر وأنافه، مولانا الشريف الغضنفر الغطريف، فخر السادة الهاشميَّة، ونبراس القادة النمويَّة، الهُمام الماجد، والحريص على اقتناص المحامد، الذي أضاء جبينه بأنوار الوقار، وأشرق محيّاه والفخار، منبع الجود والكرم، ومضجع القاصد إذا أمَّ، مولانا الشريف عبد اللّه بن الشريف حسين ابن الشريف يحيى بن الشريف بركات بن الشريف محمد بن الشريف إبراهيم بن الشريف بركات بن الشريف أبي

---

(١) **حامد بن حسين**: حامد بن حسين بن يحيى البركاتي، كان مِن كبار الأشراف ومشاهيرهم في زمنه، وقد استودعه الشريف أحمد بن سعيد على بيته، حينما تولّى أخوه الشريف عبد اللّه بن حسين إمارة مكة المكرمة في ربيع الأول ١١٨٤هـ/ يوليو ١٨٧٠م، كما قام بقيادة قوة عسكرية تَوَجَّهت لقتال الشريف أحمد بن سعيد في الطائف، ولكن الأخير كان قد فرَّ مِن موضعه، فلم تقع الحرب بينهما، وبعد نجاح الشريف أحمد في استرداد شرافة مكة، تَوَجَّه السيد حامد بعدها إلى مصر وأقام بها، وقد توفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) ١٨ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ١٢ يولية ١٧٧٠م.

نمي، دامت معاليه، وأشرقت أيامه ولياليه، / ق٦١/ تقَلَّد في يومها بشرافة مكة المشرفة، ورفل في حلل مفاخرها المنوفة، وخرج مُناديه في شوارعها باسمه، ورسمت المراسيم برسمه، فبسط بساط الإنصاف بين رعاياه، وسار سيرة حسنة تشهد بفضله ومزاياه، وسكن بدار آبائه الكرام المُسَمَّاة دار الهنا[1]، ومِن أفق معاليها أضاء له السّنا، فألبس أرباب مناصبه وأوردهم مِن عذب مناهله، ولم يُقَدّم أجْنَبِيًّا على أتباعه وأتباع أوائله، وهذا مِمَا يشهد له بالوفاء وحسن الشيم، كيف لا وهو مِن أهل بيت الجود والكرم.

❑ ❑ ❑

---

(١) **دار الهنا**: تقع جنوبي دار السعادة، كانت لثَقَبة بن أبي نُمَي الثاني، وكان يَسْكنها الأشراف آل بركات. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٦٠٣.

في ذكر الحوادث الواقعة في أيَّامه
وما وقع في مُدَّة أحكامه

اتفق أنَّه مات في أيامه السيد أحمد بن السيد علي طبيلة، أحد أعيان تجار بَنْدَر جدة، وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة، فجاه[1] عثمان البوشي، وهو بيت المال، بنقد جزيل المال، وقال له: قد مات أحد أعيان التجار، وأخذنا مِن ماله هذا المقدار، فزجره عن أخذ شيء مِن أمواله، وقال: كيف نأخذها مع أهله وأطفاله أمَا سمعت قول رب العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[2]، فأمره أنْ يُعيده إلى أهله بعد أنْ لَامَه على قبيح فِعْله.

ومِمَّا اتفق له أنَّه كان راكبًا ذات يوم، فطعنه رجل مِن الدراويش المساكين، في فخذه الأيمن بسكين، وكان هذا الدرويش مُصْطَلم[3] غايب[4] عن الوجود، يعتقد الناس فيه خيرًا، وله مراقبات وشهود؛ فأراد قتله لوقته جميعُ الخدم، ولمَّا تحقَّق حالَهَ، سمح عنه عفةً وكرم[5]، وحسبت له مِن جملة المحاسن والشيم، وعلى كُلّ حال، فالشريف المذكور عربي الطباع، وله فضل في البرية قد شاع.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جاءه.

(٢) القرآن الكريم، **سورة النساء**، آية رقم ١٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مُصْطلمًا، وهو مِن المصطلحات التي يستخدمها الصوفية، وتأتي من الاصطلام، وهو الوَلَه الغَالب على القلب، وهو قريب مِن الهيمان، فيكون المُصْطلم مأخوذًا عن إحساسه بالكلية. رفيق العجم، **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٦٦-٦٧.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: كرمًا.

[مظالم محمد بيك أبو الذهب في مكة]

عودًا إلى ذكر الجردة وما أفسده أبو الذهب، وما صنع مِن القبايح[١] التي تترك وتتجنب، فَمِن جملة ما صنع مِن الجَوْر والإجحاف، سجنه لمفتي مكة علي بن عبد القادر الصّديقي مفتي الأحناف، ولم يُخَلِّصه مِن السجن حين وضعه في السلاسل والأغلال، إلا بعد أنْ أخذ مِنْه عشرين ألف ريال. ومِن جملة ما فعله أبو الذهب مِن عدم الاحترام وقلّة الأدب، بَلَّص[٢] التجار وأخذ مِنْهم مالًا كثير المقدار، ولم يترك ذا ثروة مِن سكان الحرم سوا[٣] كان مِن العرب / ق٦٢/ أو مِن العجم، ومِن قبيح فِعْله، وقلّة عَقله وغَفله بعد أنْ نَهَبَ دار الشريف مساعد التي كانت على سفح أجياد، وكانت تُعَدُّ مِن جملة الأبنية الجياد، فأحرقها بالنار ولا فايدة[٤] هذا الجبار في كَوْنِه أعفى هذه الآثار، ثم أمر بإخراج مَن بقي مِن آل زيد مِن مكة، وشَتَّتَهم في كُلّ ناحِية وسكة. ومِن جملة فعلته الذمِيْمَة، وطريقته الغير مستقيمة، أنَّه مَال على أهل المال جَوْرًا وشقاق[٥]، وأخذ مِن أموالهم شيا[٦] لا يُطَاق.

[حريق دار السعادة]

وأمَّا ما نُسِبَ إليه مِن إحراقه لدار السعادة، ومقرّ الملوك ذوي السِّيادة، فإنَّها حُرِقَت بغير إرادته، والحقير تحقّق عن هذا المقدار عن مُشاهدته، والدليل على إحراقها خلف هواه، وأنَّها على مراد اللَّه؛ كَوْنِه ساكنًا فيها بماله وحاله، واحترق في النار بعض مماليكه، وكثير مِن ماله، حتى صاروا يخرجون أَدَبْاشه بأعظم مشقّة مِن النار وهي تضَرَّم، ويجمعون بعضها على بعض في أروقة الحرم، ومع هذا نُهِبَ له فيها كثير مِن الأمتعة، وغالت يد الضياع كثيرًا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: قبائح.

(٢) بَلَّص: بَلَصَهُ مِن المال؛ لم يترك له مِنْه شيئاً. **المعجم الوسيط**، ص ٦٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: سواء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: فائدة.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شقاقًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

مِمَّا جمعه، وبعض الأماكن حالت النار بينهم وبين ما فيها، فكأنَّها القدور على أشافيها، وهذا قد شاهدته عِيانًا بحسْب الظاهر، واللَّه يتولى السَّراير[١].

ثم اعْلَمْ أنَّ في مُدَّة إقامتهم بهذا البلد، لم يَسْلم مِن أذيتهم أحد، والأتراك لم تزل تجُور على الناس في الأسواق، وتُرْكِبَهُم المجاهم والأمُور المشاق، وما بَرحوا يركبون جَواد التجبُّر في بلد الجَبَّار، ولم يجْعلوا لهذا الحَرَم حُرْمَةً ولا مِقْدار[٢]، ومِن المشهور أنَّ مَن تجَبَّر على عباد اللَّه تعالى قصمه اللَّه، وكيف بالإساءة على البساط فإنَّها أعظم شطاط، فالعاقل يحتاط ويذكر زلة القدم عند مجاوزة الصراط، مع أنَّ حَرَم اللَّه تعالى مُحْتَرَمٌ في الجاهلية والإسلام، والجاير[٣] على أهله فيه يكون عِبْرةً لجميع الأنام.

[حرابة الشريف أحمد مع الجردة المصرية]

العَوْد أحمد إلى أوَّل سياق ما تقَدَّم مِن هذه القصة، وما صار على الشريف أحمد ومِنْه تجَرَّع هذه الغصة؛ فإنَّ الشريف أحمد بن سعيد لمَّا خرج مِن مكة بطلب الأمان، وصان أعراض المسلمين مِن فُجُور الأتراك / ق٦٣/ أهل الطغيان، قصد وادي لِيَّة[٤]، وأقام به ثمانية أيام كأنَّها عليه أعوام، فلم يطب له المقام بدون المرام، فأخذ يسعى في عسكر الطايف[٥] حتى أفسده، وألقى إليه مِقْوَدَه، فقصد الطايف[٦] بالقتال بِمَن معه ومَن أفسده مِن الرجال، ولمَّا أقْبَل على المَأْزِمَيْن[٧]، هرب مِنْه وكيل الشريف - أخوه - السيد عبد الكريم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: السرائر.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مقدارًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الجائر.

(٤) **وادي لِيَّة**: وادٍ مِن أودية الحجاز الشرقيَّة، يمر جنوب الطائف بنحو ١٥ كيلًا، له ما يزيد على عشرين رافدًا كبيرًا، وعدة قرى عامرة، ويسكن في أعلاه ثقيف، وبعض فروعه لهُذَيْل، وأسفله للأشراف العبادلة والعُصَمَة مِن عُتَيْبَة، ويُسَمَّى أسفله وادي عدوان لأنَّهم سُكَّانه وملاكه. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٨٣-١٤٨٥.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٧) **المَأْزِمَيْن**: طريق يأتي المزدلفة مِن جهة عرفة، وهو شعب ضيق بين جبلين يسمّيان الأخشبان،

ابن حسين[١]؛ فدخله الشريف أحمد بغير قتال - لمَّا عنه تحَوَّل - لست بقين مِن شهر ربيع الأول[٢]، فنُودِي باسمه في البلاد، وأطاعه الحاضر والباد، ثم استدعى غالب العُربان؛ فحيعلت لمُناديه مِن كُلّ مكان. وكان الشريف المذكور[٣] صفر اليدين، لم يخل كاهله مِن الدَّيْن، فأخذ على سبيل القرضة خمسة آلاف قرش[٤] مِن الهنود، وفرَّقَها على مَن حضر مِن الجرود.

فلمَّا بلغ ذلك صاحب الترجمة، لم يرضَ بِمَا فعله الشريف أحمد في بلده ورسمه، فلم يهنه المقام في خفر الزمام، فعند ذلك أرسل إلى الطايف[٥] السيد أحمد بن عبد الكريم، ليفسد له القبايل[٦]، ويجمع مِنْهم مَن كان صايل[٧]، وكان رجلًا يُعَدُّ مِن الصناديد، والكُمَاة الصِّيد، يفتل الرمل للرجال دهاءً،ويَصرّ الرِّياح في مِنْدِيل؛ فأفسد العُربان الذي جمعها الشريف أحمد،

يفضي آخره إلى بطن عرنة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٩٢-١٤٩٣.

(١) **عبد الكريم بن حسين**: عبد الكريم بن حسين بن يحيى البركاتي الحسني. كان ضمن الفريق الذي وقف ضد الشريف مساعد بن سعيد، وعند قدوم الحملة المصرية إلى الحجاز عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م قام بمساعدتها؛ ولذلك عندما تولى أخوه الشريف عبد اللَّه بن حسين شرافة مكة، عيَّنه وكيلاً له على الطائف، فظل فيها حتى استردها مِنْه الشريف أحمد بن سعيد، وقد انقطعت أخباره بعد ذلك، وقد أعقب أربعة أبناء، وهم: يحيى، وأحمد، وشاكر، وسلطان. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٢٧.

(٢) ٢٤ ربيع الأول ١١٨٤هـ/ ١٧ يوليو ١٧٧٠م.

(٣) يقصد الشريف أحمد بن سعيد، الذي لم يكن لديه المال الكافي ليتَمَكَّن مِن الانفاق على العُربان والقوات التي ستنضم إليه، ليقوم بمحاربة الشريف عبد اللَّه لاسترداد ملكه.

(٤) **قِرْش**: من النقود الفضية المتداولة في العصر العثماني، وقد انتقلت إلى التركية من الألمانية Groschen وعرفت باسم قرش، أو غرش، أو إرش. وضرب هذا النقد لأوَّل مرة في عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩-١١٠٢/ ١٦٨٧-١٦٩٠م)، وكانت قيمته تساوي أربعين نصف فضة أو أربعين بارة. عبد الرحمن فهمي، **"النقود المتداولة أيام الجبرتي"**، بحث منشور في عبد الرحمن الجبرتي: دراسات وبحوث، إشراف: أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٥٧٤-٥٧٥؛ أحمد الصاوي، **النقود في مصر العثمانية**، ص ٩٤-٩٥.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: صائلًا.

وفَرَّقَها عنه ولم يبقَ مِنْها أحد، وأرسل لصاحب الترجمة يُفيده بِمَا حصل هناك، ويطلب مِنْه جانبًا مِن الأتراك؛ فعند ذلك اتفق رأيه مع محمد بيه[١] بالرأي الموافق، وأرسل حسن بيه[٢] شبكة[٣]، ومعه جملة مِن الغُز على الخيل السوابق، ومعهم نحو الثمانين خَيَّالاً مِن السادة الأشراف الحماة بالبيض الرهاف، ومِن أبطال العسكر الذي تقرّ بهم العين نحو الماتين[٤]، وأمَّر على الجميع أخاه السيد حامد بن حسين.

فلمَّا بلغ الشريف أحمد هذا الخبر، وَلَّى مسرعًا وفَرَّ ولم يبقَ له أثر، ووَجَّه عزمه في اليوم الثاني والعشرين مِن ربيع الثاني[٥] على طريق كَرَى، وجَدَّ السير ميمِّمًا نحو أم القرى، وقد جمع له مِن بني سعد[٦] وبني ثقيف جمعًا لطيف[٧]، فعقبه على الطايف[٨] السيد أحمد بن عبد الكريم، ودخل بِمَن معه في جنح ليل بهيم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٣) **حسن بيك شبكة**: مِن مماليك علي بيك الكبير. اشتهر بحسن بيك الجداوي لأنَّه ولي على مدينة جدة، بعد ما استولت الحملة المصرية على الحجاز عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وفي أثناء الصراع بين إسماعيل بيك وإبراهيم بيك ومراد بيك، انضمّ إلى الأوَّل وساعده، ثم انقلب ضده وانضمّ إلى الآخرين فانتصروا على إسماعيل بيك الذي فرّ إلى الشام، ثم وقع بينه وبينهما الخلاف، وظلّ على ذلك حتى عاد إسماعيل بيك مرة أخرى إلى القاهرة، ولكن بعد وفاة إسماعيل بيك، وعودة مراد بيك وإبراهيم بيك إلى القاهرة، فرّ الجداوي إلى الصعيد حتى قدوم الحملة الفرنسية. وقد جاهد ضدها في مصر والشام وأبلى بلاءً حسنًا. توفي بالطاعون في مدينة غزة عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م. انظر: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٧٥-٢٧٦.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٥) ٢٢ ربيع الثاني ١١٨٤هـ/ ١٤ أغسطس ١٧٧٠م.

(٦) **بني سعد**: مِن القبائل العربية العريقة، ومساكنها في جنوب شرقي الطائف. ماكس أوبنهايم، **البدو**، ٢/ ٥٦٦-٥٦٧؛ محمد بن منصور، **قبائل الطائف**، ص ٧٢-٧٣.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: لطيفًا.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

وفـــي الـــيـــوم الـــرابـــع والـــعـــشـــريـــن[١] وصـــل ال طـــــــايـــــــــف[٢]...................
حسن بيه[٣] شبكة والسيد حامد بن حسين، فوجدوا صاحبهم قد صار أثرًا بعد عين، فنُودِي باسم صاحب الترجمة / ق٦٤/ في شوارع البلاد، ودُعِي له في المنبر على الرسم المعتاد، وأمَّا الشريف أحمد لما نزل مِن عقبة كَرَى، وانحدر مِن جبلها السامي الذرى، أناخ بعرفة ووَجَّه عزمه للقتال وصرفه، فلمَّا بلغ أبا الذهب وصولهُ بتلك الأطلال، تَوَجَّه مُجِدًّا وشَمَّر للقتال، وتَوَجَّه معه صاحب الترجمة بجنودٍ وافرة متمَّمة، والتقى الجمعان بعرفة موضع الوقوف، وسال نجيع الدَّم مِن شدّة الحتوف، فوقع بينهما في اليوم الخامس والعشرين مِن ربيع الثاني[٤] ملحمة عظيمة، وأي ملحمة، حتى غدت ثغور السيوف مِن الجراح مبتسمة.

واستمرّ القتال يومًا كاملاً إلى آخر النهار، وما انكشف غبار المضمار إلا بعد الاصفرار[٥]، وأسفر الأمر عن انكسارة الشريف أحمد، وما يصنه إلا جبل سعد، بعد أنْ قتل وأصاب مِن الأتراك ما يبلغ المايه[٦] في العدِّ، ومع هذا لم ينكسر جيش الشريف أحمد إلاَّ عن مكيدة من عسكر يمبع[٧] وخديعة، والغدر كما قِيل في الأنام طبيعة، وإلاَّ فقد هزمهم جيش الشريف أحمد مرة بعد مرة، وكرَّ عليهم كرَّة بعد كرَّة، وأخذ بخيله الطلايع[٨] جملة مِن خيولهم قلايع[٩].

---

(١) ٢٤ ربيع الثاني ١١٨٤هـ/ ١٦ أغسطس ١٧٧٠م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.
(٤) ٢٥ ربيع الثاني ١١٨٤هـ/ ١٧ أغسطس ١٧٧٠م.
(٥) **الاصفرار**: قبيل الغروب.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: المائة.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: قلائع.

فلمَّا ظهر عليه الغلب، وساءهم المنقلب، دَسُّوا له هذه الدسيسة، والختر[١] في نفوس الأتراك غريسه، فنكس عسكر يمبع[٢] أعلامهم ليبلغوا مرامهم، وقالوا له: نحن منك وإليك، ولا معولنا إلا عليك؛ فأطلعهم معه على جبل سعد، وبعد أنْ تَمَكَّنوا فيه قاتلوه باليد؛ فحينئذ تكانفوا عليه الجبل مِن كُلّ مَحَلٍّ،حتى كَلَّ أكثرهم مِن الحرب ومَلَّ، فطلب مِنْهم الأمان حين أجهدهم الجوع، ومنعهم لذة الهجوع.

[أبو الذهب يمنح الشريف أحمد بعض الهدايا]

وقد تحقَّق عند أبي الذهب أنَّ هذا القتال مع كونهم لهم ثلاثة أيام، وليس لهم غير الماء مذاقٌ ولا طعام، فأرسل إليه شياء[٣] جزيلًا مِن الزاد، ولو استزاده في غيره لزاد، فَقَبِل مِنْه الشريف أحمد ما به أجاد، وأهدى إليه كَحِيْلَة[٤] مِن خيله الجِياد، فَقَبِلها أبو الذهب ونزل مكة بقومه، ولم يقمْ بعرفة غير يومه، ووصل مكة بعد الإشراق، بعد أنْ كابد كُلّ أمر شاق، والشريف أحمد بات ليلته بعرفة بحالٍ رثيثٍ، ثم تَوَجَّه إلى اللِّيْث[٥].

فلمَّا بلغ حسن بيه[٦] ما نال يوم عرفة أبا الذهب مِن حرب متعب ونصب، تَوَجَّه مكة في ذلك اليوم مِن حين / ق٦٥/ ما سمع، وحاوله الوكيل على الجلوس، فلم يقبل مِنْه [ولم يطع][٧]، ثم تَوَجَّه بعده في يوم الاثنين السيد

---

(١) **الختر**: أي الغدر.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ينبع.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٤) **كحيلة**: الخيل البيضاء وعينها سوداء، كأنَّ بها كحلًا. **المعجم الوسيط**، ص ٧٧٨.

(٥) **اللِّيْث**: ميناء يقع على ساحل البحر الأحمر، جنوبي الحجاز، تبعد عن جِدة بحوالي ٢٠٠ كيلاً جنوبًا. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤٨١؛ سميرة بنت مبارك، **موانئ تهامة ومراسيها**، ص ٥٨. وكان هذا الميناء يخضع لشريف مكة، ويرسل نائبًا عنه ليدير شئونه، وسيأتي ذكره في مواضع كثيرة خلال الأحداث.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٧) وردت في الأصل: (ولم يطمع)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٤٦.

حامد بن حسين، وبقي السيد أحمد بن عبد الكريم متجلدًا غاية التجلد، والسيد راجح بن حسين وكيلاً على البلد مُقِيْمَين على الجمر، لم يعلموا عاقبة الأمر.

[عودة أبي الذهب إلى مصر]

ثم إنَّ محمد بيه[1] أبا الذهب تحَرَّك للسفر، بعد أنْ ظهر له مِن حرب الشريف أحمد ما ظهر، فأصحب مصطفى بيه[2] معه، وارتحل وخرج مِن مكة في عشرين مِن جمادى الأوَّل[3] إلى حيث آلَ.

إِذَا ذَهَــبَ الْـحِـمَـارُ بِــأُمِّ عَـمْـرٍو
فَـلاَ رَجَـعَـتْ وَلاَ رَجَـعَ الْـحِـمَـارُ[4]

وأبْقَى حسن شبكة وَحْدَه، وجعله واليًا على جدة، فأقام بمكة مع الشريف عبد اللَّه بن حسين، وكأنّي به وقد لحق الاثنين.

[الشريف أحمد يسترد شرافة مكة]

فسمع الشريف أحمد بخروج محمد بيه[5] وارتحاله، وإبقاء حسن شبكة على حاله، فشَمَّر عن ساعد الجد لأخذ الثأر، ولم يُصْغ لقول مِن نهاه عن المشار، مَن راقب الناس ما تَهَنَّى، وفاز باللَّذَات الجسور، فجمع العُربان مِن كُلّ مكان، وأقْبَلت عليه قبايل[6] اليمن بالحدّ والسنان، وجمع له السيد ثقبة بن عبد المحسن الشنبري[7] عُربانًا مِن ثقيف، وأقام في

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٣) ٢٠ جمادى الأولى ١١٨٤هـ/ ١٠ سبتمبر ١٧٧٠م.

(٤) البيت محدث مولّد ينشد في تكذيب خبر وإبطاله، انظر: محمد الخوارزمي، **الأمثال المولدة**، ص ٣٢٩.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٧) **ثقبة بن عبد المحسن الشنبري**: ثقبة بن عبد المحسن بن أحمد بن سعيد بن شنبر بن =

عرفة بهم على ما وعده الشريف، فأقبلوا على مكة في حادي عشر جمادى الثانية[1] ليلة الاثنين، بعد أنْ أجمع رأيه أنْ يُقِيْم قومه شطرين: شطر[2] مِن طريق المسفلة[3]، وشطر[4] مِن أعلى مكة.

فخرج لقتالهم صاحب الترجمة، ومعه حسن شبكة، فالتقى كُلٌّ مِن الفريقين بجبال المنحنى، وجالت الفوارس بالمهند والقنا، وتقابلت الخيول وصُفَّت الصُّفُوف، وطَيْرُ المَنِيَّة على روسهم[5] يطوف، والحرب بينهما سجال، وللأبطال رزق بالذابل العسال، ثم أقبلت العُربان الذي[6] مِن أسفل مكة وشنّوا الغارات، واستمرّ القتال بينهم إلى أربع ساعات؛ فأسفرت هذه الملحمة عن انكسارة صاحب الترجمة، وقُتِل مِن جماعته جَمٌّ غفيرٌ، وانكسر كسرةً بحيث لا يلحق الأولُ الأخيرَ، وما زالوا يقتلون في شارد، ويغنمون مِن خزاينهم[7] المغنم البارد.

وقُتِلَ مِن البادية التي[8] مِن جماعة الشريف أحمد جانب خفيف، ومِنْهم رابع شيخ بني ثقيف؛ وبسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد، وحاز

حسن بن محمد أبي نمي، جمع للشريف أحمد بن سعيد عُربانا مِن ثقيف وساعده في دخول مكة المكرمة، وطرد الشريف عبد الله بن حسين في جمادى الآخرة ١١٨٤هـ/ أكتوبر ١٧٧٠م، وكان وكيلاً على الطائف عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، في عهد الشريف غالب، وتوفي في النصف الأول مِن القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٥؛ ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ١٦٢-١٦٣. =

(١) ١١ جمادى الآخرة ١١٨٤هـ/ أوّل أكتوبر ١٧٧٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شطرًا.

(٣) **طريق المسفلة**: يقع جنوب المسجد الحرام، وهي من المسجد الحرام إلى جهتي بركة ماجن والشبيكة فيما بعدها إلى الشميسي، وهذه الجهات أسافل مكة؛ لذلك تسمَّى المسفلة. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٧٩؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٢٥٨.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: شطرًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رءوسهم.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: خزائنهم.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

عقد المُلْك المنضد، فإنَّه لمَّا قُتِلَ رابع / ق٦٦/ صعب أمره على جماعته ثقيف؛ فحملوا حملة رجل واحد،حتى تركوا العدو بعد قوته ضعيف[1]، فطلب الشريف عبد اللَّه بن حسين ذِمَّة، وتَوَجَّه إلى الوادي ومعه الصنجق، ومِن الترك أفراد. وغَنَّى طَيْر المسَرَّة منوهًا بالشريف أحمد على سفح أجياد، فأقام يومه بالوادي حتى تلاحقوا في أيسر مُدَّة، وتَوَجَّه الصنجق ومَن بقي مِن الأتراك إلى جدة، فدخل مكة الكامل المجيد سليل الكُمَاة الصيد، والقادة الصناديد، الشريف أحمد ابن المرحوم الشريف سعيد.

وكان بلوغه الأماني في يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الثاني[2] سنة ١١٨٤ من هجرة سيد المرسلين، فحصل بدخول الشريف أحمد لأهالي مكة غاية الفرح والسرور، وأعطوا على دخوله النذور، ومِن العادة القديمة المستمرة المستديمة، أنَّ أهل مكة لا يحُبون أنْ يتولى عليهم شريف إلا مِن آل زيد الشّم العرانين، لِمَا أَوْدَعَه اللَّه تعالى فيهم مِن الشفقة والرأفة على الضعاف والمساكين.

ومنذ دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات، لمَا ترجح عنده أنَّهم هُمُ الآمرون بحرق دار آل زيد، لا بآفة مِن الآفات، فنهبوا الناس جميع ما فيها مِن متاع، ونهبوا الدور التي للرجال المقربين لهم مِن أرحامٍ وأتباع، ونادى مناديه على رسمه، وهُتِفَ له في المنابر على اسمه.

[عودة الشريف عبد اللَّه إلى مصر]

ثم إنَّ الشريف أحمد أرسل لحسن بيه[3] يأمره بالخروج عن جدة، ويُهَدِّده ويَتَوَعَّده بالمتاعب والشدة، وهو لا يزداد إلا عُتُوًّا ونُفُورًا، ويأبى عن الخروج مِنْها إلا مقتولاً أو مكسورًا، ولما تحقَّق مِنْه الْمُمَانعة، وعلم أنَّه لا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ضعيفًا.

(٢) ١١ جمادى الآخرة ١١٨٤هـ/ أوَّل أكتوبر ١٧٧٠م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

تفيد فيه المُرَاجعة، وَجَّه إليه جميع الأشراف، ومِن العسكر والبوادي وغيرهم ما يزيد على أربعة الآف، وقد وصل إلى مكة السيد عبد اللَّه بن مسعود، ومعه مِن قبايل[1] اليمن جرود، لم يلحق بهم الحرب الذي سبق، وكان قد اجتهد في جمع العُربان ليلحق بهم الحرب فما التحق، فتَوَجَّه مع بني عمّه السادة الأشراف إلى جدة، وكان مِن أهل القوّة والشدّة.

وقد تحقَّق عندهم أنَّه قد نوى الصنجق على القتال، ولم يحسب لعاقبة الأمر وما يول[2] إليه المآل، فصك أبواب البلاد وترَّسها / ق٦٧/ ، وخرَّج المدافع الكبار على الكدوة وأسَّسها، وصارت خيله كُلّ ليلة تخرج مِن البلد وتعسّ[3] إلى الرَّغَامَة[4]، ثم تعود صبحًا إلى جدة بالسلامة، فوصلت السَّرية إلى جدة بليل، وأقاموا على موضع يقال له: غُلَيْل[5]، وأرسلوا رسولًا بكتاب الشريف إلى حسن كَتْخُدا العسكر، ليفسد مَن معه مِن عسكر في البندر، فسعى في نقض تلك المباني، وتواطأ معهم أنْ يهجموا مِن الباب اليماني؛ فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل السَّرية، وأوصلوا الأتراك كُلّ بليَّة، فملكوا جدة في غاية جمادى الآخرة[6]، صبح يوم الجمعة، بعد أنْ قتلوا جملة مِن الأتراك، واحتبك الحرب يومئذ أيْ احتباك، ولم تزل السَّرية تكنسهم مِن زُقَاق إلى زُقَاق، وتركبهم الأمُور المَجاهم والمَشاق، حتى أخرجوهم مِن البلدة جميعها، ولم يبقَ في أيديهم غير القلعة، وتلى لسان الحال هذه القلعة التي ليس فيها رجعة،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يؤول.

(٣) **تعسّ**: العس طلب الشيء بالليل. **المعجم الوسيط**، ص ٦٠٠.

(٤) **الرَّغَامَة**: الأرض الرملية التي تكون على يمين الطريق للمتجه مِن جدة إلى مكة، يسيل فيها مِن الشرق وادي غُلَيْل. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٦٩٩.

(٥) **غُلَيْل**: وادٍ يسيل مِن الحرازية، يباري أم السلم مِن الجنوب، ويجتمع معها في الرَّغَامَة بطرف جدة مِن الشرق، وحيث يدفع غُلَيْل في خبت جدة قام حي سمي غُلَيْلاً، وهو أحد الأحياء في جنوب شرقي مدينة جدة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٢٦٤-١٢٦٥.

(٦) غاية جمادى الآخرة ١١٨٤هـ/ ١٩ أكتوبر ١٧٧٠م.

=

فترَّسُوها بناءً على أنَّها تصونهم، وتحصنوا بها وظنوا أنَّهم مانعتهم حصونهم.

إِذَا كَـانَ غَـيْـرُ الـلَّـهِ لِـلْـمَـرْءِ عُـدَّةً

أَتَـتْـه الـرَّزَايَـا مِـنْ وُجُـوهِ الـفَـوَائِـدِ(١)

فاجتمعت عليهم العساكر حولها، وقد بذلت جَهْدها وحَوْلها، فتحقَّق حينئذٍ الصنجق أنَّه لا تصونه ولا تنفعه ولا تُعينه، فخرج مِن الباب الصغير الذي في موخر(٢) القلعة، وخاض بخيله في الماء، وصار لا يستدل على طريق، وناهيك الغريب أعمى، وتَوَجَّه بِمَن بقي معه إلى رابغ، وهو خلي مِن الأمُور فارغ، وتبعه الشريف عبد اللَّه بن حسين بعد المشقة والبَيْن، ثم تَوَجَّهوا إلى مصر لِمُرْسِلهم علي بيه، لا أقَرَّ اللَّه تعالى عيْنهم عليه.

وشاع بمكة عند الناس أنَّ قَصْدَه يتَمَلَّك المدينة، ويتحَصَّن بأسوارها الحَصِيْنة، وأنَّه يرسل لسيده كتابًا إلى مصر، ويخبره بِمَا وقع، وأنَّ الشريف عبد اللَّه بن حسين نازعه الشريف أحمد في المُلك فانتزع، فتَوَجَّه مِن رابغ إلى مِصْر ولم يقصد المدينة، وأخذ أجناده وشياطينه، وأمَّا أهل المدينة قد تحصَّنوا واستعدوا مُصَمِّمين لقتاله، غير مكترثين بنزاله وامتثاله، قد بنوا الأسوار والحصون، وترَّسوا الأماكن التي تصون، فلمْ يحصل شيء مِمَّا خطر على البال، وكفى اللَّه المؤمنين القتال/ ق٦٨/ .

ولمَّا دخل حسن شبكة على أستاذه علي بيه(٣)، وقَصَّ عليه القَصَص التي وقع عليه، ضرب الكف على الكف، ومات غيظًا وأسف، ولم يعلم أنَّ مَن قصد مكة بالأذى، حصل لعين بصيرته القذى(٤)، وأين هو مِن قول

---

(١) البيت لأبي فراس الحارث بن سعد بن حمدون، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ج٣، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٨٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مؤخر.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٤) **القَذى**: ما يتكون مِن وسخ أبيض في العين عند مجرى الدمع. **المعجم الوسيط**، ص ٧٢٢.

ربّ العباد: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾[١]، وكان دخولهم شؤمًا عليه، ولم يزل الشريف عبد اللَّه مقيمًا بمصر القاهرة، متعجِّبًا في حكمة اللَّه تعالى الباهرة، وكيف مضى عليه هذا كُلُّه في أقَلِّ أيامٍ تولَّى ومَلَكَ، ثم زَال الْمُلْك عَنْه كأنَّه أضْغاث أحلام، وهكذا حِكْمة اللَّه تعالى يجريها على حسب مراده: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[٢].

ثم إنَّ علي بيه[٣] الذي مَلَكَ مصر وأكنافها، وتسبب في خراب مكة وأطرافها، أخْرَجه مملوكه محمد بيه[٤] مِن مصر، ثم حصل بينهم قتال فَقُتِلَ فيه[٥]، وسيقف غدًا عنده، ويسأله عمَّا فعل ويجزيه. فلمَّا قتل علي بيه[٦] عام ست وثمانين، تَوَجَّه الشريف عبد اللَّه إلى أرض الروم[٧]، ومكث فيها إلى أنْ مات، وحِيْلَ بينه وبين ما يَرُوم، فاللَّه تعالى يرحمه ويُرضي عنه الخصومَ.

[ارتفاع الأسعار نتيجة الجردة المصرية]

ولنرجع إلى ما صار على جدة حين ملكوها، وبئس الطريقة التي سلكوها، فإنَّهم نهبوا غالب دور أعيانها الكبار، والحواصل التي فيها أموال

---

(١) القرآن الكريم، **سورة الحج**، آية رقم ٢٥.

(٢) القرآن الكريم، **سورة الأعراف**، آية رقم ١٢٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٥) حينما عاد محمد بيك أبو الذهب إلى مصر أرسله علي بيك الكبير في حملة إلى الشام، وبعد أنْ نجح في دخول دمشق انسحب بقواته إلى القاهرة، حيث بدأ عصيانه ضد سيده علي بيك، ثم قبض عليه، وقيل إنَّه مات مسمومًا في السجن، وقيل: إثر نكسة ألمت به، وذلك في شهر صفر ١١٨٧هـ/ مايو ١٧٧٣م. محمد رفعت رمضان، **علي بيك الكبير**، ص ١٩٨-١٩٩.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٧) **أرض الروم**: يعني بها الدولة العثمانية؛ لأنَّها سيطرت على أراضي الإمبراطورية البيزنطية التي كان العرب يعرفونها بالروم.

التجار، وتركوا البَنْدَر خرابًا بعد أنْ كان عمار[١]، ولم يراقبوا أنَّ هذا الفعل على الملك عارٌ وأيّ عار، وهي في الحقيقة خزانة الملك الذي لحمايته أوجبوها، وكم مِن ضررٍ يعود بسبب نهبها على الشريف، وكم غَنِيّ[٢] أصبح بعدها ضعيف[٣]، قد يفعل الأحمق في نفسه ما ليس يبدي فعله الجاهل، ومع هذا فإنَّ الشريف أحمد مُبَرَّء عمَّا فعله الأجناد، مِن الأمُور التي هي ليست على وجْه السداد، فإنَّه لم يصل إليه شيء مِن ذلك المال، بل أخذه الخائنون، وبقي عليه الوبال، وأنْشَد لسان الحال في هذا المعنى، قول مَن قال: جَنَى وَصلَهَا غَيْرِي وحُمِّلْتُ عَارَهَا[٤].

ثم إنَّهم لمَّا نهبوا الأقوات التي فيها، والحبوب التي كانت تكفي مكة وتكفيها، أسْفَرت هذه المقدمة عن نتيجة الغلا[٥]، واختلاط الحرام بالحلال، الذي يوجب البلا[٦]، فإنَّه لم يَمْضِ عَشَرَةُ أيام مِن رجب[٧]،حتى ظهر للناس التعب، فانعدمت الأقوات مِن مكة في رمضان، واشْتَدَّ الكرب على جيران / ق ٦٩/ بيت اللَّه أكثر مِن غيرها مِن البلدان، حتى وصل سعر إِرْدَبّ[٨] الحَبّ إلى خمسين غرشًا ذهبيًّا، ولا يأخذه إلاَّ خفية رجلٌ مليا[٩]، وأمَّا الفقراء فقد

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عمارًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: غنيًّا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: ضعيفًا.
(٤) لم أقف على قائله، وهو جزء من بيت شعر أوّله: وأَعْجَبُ مَا لاَقَيتُ في الحُبِّ أَنَّهُ، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الدر الفريد وبيت القصيد**، ١٠/ ٩٢.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: البلاء.
(٧) رجب ١١٨٤هـ/ ٢٠ أكتوبر - ١٨ نوفمبر ١٧٧٠م.
(٨) **إِرْدَبّ**: مِكيال مِن المكاييل لوزن الحبوب، كان يسع أربعة وعشرين صاعًا (ومقداره ستة وتسعين قدحًا)، وكان حجمه الحقيقي يختلف تبعًا للحبوب الموزونة، وكذلك المكان الذي يستخدم فيه، ومقداره عند الحنفية ٧٨ كجم، وعند الجمهور ٤٩,٩٦ كجم. أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٢٤؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين**، ص ٣٩.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: مليئًا. وتعني الرجل الغني أو الثري.

لحقهم الجوع وأسال مِن عَذْب آمَاقهم الدموع، حتى شاهدت البادية يقينًا بغير شك ولا التباس، يشربون الدَّم المسفوح وياكلون[١] البساس[٢]، وعند وصُول الحج زاد الغلا[٣] وعجّ، فوصل الإِرْدَبّ إلى خمس وسبعين، ولم تجد الناس ناصرًا غير اللَّه تعالى ولا مُعين[٤].

وفي سنة ٨٥ خمس وثمانين[٥]، انْحلَّت العقدة في أيسر مُدَّة، بوصول الزعايم إلى جدة، ثم إنَّ الحَب تارة يكون له وجود وتارة مجحود[٦]، وسعر الكَيْلَة[٧] مِنْه في الأسواق سبعة وعشرين ديواني عن يقين، والرز بأربع وعشرين، وفي غير السوق يزيد السعر وينقص، وما زاد عن هذا السعر ولا اخْتَلّ، وكثر السَّفَرْجَل[٨]، وجعلت الناس عليه المُعَوّل.

ومِن أعجب ما رأيته أنَّ ناظر السوق، كُلَّمَا أخرج شياء[٩] مِن الحبوب إلى الأسواق، يباع مِن وقته وحِينه، ولم يبقَ مِنْه شيء لخَزينه، واتفق أنَّه أخرج خمسمائة إِرْدَبّ في يوم واحد، فلم يضرب عليها الضحى ولها واجد، حتى قال بعض المَلأ: إنَّ الجِنَّ عندهم مثل ما عندنا مِن الغلا[١٠]؛ فهم يتشَكَّلون ويخرجون مع الناس في الأسواق ويشترون، فلئن صح هذا عنهم فالازدحام الذي شاهدناه يكون مِنْهم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يأكلون.
(٢) **البَساس**: جمع البَسُّ، وهي الهِرَّة الأهلية، أي القطط. **المعجم الوسيط**، ص ٥٦.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُعينًا.
(٥) سنة ١١٨٥هـ/ ١٤ أبريل ١٧٧١ - ٢ أبريل ١٧٧٢م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مجحودًا.
(٧) **الكَيْلَةُ**: جمع كَيْلات. وهو مكيال مِن المكاييل، يكال به الحبوب ومقداره ثمانية أقداح. **المعجم الوسيط**، ص ٨٠٨.
(٨) **السَّفَرْجَلُ**: شجر مُثمر مِن الفصيلة الوردية مثمرة، ويعرف ثمرها بالسَّفَرْجَل، وهو يشبه إلى حد كبير الكمثرى والتفاح. **المعجم الوسيط**، ص ٤٣٣.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

ثم في هذا العام كَثُرَ قُطَّاع الطريق، وتمرَّد كُلّ جبارٍ وزنديقٍ، ووردت الأخبار بإرسال الجردة إلى الشام[١] فملكه أبو الذهب، وحَلَّ مِنْه عِقْد النظام، فنهب بعض أعيانها، وهَرب مِنْها أُناس مِن سكانها.

[منع إمام اليمن إرسال البن إلى جدة]

وفي عام ست وثمانين[٢] منع إمام اليمن جميع التجار أنْ لا يرسلون البن إلى هذه الأقطار، بسبب ما أحدثه على البن مِن زيادة العشور، والوزير يوسفُ قابلٌ في البَنْدَر المعمور، فقَلَّ على الشريفِ المدخولُ، ولم يكن الحاصل بالمحصول، فلم يكن بُدٌّ عن إرسال رسول، يأخذ خاطر الإمام ويرضيه، ويُعِيد البن كما كان، ويجري الماء في مجاريه؛ فأرسل السيد عبد اللّه بن أحمد الفِعْر يوم السبت لست بقين مِن شهر الصيام[٣]، فتَوَجَّه إلى اليمن بعد أنْ ظهر له بارق / ق٧٠/ القبول وشام.

[وقوع فتنة بين الشريف أحمد والشريف سرور]

وفي شهر شوَّال[٤] عزل الوزير يوسف قابل، وتولى بعده الجناب السامي الوزير حسن بن إبراهيم الشامي، فوجَّهَه صاحب الترجمة إلى البَنْدَر ومعه السيد سليمان بن يحيى، وجانب مِن العسكر، وأمره بلزوم الوزير قابل، ووضعه في الأغلال والسلاسل، ولم أرَ ثمرة لهذا الإرسال، غير محض الضرر والوبال، فشاع في الناس هذا الخبر لأمرٍ يجري به القضاءُ والقدر، إلى أنْ اتصل بعلم السيد سرور ابن المرحوم الشريف مساعد، فنهض وقام لها حين أعانه الزمان وساعد، فتَوَجَّه إلى جدة قبل أنْ يصلوا إليها، ونزل عند الوزير يوسف قابل، وأخبره بالأمُور الذي[٥]

(١) سبق الإشارة إلى هذه الجردة.

(٢) عام ١١٨٦هـ/ ٣ أبريل ١٧٧٢ - ٢٣ مارس ١٧٧٣م.

(٣) ٢٤ رمضان ١١٨٦هـ/ ١٨ ديسمبر ١٧٧٢م.

(٤) شوال ١١٨٦هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٧٧٢ - ٢٢ يناير ١٧٧٣م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: التي.

عَوَّلوا عليها، فربط أمره على ما ربط، وحزم شغله وضبط.

فأصبح في اليوم الثاني السيد سليمان بن يحيى، وأراد لزم الوزير، فمنعه السيد سرور، وكان له مُجير[١]، فطال بينهما النزاع، وظهر الخبر في أهل البلد وشاع، فاتفق الأمر بينهما على أنْ يوصلاه إلى بين يدي صاحب الترجمة، والنظر إليه في أنْ يهينه أو يكرمه، فخرجوا جميعًا من البلد، وقد عزم على الفراق واعتمد، فلمَّا كانوا في أثنا[٢] الطريق مالا عنه شمالًا، والليالي مِن الزمان حَبَالى مُثْقَلات تَلِدْن كُلّ عَجِيْب، فما أصبح الصباح إلا على وادي مَرّ، فنزل به وطاب له المقرّ.

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالإِيَابِ الْمُسَافِرُ[٣]

فطنب به خيامه وقنب[٤]، وأرسل لعمّه كتاب النسب، فبعث إليه عمّه مراسيل بالصلح، وكفل له مَهْمَا أراد مِن النُّجْح؛ فلم يرضَ إلا بقتاله، وصَمَّم على برازه ونزاله، فلمَّا عَلِمَ عمّه مِنْه عدم الرضى اسْتَهون أمره، ولم يدرِ ما يجري به القضا[٥]، وقد قيل:

لاَ تَحْقِرَنَّ صَغِيْرًا فِي تَقَلُّبِهِ
إِنَّ الذُّبَابَة تُدْمِي مُقْلَةَ الأَسَدِ[٦]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مُجيرًا

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أثناء.

(٣) البيت لعمرو بن سفيان المشهور بمعقر البارقي، انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ٦/ ١٢.

(٤) أي شَدَّ خيامه وأحكمها.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

(٦) لم أقف على قائله، انظر: الحسن بن مسعود اليوسي، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، ج ١، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، الشركة الجديدة - دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١١١.

ثم إنَّ السيد سرور[1] أرسل فِئة مِن عُتَيْبَة، وأوعدها على موضع يقال له: السَّيل، وشَهَّل نفسه وسار مِن الوادي جنح ليل، فاجتمع عليه بعض الأشراف، ومعه جماعة مِن عبيد أبيه وغيرهم مِن الرجال الكُمَّل الأوصاف، فَعُرِضُوا عليه ثم تَوَجَّه بهم إلى العَابِديَّة، ولم يزيدوا على ثلاثمائة / ق٧١/ ، فوصل بهم إلى واد المنحنى، وخرج له عمّه بالخيل المعتقة وسمر القنا؛ فوقعت ملحمة بين الفِئتين، وأسفر الأمر عن انكسارة الشريف أحمد بعد قتال ساعتين، ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد، وانفرط عقد مُلْكه بعد أنْ كان منضد[2]، وزالت عنه الدنيا ووَلَّت، وهذه حالتها أينما حَلَّت، فنعوذ باللَّه تعالى مِن إقْبَالها وإدْبَارها، ومِن غَرُورِهَا وغَرَرِهَا[3].

[هزيمة الشريف أحمد وأخذه الذمة مِن الشريف سرور]

فطلب الشريف أحمد مِن ابن أخيه ذِمَّةً، على حسب القواعد التي بين السادة الكرام، وتَوَجَّه نحو نَعْمَان، ونزل على بئر الخيام، واتفق أنَّه عند انكسارة الشريف أحمد ونهب الخزانة، ثار مرود فيه بارود مِن الجبخانة[4]؛ فأهلك مَن دنى أجله واقترب، مِمَّا ينوف على الخمسين مِن العرب. فدخل[5] يوم السبت إلى مكة، ثالث عشر ذي القعدة في سنة ست وثمانين بعد الألف والماية[6]، مِن هجرة سيد المرسلين.

❑ ❑ ❑

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: منضدًا.

(٣) وردت في النسخة (ب) غرارها. ورقة، ٥٠.

(٤) **الجبخانة**: مكوَّنة مِن مقطعين: جبه تعني الدرع، وخانة تعني المكان، أيّ المكان الذي تودع فيه البارود والذخائر والأسلحة. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٦٥-٦٦؛ سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ص ٨١.

(٥) يقصد الشريف سرورًا.

(٦) ١٣ ذو القعدة ١١٨٦هـ/ ٤ فبراير ١٧٧٣م.

[عهد الشريف سرور بن مساعد]

[نسبه وولايته الشرافة]

هذه ترجمة مولانا الشريف سرور بن المرحوم الشريف مساعد بن الشريف سعيد بن الشريف سعد بن الشريف زيد ابن الشريف محسن بن الشريف حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبي نمي.

مَلِكٌ هِمَّته علية، ساد بها على سادات البرية، مجده مجدٌ راسخٌ، وحسبه هو الحسب الشامخ، أسدٌ رأيه أسدّ، وشهم للمَهَمَّات يُعتمد، بذل نفسه في اقتناص المعالي، والمعالي لم تنل إلا بالعوالي[1]، فهو دُرَّة تاج الملوك آل قتادة، وحَليف المجد والسيادة، أَخَذ في جميع أموره بالحزم، وسحب على الملوك ذيل النِّسيان بالعزم، فبه فخر السادة آل أبي نمي، والراوي حديث مجدهم حي[2] بعد حي، حاز مِن الجلادة ما لا يقوى عليه غيره ولا يقدر، حتى فتقت له ريح بعنبر، وغُرِست محبّته في أرض القلوب فأينع ثمر المودّة وأزهر، وجنى ثمر الوقايع[3] بالنصر مِن وَرَق الحديد الأخضر، طبعه مُولع بتأمين الرعايا، مُغرم بطلب المزايا، مضت له سنوات لم يعرف فيها غمض أجفانه، إلا على صهوة حِصانه، يَطُوف بأكناف البلاد مِن وقت العشا[4] إلى الصباح، ولم يَعُد إلى داره حتى ترشف الشمس ريق الفوادي مِن ثغور الأفاح.

ولم يزل على هذا المنوال، نسجه باللَّيال، حتى لم يلقَ بمكة شارب ولا

---

(١) **العوالي**: الرماح. **المعجم الوسيط**، ص ٦٢٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: حيًّا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوقائع.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: العشاء.

سارق، ولم يطرقها بغير الخير طارق / ق٧٢/ ، وما صادفه أحد ليلاً إلا ضربه بالسياط، حتى يقطع مِنْه النياط، ثم التفت لتأمين الطريق، وأذاق قطاعه كاس[١] الحريق، وعامل العُربان بالقتل والصِّبَاح، وأخلى الأرض مِنْهم والبطاح، حتى صار يرعى الذيب[٢] والغنم، ولم يخشَ أحد سطوة الزمان إذا لَمَّ، سار في الناس سيرةً حسنةً، وولي مكة وهو ابن ثمان عَشَرَة سنة[٣]، ولم يبقَ لأحد غيره قولٌ وهو في سنّه، وهي مِن عطا[٤] اللَّه تعالى ومنّه، فبايعه بعض الأشراف والبعض امتنع، مُصَمِّمين على أن لا يتم له الأمر الذي وقع.

إِذَا كَـانَ عَـوْنَ اللَّـه لـلـمَرْء مُسْعِفًا
تَـهَـيَّـأ لـه مِـن كُـلِّ شَـيء مُـرَادهُ
وَإِنْ لَـمْ يَـكُـن عَـوْنٌ مِـنْ اللَّـه للفَتى
فَـأَوَّل مَـا يَجْني عَـلَيْه اجْـتِـهَـادهُ[٥]

وأرَّخ عام ولايته بعض الفضلاء، فقال: سرورٌ ملأ كُلّ قلب سرورًا[٦].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذئب.

(٣) أيّ إنَّ ولادته في عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م. وقد ذكر المؤرخ اليمني لطف اللَّه جحاف: أنَّ بعض أهل مكة أخبره أنَّ ولادته في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م. لطف اللَّه بن أحمد جحاف، **دُرَر نُحُور الحُور العِين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين**، تحقيق: إبراهيم بن احمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٤١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: عطاء.

(٥) البيتان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: المحسن بن علي التنوخي، **الفرج بعد الشدّة**، ج ١، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٧٧؛ الحسين بن محمد الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج ١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٥٣٢.

(٦) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: سرور: س ٦٠ + ر ٢٠٠ + و ٦ + ر ٢٠٠= ٤٦٦. ملأ: م ٤٠ + ل ٣٠ + أ ١= ٧١. كل: ك ٢٠ + ل ٣٠= ٥٠. قلب: ق ١٠٠ + ل ٣٠ + ب ٢= ١٣٢. سرور: س ٦٠ + ر ٢٠٠ + و ٦ + ر ٢٠٠ + أ ١= ٤٦٧ الأجمالي ٤٦٦ + ٧١ + ٥٠ + ١٣٢ + ٤٦٧ = ١١٨٦.

وأرَّخ أيضًا ولايته مولانا السيد الشيخ الجُفْرِي[١] بقوله: خليفةُ اللَّه[٢].

[أوَّل حرابة مع عمّه الشريف أحمد][٣]

ثم إنَّ الشريف سرور[٤] لمَّا تَمَّ له عشرون يومًا مِن ولايته، أقْبَل عليه عمّه في غاية قوَّته ونهايته، فخرج لقتاله بِمَا لديه مِن خيلٍ وحَشَم، ووقع القتال بينهما على بركة السَّلَم[٥]، فانهزم الشريف أحمد، وتفَرَّق جيشه وتبَدَّد، فأخذ ذِمَّة عشرة أيام، ورجع إلى موضعه الأوَّل وأقام، وكانت هذه الوقعة في رابع ذي الحجة سنة ست وثمانين بعد الماية[٦] والألف[٧] مِن هجرة مَن له العزّ والشرف.

---

(١) **الشيخ جُفْرِي**: شيخ بن محمد بن شيخ بن حسن الجُفْرِي الحسيني الحضرمي، شاعر ومتصوف. ولد في قرية الحاوي - قرب تريم - في حضرموت عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، ونشأ بها، ثم تنقل إلى اليمن، ومكة المكرمة، والمدينة المنوَّرة، وبيت المقدس، ومِن مؤلفاته: ديوان شعر، والكوكب الدري في نسب السادة آل الجُفْري، وشرح منظومة التصوف بحضرموت، وقد استوطن آخر حياته بمدينة كليكوت في الهند، فكانت وفاته في ٨ ذي القعدة ١٢٢٢هـ/ ٦ يناير ١٨٠٨م. محمد بن يحيى زبارة الحسني الصنعاني، **نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر**، ج ٢، المطبعة السلفية، القاهرة، د.ط، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، ص ١٣؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١٨٢.

(٢) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: خليفة: خ ٦٠٠ + ل ٣٠ + ي ١٠ + ف ٨٠ + ت ٤٠٠ = ١١٢٠. اللَّه: أ ١ + ل ٣٠ + ل ٣٠ + هـ ٥= ٦٦. الأجمالي ١١٢٠ + ٦٦ = ١١٨٦.

(٣) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٥) **بِرْكَة السَّلم**: تقع بحرم مكة مِمَّا يلي عرفة ومِنَى، لا يُعْرف مَنْ أنشأها، وقد جدَّدها الأمير المعروف بآل ملك نائب السلطنة بمصر في عام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، فأجرى العين مِن مِنى إليها على يد ولده أحمد وابن أخيه فارس الدين. النجم عمر بن فهد المكي، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، ج ٣، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٧) ٤ ذو الحجة ١١٨٦هـ/ ٢٥ فبراير ١٧٧٣م.

[العسكر يمتنعون عن الحج مع الشريف سرور]

فلمَّا كان يوم ثامن الحجة[1] أراد الشريف سرور الصعود إلى عرفة، فامتنع جميع العسكر عن الصعود معه إنْ أنت وأنفه[2]، يزعُمون أنَّ لهم عند عمّه سبع جوامك، ويقولون له: إنْ سلمتها لنا مشينا في مرامك؛ فالتزم لهم بها على أنْ يعطيهم نصفها يوم مِنَى والنصف الآخر عندما ترجع الحجوج وتعود، وأعطاهم رهونًا مثمَّنة تقوم بالمقصود، فامتنعوا تعصبًا وعنادًا، وتجبرًا وإفسادًا، فتركهم وصعد بعبيده وعبيد أبيه، ونزر مِن عشيرته وذويه، ومعه ركب أهل المدينة[3]، وهو بينهم كالأسد الذي لا يُوصَل عرينه، ولا يخلو أنَّ مولانا الشريف أحمد، هو الذي ساس فيهم وأفسد[4]، فحجَّ بالناس مولانا الشريف سرور، وكانت حجة أمن وسرور / ق٧٣/ .

[إعادة تجارة البن بين جدة واليمن]

وفي اليوم الحادي عشر[5] وصل مِن اليمن السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر وواجهه الشريف سرور بمنى، وبارك له بالشرافة وهنَّى، وبشَّره أنَّ البن قد أطلقه إمام اليمن، وتفضَّل به الباري ومَنَّ؛ فأكرمه بِمَا بَشَّر، وأبقاه على المجاهي الذي بيده والمقرّ.

[أمير الحج الشامي يرفض عزل الشريف سرور]

فلمَّا قُضِيت المناسك، ونزلت الوفود مِن جميع المسالك، طلبت

(١) ٨ ذو الحجة ١١٨٦هـ/ أوَّل مارس ١٧٧٣م.
(٢) أيّ على رغم أنفه.
(٣) كتب على الهامش الأيسر في (ب) حاشية عن أهل المدينة جاء فيها. «وهم أنصار جده ﷺ ثم بعد ذلك غدر بهم. رحم اللَّه الجميع». ورقة ٥٣.
(٤) يقصد مؤرخنا هنا أنَّ الشريف أحمد أدى دورًا مهمًّا في تقليب العسكر على الشريف سرور، فرفضوا الصعود معه إلى عرفة إلاَّ بعد أنْ يحصلوا على الأموال.
(٥) ١١ ذو الحجة ١١٨٩ هـ/ ٤ مارس ١٧٧٣م.

السادة الأشراف مِن مصطفى باشا الزبانخجي[١] أمير الحاج الشامي - وهو وزيرٌ كفهُ بالمكارم هامٍ - أنْ يعزل لهم الشريف سرور[٢]، ويعيد عمّه كما كان، فامتنع وقال: ليس هذا ممكن[٣] إلاَّ بفرمانٍ مِن السلطان، ثم بعد سفره أرسلت العسكر وطلبت الشريف أحمد، فدخل متخفيًّا إلى البلد، وتوارى في بيته، ولم يشعر به أحد.

[ثاني حرابة للعسكر[٤]]

فلمَّا كان يوم الجمعة في خامس عشرين الحجة[٥] قبل الصلاة، والشريف سرور غافل ما علم بهذا الشيء ولا دراه، لم يفطن إلا والرصاص مِن بيوت العسكر ومِن أبي قُبَيْس[٦] ينصب كالمطر، فسأل عن ذلك فأخبروه بأنَّ عمّه وصل إلى داره، والعسكر قايمون[٧] معه لأخذ ثأره، فاستلحق مَن بقي عنده مِن القبائل الذي[٨] عرضوا عليه في أيام الثمان، وشَمَّر عن ساعد الجد للحرب العوان، ثم خرج عبد والده المُكَرَّم مثقال أغا إلى الزاهر،

---

(١) **مصطفى باشا**: دخل الشام في عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، وكان حاكمًا عادلًا ذا مال، وقد خرج بقافلة الحج في العام المذكور، ولم يستمر في الحكم سوى سنة واحدة، وعُزل في شهر رجب ١١٨٧هـ/ سبتمبر ١٧٧٣. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٤.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ممكنًا.

(٤) كُتِبَتْ على الهامش الأيمن للنسخة (ب) ورقة ٥٢.

(٥) ٢٥ ذو الحجة ١١٨٦هـ/ ١٨ مارس ١٧٧٣م.

(٦) **أبي قُبَيْس**: أشهر جبال مكة، ارتفاعه ٤٢٠ مترًا، يشرف على الكعبة المشرفة، وبينهما عدة أمتار، بل إنَّ الربوة التي بنيت عليها الكعبة تتصل بأصل جبل أبي قُبَيْس، وأصل الصفا الذي يبدأ السعي مِنْه يقع في أسفل جبل أبي قُبَيْس أيضًا، وهو في مقابلة ركن الحجر الأسود، وهو أحد أخشبي مكة وثانيهما جبل قُعَيْقِعَانِ (جبل هِنْدِي)، وقد قيل: إنَّه سُمّي أبا قُبَيْس، لأنَّ أوَّل مَن قام بالبناء فيه رجلٌ يقال له: أبو قُبَيْس، وقد كان هذا الجبل يسمى في الجاهلية الأمين، لأنَّ الحجر الأسود كان مستودعًا فيه عند الطُّوفان، حتى أخذه الخليل إبراهيم - عليه السلام - ووضعه في مكانه. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٢/ ٣٧٦-٣٨٠؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١١-١٢.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: قائمون.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

وطلب مِن إبراهيم بيه[١] أمير الحج المصري أنْ يمدّه بالعساكر، فأرسل معه جريدةً مِن الخيل والرجال، ورام أنْ يدهم الشعب على العسكر ضربًا بالنصال، فرَدَّها الرصاصُ ناكسةً في الحال، وليس للخيل في ميدان الرصاص مِن خلف الجدار مجالٌ، واستمر الحرب بقية اليوم والليلة، وما عرف أحد اعتداله ولا ميله.

وفي صبيحة يوم السبت دق [عند][٢] بابه زير الحرب، فاشتدّ القتال يومها وقوى الضرب، وعاد ثانيًا المُكَرَّمُ مثقالُ أغا إلى الصنجق، لرصاصٍ وبارودٍ طلبه مِنْه واستلحق، فأعطاه ست[٣] صناديق مِن الفشك[٤]، وجانبًا مِن رجال الفتك والمعترك، فاشْتَدَّ الوطيس في ذلك اليوم، وحملت القوم على القوم، وفَرَّق يومها الشريف أحمد شياء[٥] مِن الدراهم على العسكر، وهو نزرٌ قليل لا يذكر، وهم مجتهدون في الحرب عن شهوة في النفوس، لا عن رغبة في الفلوس، ومع كونهم باذلين الجهد، وهم كثيرون /ق٧٤/ في العدِّ، ما ظفروا بشيء بل كُسِروا، وهَمُّوا بإخراجه فما قدروا، وما أوقعهم في سعيهم غير بغيهم، والسبب في تَدْمِيرهم قبح تَدْبِيرهم، ولكل باغ مَصرع، ولا بُدَّ للظالم أنْ يُخدع.

---

(١) **إبراهيم بيك**: إبراهيم بيك الكبير المحمدي، مِن مماليك محمد بيك أبي الذهب، تقَلَّد الإمرة والإمارة في أيام علي بيك الكبير عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م، وكان أميرًا للحج عام ١١٨٦هـ/ ١١٧٣م، وولي الدفتردارية عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وتقَلَّد مشيخة البلد عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، وكان حاكمًا على الصعيد حين قدمت الحملة الفرنسية عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وتصَدَّى لقواتها في موقعة إمبابة لكنه هُزِم، وفَرَّ إلى الشام، ودخل الفرنسيون بعدها القاهرة، وقد نفاه محمد علي باشا إلى دنقلة بالسودان، وظَلَّ فيها حتى وفاته عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م، ونقلت جثته إلى القاهرة، بأمر مِن زوجة محمد علي، ودُفِنَت بمدفنه الذي بناه بالقرافة. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٤/ ٤٠٨-٤١٠؛ محمد عارف باشا، **عبر البشر في القرن الثالث عشر**، ج١، د.ن، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ١٨-١٩.

(٢) ساقطة في الأصل والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ٥١.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ستة.

(٤) **الفشك**: الذخيرة.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

فأخذ الشريف أحمد مِن ابن أخيه ذِمَّة وخرج، وبات ليلة بالمَعَابِدَة ونهج، وأمَّا العسكر فأمر بإخراجهم مِن البلد، وأنْ لا يبيت بها مِنْهم أحد، خِلاف أهل اليمن، فإنهم كَفُّوا أيديَهم عن القتال، وعَلِمُوا أنَّ البغي زوال، فخرجت العسكر مُنَكِّسِين[1] الأعلام، مُشَتَّتين بين يَمَن وشام، فزلت عليهم تلك الصاولة، ونصر اللَّه تعالى الشريف عليهم حيث لم يسمعوا قوله، وما أراهم إلاَّ كالباحث عن حتفه، والقاطع وريده بكفه.

وفي هذا العام[2] حصلت كثرة الأمطار في البلاد، والغلا[3] تارة يرتفع وترخص الأسعار وتارة يزداد.

❐ ❐ ❐

(١) كذا في الأصل، والصواب: مُنكسي.
(٢) عام ١١٨٦هـ/ ٣ أبريل ١٧٧٢ - ٢٣ مارس ١٧٧٣م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

[أحداث سنة ١١٨٧]

[عزل الوزير يوسف قابل وحبسه] (١)

وفي محرم الحرام عام سبع وثمانين(٢)، أُلْبس الوزارة يوسف قابل وتحَلَّى بعقدها الثمين، فمكث بها أربعة أشهر، وهو في ثوب التيه يعثر، فطلبه ببعض دراهم وامتنع، فجرده عن ثوب الوزارة وخلع، وأرسل إلى جدة ريحان أغا(٣) عبد أبيه، وهو خزنداره(٤)، وأمره بقبضه في السجن وحبسه [في](٥) داره، فمكث في بيته أربعة أشهر، وهو مِن نار الوزراة يزفر، فَسَفَّرَه إلى يمبع وحبسه بها إلى شهر رمضان مِن عام إحدى وتسعين(٦)، ثم أُعِيد إلى جدة وحبس بها إلى أنْ فارق الدنيا وجاور رب

(١) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥١.

(٢) شهر محرم ١١٨٧هـ/ ٢٤ مارس - ٢٢ أبريل ١٧٧٣م.

(٣) **ريحان أغا**: ريحان الفروجي، كان وزيرًا للشريف في جدة، وقد أدى دورًا مهمًّا في تعمير جدة وفي تاريخ الأشراف، مات في شهر رمضان ١٢٠٠هـ/ يوليو ١٧٨٦م. وسيأتي ذكره في مواضع متعددة في خضم الأحداث.

(٤) **خزنداره**: لفظ مركب من كلمتين: خزن العربية، ودار الفارسية، ومعناه: المسئول عن الخزينة. وتطوّر مدلوله في العصر المملوكي ليصبح ثلاثة خزندارية: الأوَّل الخزندار الكبير، وهو من مقدمي الألف، وكان مسئولاً عن محتويات خزانة السلطان كالأقمشة والحرير والسروج المذهبة. والثاني خزندار العين، وهو وحده المسموح له بالدخول على الحريم، إضافة إلى مسئوليته عن الخزينة ونقودها. والثالث خزندار الكيس وهو الذي يقوم بتوزيع الصدقات على الفقراء والمستحقّين. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٥٦. ويتضح مِن ذلك أنَّ ريحان أغا كان خزندارًا مِن النوع الأوَّل؛ أيّ قائدًا عسكريًّا، بالإضافة إلى عمله في حفظ الخزينة.

(٥) أضيفت حتى يستقيم النص.

(٦) شهر رمضان ١١٩١هـ/ أكتوبر ١٧٧٧م.

العالمين، وذلك في عام اثنين وتسعين لثمان بقين من ربيع الثاني[١] عن يقين.

[وفاة المفتي علي عبد القادر الصديقي][٢]

وفي شهر صفر عام ثلاث وتسعين[٣] توفي المفتي علي بن عبد القادر الصديقي الحنفي مفتي مكة، وكان خليفة النعمان، وزهرة في وجنة الزمان، له في منصب الإفتا[٤] ما يزيد على أربعين سَنَة، مضت كأنَّها في مقلة الدهر سِنَة[٥]، فألبس ابن أخيه المفتي عبد القادر[٦] ابن المفتي يحيى ابن المفتي عبد القادر منصب الإفتا[٧]، وكان إمامًا عالِمًا، في كُلّ العلوم فَتَى.

[ثالث حرابة مع عمّه الشريف أحمد][٨]

وفي هذا العام[٩] خرج غالب الأشراف مُفَارقين، وتفَرَّقوا في

---

(١) ٢٢ ربيع الثاني ١١٩٢هـ/ ١٩ مايو ١٧٧٨م.

(٢) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥١.

(٣) يبدو أنه وقع خطأ في نسخ هذا السنة، والصحيح أنهَّا سنة سبع وثمانين، والتي شهدت وفاة المفتى علي بن عبد القادر، كما يشهد بذلك سير الأحداث السابقة واللاحقة، والتي تثبت بأنها جزء من أحداث عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٢٩٩؛ زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٠٩.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الإفتاء.

(٥) سِنَة: أيّ لحظة.

(٦) **المفتي عبد القادر**: عبد القادر بن يحيى بن عبد القادر بن أبي بكر بن عبد القادر الصديقي البكري الحنفي المكي. ولد في مكة المكرمة عام ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م، وولي إفتاء الحنفية بعد وفاة عمّه علي بن عبد القادر عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وهو سبط الشيخ حسن عجيمي، وقد جمع له تآليف عديدة مِن الهوامش التي كان يكتبها بخطه ويعلقها على الكتب، فجمعها له، ومِنْها «حاشية على الأشباه والنظائر»، و«حاشية على الدرر»، و«تاريخ الطائف». توفي في مكة المكرمة عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٣٠٢؛ عبد اللّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: الإفتاء.

(٨) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥٣.

(٩) أي عام ١١٨٧هـ/ ٢٤ مارس ١٧٧٣ - ١٢ مارس ١٧٧٤م.

كُلّ الجِهات، ومنعوا السُّبل وقطعوا الطرقات. وفي سابع عشر ربيع الأول[١] أقبل على مكة الشريف أحمد، فجمع له صاحب الترجمة واستعد، وحصل بينهما القتال، وانتثر الدَّم وسال؛ فحصلت هزيمة في جيش الشريف سرور، وطلب ذمَّة على قانونهم المشهور / ق ٧٥/ ثم حمل الشريف سرور بنفسه حملة وأيّ حملة، واقتفاه السيد أحمد بن عبد الكريم بقوم وأنكر أخذ الأجلة؛ فانهزم الشريف أحمد، وانفرط عقد قومه وتبَدَّد، فأخذ ذِمَّة عَشَرَة أيام، وتَوَجَّه إلى الْمَعْدِن[٢] وبه أقام، ثم تَوَجَّه مِن غير تَوَان[٣]، ومَلَكَ الطايف[٤] بغير قتال في ربيع الثاني[٥]، فجاءهُ العسكر الذي بالطايف[٦] وخدموه، وأرسل للقبايل[٧] فأجابوه.

[رابع حرابة مع عمّه الشريف أحمد][٨]

ولمَّا طالت عليه الغربة وتوالت السنون، تزوج في الطايف[٩] على بنت الشيخ محمد شيخون، ثم قصد مكة بعبيده ومَن معه مِن العسكر، فخرج له الشريف سرور وشَمَّر، فحصلت بينهما ملحمة بالمَعَابِدَة، عاد مِنْها سرور مسرورًا بالفائدة، ووَلَّى الشريف أحمد هاربًا إلى خُلَيْص، وما ظفر بشيء ولا استفاد، وذلك في عشرين جماد، وقتل في هذه الواقعة

---

(١) ١٧ ربيع الأول ١١٨٧هـ/ ٧ يونيو ١٧٧٣م.

(٢) **الْمَعْدِن**: قرية تقع جنوبي الطائف بحوالي ٣٠ كيلًا عند جبل الأخضر، وتعرف - أيضًا - مَعْدِن البُرْم، وقد عُرِفَت بهذا الاسم لوجود آثار حفر للتنقيب عن المعادن، وتتوافر فيها ماء الآبار، كما أنها تشتهر بالنخل والزرع. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٦، ١٦١٨-١٨١٩.

(٣) أي دون تقصير أو تأخير.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) شهر ربيع الآخر ١١٨٧هـ/ ٢١ يونيو - ١٩ يوليو ١٧٧٣م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الذين بالطائف.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: للقبائل.

(٨) كتبت على الهامش الأيمن النسخة (ب)، ورقة ٥٣.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

نحو العشرين، وهذا بتقدير رب العالمين.

[خامس حرابة مع عمّه الشريف أحمد][(١)]

ثم في شهر شعبان[(٢)] وصل السيد عبد اللَّه الفِعْر إلى الطايف[(٣)]، وتمَّ الأمر بينه وبين السيد سليمان بن يحيى أنْ يعطيه شياء[(٤)] مِن الدراهم يجمع بها عُربان[(٥)] ويدعي بطلب مكة، فبلغ الشريف أحمد وهو في خُلَيْص فتَوَجَّه للطايف[(٦)]، ومع قدرة اللَّه تعالى امتنع السيد عبد اللَّه الفِعْر عن إخراج الدراهم، فلمَّا وصل الشريف أحمد إلى نَعْمَان، خرج الشريف سرور وقصده في ذلك المكان، فهرب إلى موضع لهُذَيْل يقال له: ضَجَّة[(٧)]، فلحقه وأثار البارود وعجّة[(٨)]، فهرب إلى جبال شامخة راى[(٩)] فيها حصانته، فأخذ عليه جانبًا مِن خزانته، وذلك في رمضان[(١٠)].

[سادس حرابة مع عمّه الشريف أحمد]

ثم تَوَجَّه الشريف أحمد على الهَدَا[(١١)]، وجمع عُربانًا مِنه قد ضَلُّوا عن سبيل

---

(١) كتبت على الهامش الأيسر النسخة (ب)، ورقة ٥٣.

(٢) شهر شعبان ١١٨٧هـ/ ١٧ أكتوبر - ١٤ نوفمبر ١٧٧٣م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: عُربانًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: للطائف.

(٧) ضَجَّة: شِعْب يسيل على (عِلي) مِن الشرق في وداي رَهْجَان ثم إلى نَعْمَان، أهله بنو إياس، وبطون أخرى صغيرة مِن هُذَيْل مثل: بني كعب، وبني زياد. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٠٣٠.

(٨) **عجّة**: صوت، يقال: سمعت عجّة القوم وعجيجهم، أي أصواتهم. ابن منظور، **لسان العرب**، ٢/ ٣١٨.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: رأى.

(١٠) شهر رمضان ١١٨٧هـ/ ١٥ نوفمبر - ١٤ ديسمبر ١٧٧٣م.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: الهَدَأْة، وهي فرعة واسعة على ظهرالسراة بين مكة والطائف، ذات مزارع كثيرة، وسُكَّانها ثقيف وقُرَيْش. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٨٢٤.

الهُدَى، وأخذ الطايف[١] بغير قتال، وأخذ مِن أهله جملة مِن الأموال، وتَوَجَّه قاصدًا مكة بالبادية والعسكر، وقد سبق في علم اللَّه تعالى أنْ لا ينال مكة، وجَرَى بهذه القضاء والقدر، فخرج لقتاله صاحب الترجمة، وخيول عزمه بالظفر ملجمة، فصار بينهم قتال دون ساعتين زمانية، أسفر الأمر عن انكسارة الشريف أحمد، وطرد خلفه ابن اخيه مِن المَعَابِدَة إلى الحُسَيْنِيَّة، وذلك في سابع شوال[٢]، فأدركه ثمة وسلب عبيده وخيله، وسلب عساكره وتركه عيْلة، فمكث بها ستة أيام وأراد التَّوَجُّه نحو اليمن، وعزم على ذلك وظعن، فبلغ ذلك الشريف سرور[٣]، فبادره وأخذ جميع عبيده، وما أبقى له شي[٤]، وعاد مكة مسرور[٥] / ق٧٦/ .

فتَوَجَّه الشريف أحمد إلى وادي مَرّ، ثم إلى خُلَيْص، ثم إلى مدينة سيد البشر، فمكث بها ليالٍ وأيام[٦]، إلى أنْ وصل بالحج والي الشام[٧]، فأرسل يطلب مواجهته، فامتنع وهدد مرسوله وقمع، فمكث بها إلى شهر محرم[٨]

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٢) ٧ شوال ١١٨٧هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٧٧٣م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: مسرورًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.
(٧) **والي الشام**: كان والي الشام وأمير قافلة الحج الشامي في هذا العام محمد باشا العظم (١١٨٧-١١٩٧هـ/ ١٧٧٣-١٧٨٣م)، الذي يُعَدُّ أحد أشهر حكام أسرة آل العظم التي حكمت الشام، وجده لأمه إسماعيل باشا العظم. ولد في دمشق في ١٠ شوال ١١٤٣هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٧٧٣م، وقد تقَلَّب في حكم العديد مِن المناطق بالدولة، ثم ولي حكم الشام عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وقد فرح الناس بارتقائه الولاية، واستمر حكمه حوالي أحد عشر عامًا، ولم يشهد أيّ معارضة تذكر، وتَمَتَّعت البلاد بازدهار اقتصادي، وكان موفقًا إلى أبعد الحدود، حتى قال عنه المرادي: إنَّه أفضل حكام دمشق في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وقد توفي ١٣ جمادى الأولى ١١٩٧هـ/ ١٥ إبريل ١٧٨٣م. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٤/ ٩٧-١٠٢؛ عمر عبد العزيز عمر، **المشرق العربي**، ص ١٦٢، ١٨٢-١٨٣؛ عبد الغني عماد، **السلطة في بلاد الشام**، ٨٦-٨٧.
(٨) أي إنَّه ظلّ حتى بدء السنة التالية، شهر محرم ١١٨٨هـ/ ١٣ مارس - ١١ أبريل ١٧٧٤م.

الحرام، ثم إلى تَوَجَّه إلى خُلَيْص وأقام.

[سيول مكة المكرمة سنة ١١٨٧]

وفي يوم الجمعة ثاني شوال[١] جات[٢] أمطار عظيمة بمكة ونواحيها، وسال السيل حتى دخل البيت الشريف، فَنُودِي على الناس لتنظيف المسجد، فجات[٣] بمساحيها[٤] وشالت الناس ما رماه السيل مِن الطين والتراب، حتى صار كالجبل مُلْقَى على كُلّ باب، فما مضى نصف شهر أو أقلّ حتى جاء سيل أعظم مِن الأوَّل، ودخل الكعبة وأعاد التراب في المسجد الحرام، واستدعى الناس نفير عام[٥]، فنظفوا المسجد للمسلمين، وقد ثبت أنَّ إخراج الوسخ مِن المساجد مهر لحور العين[٦].

❑ ❑ ❑

---

(١) ٢ شوال ١١٨٧هـ/ ١٦ ديسمبر ١٧٧٣م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءت.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فجاءت.

(٤) **مساحيها**: جمع مسحاة، وهي مجرفة من حديد. **المعجم الوسيط**، ص ٤٢١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: نفيرًا عامًّا.

(٦) لم أقف عليه في المصادر المتاحة.

[أحداث سنة ١١٨٨]

وفي ثاني يوم من محرم[١] الحرام جاء سيل عظيم، ووصل إلى رديف باب البيت الشريف، وأخرب بعض الدُّور، وأسْكن ثلاثة مِن سُكانها القبور، وذلك سنة ثمان وثمانين بعد المائة والألف[٢] مِن هجرة سيد المرسلين، وبسبب كثرة السيول والأمطار، حصل ارتخاء الأسعار، ووَردت سَواع مِن اليمن وسَواعي البصرة، وكل شيء نزل عن ثمنه، ورخَّص اللَّه تعالى سعره.

[الشريف سرور في مدينة جدة]

وفي اليوم السابع والعشرين مِن ربيع الأول[٣]، نزل صاحب الترجمة إلى جدة، ومكث بها أكثر مُدَّة، فهادته التجار بالهدايا، وهو حري أنْ يقابلهم بالمزايا، وبعد عوده سار في الناس سيرة مرضية وسلك فيهم طريقة هاشميَّة، فرفع كُلّ مكروه فاحش، وأزال ما أمكنه مِن المُنكرات والفواحشِ، فأثَّر فعله في القلوب، وسمحوا عن الزمان بِمَا جناه من الذنوب، فاجتمعوا الأشراف وطلبوا مِنْه المعاش، وقالوا: لا بُدَّ مِن تسليم ما هو لنا، فقال: إنْ قبلتم على دفتر الشريف مسعود، يتم بيني وبينكم المقصود؛ فقبلوا مِنْه ذلك الصنع، وهو بالنسبة إلى ما كان يعطيهم قدر الربع.

---

(١) ٢ محرم ١١٨٨هـ/ ١٤ مارس ١٧٧٤م.
(٢) ١١٨٨هـ/ ١٣ مارس ١٧٧٤ - ٢ مارس ١٧٧٥م.
(٣) ٢٧ ربيع الأول ١١٨٨هـ/ ٦ يونيو ١٧٧٤م.

[السيد عبد اللَّه الفعر يطلب العفو والشريف سرور يرفضه]

وفي ذي القعدة[١] ورد الخبر بأنَّ السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر خرج مِن لِيَّة، وقصده المنهج إلى مُلاقاة أمير الحج، فوصل إلى عُسْفان[٢] وخَيَّم، وأراد مُلاقاة محمد باشا بن العظم، فامتنع الباشا عن مُلاقاته، فواجه صنجق المصري وطاح في حماته، فأوعده يوم عرفة / ق٧٧/ يأتيه لكي يسعى بالصلح في مراضيه، ولمَّا أتاه في يوم الوقوف، ركب الصنجق واترجا[٣] لا يعود بغير قبول [الصلح][٤] مصروف؛ فأبى الشريف، وقال: قلبي لم يزل يبغضه، وإنْ لم يرتحل الآن لأركبن عليه وأقبضه، فارتحل قبل تمام المناسك، ولم يزل يخبط مِن طريق سالك وغير سالك، حتى وصل إلى لِيَّة وأقام بها أيامًا وليالي، فلمَّا بلغ الشريف أحمد ما صار على السيد عبد اللَّه الفِعْر، رحل مِن خُلَيْص واستقر بالْمَعْدِن، وهو غير مستقر.

❑ ❑ ❑

---

(١) شهر ذي القعدة ١١٨٨هـ/ يناير ١٧٧٥م.

(٢) **عُسْفَان**: بلدة عامرة تقع شمالي مكة على بعد ثمانين كيلًا على المَحجَّة إلى المدينة. وسُمِّيت عُسْفان لتعسف السيل فيها، وهي عقدة مواصلات مهمة، حيث تخرج مِنْها ثلاث طرق: الأولى إلى المدينة المنوَّرة تأخذ ثنية غَزَال إلى خُلَيْص، والثانية إلى مكة المكرمة على الصُّغْو فضَجْنان، والثالثة إلى جدة تخرج جنوبًا غربيًا، وفيها آبار عذبة مجصصة ومرقبة، مِنْها بئر التَّفْلة، ويسكنها بِشْر مِن بني عمرو مِن حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١١٥١-١١٥٣.

(٣) أيّ رجائه لا يعود إلا بانقضاء الصلح بينهما.

(٤) ساقطة مِن الأصل، والإضافة من النسخة (ب)، ورقة ٥٤.

[أحداث سنة ١١٨٩]

[سابع حرابة مع عمّه الشريف أحمد]

وفي أواخر جمادى الآخرة [١] جمع صاحب الترجمة بعض قبائل هُذَيْل ومَن معه مِن المراجل وتَوَجَّه إلى الطايف[٢] بقصد إخراج الفِعْر، ويقاتله إنْ لم يرتحل من تلك المنازل، واستصحب معه آلة الحرب، وما يحتاج إليه ليقاتل به ويمانع، ومِن جملة ما استعده لذلك الدروع والمدافع، فوصل إلى الطايف[٣] في غاية جماد[٤]، وهو في كمال الاستعداد، ونزل بعُرضيه في خارج البلاد، ثم أرسل للقبايل[٥]، فلفت عليه كالنهر السايل[٦].

وأمَّا السيد عبد اللَّه فقد أدخل عبيده وأرحامه في حِصْنه الحَصِين، وتمكَّن به غاية التَّمْكين، فعند ذلك دخل جماعة مِن الأشراف بالصلح بين الطرفين؛ فوقع الصلح وانطوت شقة البَيْن.

وَيُمْكِنُ وَصْلُ الحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
ولَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ أَثَرُ الرُّبْطْ[٧]

وما أظنّ الحال بينهما يستقيم، ولا هذا الصلح بمُسْتَديم، كيف لا وقد

---

(١) جمادى الآخرة ١١٨٩هـ/ ٢٩ يونيو - ٢٦ أغسطس ١٧٧٥م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) غاية جمادى الآخرة ١١٨٩هـ/ ٢٦ أغسطس ١٧٧٥م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: للقبائل.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: السائل.

(٧) البيت لا يعرف قائله، انظر: لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب في حدائق العرب**، ٣/ ٦٧؛ أحمد الهاشمي، **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، ص ٧٥.

تنافرت القلوب، وكان ترتيب الأمر على غير أسلوب.

إِنَّ القُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وُدُّهَا

شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لا يُجْبَرُ[١]

ثم عاد الشريف إلى مكة في نصف رجب[٢] بِمَن معه مِن الأشراف والعرب.

[غزوة على الضبان مِن قبيلة هُذَيْل]

وفي شهر شعبان[٣] غزا قبيلة مِن هُذَيْل يقال لها: الضبان[٤]، وهذه ثالث غزوة يغزوهم، وأخذ في هذه مواشيهم واستأصل أغنامهم، وخفر دماءهم حتى صاروا له كالعبيد، يغزو بهم أينما يريد.

[ثامن حرابة مع عمّه الشريف أحمد]

وفي شهر رمضان[٥] بلغ الشريف سرور[٦] أنَّ الشريف أحمد والسيد عبد اللّه الفِعْر جمعوا القبايل[٧]، وأقبل كُلّ مِنْهما على الطايف[٨] صايل[٩]، فاستعد لقتالهم وكيل البلد، وجمع لهم جند[١٠] مجندة / ق٧٨/ فَوَلّوا هاربين، ونكصوا على أعْقابهم مُدْبِرين.

---

(١) البيت من قصيدة تعرف بالزينبية لصالح عبد القدوس وقيل لعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، انظر: لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب**، ٤/ ٩١؛ أحمد الهاشمي، **السحر الحلال في الحكم والأمثال**، ص ٦٨.

(٢) ١٥ رجب ١١٨٩هـ/ ١٠ سبتمبر ١٧٧٥م.

(٣) شهر شعبان ١١٨٩هـ/ ٢٦ سبتمبر - ٢٤ أكتوبر ١٧٧٥م.

(٤) **الضبان**: فرع مِن دعد، مِن جميل مِن قبيلة هُذَيْل. محمد سليمان الطيب، **موسوعة القبائل**، ٥/ ٤٤١.

(٥) شهر رمضان ١١٨٩هـ/ ٢٥ أكتوبر - ٢٣ نوفمبر ١٧٧٥م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: صائلًا.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: جندًا.

فلمَّا كان اليوم الثالث عشر مِن شهر شوال[١]، هجم على الطايف[٢] وقت الفجر، وتَمَلَّك على وكيل البلد بالغدر، ومعه السيد عبد اللَّه بن أحمد الفِعْر، والسيد عبد اللَّه بن مسعود وجانب مِن العبيد والجرود، فنزل الوكيل مِن المُثنى، وحصل بينه وبينهم قتال طويل أتعبه وعنا، ووجد عشرون مِن بني سعد - مِن قوم الشريف أحمد - مرودًا في بيت الوكيل ملآنًا مِن البارود، فأرادوا قسمته، فثارت فيه نار مزّقتهم كُلّ ممزّق، وأسْكَنتهم اللُّحُود، فصال الوكيل على الشريف أحمد، وحمل عليه بالقوم، فولى هاربًا مِن البلد، واستقرّ بعدها في الْمَعْدِن. والسيد عبد اللَّه الفِعْر ذهب إلى وادي لِيَّة بحالٍ موهن، فمكث برهة ثم تَوَجَّه بكبد دام، وطرف هام، إلى وادي خُلَيْص ينتظر الحاج الشامي، فزلف عنه الحج وما أمْكَن، فارتفع إلى طرف الحَرَّة وقطن.

❑ ❑ ❑

---

(١) ١٣ شوال ١١٨٩هـ/ ٦ ديسمبر ١٧٧٥م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

[أحداث سنة ١١٩٠]

[القبض على السيد عبد اللَّه الفِعْر وسجنه في القُنْفُدَة]

فلمَّا بلغ صاحب الترجمة، أعمل له حِيلة مُحْكَمَة، وأرسل سرية مِن الركاب والخيل الصافنات، ووَكَّل عليها السيد ناصر بن مستور[١] مِن آل بركات، وأمره بقبضه أينما حَلَّ، وأنْ لا يراعي القانون ولا يختَلّ، فأدركته الخيل وقبضوه في طرف الحَرَّة، واستغرّ على قياسه في عرفهم فغرَّه، ومعه السيد بركات بن جود اللَّه[٢]، فسفَّر الجميع إلى جزيرة القُنْفُدَة، وكسر القانون وسنّ لصرم حباله المُده[٣]، ثم أمر بإطلاق السيد بركات، فوصل مكة وصاحبه مسجون في تلك الجهات.

---

(١) **ناصر بن مستور**: ناصر بن مستور بن رضا بن يعلى بن حمزة بن موسى البركاتي النموي، أحد القادة العسكريين للأشراف، وقد أمره الشريف سرور بالقبض على السيد عبد اللَّه الفِعْر عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، وكذلك وكَلَّه في محاربة عمّه الشريف أحمد عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م، وأرسله أيضًا لمساعدة الحامية العسكرية التي تركها في المدينة المنوَّرة عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وبعد رحيله ثار الأهالي بمساعدة حرب وطردوا هذه الحامية، ولم تفلح السرية في الأمر الذي وكلت به - كما سيأتي ذكره - وعادت تجر أذيال الهزيمة، وقد فُوِّضَ السيد ناصر من قِبل الشريف غالب بن مساعد عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م للصلح بينه وبين إخوته، وقد نجح في ذلك، وأرسله عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م للقضاء على بعض الفتن التي وقعت في المدينة المنوَّرة. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢١١، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٦٣؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٣/ ٢٢٥.

(٢) **السيد بركات بن جود اللَّه**: بركات بن جود اللَّه بن مسعود بن جود اللَّه بن حسن النموي، انضم إلى السيد عبد اللَّه الفِعْر في محاربته الشريف سرور في عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، وقد قبض عليه السيد ناصر بن مستور، وقام بحبسه في سجن القُنْفُدَة، حتى جاء الأمر مِن الشريف سرور بإطلاق سراحه، فعاد إلى مكة المكرمة، وقد توفي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢١١؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ١/ ١٣٦، ١٤٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المُدَى. ومفردها المُدْيَةُ: أي الشَّفْرَةُ الكبيرة، أو السِّكِّين. **المعجم الوسيط**، ص ٤٤٠.

[السيد عبد اللَّه الفِعْر يهرب إلى اليمن]

فلمَّا مَضَى له في السجن قدر نصف عام[١]، وإنسان عينه غرق في بحر الدموع وعام، أرسل يطلبه صاحب الترجمة، ولم يعلم بنتيجة هذه المقدمة، فلمَّا كان في أثناء الطريق أرسل الأمير فرحان سفينته وعسكره، وأخذوه مِن السفينة، وقالوا له: قد نجوت مِن القوم المهينة، فوصل إلى اللُّحَيَّة، وأكرمه الأمير فرحان، وطاب حاله وزان.

[الشريف يراسل إمام اليمن ليسلّمه السيد عبد اللَّه الفِعْر]

فلمَّا بلغ الشريف سرور[٢] هذا الخبر أزعجه وكدّر، ولم يطب له مقرّ حتى أرسل لإمام اليمن[٣]، وأخبره أنَّ هذا يورث بيننا حِقدًا وضَغِن[٤]، فأرسل الإمام كتابًا للأمير، وحذّره عن إبقائه غاية التحذير، وأمره أنْ يُرْسِلَه لصاحب مكة، / ق٧٩/ وهو مُخَيَّر إنْ شاء سجنه، وإنْ شاء فَكَّه، وعَرَّف الشريف أنْ يرسل مَن يقبضه مِن الأمير، فأرسل عبد أبيه الوزير بشير، وأخذه مِنْه وسجنه في القُنْفُذَة، حتى مضى عليه حَوْل، ولم يجد له قوة في خلاص نفسه ولا حول[٥]، ثم نقل إلى سجن يمبع، فسجن به مُضَيِّقًا عليه، ومكث عامًا مسجونًا لديه.

---

(١) أي إنَّه ظل تقريبًا حتى منتصف عام ١١٩٠هـ/ ٢٠ فبراير ١٧٧٦ - ٧ فبراير ١٧٧٧م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٣) **المنصور باللَّه علي بن العباس** (١١٨٩-١٢٢٤هـ / ١٧٧٥-١٨٠٩م): كان إمام اليمن حينئذ، ولد بصنعاء عام ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م، وتولى إمامة اليمن بعد وفاة والده المهدي ١٩ رجب ١١٨٩هـ/ ٧ سبتمبر ١٧٧٥م. توفي في صنعاء في ١٥ رمضان عام ١٢٢٤هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٨٠٩م، ودُفِنَ في بستان المتوكل. وللمؤرخ اليمني لطف اللَّه جحاف كتاب في سيرته سمَّاه: "درر نحو الحور العين لسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين". محمد بن زبارة الصنعاني، **نيل الوطر**، ٢/ ١٤٠-١٤٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٤/ ٢٩٨؛ حسين العمري، **مِن تاريخ اليمن**، ص ٦٠-١٦٧.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ضَغِنًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: حولًا.

[غزوة على بعض قبائل هُذَيْل]

وفي العام المذكور[١] أرسل صاحب الترجمة سرية مِن الركب والخيل، وصبّح بعض قبائل هُذَيل، وفي يَوْم التَّرْوِيَة[٢] وقعت الواقعة بين حجاج المغاربة وبين العرب؛ فقتلوا أربعة مِن المغاربة، ولم يعلم لهم السبب.

[الشريف سرور يزور مسجد ابن عباس في الطائف]

وفي عاشر رجب[٣] تَوَجَّه لزيارة سيدنا العفيف، ووضع شباكًا مِن الفِضة تجاه قبره الشريف، وأقام ثمانية أيام، ثم غزا على الشَّيَابِيْن[٤]، ولم يزل يغزوهم حتى أتوه صاغرين، فسمح عنهم وقَرَّبهم وأدناهم، وسببه أَنَّهم كانوا ينهبون القوافل، ويسرقون الحجاج، ويسلكون طريق الليل والاعوجاج.

[سيول على قرية حَدَّة وتضرر الحجاج]

وفي رابع ذي الحجة[٥] سال بقرية حَدَّة[٦] سيل عظيم، ووصل إلى السوق وجرَّ أموالاً عظيمة مِن الحيشان، ثم وردت الحجوج في موسم، والناس في كرب عظيم مِن قطع الطرق، وغلو الأسعار، ولم يقرّ للواقفين ولا القاطنين بها قرار.

---

(١) ١١٩٠هـ/ ٢٠ فبراير ١٧٧٦ - ٧ فبراير ١٧٧٧م.

(٢) يوم التَّرْوِيَة: هو اليوم الثامن مِن ذي الحجة، وهو اليوم الذي يذهب فيه الحجاج إلى منى للمبيت فيها استعداداً لصعود جبل عرفة. ويوافق في هذا العام ٨ ذو الحجة ١١٩٠هـ/ ١٧ يناير ١٧٧٧م.

(٣) ١٠ رجب ١١٩٠هـ/ ٢٤ أغسطس ١٧٧٦م.

(٤) الشَّيَابِيْن: فخذ مِن عيال منصور مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، يقطن الرُّكْبَة التي تقع إلى الشمال الشرقي مِن الطائف، ولهم في نجد العديد من الهجر ومنها حلبان، والروضة، والخاصرة، ووادي رغوان، والحمة. عمر رضا كحالة، **قبائل العرب**، ٢/ ٦٢١؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢٠-٢١.

(٥) ٤ ذو الحجة ١١٩٠هـ/ ١٣ يناير ١٧٧٧م.

(٦) حَدَّة: بلدة صغيرة على الطريق بين جدة ومكة، بها حصن ومسجد، وعين ماء. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٧؛ عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ٨١-٨٢.

[أحداث سنة ١١٩١]

[تاسع وعاشر حرابة مع عمّه الشريف أحمد]

وفي أوايل[1] ألف وماية[2] وإحدى وتسعين[3]، انتقل الشريف أحمد إلى جبال هُذَيْل، فاجتمعوا عليه فنزل بهم إلى نَعْمَان، فأرسل إليه صاحب الترجمة سرية أمَّر عليها السيد مبارك بن عجلان، فلمَّا أَحَسَّ بها وَلَّى هاربًا على الجبال منهزمًا، فتبعه الوكيل عازمًا على لزمه مُصَمِّمًا، فوقع القتال بين هُذَيْل والرتبة، ووثبت عليها هُذَيْل أيّ وثبة، فانهزمت الرتبة، ولم يرجعوا عنها، حتى قتلوا ثلاثة وأصابوا خمسة مِنْها، ومكث الشريف أحمد لديهم مُدَّة مِن الزمان، ثم نزل بهم ثانيًا إلى نَعْمَان، فلمَّا بلغ ذلك الشريف سرور[4]، ركب بنفسه إلى العَابِدِيَّة، وجمع مِن القبايل[5] والأشراف أهل النجدة والحمية، وأقام بها ليال وأيام[6]، ولم يتقد لنار الحرب ضرام، ثم تفرَّقت قوم الشريف أحمد، ورجع جبال هُذَيْل حيث يعهد.

[وفاة مفتي الحنفية عبد القادر بن يحيى]

وفي ثالث صفر[7] توفي المفتي عبد القادر بن يحيى مفتي السادة الأحناف، وسعى للفوز بدار النعيم وطاف، وطاب له مِن ثمار الجنة العطاف / ق٨٠/.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أوائل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٣) ١١٩١هـ/ ٨ فبراير ١٧٧٧ - ٢٨ يناير ١٧٧٨م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.

(٧) ٣ صفر ١١٩١هـ/ ١٢ مارس ١٧٧٧م.

[وفاة السيد أحمد بن عبد الكريم بن يعلى]

وفي خامس صفر[1] توفي السيد أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن يعلى، وجيء به مِن الوادي ودفن بالمَعْلا.

[ولاية إفتاء الحنفية للشيخ عبد الملك القِلْعي]

وفي اليوم الحادي عشر من شهر ربيع[2] الأغر، زَهَت وجنة الأرض بنعماتها، وطابت بلد اللَّه تعالى لسُكَّانها، واستقرّ في وجه البسيطة إنسان عينها وعين إنسانها، وتحَلَّى جِيد الزمان العاطل، وطلعت شمس الآفاق في جميع المنازل، حين جرت مياه الحياة في مجاريها، وأُعطيت القَوس لراميها، فوقعت الأشيا[3] في محَلِّها، وأُعِيْدت الأمانة لأهْلها، بتقْلِيد منصب العزّ والفتوى، لمظهر الدين الحنيف أمانة وتقوى، خاتمة المحقِّقِين في جميع العلوم، وعُمدة المدقِّقين في المنطوق والمفهوم، الْهُمَام الذي قدَّمَته المكارم وسَنَّمَته ذُرَاهَا، وتَمَسَّكَت الفضايل[4] بأذيال مجده وأوْثَقَته عُراها، مفرد الوجود، وكعبة الأفْضَال والجُود، الماجد الذي بُهِرَت العُقول بِرِواياته ودِراياته، ولاحَت في أفق الخافقين أعلامه وراياته، الفاضل الذي هطلت بمعارفه أعْيُن الغَمَام، وغنَّت على أفْنَان أقْلامه ساجعات الحمام، الْمِلسَان الذِي أبْقَل[5] قُسًّا[6]

---

(١) ٥ صفر ١١٩١هـ/ ١٤ مارس ١٧٧٧م.

(٢) شهر ربيع الأول ١١٩١هـ/ ٨ أبريل - ٧ مايو ١٧٧٧م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأشياء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

(٥) **أبْقَل**: ظهر. يقال أبْقَل الشيء أيّ ظهر. وهنا يعني أنَّه ظهر في فن الخطابة وفاق. **المعجم الوسيط**، ص ٦٦.

(٦) **قُسُّ بن سَاعِدَة**: قُسُّ بن سَاعِدَة بن عَمْرو، مِن بني إِيَاد. أحد حُكماء العرب، ومِن كِبار خُطَبائهم في الجَاهِلية، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «رأيته بسوق عُكَاظ على جمل أحْمَر، وهو يقول: أيُّهَا الناس اجتمِعُوا واسْمَعوا وَعُوا، مَن عاش مات، ومَن ماتَ فَاتْ، وكُلُّ ما هو آتٍ آت». وقيل: إنَّه أوَّل عربي خطب متوكئًا على عصا، وأوَّل مَن قال في كلامه: أمَّا بعد. توفي حوالي عام ٢٣ق.هـ/ ٦٠٠م. شوقي ضيف، **تاريخ الأدب: العصر الجاهلي**، ج١، دار المعارف، القاهرة، ط ٢٤، د.ت، ص ٤١٥؛ كامل سلمان الجبوري، **معجم** =

في خُطْبَتِه يوم عُكَاظ[١]، والبليغ الذي مَلَكَ حُرَّ المعاني ورقيق الألفاظ، فَقُل ما شئت فيه مِن مزايا ومِن لطف ومِن وصف حميد، ولقد حاز مِن حُسْن الخُلُق والوقار والسكينة، مَكَانة مِن الزهد مَكِينة، فهو المفتي الذي أيس عن إدراك معانيه إِيَاس، والألمعي الذي يجوز في حَقّه أنْ يكون طبقة أهل التخريج والقياس، بدر العلوم وشمسُ الفضايل[٢]، نَجْم الهداية الذي أصبح به ركن الجهالة مايل[٣]، مجمع المحاسن الذي أضحى الأنام على علو قدره وفاق[٤]، وسما بالمعارف والعوارف على النيرين وفاق[٥]، خزانة الكنز المنتقى مِن دُرَر البحار، فلم تزل كوسه دهاق[٦] وخِيرة الكنز المصفى مِن صدر الشريعة، الحاوي مِن الهداية ما قام عليه البُرهان بالأدلة البديعة، الذي ساد بِعُلوّ قدره سادة عصره، وعزيز مصره، سعد أهل زمانه في البيان والمعاني، الفقيه المُقَدَّم، مَن حُقَّ له بأنْ يُدْعَى أبو[٧] حنيفة الثاني، إِمَام أهل الصَّرف وخليفة الزَّنْجَانِي[٨]،

= **الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م**، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٤٩٠.

(١) **عُكَاظ**: سوقٌ للعرب قبل الإسلام، كانوا يجتمعون فيها فيتناشدون ويتفاخرون، وكانت فيها وقائع، وهي موضع بين نَخْلَة والطّائف، كانت تقوم هلالَ ذي القعدة وتستمر إلى العشرين مِنْه. **المعجم الوسيط**، ص ٦١٩.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفضائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائلًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: وفاقا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: وفاقا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: كئوسه دهاقًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: أبا حنيفة.

(٨) **الزَّنْجَانِي**: أبو المعالي عز الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزَّنْجَانِي الشافعي المعروف بالعزّي صاحب «التصريف» المتن المشهور في الصرف، ولد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في زَنْجان في أذْرَبيجان، واستوطن تبريز، وأقام بالموصل، وسكن في أخريات حياته في بغداد، ومن مؤلّفاته: «تصحيح المقياس في تفسير القسطاس»، شرح فيه القسطاس للزمخشري في علم العروض، و«تصريف العزي»، و«الكافي في شرح الهادي»، وهو في النحو والصرف، و«عمدة الحساب»، توفي بعد عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، انظر: مسعود بن عمر بن عبد اللّه التفتازاني، **شرح تصريف العزي**، =

/ ق٨١/ ومرجع أهل الأدب [الأرَّجَانِي][١]، مولانا العلامة القدوة الفهامة شيخنا وأستاذنا المفتي عبد الملك[٢] بن العالم القاضي عبدالمنعم بن العلامة تاج الدين بن القاضي عبد المحسن القلعي الحنفي مفتي مكة دام مجده، وزاد قدره وسعده.

[القضاء على السيد لبَّاس أحد قطّاع الطريق]

وفي أوَّل ربيع الثاني[٣] خرج القَفْل مِن مكة لزيارة العفيف والبحر الخضم، الذي يغترف مِنْه القوي والضعيف، فخرج عليهم السيد لبَّاس ابن عبد المعين[٤]، أخ السيد عبدالكريم[٥]، وجماعة مِن ذوي حمود، ومِن قطّاع الطريق الموصوفين بذلك، لهم خِزْيٌ في الحياة الدنيا، ولهم في الآخرةِ عذابٌ أليم، فأخذوا القافلة بأجمعها، وقتلوا عُربانًا كانوا معها، وضربوا عابدي النَّجاب، فَحُمِلَ إلى مكة، ثم توفي ونال الأجر في يوم الحساب.

= عني به: محمد جاسم المحمد، دار المنهاج، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ١٠-١٢.

(١) وردت في الأصل: الأجاني، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٥٧.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) أوَّل ربيع الثاني ١١٩١هـ/ ٨ مايو ١٧٧٧م.

(٤) **لبَّاس بن عبد المعين**: لبَّاس بن عبد المعين بن محمد أبي البطين بن حمود بن عبد الله ابن حسن ابن محمد أبي نمي. كان أحد قطاع الطريق، فقبض عليه الشريف سرور عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، وسجنه في مكة ستة أشهر، ثم أرسله إلى سجن ينبع سنة، ثم أخرجه، وأعاده إلى مكة، وانقطعت أخباره، ولم أقف على تاريخ وفاته. أعقب ثلاثة أبناء، وهم: شاهين، وغالب، وعبد المطلب. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١١٢؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ٣٧٩-٣٨٠.

(٥) **عبد الكريم بن عبد المعين**: عندما قام الشريف سرور بسجن أخيه لبَّاس، غضب وانضم إلى بعض المناوئين، وخرجوا على الشريف؛ فهزمهم وقبض على بعضهم، وفرَّ بعضهم الآخر، ومنهم السيد عبد الكريم إلى اليمن، ثم طلب العفو مِن الشريف سرور فعفا عنه، وعاد إلى مكة، وانقطعت أخباره، ولم أقف على تاريخ وفاته. أعقب أربعة أبناء، وهم: أبو طالب، وسعد، وعبد المعين، ودخيل الله. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ١١٢؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٢٩-١٣٠.

وفي شهر جماد[1] خرج قَفْل غير الأوَّل، لزيارة العفيف المفضل، فتعَرَّض لهم السيد لبَّاس، ونهبهم في خَرِيْق الرَّأْس[2]، ثم رجع أهل القافلة إلى عرفة وسَوْأتهم مُنْكَشِفَة، ومِن عجايب[3] الاتفاق أنَّ الشريف سرور[4] كان مُقَيِّلاً في العَابِدِيَّة، فبلغه الخبر وفزع مِن فوره على الأثر، ولم يزل يَقْفُو أثرهم نهاره بِمَا طال، فلمَّا رأوه طرحوا الأخيذ[5]، وتوزاوا[6] روس[7] الجبال، فحَمَلَه لأصحابه إلى عَرَفة، وأخذ كُلّ مَن رأى حَقَّه وعَرَفه.

ثم إنَّ الشريف سرور[8] صَمَّم على لزم السيد لبَّاس، وجعل عليه الجواسيس والحراس، فأخبرته العيون أنَّه يأوي إلى أهله في الشَّرَفِيَّة[9]، فخرج له جنح ليل في سرية، وهجم عليه وهو مختفٍ بين الحريم، وقَبَضَه قبضًا لا يسعه فيها غير التسْليم، وقَتَل ثلاثة مِن عبيده الذي[10] كانوا معه يقطعون الطريق، وجازاهم الله تعالى مِن جنس فعلهم على التحقيق، ووضع السيد لبَّاس في حبس كالرَّمْس، لا يرى مِنْه قمرًا ولا شمس[11]، حتى ذاق الوبال والنكال، وطَوَّقه مِن الحديد بشبر كالهلال.

وتَوَجَّهت فيه السادة آل حمود، وكانوا عنده مِن الْمُقَرَّبين، فلم يقبل وجاهتهم حتى أذاقه العذاب المُهين، فضاق أخوه السيد عبد الكريم لعدم

---

(١) جمادى الأولى ١١٩١هـ/ ٦ يونيو - ٥ يوليو ١٧٧٧م.

(٢) **خَرِيق الرأس**: وادي بقرب الطائف. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٤٥-٥٤٦.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عجائب.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٥) أي الأشياء التي أخذوها ونهبوها.

(٦) أي صعدوا إلى الجبال.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٩) **الشَّرَفِيَّةُ**: عين في وادي ضِيم، وتعرف اليوم بعين الباشا. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٩٠١.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: شمسًا.

القبول، ونَـبَّ[١] وفارق الأرباع والطلول، والسيد لبَّاس مكث في الحبس نصف سنة، وهو في حالة يستحق فيها الحسنة، / ق٨٢/ ثم أخرجه وسفره إلى يمبع البحر، وحبسه سنة إلا شهر[٢]، وبعد ذلك أمر بإطلاقه، وعاد إلى مكة بين أهله ورفاقه، ولم يزل مُلازمًا لداره يراقب الموت وهو في انتظاره، حتى رَثَّت أحواله السقيمة، وظهر له أنَّ عواقب الظلم وَخِيْمة، نعوذ باللَّه تعالى مِن الطغيان، ومِن الأمُور الدَّاعِيَة إلى الهُوان.

[الحرابة الحادية عشرة مع عمّه الشريف أحمد]

ولمَّا خرج السيد عبد الكريم مُغاضبًا لأجل أخيه، ولم يجد له موانسًا[٣] يساعده ويواخيه[٤]، سوى السيد بركات بن الشريف محمد بن السيد عبد اللَّه بن سعيد، فإنَّه خرج معه إلى جبال هُذَيْل، بِمَن معه مِن أتباعٍ وعبيد، ووجدوا الشريف أحمد قد جمع العُربان، ونزلوا معه إلى وادي في نَعْمَان، فخرج الشريف سرور إلى المَعَابِدَة، بِمَا لديه مِن عساكر ورجال، وخَيَّم بها أيام[٥] وليال، فتفَرَّقَت قوم الشريف أحمد في الثالث عشر مِن رجب[٦]، وفَرَّ كُلّ صديق عنه واحتجب.

[غزوة لتأديب السادة آل حمود]

وفي ثالث شعبان[٧] عَـدَت السادة آل حمود على زوار العفيف، وفَزَع خلفهم صاحب الترجمة بنفسه ونال الأرب الوريف، وقَتَل ثلاثة مِن الأشراف، ورابعهم قُطِعَت يده برصاصة، ولم يظفروا بهذه الغنيمة بقصاصة،

---

(١) نَبَّ: صاح وهاج، وهنا بمعنى غضب. ابن منظور، **لسان العرب**، ١/ ٧٤٧.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إلا شهرًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مؤانسًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يؤاخيه.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.

(٦) ١٣ رجب ١١٩١هـ/ ١٦ أغسطس ١٧٧٧م.

(٧) ٣ شعبان ١١٩١هـ/ ٥ سبتمبر ١٧٧٧م.

وهؤلاء الذين كانوا يقطعون السُّبُل مع السيد لبَّاس، ويوذون[١] المسلمين، ويقتلون الناس، فطَهَّر الأرض مِنْهم ربّ السموات، وأراح مِنْهم المسلمين والمسلمات.

[زيارة مسجد ابن عباس في الطائف]

وفي الخامس والعشرين مِن شهر شعبان[٢] تَوَجَّه صاحب الترجمة لزيارة العفيف، ابن عم سيد ولد عدنان، ووضع شباكًا مِن الفضة بدل الأوَّل وزنه ستماية[٣] أُوقِيَة[٤]، ووضعه تجاه الضريح، ونال به المزيد.

[الشريف يقضي على بعض السادة المناوئين له]

وفي ثالث رمضان[٥] تَوَجَّه إلى مكة، وبلغه أنَّ السيد بركات رام ملكه، والسيد عبد الكريم، والسيد عبد اللَّه بن مسعود، والعِواجي وابنه، فارقوا الشريف أحمد بن سعيد مِن الْمَعْدِن، وأقْبَلوا على جبال هُذَيْل، يُرِيْدون هجم مكة جنح ليل، فلمَّا نزلوا بوادي نَعْمَان، أرسل لهم سرية مِن الخيل بصارم و[سِنان][٦].

فلمَّا أحسُّوا بها وقد أدْرَكَتهم، هربوا إلى الجبال وحمتهم، إلا العِواجي وابنه والسيد عبد اللَّه بن مسعود، عجزوا عن الصعود فقبضتهم الرتبة،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يؤذون.

(٢) ٢٥ شعبان ١١٩١هـ/ ٢٧ سبتمبر ١٧٧٧م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ستمائة.

(٤) أُوقِيَة: مِن أشهر الموازين التي كانت سائدة في الجزيرة العربية؛ وكانت تساوي أربعين درهمًا، وهي عند الحنفية ١٢٤,٨جرامًا، وعند الجمهور ١١٩ جرام تقريبًا. فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمه عن الألمانية: كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمَّان، ١٩٧٠م، ص ١٩؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين الشرعية**، القدس للنشر والإعلان، القاهرة، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٠-٢١.

(٥) ٣ رمضان ١١٩١هـ/ ٤ أكتوبر ١٧٧٨م.

(٦) وردت في الأصل سان، والتصويب من النسخة (ب)، ورقة ٥٨.

ووثبت عليهم أيّ وثبه، فسجنهم في بيت عبد أبيه ريحان الفروجي، ونهى عن الرواح إليهم والمجي[١]، حتى مضت عليهم أيام أَسْود مِن الحِبر، وهم في السجن / ق٨٣/ مِن سابع عشر رمضان[٢] إلى ليلة عيد الفطر[٣]، وقطع عنهم المعاش وأسباب الانتعاش، فسافر العِواجي إلى مصر القاهرة، وترك صاحبه في ضَنْكَة مِن الحال ظاهرة.

وأمَّا السيد بركات والسيد عبد الكريم؛ فقد ساروا إلى اليمن، وقاسوا المشَقَّة والمحن، ثم رجعوا ودخلوا مكة، ولم يكن يبلغ الشريف عنهم خبر ولا مساس، وانطرحوا في بيته وسمح عنهم، فلزموا بيوتهم كآحاد الناس.

[القضاء على السيد مبارك البركاتي أحد قطاع الطريق]

ومِن أضَرَّ ما سمعنا في قطاع الطريق، وأشَدّ أذية للناس على التحقيق؛ السيد مبارك بن مزيبن مِن آل بركات، قد أهلك المسلمين والمسلمات، كان غشومًا يقتل النفس قبل أخذ المال، ويُفَرِّق ما يجمعه على البوادي في الحال، طالت عليه مُدَّة التمادي، فأبطأت على الناس مُدَّته، وعظمت فيهم محنته وشدَّته، ولم يزل الشريف سرور يعطي على لزمه النذور، وهو مع هذا لا يستقر بمكان، ولا يعرف له مظان، حتى ترك جماعته وصار ينزل في البراري والقفار، ولم يعلم له منزلٌ ولا دار، مع أنَّ الشريف سرور[٤] كان لا يترك عنه الجواسيس والرُّواد، ولم يرفع شبكه عن الاصطياد، مُعتمد[٥] على الحي القيوم كما مَرَّ، وأنَّ الظلم لا يدوم وإنْ دام دَمَّر.

فجاءه المبشر ليلةً مِن الليالي، بأنَّه مُقِيم في طرف الحَرَّة وهو لا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: المجيء.

(٢) ١٧ رمضان ١١٩١هـ/ ١٨ أكتوبر ١٧٧٧م.

(٣) ليلة عيد الفطر ٢٩ رمضان ١١٩١هـ/ ٣١ أكتوبر ١٧٧٧م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: معتمدًا.

يُبَالي، فأجَدَّ ركايب[1] السرى، وركب في معقودة مِن خَيْله وانبرى، ولم يزل يسلك به الرايد[2] في طرق مشعبة ومهامة، وقفار متصعبة، سالكًا به السهل والوعر، حتى أصبح عليه في السادس والعشرين مِن الشهر[3]، فلمَّا أحَسَّ بسنابك الخيل، وأيقن بالخيبة والويل، نهض على الحَرَّة وفَرَّ، وهيهات ينجو وقد نزل به القضاء والقدر، فأدركته الخيل قبل الهرب، بعد أنْ أفل نجمه وغرب، ودنا أجله واقترب، فقتله الفرسان بأطراف القنا، وأراح اللَّه تعالى المسلمين مِن هذا العنا[4]، فحشمت[5] له المُقَطَة[6]، وكان نزيلهم في الحَرَّة، ونهبت خزانة الشريف مرّة، وقتلوا فرسين مِن الخيل الجِياد، وأربعة مِن عبيده، ولم يأخذ لهم سداد[7]، فلمَّا علم نهبها كَرَّ عليهم واسترجعها، وأخذ جميع المواشي وجمعها، ولم يزالوا يرمونه[8] هؤلاء البوادي، حتى قَرَّبُوه إلى طرف الوادي، فحاز الغلب / ق٨٤/ وفاز بالمُنقلب، ودخل مكة مُتنومسًا منصورًا مُعَان[9]، لثلاث ليال بقين مِن شهر رمضان[10]، ففَرَّق على المراجل جميع ما أخذه مِن المال، فاستراحت[11] المسلمون مِن شَرِّه واستقرّ الحال، ولم يزل الشريف آمنًا مِنْ الأعدا[12]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ركائب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الرائد.

(٣) ٢٦ رمضان ١١٩١هـ/ ٢٧ أكتوبر ١٧٧٧م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: العناء.

(٥) أي غضبت مِن أجل مقتل السيد مبارك البركاتي.

(٦) **المُقَطَة**: مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، وهم منتشرون في نجد والحجاز، وقاعدتهم في نجد عروى، أمَّا في الحجاز فيسكنون وادي العقيق، والطرف الشرقي مِن حَرَّة بس، وينقسمون إلى فرعين: البصصة، والكرْزان. عمر رضا حكالة، **قبائل العرب**، ٣/ ١١٣٢؛ تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٢٢.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: سدادًا.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: ولم يزل يرميه.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مُعَانًا.

(١٠) ٢٧ رمضان ١١٩١هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٧٧٧م.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: فاستراح.

(١٢) كذا في الأصل، والصواب: الأعداء.

سالمًا مِن مكايد(١) الرّدى، وقد نظر إلى الرعِيَّة بعين الإنصاف، ورفع عنهم الجُور والإجْحاف.

[سجن السيد محسن بن عبد اللّه الحمودي]

وفي شهر شوال حَرَّض على السيد محسن بن عبد اللّه الحمودي(٢) بالخروج مِن بلده، بسبب مكاتيب رآها بخط يده، فخرج وأقام بِنَعْمَان فَشَدَّد عليه بالرحيل مِن ذلك المكان، فارتحل إلى يَعْرِجُ، ثم لحق بالشريف أحمد في الْمَعْدِن، فحَثَّه على الحرب وهو غير مُمَكَّن، فوصل معه إلى جبال هُذَيْل وأكْمَن، ثم تركه ورحل إلى الشام ثم إلى اليمن، ولم يزل يطُوف بأكناف الحمى تارة يرتحل وتارة يُقِيم، حتى أجمع رأيه أنْ ينطرح على الشريف كما فعل السيد بركات والسيد عبد الكريم، فدخل مكة وانطرح على الشريف وبأخته توسل، فلم يسمح عنه ولم يقْبل، وأقام أيامًا وهو مطروح في الدهليز، ومع كل حين تسمع فيه الأراجيز.

[غزوة على القُرَّح مِن قبيلة هُذَيْل]

وفي آخر شوال(٣) صَبَّح الشريف فخذًا مِن قبايل(٤) هُذَيْل يقال: لهم القُرَّح(٥)، وأخذ جميع ما لديهم مِن البهايم(٦) السّرح، فهربوا بالأرواح دون المال، وتحَصَّنُوا بقلاقل الجبال، والسبب أنَّهم ينهبون الناس في

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مكائد.

(٢) **محسن بن عبد اللّه الحمودي**: طرده الشريف سرور من مكة، ثم سجنه في ينبع، ثم أطلقه في عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وفي عهد الشريف غالب أرسله في عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م إلى الباب العالي ليطلب المساعدة ضد الوهابيين. أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٣/ ٣٦.

(٣) شوال ١١٩١هـ/ نوفمبر ١٧٧٧م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٥) **القُرَّح**: مِن جَمِيل مِن قبيلة هُذَيْل. واحدهم قارِحيٌّ. يسكنون جبال رَايَة، وعُرْوان، وضيم، ودُفاق، ومَحْرَض إلى أعالي يلملم الشمالية، وتلك آخر بلاد هُذَيْل في الجنوب. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٦٤٩-٦٥٠.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: البهائم.

طريق اليمن، ويُذِيْقُونَهُم أنواع البلا[١] والمحن.

[سجن قطّاع طريق مِن الشَّيَابِيْن مِن قبيلة هُذَيْل]

ولمَّا ورد الحج في هذا العام[٢]، بمزيد مِن الأفضال، قبض صاحب الترجمة يَوْم التَّرْوِيَة[٣] على عشرة مِن الشَّيَابِيْن، قد تجَمَّعُوا في الطريق لنهب حجاج المسلمين؛ فَأَدْخَلُوهم الحَبْس مُصَفَّدِين بالحديد، وأذاقهم الويل والتنكيد، وهذه القبيلة كلها تقطع السبيل، وعليها مِن سمة الخيانة غُرَرٌ وتَحْجِيل.

[سجن بَدَوِي بن عيد شيخ حرب وهلاكه]

وفي عشرين مِن ذي الحجة[٤]، اجتمع صنجق المصري[٥] وبَدَوِي بن عيد شيخ طوايف[٦] حرب، في مجلس الشريف بعد صلاة العصر، فأراد التوفيق بينهما على المعلوم المقرر، فتَهَدَّد بَدَوِي بن عيد على الصنجق وتوعَّد، وأغلظ في الكلام عليه وشَدَّد، وأرعد وأزبد، وأتهم وأنجد، والحروب طايفة[٧] مشهورة بالفَشْر[٨] في الكلام، ومادح نفسه يقريك[٩] السلام.

فانقضى المجلس وما أبطى[١٠]، وبعد خروجه علم أنَّه أخطا[١١]، فتَوَجَّه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: البلاء.

(٢) أي عام ١١٩١هـ/ ٨ فبراير ١٧٧٧ - ٢٨ يناير ١٧٧٨م.

(٣) ٨ ذو الحجة ١١٩١هـ/ ٦ يناير ١٧٧٨م.

(٤) ٢٠ ذو الحجة ١١٩١هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٨م.

(٥) أي أمير الحج المصري.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: طوائف.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٨) **الفَشْر**: ومنها الفَشَّار، وتعني كثير الكذب، وهي كلمة رائجة حتى الآن بين المصريين والحجازيين.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: يقرؤك.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: أبطأ.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: أخطأ.

على الشريف في السماح عنه / ق٨٥/ بوالي الحاج الشامي، وأراد أنْ يدمل ما شقه مِن الجرح الدامي، فجاء بدوي مع مرسول والي الشام، واعتذر عمَّا فرط مِنْه في ذلك المقام، فأظهر له أنَّه قبل الرجا[1]، وأعاقه في المجلس حتى سجا الدجا، ثم أمر عليه بالقبض، وحبسه في قَبْوٍ تحت تخوم الأرض، فطال فيه حبسه، وزاد ألمه ونكسه، ثم طلع له الجُدَرِيّ وهو في الحبس، وما خرج مِنْه إلاَّ إلى الرمس، فنعوذ باللَّه تعالى مِن آفة اللسان، وما يحل بسببه مِن الهُوان، أعقب ابنيه: بَدَّاي، وبَادي، وهما خميرة الفساد، وأكثر البغي في كُلّ وادي[2].

كَـــان فِـــي الْـــحَـــارَةِ كَـلْـب
مَـــا سَـلِـمْـنَـا مِـــن أَذَاه
خـــلـــف الْـــمَـــلـــعـــون جَـــرْوًا
جَـــاءَ أنـجـــس مِـــن أَبَـــاه

على كُلّ حال، فهم الطغاة الفُجَّار، والبغاة المفسدون لجميع الأقطار، فأهلك اللَّه تعالى بادي[3]، وبقى بَدَّاي اللَّعين قد أخاف أهل المدينة طغيانًا وظلمًا، وسَيُذِيبُهُ اللَّه تعالى كما يذوب المِلح في الماء، فإنه قَطَعَ أقواتها وحاصرها، وعاضد الوهابيين وناصرها، ثم عصبت حرب وخرجت عن طاعة الشريف سرور، بعد أنْ مات شيخهم المذكور، فشَيَّخ عليهم أخاه، وقَبِلَهُ كُلّ مِنْهم وارتضاه.

ثم في هذا العام سكنت الفتن، واطْمَئنت القلوب مِن المحن، وأمنت الطرقات مِن الأربع جهات، بحيث المسافر وحده يمشي حيث شا[4]، لا يخاف دَرْكًا ولا يخشى، آمِنًا مِن الْمُخَوِّفَات، سالمًا مِن الآفات.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الرجاء.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: وادٍ.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: باديًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب:: شاء.

[وفاة السيد مسعود بن مساعد والشيخ أبي بكر العجيمي]

وفي اليوم الثاني عشر مِن ربيع الأول(١) توفي السيد مسعود بن الشريف مساعد، وتوفي يومها العلامة الشيخ أبو بكر العجيمي(٢)، أسكنه اللَّه تعالى جنته، وعامله بلطفه الخفي، كان إمامًا في الآلات، وسيبويه زمانه لدى النحاة.

[قتل السيد هاشم الأمير أحد قطاع الطريق]

ثم اعلم أنَّ مِن قطاع الطريق المشاهير السيد هاشم الأمير، كان تلميذًا للسيد مبارك بن مزيبن في هذه الصناعة، لكنّه أشدّ بأسًا مِنْه وشجاعة، وكان رجلاً عظيم الجسم كأنَّه ليس مِن أهل هذا الجيل، يخاله الرائي بعيرًا أو فيل(٣)، فلمَّا قتل شيخه انفرد على حاله، وفاق على أقرانه وأمثاله، ولم يزل يقطع المارين في طريق جدة، مقيمًا على تلك الحالة في هذه المدة، وصاحب الترجمة لم يزل يرصد عليه مرة بعد مرة،حتى جاء البشير بأنَّه مُقِيْمٌ بالحرة، فأرسل مِن سراة الخيل سرية، ناقلين الرماح / ق٨٦/ السَّمْهَرِيَّة(٤)، فلمَّا رآها أدركته بادرها بالقتال، وجال معها بسِنان ونصال، فأصابته رصاصة وقع مِنْها جريح(٥)، ولم يزال يهدر كالبعير المشيح، فأدركه

(١) ١٢ ربيع الأوَّل ١١٩٢هـ/ ٩ إبريل ١٧٧٨م.

(٢) **أبو بكر العجيمي**: أبو بكر بن محمد بن علي بن محمد حسن العجيمي، الحنفي المكي، ولد في مكة المكرمة، ونشأ فيها، وتلقى العلم على أيدي علمائها مثل الشيخ عبد الملك القلعي، والشيخ طاهر سنبل، وقد نال شهرة واسعة، ومِن مؤلفاته: رسالة في النحو تعرف بـ: «رسالة العجيمي»، وقد ذكر ابن عبد الشكور أنَّ وفاته كانت في ١٢ ربيع الأوَّل ١١٩٢هـ/ ٩ إبريل ١٧٧٨م، بينما ذكرت بعض المصادر الأخرى أنَّ وفاته في ٢ ربيع الأوَّل ١٢٣٦هـ/ ٧ ديسمبر ١٨٢٠م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة. والأرجح الرأي الأوَّل لأنَّه كان معاصرًا له، وتتلمذ على أيدي مشايخه أيضًا. عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٢٠٣٥؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٣٢٧.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فيلًا.

(٤) **الرماح السَّمْهَرِيَّة**: الرُّمحُ الصليبُ العودِ. يقال: هو منسوبٌ إلى سَمْهَرٍ، رجل كان يُقَوِّمُ الرماحَ، وامرأَتُهُ رُدَيْنَة التي تُنْسَبُ إليها الرماح. **المعجم الوسيط**، ص ٤٥٢.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: جريحًا.

وكيل السَّرية كي ينجزه، وجعل بأطراف القنا يوخزه، فضرب الوكيل ضربة طاح مِنْها قتيل[١]، فانظر لقوته القويَّة، كيف أخذ ثأره وهو مقتول وحاز المزيَّة، فأخذت السريَّة مواشيه، وأهل بيته وحواشيه، ودخلوا مكة آمنين، وأراح اللَّه تعالى مِنْه المسلمين.

[محاولة القبض على الشريف أحمد]

وفي أواخر جماد[٢] بلغ الخبر أنَّ الشريف أحمد انتقل مِنْ المَعْدِن إلى جبال هُذَيْل، ومالت معه العُربان كُلّ الميل، فجمع الشريف عُربانه وحَصَّن مكانه، وأرسل لوكيل الطايف[٣] أنْ يجمع له مِن العُربان ما يكفيه لهذا الشأن، فلمَّا تحقق إقباله وقويت لطلب الملك آماله، برز صاحب الترجمة بالمراجل والعساكر، وخَيَّم بِمَن ذكر في جوخي الزاهر، ثم دخل مكة ليفرّق على العبيد البارود، ولم يعلم بِمَا في طيّ الغيب مِن الأمر الموعود، فلمَّا فَرَّقه أخذ واحد مِنْهم جمرة ليختبره، كي يظهر ويستبين، فأحرقه وثار شيء كثير أحرق نحو الأربعين، فأزعجه ذلك واغتَمَّ وندم غاية الندم.

ثم إنَّ هُذَيْل[٤] تفَرَّقَت عن الشريف أحمد وانفرط عقد عزمه وتبَدَّد، فمكث بأطراف نَعْمَان، ثم عاد إلى الثنية وأقام بها أيام[٥]، ثم تَوَجَّه إلى جهة الشام؛ فتبعه الشريف رجاء أنْ يدركه في تلك الطلول، ففات عليه وتَوَجَّه إلى مدينة الرسول، فدخلها في شهر رمضان[٦]، وأكرمه أهلها وأنزلوه في أرفع مكان، وهذا شأن أهل المدينة إكرام الغريب، ومواساته

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: قتيلًا.

(٢) جمادى الأولى ١١٩٢هـ/ ٢٧ مايو - ٢٥ يونيو ١٧٧٨م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: هُذَيْلًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: أيامًا.

(٦) شهر رمضان ١١٩٢هـ/ ٢٢ سبتمبر- ٢١ أكتوبر ١٧٧٨م.

وموانسته[١] بعد تعبه ومقاساته، وكفاهم قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، وبها قد أثنى اللَّه تعالى عليهم.

[زواج الشريف سرور مِن بنت الشيخ العرابي]

وفي سلخ شعبان[٣] تَوَجَّه الشريف سرور إلى زيارة سيدي الحَبْر، وتزوج على بنت الشيخ العرابي[٤]، وأقام إلى نصف الشهر[٥]، ثم تَوَجَّه إلى مكة مِنْ طريق اليمانيَّة[٦].

[غزوات على قبائل هُذَيْل]

فلمَّا وصل إلى الزَّيْمَا[٧] خطر بباله نيَّة فوضع بها أحماله، وخفف أثقاله، وركب على المُقطَة، التي قتلوا عبيده وحاربوه مع أهل ابن مزيبِن - كما تَقَدَّم - فأخذوا مواشيهم، وعَجْعَج عليهم البارود وثار، ووصل القتال / ق٨٧/ بينهم إلى آخر النهار، فعاد مُتمنعًا على طرف الحَرَّة، حتى تعبت مراجله ولحقها المضَرَّة، وقُتِلَ له عبدٌ وفرسٌ وأصيب خيَّال،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مؤانسته.

(٢) القرآن الكريم، **سورة الحشر**، آية رقم ٩.

(٣) سلخ شعبان ١١٩٢هـ/ ٢١ سبتمبر ١٧٧٨م.

(٤) **الشيخة صالحة بنت الشيخ بكري العرابي**، تزوّجها الشريف سرور في شعبان ١١٩٢هـ/ سبتمبر ١٧٧٨م، وقد أقرّ لها في وصيته بـ «جميع ما تحت يدها مِن مصاغ، ولبس، ودبشها، وعبيد، وجوار، وأغاه فهو لها، وتستحق في ذمتي ثلاثة آلاف قرش ذهبي، وهي وكيلة على أولادها، وعليها وصيًّا الوزير ريحان أغاه والمشرفين عليه كذلك». انظر الوصية منشورة في: عمر بن فيصل آل زيد، **الشريف سرور بن مساعد أمير الحرمين وسلطان الحجاز (١١٨٦-١٢٠٢): سيرته وحياته وولايته**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص ١٤٠.

(٥) ١٥ رمضان ١١٩٢هـ/ ٦ أكتوبر ١٧٧٨م.

(٦) **طريق اليمانيَّة**: الطريق التي تربط بين مكة والطائف، وهي مِن أشهر الطرق وأقدمها، وتقع في وادي نخلة اليمانيَّة شرقي مكة. عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٢٤-١٢٥.

(٧) **الزَّيْمَا**: عين عذبة الماء بوادي نخلة اليمانية، على بعد ٤٥ كيلًا على طريق الطائف، لها شهرة في مكة كمتنزَّه، لجمال بساتينها، وكانت المرحلة الأولى على نظام القوافل القديم مِن مكة إلى الطائف. عاتق البلادي، **معالم مكة**، ص ١٢٤-١٢٥.

ورجع عنهم بعد أخذ المال.

فعاد إلى مكة وقد اشْتَدَّ عليهم غضبه، وظهر تعبه ونَصَبُه، فنادى عليهم بالجنيه في جميع ممالكه، وبالغ عليهم في تضيق مسالكه، وأرسل عليهم سرية أخرى في عاشر شوال[١]، وحصل بينهم القتال، لم يبلغ فيه مثال، فلمَّا ضاق عليهم الحال، وعَلِمُوا أنَّهم يقعون في الوبال، نزلوا عليه في غاية القعدة[٢]، وانطرحوا على بابه العالي مُدَّة، ثم عفا عنهم وزرَّبهم على عادتهم مع السادة الأشراف، وأمرهم بالرحيل والانصراف.

وفي نصف شوال[٣] بلغه أنَّه قد نزل بالخبت[٤] جماعة مِن هُذَيْل، فأرسل عليهم سرية، وغزاهم جنح ليل، وقتل مِنْهم رجلين، وأخذ أباعرهم وارتحل، وتفرَّقُوا مِن ذلك الموضع إلى حيث آل، وفي ثامن ذي القعدة[٥] ركب عليهم فوقع على بني خالد بطريق الغلط، وقتل أربعة، وأصاب ثلاثة، وأخذ أغنامهم وانخرط، وقتلوا أغاة مِن أغوات العسكر ومعه عبد آخر؛ فغضب لذلك جميع هُذَيْل، ولم يصبروا على ما حَلَّ بهم مِن الويل، فباينوه جهارًا، وعصوه واستكبروا استكبارًا، وصَمَّمُوا على قطع طريق العباد، وفَجَرُوا في حرم اللَّه تعالى، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾[٦]، فنهبوا قفلًا فيه قاضي الطايف[٧] في خَرِيْق الرَّأس، وبلغ إيذاهم[٨] كثيرًا مِن الناس، ثم نهبوا قفلًا آخر خرج مِن الطايف[٩]

---

(١) ١٠ شوال ١١٩٢هـ/ ٣١ أكتوبر ١٧٧٨م.
(٢) غاية ذو القعدة ١١٩٢هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٧٧٨م.
(٣) ١٥ شوال ١١٩٢هـ/ ٥ نوفمبر ١٧٧٨م.
(٤) **الْخَبْت**: السهل الذي فيه حَرَّة طفيل، ويشمل كُلّ الساحل بين وادي فاطمة وأسفل وادي اللَّيْث. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٣٢.
(٥) ٨ ذو القعدة ١١٩٢هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٧٧٨م.
(٦) القرآن الكريم، **سورة الحج**، آية رقم ٢٥.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: إيذاؤهم.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

بقصد الحج في وادي نَعْمَان، وقتلوا مِنْه أربعة وأصابوا ثمان[1].

[محاولة ثانية للقبض على الشريف أحمد]

ولمَّا وردت الحجوج أخبروه بأنَّ الشريف أحمد أراد مواجهة باشة الحج فأبى، وخرج مِن المدينة إثره طلبًا، وأنَّه ينتظر الحج في خُلَيْص؛ فجَهَّز عليه سرية وَكَّلَ عليها السيد ناصر بن مستور، وأمره أنْ يقبضه ولو طار مع الطيور، فأدركته السَّرية على حين غفلة، وحملت الخيل عليه حملة، فلمَّا أحَسَّ بهم ركب فرسه وانحاش[2]، وترك ما معه مِن أحمال وأدباش، فحماه اللَّه تعالى بحمايته، ولا يحسد السالم على سلامته، وقُتِلَ يومها مِن السَّرية فَرَسٌ وعَبْدٌ، ودخلوا مكة ولم يبلغوا القصد؛ فغضب الشريف على السيد ناصر بن مستور، واتّهمه / ق٨٨/ أنَّه قَصَّر في لزم المذكور.

[إغارات قبيلة هُذَيل على بعض الأشراف]

وفي الرابع والعشرين مِن ذي الحجة[3]، أغارت هُذَيْل على شريف مِن ذوي صامل[4]، فنهبت متاعه، ثم ضربوه ضربًا أصابت مِنْه المَقَاتِل، فمات وفات، وعليه رحمة رب السموات، ولم تبالِ هُذَيل بِمَا هو آت.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثمانية.

(٢) لفظ عامي، معناه: انصرف خفية.

(٣) ٢٤ ذو الحجة ١١٩٢هـ/ ١٢ يناير ١٧٧٩م.

(٤) **ذوي صامل**: عقب الشريف صامل بن زامل بن عبد اللَّه، الجد الجامع للأشراف العبادلة. ومساكنهم بين غميقة والليث، وكثير مِنهم في مكة المكرمة حاليًّا، وهم غير آل صامل سكّان رَنْيَة في عالية نجد. ويتفرعون إلى تسعة فروع، وهم: آل زيد، وآل سرور، وآل سعد، وآل سالم، وآل عبد المعين، وآل عبد اللَّه (الشعارية)، وآل مبارك، وآل محمد (آل مطيلب)، وآل سعد. محمد بن منصور آل عبد اللَّه بن سرور، **قبائل الطائف وأشراف الحجاز**، ص ٥٢؛ أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز**، ص٧٨٠-٧٨١؛ صالح حسن الفضلة، **الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م، ص ١٤٨.

وفي السادس والعشرين[١] أغاروا - أيضًا - على جماعة مِن أهل الطايف[٢] وفيهم شريف مِن ذوي جازان[٣]؛ فنهبوهم وضربوا الشريف وقتلوه، وقتلوا معه واحدًا مِن وقدان[٤]، فانقطع بعدها الطريق، وقوِيَت شوكة ذلك الفريق.

❑ ❑ ❑

(١) ٢٦ ذو الحجة ١١٩٢هـ/ ١٤ يناير ١٧٧٩م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) **ذوي جازان:** عقب الشريف جازان بن قايتباي بن الحسن بن محمد النموي الحسني. ويقال لواحدهم: الجازاني أو الجيزاني، وكان لهم نشاط حول مكة، وبخاصة في أوئل القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي في أحداث الصراعات بين الشريف سعد بن زيد والشريف عبد الكريم البركاتي. ومساكنهم في وادي البجيدي شمال جبل كبكب، وسراة الطائف الغربية في وادي الشرقة. أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز**، ص ٢٥٣-٢٥٥؛ صالح حسن الفضلة، **الجوهر العفيف**، ص ٨٠-٨٣.

(٤) **وقدان:** فخذ مِن ذوي صرير مِن بَرْقة، مِن قبيلة عُتَيْبَة، يقطنون وادي نخب شرقي الطائف، ومن قراهم أم سبيع، والقنينة، والدارالعليا، والركاء، والصور. تركي القداح، **دراسات حول عُتَيْبَة**، ص ٣١.

[أحداث سنة ١١٩٣]

ودخلت السنة الجديدة سنة [١١٩٣][1]، والناس تكابد المصايب[2] العديدة مِن قطع الدروب، وقلّة الأمطار، وارتفاع الأسعار، وما يقع مِن أولئك الفُجَّار على القاطن والمار.

[وفاة السيد عبد اللَّه ميرغني المحجوب]

وفي العام المذكور توفي السيد الجليل، والكهف النبيل، قطب دايرة[3] الأفلاك، الراقي بأخْمَصه مراقي الأفلاك، واسطة عقد آل الرسول، وقُرَّة عين الزهراء البتول، قطب الدايرة[4] وذو الكرامات الشاهرة، العارفُ باللَّه تعالى والدَّالُ عليه، مولانا السيد عبد اللَّه ميرغني المحجوب[5]، نفعنا اللَّه تعالى به

---

(١) السنة غير موجودة في الأصل، وقد أُضيفت سنة ١١٩٣ فيما بين المعقوفين، تبعًا للسنة السابقة لها واللاحقة عليها.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المصائب.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: دائرة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الدائرة.

(٥) **عبد اللَّه ميرغني المحجوب**: عبد اللَّه بن إبراهيم بن حسن ميرغني، الشهير بالمحجوب، ولد في مكة المكرمة عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م، ونشأ بها، وأخذ عن عُلماء عصره مثل: النخلي، والمهدلي، وغيرهما، وانتقل إلى الطائف عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م، ومن مؤلفاته: «فرائض الدين»، «والكوكب الثاقب»، و«سواد العينين»، و«الفُروع الجوهرية في الأئمة الاثني عشرية». توفي عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، بقرية السلامة في الطائف، ودُفِنَ بزاويته التي أعدَّها لنفسه هناك، وذكر الجبرتي خطأً أنَّ وفاته عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، وما ذكره ابن عبد الشكور هو الصحيح، لأنَّه كان معاصرًا له، وأكَّدَ ذلك العلامة تاج الدين بن محمد سراج المكي، أحد تلاميذ المحجوب. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٣٦٤-٣٦٦؛ عبد الرازق البيطار، **حلية البشر**، ٢/ ١٠١١-١٠١٢؛ عبد اللَّه الغازي، **نظم الدرر**، ص ٢٩٠-٢٩١.

وبأسلافه، وعاملنا ببركة برّه وإسعافه، فهو صاحب التصانيف العديدة، والعلوم الكثيرة المفيدة، كان مُحْتَجِبًا في داره نحو أربعين سنة، وهو مشغول بتصانيف العلوم في هذه الأزمنة، شُوهِدَت له كرامات كالشمس في الظهيرة، لا تخفى على ذي بصر ولا بصيرة.

[انتشار مرض يسمّى: أبا الركب]

وفي هذا العام نزل بمكة وغيرها نازل غريب، وشيء عجيب أي عجيب، وهو داء حدث بالناس يسمّونه: أبا الركب، مَنَع الناس عن بعضها وحجب، ما سلم مِنْه صغير ولا كبير، ولا مأمور ولا أمير، حتى لزمه في المفاصل والركب، وأوقعه وكب، وأعاقه عن الدخول والخروج، ومكث ثلاثة أيام كأنَّه مفلوج[1]، وكان يخرج الرجل وهو بغاية الصحة مشمولٌ، فيضربه في السوق، فلا يعود إلى داره إلا وهو محمول، وطالما حمل شخص صاحبه ليوصله إلى الدار، فما يبرح عنه حتى يضربه ويقع مثله، ويصير عليه كما صار، ولم يقدر أحد على القيام إلا بعد ثلاثة أيام، وما اتفق أنَّ أحدًا قدر على الانبعاث قبل مضي الثلاث، وكان علاج هذا الداء الناتحة[2]، والزنجبيل[3].

[وقوع قتال بين قبيلتي عُتَيْبَة وحَرْب]

وفي هذا العام[4] نزل حي مِن عُتَيْبَة بديار/ ق٨٩/ حَرْب لأجل المرعى،

---

(١) **مفلوج**: أي مشلول، والمقصود هنا عدم القدرة على الحركة؛ أي شللًا مؤقتًا.

(٢) **الناتحة**: أي العرق. يقال: نتح العرق مِن الجلد. **المعجم الوسيط**، ص ٨٩٩.

(٣) يبدو أنَّ هذا الوباء قد انتشر في عديد من البلدان في هذا العام، وقد ذكره الجبرتي في أحداث عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، في منتصف شهر رجب/ ٢٩ يوليو ١٧٧٩م، بقوله: «ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه بأبي الركب، وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال، وهو عبارة عن حمة، ومقدار شدته ثلاثة أيام، وقد يزيد على ذلك وينقص باختلاف الأمزجة، ويحدث وجعًا في المفاصل والركب والأطراف، ويوقف حركة الأصابع، وبعض ورم، ويبقى أثره أكثر من شهر، ويأتي الشخص على غفلة فيسخن البدن، ويضرب على الإنسان دماغه وركبه، ويذهب بالعرق والحمام، وهو من الحوادث الغريبة». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٧٣.

(٤) أي عام ١١٩٣هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٩ - ٦ يناير ١٧٨٠م.

فحصل بينهما قتال تُرِكَ القومُ فيها صرعى، فمات ما ينوف عن الستين، غير مَن أُصِيب، وتفرَّق كُلّ لصاحبه طليب[١].

[نادرة نمو لحية لجذع]

ومِن أغرب الغرايب[٢]، وأعجب العجايب[٣]، نادرة ما سُمِعَ بمثلها مِن قديم الزمن في شام ولا يمن، وهي لشخص مِن أهل الحجاز جذع[٤] في داره، وتوالت عليه الدهور، وتقادمت به الأعوام والعصور، فلمَّا أصبح ذات يوم مِن الأيام، رأى الْجَذَع قد نبت له لحية كلحية الرجل، شاهدوها عِيانًا بيان[٥]، وشعره بين بياض وسواد، لا فرق بينها وبين شعر لحية الإنسان، فحلقوها كما تحلق بعض اللحى، فعادت كما كانت واستحالت، وفزعت[٦] القوم لذلك واستهالت، فسبحان الصانع الحكيم الفعَّال لمَا يشا[٧]، مَالِك الْمُلْك، الذي بيده أزمّة الأشيا[٨]، فهذا أعجب ما سمعناه في هذه الديار، وقد تواترت بالمشاهدة عنه الأخبار.

[القبض على الشريف أحمد وولديه]

وفي يوم السبت ثاني جمادى الأولى[٩]، بلغ الشريف سرور[١٠] أنَّ الشريف أحمد مُقِيْم برُهَاط[١١]، وهي قرية ذات نخل مسافتها عن مكة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: طليبًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغرائب.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: العجائب.

(٤) جَذَع: الشَّابُّ الحَدَث، صَغِير السّن. **المعجم الوسيط**، ص ١١٣.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: وفزع.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: يشاء.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الأشياء.

(٩) ٢ جمادى الأولى ١١٩٣هـ/ ١٧ مايو ١٧٧٩م.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب، سرورًا.

(١١) **رُهَاط**: قرية تقع شمال شرقي مكة المكرمة، تشتهر بزراعة النخيل، ويتوافر فيها الماء بكثرة، وسُكَّانها الرُّوقَة مِن عُتَيْبَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٣٥-٧٣٧.

ثلاث محاط[١]، فركب بنفسه في قوة عظيمة، وطوى شقة البين، وأجد خيله وصبحه في يوم الاثنين، فلم يفطن إلا وقد أحاطت به الرجال مِن الجوانب الأربع، وعلم أنْ لا خلاص مِن يده ولا منزع، فلم يتَمَكَّن مِن الفِرار، وقد جرت عليه الأقدار؛ فاستسلم حينئذ للقضا[٢]، وتلقَّاه بالقبول والرضا، فقبض عليه وعلى ولديه، وتَشَتَّت عبيده وأصدقاؤه مِن بين يديه، فَرَكَّبَهَ خَلْفَ واحِدٍ وأمر بحفظه، وأسرع السَّير وأجَدّه، ونزل به إلى بَنْدَر جدة، ثم رَكَّبَه على سفينته في البحر، ولم يعلم ماذا يحدث عليه مِن أمْرٍ، وأمَرَ السَّفان أنْ يوصله إلى يمبع، ويؤبد حبسه حتى يغيب عن الدنيا شمسه، فحبسه وحبس أولاده: السيد راجح، والسيد الحسن، وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والمحن.

فانظر أيُّها المتأمل لهذه الدُّنْيَا وغدرها، وما تفعل بالملوك مع حقارة قدرها، كيف أسقته كاس[٣] الهُوان، وقد كان بالأمس مَلِكًا مُصَان[٤]، وَاعْجَبْ لفعلها بِمَلِك مُطاع، كان يمد للسِّمَاك[٥] يدًا وباع[٦]، مَلِكٌ مَلَكَ إقليم الحجاز، وصارت تحت قبضته حقيقة لا مجاز[٧]، / ق٩٠/ طالما أمر ونهى، وامتضى بأخْمَصه هام السُّها، فَصَيَّرَته في السلاسل والأغلال، وأذَلَّته غاية الإذلال، إنَّ في ذلك لعبرة لِمَن اعتبر، وتبْصِرة لِمَن اسْتَبْصر، وهي الدُّنْيَا الدَّنِيَّة، وأمُورها كالأحلام المقضيّة، لقد صدق الحَرِيْرِيّ[٨] فيما قال في قصيدته التي هذا أوَّلها:

---

(١) أي محطات، وهي مراحل في السفر.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: للقضاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: كأس.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُصَانًا.
(٥) **السِّمَاك**: نجم معروف. والسِّمَاكانِ نجمان نَيِّرَان، أحدهما في الشمال وهو السِّمَاك الرَّامِح، والآخر في الجنوب وهو الأعْزَلُ، وهما في برج الميزان، يقال: بلغ السِّمَاك أي بلغ مرتبة عالية. **المعجم الوسيط**، ص ٤٥٠.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: باعًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: لا مجازًا.
(٨) **الحَرِيْرِيّ**: أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري، ولد في بلدة المَشَان، قُرْب البصرة عام ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، وتلقى العلم في البصرة، ثم رحل إلى بغداد، وتعَلَّم على أيدي عُلمائها مثل: المُجاشعي، الشِّيرازي، ابن الصَّباغ، الخَبْرِي، وغيرهم، وقد صار الحريري =

يَـا طَـالِـب الـدُّنْـيَـا الـدَّنِـيَّـة إِنَّـهَـا
شَـرَكُ الـرَّدَى وَقَـرَارَةُ الأكْـدارِ

دَارٌ إِذَا مَـا أَضْـحَـكَـت فِـي يَـوْمِـهَـا
أَبْـكَـت غَـدًا تـبًّـا لَـهَـا مِـنْ دَار

وهي طويلة ذكرها في المقامات[1]، فعليك بها للعبرة والعبارات، فسبحان الْمُعِزّ الْمُذّل، الذي لا يَزُول ولا يتَحَوَّل، يفعل ما يشاء، ولا يُسْأل عمَّا يفْعل.

ثم بعد أنْ وصل إلى حبس يمبع عاد الشريف إلى مكة، وعلم انفكاك الحروب بعد حبسه، وقد كانت غير مُنْفَكَّة.

[قبيلة هُذَيْل تقطع طريق الطائف]

وفي هذه السنة[2] بلغه أنَّ قفلًا تَوَجَّه إلى الطايف[3]، فنهبته هُذَيْل في

= أشهر أدباء عصره، وذاع صيته بكتابه «المقامات»، ومِن مؤلفاته: «درة الغواص في أوهام الخواص»، و «ملحة الإعراب»، و«صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور»، و«توشيح البيان». توفي في البصرة ٦ رجب ٥١٦هـ/ ١١ سبتمبر ١١٢٢م. ياقوت الحموي الرومي، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ج ٥، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٢٠٢-٢٢١٦؛ شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ١٩/ ٤٦٠-٤٦٥؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٥/ ١٧٧-١٧٨.

(١) **المقَامَاتُ**: مفردها مَقَامَة، والْمَقَامة لغة: المجلس يجتمع فيه الناس، واصطلاحًا: قصة قصيرة مسجوعة، تدور حوادثها في مجلس واحد، وتشتمل على عظة أو ملحة، كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم، وتقع حوادث كل قصة في مكان تنسب إليه الْمَقَامة، وهي مِن قمم الأدب في الصناعة اللغوية والإتقان، وقد ابتدع هذا النوع مِن الأدب بديع الزمان الهمذاني، ولكن نالت مَقَامات الحريري شهرة واسعة. وقد قام يحيى بن محمود الواسطي (ت ٧هـ/ ١٣م) بنسخ الْمَقَامات وزَيَّنَهَا بمائة منمنمة مِن رسومه تعبر عن الخمسين مقامة ثروت عكاشة، **فن الواسطي من خلال مقامات الحريري**، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٧٤م؛ حسن عباس، **نشأة المقامة فى الأدب العربي**، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٩-٤٠.

(٢) أي عام ١١٩٣هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٩ - ٦ يناير ١٧٨٠م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

جبل كَرَى، وصعدوا إلى جبلهم السامي الذرى، وكان مع القفل نفر مِن العسكر، أخذوا مِنْهم السلاح، وأثخنوا فيهم الجراح، وصادفهم جماعة مِن شَهْرَان(١)، فنهبوهم وقتلوا ثلاثًا(٢) مِنْهم ظلمًا وعدوان(٣). وفي تسعة عشر مِن شهر ربيع(٤) نهبت هُذَيْل مِن طريق الطايف(٥) أربعة مِن البغال، بِمَا عليها مِن الأحمال، وقتلوا حُرْمَة(٦) وثلاثة مِن عسكر اليمن، وأصابوا مِنْهم ثلاثة؛ فتوقفت الناس عن السفر، حتى تبدو مِن اللَّه تعالى الإغاثة؛ وانقطع الدرب، واشْتَدَّ على الناس الكرب.

[غزوة على بني مُخَاشِن]

وفي يوم سبع وعشرين(٧) صَبَّح الشريف سرور بني مُخَاشِن، وأخذ ما لديهم مِن الأغنام ودخل مكة بسلامٍ، ولم تزلْ هذه سريته مع البُغاة، والطاغين والعُتاة، حتى قمع صولة المُتمردين، وكسر شوكة الجبابرة المعاندين، ببلد اللَّه تعالى الأمين، ولم يميز في الأحكام والحقوق بين وضيع وشريف، ولم يتمرد في أيامه قوي ولا ضعيف.

[مؤامرة لاغتيال الشريف سرور]

ومِن المعلوم صولة السادة الأشراف، وما يَسْلكونه مِن أحكام الشرع

---

(١) **شَهْرَانُ**: مِن قبائل عَسِيْر، واحدهم شَهْرَانِي، وتدعى شَهْرَان العريضة لكثرة فروعها. وبلادهم مِن بيشة شمالاً إلى أعالي أوديتها في الجنوب حيث بلاد قحطان، في سفوح سراة عسير على ضفاف وادي شَهْرَان، وقاعدتهم خميس مُشَيْط، يحدهم شرقًا تثليت، وجنوبًا بلاد قحطان، وغربًا عسير، ورجال الحَجْر. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ٤١٨-٤١٩؛ صلاح هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني**، ص ٨٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: ثلاثة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عدوانًا.

(٤) ١٩ ربيع الأوَّل ١١٩٣هـ/ ٥ إبريل ١٧٧٩م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) **حُرْمَة**: امرأة.

(٧) ٢٧ ربيع الأوَّل ١١٩٣هـ/ ١٣ إبريل ١٧٧٩م.

في الانحراف، وصولة سادتنا العبيد، وأبنائهم المواليد مِن كُلّ فاجر عتيد عنيد، فلم يزل يعاملهم بالجور، ويسلك فيهم طريق التسلسل والدور، وكُلّمَا تعدى أحد عن طوره، بالغ في عقوبته مِن فوره، / ق٩١/ فاشمأزت نفوسهم لعدم المألوف، وكانوا يرون أنَّهم شم الأُنُوف، فربط على قتله طايفة[1] مِن المذكورين، بأنَّهم بعد قتله يَلُون مكانته، ويُعِيْدون الماضي مِن القوانين، على أنَّهم يترصَّدوا[2] له بغتة في الأزِقَّة كالحرس، ويقتلونه غدرًا بالليل وهو في العَسَس[3].

وكان معهم في الرابطة السيد عبد المجيد بن سعيد بن علي فَنَمَّ عليهم، وأخبر الشريف سرور[4] بالخبر الواضح الجلي، وأخبره أنَّه ارتبط عليك سبعة مِن ذوي زيد بالخيانة والكيد، وأنَّ معهم ملفقين ما ينوف على الخمسين، بأنهم يقتلونك في ليلة حالكة الجلباب، ويلي مكانتك السيد دباب، وأنَّ سالم بن علي بن عبد اللَّه هو الوزير، وقد فرَّقَوا المناصب على الصغير والكبير، وأنَّ السيد مسعود[5] العِواجي هو الذي يتقدَّمُهُم بالقتل، ويفاجيك[6] قبلُ.

فلم يُصَدِّقَه في الخبر الذي رواه، وظن أنَّه حديث افتراه، فأعاقه عن الخروج في ذلك اليوم، لينكشف له خبر القوم، ولم يزل ملزومًا عنده، حتى أزهرت نجوم الظلام، وآنَ للعَسَس وقت القيام، فأرسل مَن يكشف له الخبر، ليظهر له صدق الرجل فيما ذكر، فعاد الرسول موضحًا له غاية الإيضاح، بأنَّه وجد المذكورين في الأزِقَّة والأسواق حاملين السلاح، فثبت حينئذ عنده ما قال، وبادر في لزمهم بغير إهمال، وما كان يظن أنَّ أحدًا يتجَرَّأ على قتله، لكَوْنه لم تمضِ على آبائه مِن قَبْلِه.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يترصَّدون.

(٣) العَسَسُ: الطواف في الليل للكشِف عَن أهلِ الريبَةِ واللصُوصِ. **المعجم الوسيط**، ص ٣٦٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مسعودًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: يفاجئك.

فأمر عليهم بالقبض؛ فَقُبِضَ البعضُ وهَرَبَ البعض، فَمِمَّنْ قبضوه السيد مسعود العِواجي، وهو المباشر للقتل المفاجي[١]، وكذلك ابنه السيد مساعد، والسيد محمد عامر ابن الشريف عبد اللَّه بن سعيد، وسالم بن علي، ومحمد بن جار اللَّه المخرج، ونحو العشرين مِن العبيد، فحبسهم قدر شهر، ثم أخرجهم ليلة الخامس والعشرين مِن جماد[٢]، وقَرَّرهم فاعترفوا بِمَا ربطوه مِن الفساد، فأمر بقطع يد أربعة مِن العبيد، وقطع يد السيد مسعود، وأمر على سالم بن علي يصلبونه على عود، ثم أرسلهم إلى جدة وحبسهم فيها مُدَّة، ثم سَفَّرَهم مع المراكب الهنديَّة، فلم يبق لأهل الربطة بقيَّة، فغابوا سنة كاملة، ثم عادوا إلى اليمن، وقاسوا أنواع المحن، فمات بها السيد مسعود / ق٩٢/ ، ومَن دنا أجله وآنَ مُرْتَحَله، وتفرَّق الباقون بأرض اليمن شذر مذر، وبهذا جرى عليهم القضاء والقدر.

وأمَّا البعض الذي هرب[٣] فيهم: السيد دباب المعهود، وأولاد عبد اللَّه بن مسعود فإنَّهم أقاموا ببدر، ثم سافروا مع الحج سفرة الشوم[٤]، فمنهم مَن مات بمصر، ومنهم مَن مات بالروم.

[زيادة في بناء مسجد ابن عباس بالطائف]

وفي هذا العام[٥] وَكَّل والي الشام محمد باشا بن العظم، الخواجا[٦]

---

(١) كذا في الأصل، الصواب: المفاجئ.
(٢) ٢٥ جمادى الأولى ١١٩٣هـ/ ٩ يونيو ١٧٧٩م.
(٣) وردت في النسخة (ب): هربوا، ورقة ٦٥.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الشؤم.
(٥) أي عام ١١٩٣هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٩ - ٦ يناير ١٧٨٠م.
(٦) **الخُواجا**: كلمة فارسية بـ (و) لا تنطق؛ فهي على ألسنة عجم إيران «خاجة»، وقد انتقلت إلى العربية في صيغتها «خُواجا» بضم الخاء، وانتقلت إلى التركية العثمانيَّة في صيغة «خُوجه»، وجعلوها لقبًا من ألقاب التشريف، اختصّ به الشيوخ ورؤساء العلماء. كما كانت تطلق على مَن يمتون بصلة إلى الأصل الفارسي. أحمد السعيد، **تأصيل الدخيل**، ص ٩١؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٦٨؛ مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، ص ٢٥٠-٢٥٢.

محمد[١] العنتبلي أنْ يزِيْد في مسجد الحَبْر، ويُعِيْنَه على ما فيه الثواب والأجر، فزاد فيه اثنين وثلاثين ذراعًا[٢] في الطول، ومثلها في العرض؛ فاتسع المسجد ونال الفوز في يوم العرض، فتَمَّت عمارته في شهر رمضان، وجزاه اللَّه تعالى خيرًا، وتفضل عليه بالإحسان.

ولمَّا طلع صاحب الترجمة لزيارة الحَبْر، جَدَّد في المسجد المذكور عقدين، فزاد اتساعًا، وزاد في شمسته مِن جهة المشرق عشرين ذراعًا، فشكر اللَّه تعالى سعيه وتقبّل مِنْه، وقد ورد عن النبي ﷺ أنَّه قَالَ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ**[٣]**، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**»[٤] صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله سفينة النجا[٥]، وأصحابه بدور الدجا[٦]، ونسأله أنْ يُوَفقنا لما يحبه ويرضاه، بجاه نبيه ومصطفاه.

وفي اليوم الحادي عشر مِن جماد[٧] توفي فجأة خليل باشا والي جدة، وحصل يوم موته ارتفاع في الأسعار وشدة.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٢) **ذراع**: مِن المقاييس التي عرفها العرب، ومِنْها أنواع مختلفة من حيث الطول، أشهرها: الذراع الهاشميَّة طولها ٦٤ سم، والذراع المعماريَّة طولها ٧٥ سم، والذراع البلديَّة طولها ٥٨ سم. ومِن أجزاء الذراع القبضة والإصبع. ومِن مضاعفاتها الباع. أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي**، ص ١٧٩- ١٨٠؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٩٣.

(٣) **قَطَاة**: طَائر، وهو نَوعٌ مِن اليَمَام يُؤْثِرُ الحياةَ في الصحراء، ويتَّخِذ مَفْحَصه (عشه) في الأرض، ويطير جماعاتٍ، ويقطع مسافاتٍ شاسعة. كمال الدين الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ١/ ٢٩٨؛ **المعجم الوسيط**، ص ٧٤٨.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ النَّوْفَلِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، به. انظر: محمد بن يزيد بن ماجه، **السنن**: **سنن ابن ماجه**، ج١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٤٧٥.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: النجاة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الدجى.

(٧) ١١ جمادى الأولى ١١٩٣هـ/ ٢٦ مايو ١٧٧٩م.

وفي الثامن والعشرين مِن رجب[١] تَوَجَّه الشريف سرور بأهله إلى الطايف[٢] ونزل في قرية السَّلَامَة[٣]، وفي نفسه أنْ يجمع العُربان ويزور قبر جده المُظَلَّل بالغَمَامة، وفي نصف شعبان[٤] أخرج الهلال القديم، الذي على قبة سيدي الحَبْر، مِن حين بنى هذه القبة المستنجد باللّه يوسف العباسي[٥]، سنة خمسماية[٦] وخمس وخمسين[٧]، وكان الهلال صُفْرًا[٨] مُمَوَّهًا بالذهب، فوضع بدله هلالاً أبدع في صنعته وأغرب، وَزْنُه ستماية[٩] أُوقِيَة مِن الفضة النقيَّة، وبعد مضي أيام سَوَّدَه النَّدى فتصدى لِتَمْوِيْهَه بالذهب، فمكث طالع الهلال بأفق القبة يستمدّ مِن نورها، حتى دارت الأهلة في انقضاء دَوْرِهَا، فأخرجه ووضع آخر أكبر مِنْه يقارب وَزْنُه قِنطَار[١٠]، وبعد ثلاث سنوات أخرجه ومَوَّهَه بالنُّضَار[١١].

---

(١) ٢٨ رجب ١١٩٣هـ/ ١٠ أغسطس ١٧٧٩م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) **قرية السَّلَامَة**:، إحدى قرى الطائف، بها مسجد عبد اللّه بن عباس ﷺ، وهي كثيرة البيوت والبساتين، وبها عين ماء، وكان ينزلها أعيان مكة وفضلاؤها. عاتق البلادي، **معالم الحجاز**، ص ٨٢٥.

(٤) ١٥ شعبان ١١٩٣هـ/ ٢٧ أغسطس ١٧٧٩م.

(٥) **المستنجد باللّه يوسف العباسي (٥٥٥-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧٠م)**: أحد خلفاء الدولة العباسية، ولد في بغداد عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، وبويع بولاية العهد عام ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه المقتفي لأمر اللّه عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، وكان المستنجد موصوفًا بالعدل والرفق، شديدًا على المفسدين، وألغى المكوس التي أثقلت كاهل الرعية، ثم مات خنقًا نتيجة مؤامرة حيكت ضده عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، ودُفِنَ في بغداد. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ٢٠/ ٤١٢-٤١٨.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.

(٧) سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م.

(٨) **صُفْرًا**: النحاس الأصفر. **المعجم الوسيط**، ص ٥١٦.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: ستمائة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: قِنْطَارًا. وهو يساوي مائة رِطْل، أيّ خمسة وأربعين كيلو جرامات. فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٤٠؛ أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي**، ص ٣٧٠-٣٧١.

(١١) **النُّضَار**: الذهب الخالص. **المعجم الوسيط**، ص ٩٢٩.

[ارتفاع الأسعار وانتشار الجوع]

وقد تقَدَّم أنَّ بموت الباشا / ق٩٣/ ارتفع سعر الأقوات، في أغلب الجهات، حتى وصل سعر كَيْلَة(١) الحب والزبيب ورِطْل(٢) السمن إلى قرشين، والدخن والذرة بقرش ونصف، وعُلو(٣) الأسعار أنْ قُرَّ شَيْن. وأمَّا البوادي فقَلَّت عليهم الأمطار، وحصل عندهم القحط في جميع الأسعار، فتركوا ديارهم وهاسوا(٤) في جميع الديار، وأكلوا ساير(٥) اللُّحوم حتى الكلب والحمار، وباعوا السلاح والبلدان، ومات أكثرهم جوعًا سيَّما غَامِد(٦) وزَهْرَان(٧)، حتى إنَّ بعضهم تصَرَّف في بيع بلدته بعشاء ليلته.

ثم فشا الموت فيهم، وأخلى مِنْهم الديار، وصارت الموتى في كهوف الجبال وتحت الأشجار تأكل مِن لحومهم الرَّخم والبوم، ولا يجِدُون مَن

---

(١) **كَيْلَة**: وعاء يكال به الحبوب، ويقدر بثمانية أقداح، ومقدار حجمه ٥-١٦ لترًا. فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٧٢؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين**، ص ٣٥.

(٢) **رِطْل**: معيار يُوزن بِهِ أَو يُكَال يختلف باختلاف البلاد، وقد كان الرِّطْل في مكة يساوي مثيله العراقي؛ أي ٢٥- ٤٠٦ جرامًا. فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ٣٠-٣١؛ علي جمعة، **المكاييل والموازين**، ص ٢٩-٣٠.

(٣) وردت غلو في النسخة (ب)، ورقة ٦٦.

(٤) **هَاسُوا**: دَاروا وانتشروا في أيّ مكان. **المعجم الوسيط**، ص ٩٩٩.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سائر.

(٦) **غَامِد**: مِن قبائل عسير، واحدهم غَامِدي. ومِنْهم: بَنُو كبير، بنو ظبيان، بنو خثيم، بلجرش، بالشهم، آل صياح، وغيرهم. وتقع ديارهم بين الشلاوي مِن الشمال، وشمران مِن الشرق، وبَلْقَرن وبلعريان مِن الجنوب، وزبيد وزهران مِن الغرب، وتمر طريق الطائف - أبها وسط ديار هذه القبيلة. صلاح أحمد هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٦هـ/ ١٨٧٢-١٩١٤م)**، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٧٣.

(٧) **زَهْرَانُ**: من أكبر قبائل عسير، واحدهم زَهْرَاني. ومِنْهم: بَنُو يُوس، بنو سُليم، بنو عُمَر، دَوْس، بنو عُمَر الأَشَاعِيْب. وتقع ديارهم بين ديار بني مالك من الشمال، وغامد من الشرق، وزُبَيْد مِن الجنوب والجنوب الغربي، وذوي حسن مِن الغرب، وتمتد في الغرب إلى ما يقرب إلى ساحل البحر بمقدار ١٥ ميلاً. رضا كحالة، **القبائل العربية**، ٢/ ٤٨١؛ صلاح أحمد هريدي، **عسير تحت الحكم العثماني**، ص ٧٢.

يواريهم إلى بيتهم المعلوم، فخلت مِنْهم المنازل بسبب هذا النازل، وفي أغلب تلك الديَار لم يبقَ ديّار ولا نافخ نار، حتى الذي تشَتَّت في أرض أخرى مات فيها، نسأل اللَّه الكريم أنْ يدركنا بلطفه الخفي، ويعاملنا بِمَا هو أهله بجاه نبيه الوفي.

والعرب سَمَّت هذا الفنا[1] والغلا[2]: حوقة، وهذا كله آفة المعاصي والطغيان، وعدم المُبَالاة بحقوق الرحمن، وسيأتي أنَّ الذي بقي مِن بعد هذا الفنا[3]، توالدوا وتناسلوا حتى زادوا على المائة ألف، وكُلّهم دخلوا في دين الشقي الوهابي، وصاروا يقاتلون المسلمين معه قتالاً لا يكيّف، فانظر لحكمة اللَّه تعالى التي أفنت أولئك، ولو كانوا موجودين لزادوا على هؤلاء، ودخلوا في الدين الحالك.

ولم يزل هذا الحال إلى شهر القعدة[4]، ثم فَرَّج اللَّه تعالى الكرب، وحَلَّ هذه العقدة، وتفضل بإرسال الغيث المدرار، ووردت الزعايم[5] وهانت الأسعار، وكانت مُدَّة هذا الابتلاء والقحط، الذي أفنى المَلأ، ستة أشهر إلا عَشَرةَ أيامٍ، ففَرَّج اللَّه تعالى الكرب، وتفضل بالإنعام.

[غزوة على الشَّيَابِيْن وقبيلة هُذَيْل]

وفي ليلة ثالث عشر شوال[6] فزع الشريف بِمَن لديه مِن الرجال، وركب وصَبَّح الشَّيَابِيْن، وأخذوا مِن أغنامهم ألفين ومِن الإبل ماتين[7] وثمان وعشرين، ثم ركب على هُذَيْل ونواهم بالخيبة والويل، فحذرتهم العيون،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الفناء.

(٤) شهر ذي القعدة ١١٩٣هـ/ ٩ نوفمبر - ٨ ديسمبر ١٧٧٩م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الزعائم.

(٦) ١٣ شوال ١١٩٣هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٧٧٩م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

وأفشوا سره المصون، فأخذوا حذرهم، وكَمَّنُوا له في الشعاب والهضاب، وتَرَّسُوا له في تلك الجبال الصعاب / ق٩٤/.

فلمَّا أقْبَل عليهم بادروه بالقتال، ومكث الحرب بينهم ساعتين وما استطال، فعاد ولم يبلغ مِنْهم منال[١]، وتركهم على روس[٢] الجبال، ثم ركب أيضًا بنفسه على الشَّيَابِيْن، فأُنْذِرُوا به ووَلّوا على أعقابهم مُدبرين.

[غزوة على الشَّلاَوَى مِن بني الحارث]

فعاد ومكث سبعة أيام، ولم يطب له المقام، فركب على قبيلة يقال لها: الشَّلاَوَى[٣]، فَخْذٌ مِن بني الحَارِث[٤]، بعثه على قتالهم باعث؛ منازلهم بأطراف الشرق، وينجعون مِنْه إذا أتعبهم المحلُ وشَق، فأجَدَّ خيله مُسْرعًا يومين وليلتين، وصَبَّحَهم في اليوم الثالث، وأذاقهم شقة البين، واستدام الحرب بينهم نهاره بِمَا طال، ثم وَلّوا هاربين، وتركوا الحلة والمال، فجَرَّعَهم كاس[٥] الموت الأحمر، وأصاب جانبًا مِنْهم، وقتل ثلاثة عشر، وتبَدَّد شمْلهم وتفَرَّق، وأخذوا في اليوم الأبيض الحلة على الأزرق، فمِن ذلك سبعة آلاف مِن الغنم، وماية[٦] وثمانين مِن حُمر النعم، سوى الأدباش والسلاح، وما يتعلق بأسباب المراح.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: منالًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٣) **الشَّلاَوَى**: مِن فروع قبيلة بني الحارث. وهم بادية يسكنون بقرب حَضَن، وينقسمون إلى: ذوي حطاب، والمعاتبة، وذوي حنيتم، والجعارين، والقناثلة، والجثايث، والحمدات، والعمور، والجلاه. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ١٣٠-١٣٢.

(٤) **بني الحارث**: من قبائل الحجاز ويقال لها: بَالْحَارِث. وواحدهم حارثي. وتنقسم القبيلة إلى: بَنْيُوس (بنو أوس)، والشَّلاَوِى، وناصرة. وتقع ديارهم جنوب الطائف على مسافرة ٦٠ كيلاً وهي مستطيلة؛ وتمتد من تهامة على حدود اللَّيْث غربًا إلى بلاد البُقُوم وغامد شرقًا، مخترقة بذلك جبال السروات، وهي أرض ذات سهول وجبال، تقع سهولها في عالية نجد، وفيها عدد من الأودية المشهورة مثل: مَيْسَان، بواءٍ، أبو راكة. حمد الجاسر، **معجم قبائل المملكة**، ص ١٢٧.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

وعاد إلى الطايف[(١)] في اثنين وعشرين مِن الشهر[(٢)]، وهو مؤيد بالفتح والنصر، ثم تحرك بالرحيل إلى وطنه ودار مقرّه وسكنه، فدخلها وأقام بها، ولم يغز أحدًا مِن البوادي حتى نادى بالحج الْمُنادي، وكان والي الشام ذو الرأي والحَزْم محمد باشا بن العظم سنة ١١٩٣ [(٣)]، وأمير الحاج المصري مراد بيك[(٤)]، جاء في قوّة عظيمة، وأراد ما أراد مِن الإفساد.

[زواج الشريف سرور مِن بنت سلطان المغرب]

وفي هذا الموسم أرسل سلطان المغرب مولاي محمد[(٥)]

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٢) ٢٢ شوال ١١٩٣هـ/ أوَّل نوفمبر ١٧٧٩م.

(٣) سنة ١١٩٣هـ/ ١٨ يناير ١٧٧٩ - ٦ يناير ١٧٨٠م.

(٤) **مراد بيك**: مراد بيك الكبير المحمدي، مِن مماليك محمد بك أبو الذهب، اشتراه عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٨م، وصار مِن المقربين إليه، وبعد وفاته اقتسم السلطة مع زميله إبرهيم بك الكبير - المذكور آنفًا - وقد خرج أميرًا على الحج عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، ووقعت العداوة بينه وبين الشريف سرور في ذلك العام، وتقاتل مع العُربان عند الخيف أثناء عودته، وكان حاكمًا على الوجه البحري عند قدوم الحملة الفرنسية عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، فتصَدَّى لهم في موقعتي: شبراخيت، وإمبابة، وبعد هزيمته فَرَّ إلى الصعيد، وبدأ في مقاومة الفرنسيين، ثم تصالح معهم، وأصبح حاكمًا على الصعيد، وقد توفي هناك بالطاعون في ٢٨ ذي القعدة ١٢١٨هـ/ ٢١ أبريل ١٨٠١م، ودُفِنَ في سوهاج. إسماعيل الخشّاب، **خلاصة ما يراد من أخبار الأمير مراد**، حقَّقه وترجمه وعلّق عليه: حمزة بدر ودانيال كريسيليوس، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص١٧ - ٤٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٧٠-٢٧٥.

(٥) **مولاي محمد** (١١٧٠-١٢٠٤هـ/ ١٧٥٧-١٧٩٠م): محمد بن عبد اللَّه الخطيب ابن إسماعيل بن علي الشريف العلوي، سلطان المغرب الأقصى، ولد في مكناس عام ١١٣٤هـ/ ١٧١٠م، وخرج إلى الحج مع جدته عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م، ثم تولى الحكم ٢٥ صفر ١١٧١هـ/ ٧ يوليو ١٧٥٧م، ويُعَدُّ أشهر السلاطين حيث شهدت مملكته ازدهارًا في كافة النواحي: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، ونال مكانة على المستوى الدولي، وقام باسترداد مازاغان من البرتغاليين عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م، وعقد مع ملك فرنسا لويس السادس عشر Louis XVI (١١٦٧-١٢٠٣هـ/ ١٧٥٤-١٧٨٩م)، اتفاقية لإلغاء الرق عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م، وكان على علاقة طيبة مع السلطان العثماني، وبينهما كثير من المراسلات، وتوفي في ٢٤ رجب ١٢٠٤هـ/ ٩ أبريل ١٧٩٠م، ودُفِنَ في عين عتيق قرب الرباط. محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعديّة)**، تحقيق وتعليق: =

بنته[١] يزوجها على الشريف سرور، واختار بأنْ يكون له صهرًا، وكفى بِمَن تطلبه الملوك لبناتها فخرًا، وأرسل معها أخويها: اليزيد[٢] وسلامة[٣]..............................

= أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٦٢ وما بعدها؛ أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، الدولة العلوية، القسم الثاني، الجزء الثامن، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ٣-٧٢؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٦/ ٢٤١-٢٤٢.

(١) **الشريفة لبابة بنت محمد**، تزوّجها الشريف سرور في أواخر عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، وأقرّ لها الشريف سرور في وصيته بـ«جميع ما تحت يدها من مصاغ، وملبوس، ودبش، وعبيد، وجوار، وأغاة فهو لها، وتستحق مني عشرة آلاف قرش ذهبي، وإذا أرادت السفر إلى بلدها فتحمل وتزمل وترسل إلى أهلها من مالنا كذلك، وإن أتاها من بلدها ما يحملها ويزملها من أهلها فلا تعطى من مالنا غير الذي تستحقه بذمتنا». وللشريفة لبابة حجة شرعية حول وقف رباط، وهي صادرة من محكمة مكة المكرمة. انظر: عمر بن فيصل آل زيد، **الشريف سرور...أمير الحرمين**، ص ١٤٠-١٤١، ١٨٩.

(٢) **اليزيد بن محمد**: ولد في مدينة فاس عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، وفي عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م، ولاه والده على كروان، إحدى أكبر القبائل المغربية، فشجعه أولئك على الخروج على أبيه، فبعث له والده الأمان مع كاتبه، فاصطحبه إلى مراكش عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧١م، ثم أرسله إلى الحج عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، وبعد عودته إلى المغرب ظلّ على طبيعته في التمرد، حيث اعترض الحجاج عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م، واستولى على الأموال التي كان يريد والده إرسالها إلى مكة؛ فغضب والده وتبرأ مِنْه، فهرب إلى الشرق، وظلّ على ذلك حتى توفي والده، فتولى الحكم من بعده في ١٨ شعبان ١٢٠٤هـ/ ٢ مايو ١٧٩٠م، وقد مات في إحدى المعارك التي خاضها ضد أخيه هشام، في ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٠٦هـ/ ١٦ يناير ١٧٩٢م، ودُفِنَ في مقابر الملوك السعديين بمراكش. عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١١٧١-١٤٠٠هـ/ ١٧٥٦-١٩٨٠م)**، ج١، تنسيق وتحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٤٧، ٥٧، ٦٨، ٦٩-٧٠، ٧٢؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٢٠١٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٨/ ١٨٧-١٨٨.

(٣) **سلامة بن محمد**: ويعرف أيضًا باسم مسلمة. لمَّا مات أخوه السلطان اليزيد، أراد أخذ البيعة لنفسه، لكنه فشل في ذلك، حيث تمّت مُبايعة أخيه السلطان سليمان بن محمد (١٢٠٦-١٢٣٨هـ/ ١٧٩٢-١٨٢٢م)، فتصالح معه، ثم تَوَجَّه إلى الحج، وظل في مكة حينًا مِن الدهر، ثم تجول في كثير مِن البلدان، ثم عاد إلى تونس ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، =

بأموالٍ عظيمةٍ[(١)]، أهداها للشريف حُبًّا له صدقة[(٢)] للسادة الأشراف لِكُلٍّ بُدٌّ، والسادة العلويون أخذوا حصتهم مِنْها ولا بدّ، ثم إنَّ مولانا الشريف دعا العُلماء والقضاة، وأمراء الحجوج وعظماه[(٣)]، ودعا المفاتي والسادة الأشراف بني عمّه آل عبد مناف، وعَقَد على بنت السلطان بمحضر هذه الأعيان.

فَعَقَدَ له بها ملك العُلماء الذي امتطى غارب الجوزاء، وجعله سُلَّمًا و[تَسَنَّم][(٤)] هامَة السِّمَاك، وجاوز قدره الأفلاك، مفتي بلد اللَّه تعالى الحرام، والمرجع في الأمُور إذا تشابهت الأحكام، / ق٩٥/ مولانا المفتي عبد الملك ابن المفتي عبد المنعم بن المفتي تاج الدين الحنفي؛ بخطبة نكاح لو رآها بديع الزمان[(٥)]؛ لأذعن لها غاية الإذعان، أو الحريري لجعلها جُلَّ مراماته،

= ثم تَوَجَّه إلى المغرب الأقصى، فلم يطب له العيش فيها، فعاد إلى تونس، وظلّ بها حتى وفاته في ١٥ جمادى الآخرة ١٢٥٠هـ/ ١٩ أكتوبر ١٨٣٤م، ودُفِنَ بزاوية سيدي عزوز. عبد السلام ابن سودة، **اتحاف المطالع**، ١/ ٧٢، ٧٣، ١٥٤.

(١) وكان هذا الوفد يضم: اليزيد، وسلامة، وأمهما شهر زاد، وأختهما الشريفة لبابة التي تزوَّجها الشريف سرور، والسيد الحاج عبد الكريم بن يحيى. انظر: عبد السلام ابن سودة، **إتحاف المطالع**، ١/ ٤٧. ويصف الناصري مظاهر الأبهة والعظمة، والأموال الكثيرة التي صاحبت الموكب إلى مكة المكرمة بقوله: «وأصحبهما ... هدية عظيمة لأهل الحرمين الشريفين، ومالاً كثيرًا يُفَرَّق على أشراف الحجاز واليمن، وجوائز سنية للعُلماء والنقباء وأرباب الوظائف بمكة والمدينة، وبعث معهما وجوه أهل المغرب ... وكان جهاز ابنة السلطان ما يزيد على مائة ألف دينار مِن الحلي والياقوت والجواهر، وكان يوم دخولها مكة يومًا مشهودًا، حضره عامَّة أهل الموسم الأعظم مِن الآفاق، وتناقلت حديثه الركبان والرفاق». أحمد بن خالد الناصري، **المغرب الأقصى**، ٨/ ٣٤.

(٢) يبدو أنّ هذه الكلمة وقع بها لبسٌ لدى المؤرخ؛ حيث إنّ الصَدَقة لا تجوز على آل النبي ﷺ كما ورد في الصحيح، قال النبي ﷺ: «**إنَّ الصَّدَقَةَ لا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ، إنَّما هِي أَوْسَاخُ النَّاسِ**». انظر: مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللَّه ﷺ**، **ج٢**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ٧٥٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عظماءه.

(٤) وردت في الأصل تَسلّم، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٦٨ . وتَسَنَّم الشيء أيّ صعد إليه.

(٥) **بديع الزمان**: أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، اشتهر ببديع =

ووقف عندها دون مقاماته، ولو ظفرت بها الآن لذكرتها، وكانت كالعقد في جِيد الزمان.

وفي التاسع عشر[١] سافر الحج الشامي إلى الديار وتَوَجَّه على مدينة المختار.

[مُحاولة عزل الشريف سرور مِن قبل أمير الحج المصري مراد بيك]

وفي الثاني والعشرين[٢] برز أمير الحاج المصري مراد بيك إلى الزاهر، وأرسل غيره يلبس خِلْعة الشريف تَكَبُّرًا ظاهر[٣]، فحصل بينهما مباغضة ومعاداة، لأمرٍ أوجب هذا الحال واقتضاه؛ والسبب أنَّ عبيدًا هربوا مِن الشريف، وتَفَيَّؤا في غير ظلّه الوريف، والتجوا[٤] إلى مراد بيك، فتحيَّل بهم حتى استخلصهم لديه، وبالغ في ضربهم بِمَا طال، ووضعهم في السلاسل والأغلال، فأرسل مراد بيك يتَوَجَّه في خلاصهم، فأبى وأضرب صفحًا عن قوله ونبا، ثم شرد عبيد آخرون بخيلهم الجِياد، والتجوا[٥] إلى الصنجق مراد، فأرسل الشريف يطلب مِنْه العبيد، فشتم مرسوله وبالغ في التهديد.

وحدَّثته نفسه أنْ يضع للمَكَانة خلافه، وأنْ يكون مِن بيت الشرافة، فاستلحق السيد سليمان بن يحيى، وعزمه على أنْ يدعي طلب هذه المكانة، وتكفَّل له بالنجدة والإعانة، فقويت مِن السيد سليمان الآمال، وهو أهل لهذا الفضل والإجلال، فجعل في كُلّ ليلة يتردد عليه ويجول معه فيما يصير هذا الأمر إليه، فلمَّا بلغ الشريف

= الزمان الهمذاني. ولد في مدينة همذان بإيران، عام ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م. وتُعَدّ كتاباته أقدم نص تتبلور فيه سمات الفن المقامي، توفي مسمومًا في مدينة هراة في شهر جمادى الآخرة ٣٩٨هـ/ فبراير ١٠٠٨م. ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ١/ ٢٣٤-٢٥٣؛ شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ١٧/ ٦٧-٦٨؛ حسن عباس، **نشأة المقامة**، ص ٥٢-٧٣.

(١) ١٩ ذو الحجة ١١٩٣هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٧٧٩م.

(٢) ٢٢ ذو الحجة ١١٩٣هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٧٧٩م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ظاهرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الْتَجَأوا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الْتَجَأوا.

سرور[1] هذا الخبر، شقّ عليه وكدر، فطرح العيون عليه مِن كُلّ مكان، وأمرهم بلزمه بأيّ وجه كان، فخرج في ذات ليلة مِن عنده مُتنكِّرًا في زيّ سَايس[2] عليه زعبوط[3]، فقبضوه في طريق الْحَجُون وجاوا[4] به مربوط[5]، ثم وضعه في السجن مُدَّة، ثم أرسله وحبسه في يمبع، بعد أنْ حبسه في جدة.

فلمَّا بلغ الصنجق حبس السيد سليمان، اشْتَدَّ غضبه واشتعل بالنيران، فأمر الحج بالارتحال، وصَمَّم على ما صَمَّم عليه مِن القتال، فأقام بالخيول والرجال لطلب الشر، وأرسل الحج، وقد وصل إلى وادي مَرّ، ومِن اللُّطْف والعناية كان مثقالُ أغا عند الصنجق مُقِيم[6]، وكان بينهما صداقة وود قديم، ولم يزل يثنيه / ق٩٦/ عن عزمه ويراجعه، ويلاطفه في الكلام ويخادعه، حتى غربت الشمس، وضاقت النفس.

وأمَّا صاحب الترجمة فقد تَرَّس الدار بالرجال، واستحضر للقتال، بل بلغني أنَّه أراد الخروج عليه إلى الزاهر، بقصد قتاله وتَشْتِيْته ووباله، فَسَلَّم اللَّه تعالى، ولم يقع بينهما شيء، وسافر ولم يحصل له ما أراد مِن العنا[7]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سَائِس. وهو يعتني بالدَّوابّ ويُدرِّبُها، مثل سَائِس الخَيْل. **المعجم الوسيط**، ص ٤٦٢.

(٣) **زعبوط**: اسم يطلق على أغطية الرأس، ويتخذ أشكالا كثيرة، ويُصنع من خامات متعددة، وفيه عدة أنواع، مِنْه: أوسكوف، وهو مِن اللباد يلبسه جنود الإنكشارية، وحافته الملامسة للرأس محلاة بالصيرمة. بورك: وهو مِن اللباد الأبيض كان يستخدمه فتية الأخية، وصار غطاء رأس رسميًّا لجنود الإنكشارية مُنْذ عهد السلطان بايزيد الأوَّل. ولأغطية الرأس مُسَمَّيات كثيرة، تختلف باختلاف الفئات الاجتماعية التي ترتديها، أو درجتهم العلمية والعسكرية . صالح سعداوي، **مصطلحات التاريخ العثماني: معجم موسوعي مصوَّر**، ج ١، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٦م، ص ١٨٦، ٢٩٧.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مربوطًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: مُقِيْمًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: العناء.

وأصحب معه السيد ناصر بن سليمان، وكذلك العبيد الشَّارِدُونَ ركبوا معه عِيانًا بيان[١].

[قبيلة حرب تهاجم ركب الحج المصري]

فلمَّا وصل مراد بيك إلى الخَيْفِ، قاتله أهل الخَيْف مِن الجبال، ورَمُوه بالرصاص، فأسرع هاربًا ولم يجد له خلاص[٢]، فَقُتِلَ بعضُ الحجاجِ، ومَرَّ الباقون تحت العَجَاج، وكان معه جملة مِن شيوخ حرب رهاين[٣]، خَوزقهم بعد ما مَرَّ تلك الجهات، ولم يعطِ في ذلك العام ما هو لحرب مِن المعاليم والمُقَرَّرات[٤].

وجنح في بال الشريف رُبَّمَا إذا مَرَّ يمبع يفك الشريف أحمد، ويَنكيه بهذا المقصد، فاستلحقه مِن يمبع، وحبسه في جدة، وبعد أنْ تعَدَّى يمبع أعاده إلى مكانه ورَدَّه، فأرسل معه السيد سليمان بن يحيى، وأمر بسجنه سوا[٥] يموت أو يحيا.

❐ ❐ ❐

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: رهائن.

(٤) يُصَوِّر الجبرتي الحال في مصر، والمظالم التي وقعت على الناس، عند خروج موكب الحج في هذا العام، بقوله: «وهاجت مصر وماجت في أيام خروج الحج، بسبب الأطلاب وجمع الأموال، وطلب الجمال، والبغال، والحمير، وغصبوا بغال الناس، ومن وجدوه راكبًا على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها قهرًا». وقد سجّل الجبرتي الاعتداء على محمل الحج المصري، قرب المدينة المنوَّرة، عند عودته في صحبة مراد بيك، قائلاً: «هاجمه العُربان في الصفرة والجديدة، وحصروا الحجاج بين الجبال، وحاربوهم نحو عشر ساعات، ومات كثير مِن الناس والغز والأجناد، ونهبت بضائع وأحمال كثيرة، وكذلك الجمال والدواب، والعرب بأعلى الجبال، والحج أسفل، كل ذلك والحج سائر». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٧٣-٧٤، ٨٣.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سواءٌ.

[أحداث سنة ١١٩٤]

[انتشار الأمراض في الحجاز]

ثم في هذا العام سنة ١١٩٤ [(١)] اشتدّ على الناس الأكسال، وتنَوَّعَت الأمراض، وصرمت حبال الآجال بمقراض، فأعرب مبتداه [(٢)] عن رفع، كان مبتداه [(٣)] بمكة وما حولها في شهر صفر [(٤)]، واستطال حتى أباد الناس بيد الحفر، فتكامل في صلاة العصر إلى عشرين جنازة مجتمعة، حتى صار الشخص يمشي ويحمل وصيته معه، وبلغ العدد في كُلّ يوم إلى خمسين بهذا البلد الأمين، فامتلأت المقابر، وضاقت بالرفات، وصاروا يجمعون في القبر بين الماتين [(٥)] والثلاث، وفتحوا الفاسقيات [(٦)] لكثرة الأموات، وجَدَّد أهل الخير مقبرتين بالمَعْلا عن يمين الداخل واحدة، والأخرى عن اليسار، فجزى اللَّه تعالى منشيها [(٧)] خيرًا وجازاه في تلك الدار.

وأمَّا العُربان فقد تقَدَّم ما حَلَّ بهم في تلك الجهات مِن الفوات، وزاد الحال عليهم الآن، حتى لا يجدون مَن يدفن لهم الأموات، وصار المار بديارهم إذا مَرَّ وجدها خالية، ولسان حاله يقول: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [(٨)] / ق٩٧/

---

(١) ١١٩٤هـ/ ٧ يناير- ٢٥ ديسمبر ١٧٨٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مبتدأه.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مبتدأه.

(٤) صفر ١١٩٤هـ/ ٦ فبراير - ٥ مارس ١٧٨٠م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٦) **الفاسقيات**: جمع فسقية، وهي القبر الجماعي.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: منشئها.

(٨) القرآن الكريم، **سورة الحاقة**، آية رقم ٨.

ولم يسمع بمثل هذا الرفع قَطّ بإقليم الحجاز، ولا ضبطه مورخ[١] ولا حاز.

[زيارة الشريف سرور المدينة المنوَّرة]

وفي شهر ربيع الأوَّل[٢] عَنَّ لصاحب الترجمة زيارة قبر جده المُفضل، فاستلحق العُربان وطلبهم مِن كُلّ مكان، ولم يزل تلفي عليه العرب إلى ربيع الثاني[٣] تكامل عنده القَدْر الذي طلب، وما زالوا مُقيمين في ظلِّ عيشه الوريف، وفي كُلّ يوم يجري عليهم المصاريف.

وفي ربيع الثاني خَفَّ الرفع عن الناس، وأتى اللَّه تعالى بالشفا[٤] وارتفع البأس، فتَقَوَّت هِمته للزيارة، وأهاج عزم الجرم وأثاره، فطلب الجِمال مِنْ جَمَّالة مكة ومِن جَمَّالة الطايف[٥] ومِن جَمَّالة حرب، وعيَّن لهم قدرًا معلومًا يكفيه لهذا الدَّرْب، فظن أهل الجِمال أنَّه يأخذها سخرة، ولم يعطهم فيها أجرة، فما صدق تخمينهم وأخطأت [استهم][٦] الحفرة، فاستعدّ بكمال الاستعداد، وجميع ما يحتاجه على وفق السداد، وجميع الذخاير[٧]، وما يحتاجه المسافر، واصطنع لأهله جحفًا أشبه شي[٨] بالمحمل، يضعون فيها شخصًا ويحملونه على الجمل، ووضع لها أثوابًا مُكَلَّلة بالفضة والحرير، فجات[٩] في أسلوب ليس له نظير.

ولمَّا اجتمعت القبايل[١٠] والعشاير[١١]، فَرَّق الزَّاد لِكُلّ مسافر، فأعطى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مؤرخ.
(٢) شهر ربيع الأوَّل ١١٩٤هـ/ ٦ مارس - ٤ إبريل ١٧٨٠م.
(٣) شهر ربيع الآخر ١١٩٤هـ/ ٥ إبريل - ٣ مايو ١٧٨٠م
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بالشفاء.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٦) وردت في الأصل أسهم، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٦٩. والاست هي فتحة الدبر.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: شيء.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: فجاءت.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.
(١١) كذا في الأصل، والصواب: العشائر.

للجَمَّالة مائة غرش أجرةَ كُلِّ بعير، وأعطى لِكُلِّ شخص عَشَرَةَ ريال تدبير[١]، وأعطى كُلّ شخص مِن الأشراف، ومَيَّز بعضهم على بعض، وسلك معهم طريق الإنصاف.

وتَوَجَّه ليلة الأربعاء[٢] في اليوم الحادي عشر مِن جماد الأوَّل، عام أربع وتسعين وماية[٣] وألف[٤] مِن هجرة جَدِّه المفضل، وكان جملة مَن معه مِن العُربان خمسة آلاف، ومِن مراجله ألفان، ومعه خمسماية[٥] مِن السادة الأشراف، وماتين[٦] وخمسين خَيَّال[٧]، وثلاثة آلاف وخمسماية[٨] مِن الجِمَال[٩]، وخرج مِن مكة في أَتَمِّ نظام، ودخل مدينة جدة، وأقام بها ثمانية أيام.

ومِن أعجب ما اتفق وظهر واشتهر، مِن حظّه الذي يقسم الحجر، عدم وصول الموسم الهندي[١٠] في هذا العام، واتفقوا على فوات وقته، وأنَّه لم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: تدبيرًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الأربعاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائة.
(٤) ١١ جمادى الأولى ١١٩٤هـ/ ١٤ مايو ١٧٨٠م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: خَيَّالًا.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.
(٩) يبدو واضحًا مِن الأعداد التي اصطحبها الشريف سرور معه في زيارة المدينة المنوَّرة أنَّ هدفه لم يكن الزيارة فقط، بل كان يسعى إلى أمر مروم؛ وهو فرض سيطرته على المدينة، وتولية أحد أتباعه عليها، وكي يستعرض قوته في تلك المنطقة بعد أنْ فرغ من القضاء على الأشراف المناوئين لحكمه؛ سواء بالحبس أو القتل أو النفي وأهمهم عمّه الشريف أحمد، وترجع أسباب الحقيقة وراء هذه الزيارة إلى قمقمجي، وأنَّ أهل المدينة طلبوا مِنْه الصفح والعفو، فهدأت الأوضاع بينهما، ولكن ما لبث أنْ اشتعلت لتحدث فتنة كبيرة، كما سيتبن في أسطر المخطوط وتعليقاته.
(١٠) **الموسم الهندي**: الوقت الذي تصل في السفن مِن سواحل الهند إلى مدينة جدة، في مايو مِن كُلِّ عام؛ حيث كانت تفرض عليها الضرائب التي يحصل الشريف على جزء =

يبقَ له أيام، فصادف يوم دخوله إلى جدة والناس في شنآن، فدخل الموسم الهندي بغير رُبَّان، فأقام لأجله تلك اللَّيال، حتى جمع له وزيره ما تحصّل مِن الأموال، ثم تَوَجَّه وصحب معه الوزير ريحان، وأصبحوا على عُسْفان، ثم على خُلَيْص ونادى بالأمان على أهله، / ق٩٨/ وأنْ يبقى كُلٌّ في محلّه، فأقام به رويد[1]، ومِنْه أصبح على قديد، ثم على رابغ بالجنود المنصورة، ثم أصبح على مَسْتُورة[2]، ثم على بدر؛ فتلقاه أهله برحب الصدر، فعرضوا عليه، وقَدَّمُوا الهدايا بين يديه، ثم وسْوس لهم الشيطان، وسلكوا معه طريق التجبر والطغيان، فادَّعوا أنَّ لهم عوايد[3] مِن الملوك إذا مَرَّت بهم وقوانين، وأنَّه أخذ عليهم مِن الصنجق معلوم ثلاث سنين[4].

= مِنْها. والموسم اصطلاح ملاحي عند البحارة العرب العاملين في سواحل شبه الجزيرة العربية والمحيط الهندي، حيث كانوا يسافرون بالسفن الشراعيَّة مع الرِّيَاح الموسميَّة، التي تهب على هذه المنطقة كل عام، فيسيرون مِن الهند نحو سواحل شبه الجزيرة العربية، ومِنْها إلى جدة. والرِّيَاح الموسميَّة في المحيط الهندي يسرت الملاحة فيها، وهي نوعان: أولهما: الرِّيَاح الشماليَّة الشرقيَّة مِن أكتوبر إلى إبريل، وهذه تؤدي إلى ساحلي شبه الجزيرة العربية وأفريقيا، والأخرى: الرِّيَاح الموسميَّة الجنوبيَّة الغربيَّة مِن إبريل إلى أكتوبر، وهذه تؤدي إلى الهند والصين. أنور عبد العليم، **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، سلسلة عالم المعرفة (١٣)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٧٩، ص ١٣٢-١٣٦؛ شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلاميَّة (٤١-٩٠٤هـ/ ٦٦١-١٤٩٨م)**، سلسلة عالم المعرفة (١٥١)، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٨٧ وما بعدها. وللمزيد عن الملاحة والتجارة في البحر الأحمر انظر: حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ١٥٤-١٦١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: رويدًا.

(٢) مَسْتُورة: بلدة قريبة مِن ساحل البحر الأحمر، تقع على ضفة وادي الفُرُع مِن الشمال، وتبعد عن رابغ ٤٠ كيلاً، ومِنْها كان طريق الحج يفترق إلى ثلاث طرق تؤدي إلى المدينة المنوَّرة، وهي في منتصف الطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتبعد عن الأولى بحوالي ٢٣٥ كيلاً. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٥٨٣-١٥٨٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عوائد.

(٤) هذا لا يتفق مع الوقائع السابقة، فالمعروف أنَّ الشريف سرورًا كان على خلاف مع أمراء الحج السابقين، فكيف يسلمونه مستحقّات القبائل، ويُعرِّضون أنفسهم لغضب قبيلة حرب؛ وما يتلو ذلك مِن مهاجمتهم في طريق عودة ركب الحج إلى المدينة المنورة؟!

فتوغرت بينهم الصدور، بسبب دعواهم الزور، واستقر الحال، ودار القيل والقال، فمكث يعالجهم على الصلح ثلاثة أيام، وإنْ هُم إلاَّ كالأنعام، فثار الحرب بينهم مِن كُلّ الجهات، واستمرّ إلى ثلاث ساعات، فانتصر عليهم، وقتل مِنْهم أربعة عشر نفرًا، وفَرَّ مَن بقى، فدخل شيوخهم بين الفريقين، وأصلحوا ذات البين، على أنْ يعطيهم أربعة عشر ألف غرش، ويعطوه مِنْهم ربايط[١] تضمن لهم ما يحصل مِن الأرْش[٢]، فَسَلَّمَهم القَدْر المَعْلُوم وكان سهلًا عليه وهاين[٣]، وأخذ مِنْهم أربعين رجلًا رهاين، وفرَّق يومها بارودًا على قومه، فوقعت فيه شرارةٌ فأثاره، وأحرق مِنْه سبعة أنفار، ولم يأخذ لهم بثأر.

ولمَّا وصل إلى الحمرا[٤] أخبروه أنَّ ولد نَصَّار بن عطية صعد الجبل وتوارى عنك في وصيد، فشَيَّع خَلْفه إلى الجبل فاقتنص وصِيد، فجاوا[٥] به فوضعه هو والرهاين[٦] كلهم في الحديد[٧]، وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد.

ودخل المدينة لتسع خلون مِن رجب[٨]، وفاز بزيارة جَدِّه التي هي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ربائط.

(٢) **الأرْش**: النزاع، يقال: أرَّشت بين القوم، إذا أوقعت بينهم. **المعجم الوسيط**، ص ١٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: هينًا.

(٤) **الحمراء**: قرية بوادي الصفراء، تقع جنوبي المدينة المنوَّرة بحوالي ١٢١ كيلًا، كانت قائمة على عين ماء، ويسكنها في الأساس الحوازم مِن بني سالم مِن قبيلة حرب. البلادي، عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٣/ ٥٠١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فجاءوا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الرهائن.

(٧) لقد ورد في الاتفاق بين الشريف سرور ورؤساء حرب أنْ يعطيهم الأموال مقابل تسليمهم بعض الرهائن، ليضمن ولائهم وعدم اعتدائهم عليه، وكان هروب ابن نصَّار بن عطية سببًا في تشديد الشريف على هؤلاء الرهائن، حيث أثقلهم بالحديد والأغلال، فأغضب رؤساء حرب هذا التصرف، رغم أنَّ واحدًا مِنْهم هو مَن أخلَّ بالاتفاق، ولا ريب أنَّ الرهينة التي هربت ثم قبض عليه، كان مِن أهم الرهائن، الأمر الذي دفعه إلى التقلّب على الأسرى.

(٨) ٩ رجب ١١٩٤هـ/ ١٠ يوليو ١٧٨٠م.

مِن أعظم القرب، فخرج أهلها وقابلوه مِن العَنْبَرِيَّة[١]، ودخل بموكب بين قلعجية وإسباهية، وأناخ بالْمَنَاخَة[٢] رحله، وسكن بها أهله، ثم تَوَجَّه إلى القبر الشريف لنيل الأرب، وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب، فجاوه[٣] الأغوات، والكواخي، وشيخ الحرم[٤]، وطلبوا مِنْه السماح فسمح، ومال إلى العفو عنهم وجنح، ونثر يومها مِن الذهب والفضة شيا كثير[٥]، والتقط مِنْه الصغير والكبير، ثم إنَّه سلك مع أهل المدينة سلوك الإنصاف، وعاملهم باللُّطْف والإسْعاف، فاطمئنت به البلاد، واستراح الحاضر والباد[٦].

---

(١) **العَنْبَرِيَّة**: أحد أبواب المدينة المنوَّرة، كان يقع في السُّور الغربي. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٤١٣.

(٢) **الْمَنَاخَة**: تقع في المدينة المنوَّرة، غربي المسجد النبوي، وكانت بها سوق تبتدئ حدودها مِن مسجد المُصَلّى إلى قلعة الباب الشامي. عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة المنوَّرة**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٣، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٦٣-١٦٥؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦٧٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: فجاءه.

(٤) شيخ الحرم وقتئذٍ أحمد طيفور أغا، وقد تولى مشيخة الحرم المدني حوالي عام ١١٩٠هـ/ ١١٧٦م، وأدى دورًا مهمًّا للقضاء على الفتن التي ظهرت في تلك الفترة، وظلّ في منصبه إلى شعبان ١١٩٤هـ/ أغسطس ١٧٨٠م، حتى عزله الشريف سرور عن المشيخة، واصطحبه معه إلى مكة المكرمة، فقام الباب العالي بتعيين علي أغا شيخًا للحرم في ذي القعدة من العام المذكور. عارف عبد الغني، **أمراء المدينة**، ص ٣٩٣-٣٩٥.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا كثيرًا.

(٦) يزعم أحد الباحثين المحدثين أنَّ ما يرويه مؤرخنا عن المعاملة الحسنة مِن جانب الشريف سرور لأهل المدينة هو محض افتراء، وأنَّ الشريف غدر بهم ووضع أعيانهم في الحديد والأغلال. فائز البدراني، **فصول من قبيلة حرب**، ص ٣٠١-٣٠٣، ٣٠٧. على الرغم مِن أنَّ أحد مؤرخي المدينة المعاصرين للأحداث - والذي وجه نقدًا لاذعًا للشريف سرور - يؤكد على أنَّه قد أحسن معاملة أهل المدينة، وأجزل لهم العطاء والإكرام، وذلك بقوله: «ومكث بالمدينة مِن أيام مراعيًا بها الذِّمَم إلى أنْ شاع أنَّ قصده الظعن، وأعطاهم مِن الإكرام عطاء معن». جعفر بن حسين المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٤-٨٥. والحقيقة أنَّ ما زعمه الباحث المذكور كان محاولة مِنْه إلى لي عنق النص، وأراد إظهار الأمر بأنَّ الشريف سرورًا، أساء معاملة أهلها منذ قدومه إليها، وليس بعد أنْ ظهرت مؤامرة ضده بتحالف بين بعض أعيان أهل المدينة وقبيلة حرب لمقاتلته، ثم يحاول أنْ يثبت وجهة نظره بأنْ يروي ما سجله زين البرزنجي، مدعيًا بأنَّه =

وأمَّا رهاين[١] حرب فقد شَدَّد عليهم غاية التَّشْدِيْد، وزاد فيهم القيود والحديد، فلمَّا بلغ قبايل[٢] حرب حنقت/ ق٩٩/ نفوسهم وقطعوا الدرب، فأعاقوا جميع الزوار، ولم يدعوا طريقًا يسلكه المار.

وقد جرت العادة أنْ يحضر على الركاب زوارٌ مِن مكة وجدة والطايف[٣] وغيرهما مِن البلدان، ويقصدوا في شهر رجب[٤] زيارة قبر سيد ولد عدنان، فلمَّا وصلوا إلى الخَيْفِ أعاقهم عن الزيارة نَصَّار بن عطية، وكان هو المصدر عن حرب البغاة في هذه القضية، فعالجوه أشدَّ العلاج ولو بشيء مِن الدراهم فامتنع، وما أفاق مِن سُكْر بغيه ولا رجع[٥]، فأقاموا ثلاثة أيام، ثم رجعوا إلى مكة ولم يطب لهم المقام؛ فدخلوا مكة ليلة عيد المعراج[٦]، وظلمهم نَصَّار ظُلْمًا لم يظلمه الحَجَّاج[٧].

= مِن المؤرخين المحايدين، رغم أنَّ البرزنجي كان مِن أشدّ أعداء سرور، ومِن الآخذين جانب أهل القلعة، ولذلك تراه يفر إلى مصر بعد المصالحة بين الشريف سرور وأمير الحج الشامي. زين العابدين بن محمد البرزنجي، «**كشف الحجب والستور عمَّا وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور**»، تحقيق: حمد الجاسر، مجلة العرب، الرياض، ج ١-٢، س ٢٠، رجب شعبان ١٤٠٥/ إبريل مايو ١٩٨٥، ص ٤٣٧.

(١) كذا في الأصل، والصواب: رهائن.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) شهر رجب ١١٩٤هـ/ ٢ يوليو - ٣١ يوليو ١٧٨٠م.

(٥) لقد منع نَصَّار بن عطية هؤلاء الزوّار مِن دخول المدينة المنوَّرة، نتيجة سوء معاملة الشريف سرور لرهائن حرب، ولكن لماذا أدخل الزوّار في ذلك الصراع الدائر بينه وبين الشريف، فهل أراد إحراج الشريف سرور أمام رعاياه في تلك المناطق؟ وهل خشي مِن دخول هؤلاء إلى المدينة وينضمون إلى الشريف فيشكلون خطرًا عليهم؟ أم إنه توقع وجود اتفاق مُسَبّق بين الشريف سرور وأولئك الزوَّار القادمين مِن مكة وجدة والطائف؟ ولماذا لم يتخذ الشريف سرور موقفًا عسكريًا ضد هذا التصرف المُشين مِن قِبَل نصَّار بن عطية؟

(٦) ٢٦ رجب ١١٩٤هـ/ ٢٧ يوليو ١٧٨٠م.

(٧) **الحَجَّاج**: أبو محمد الحَجَّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، مِن أشهر القادة العسكريين في العصر الأموي بصورة خاصة، ولد في الطائف عام ٤١هـ/ ٦٦١م، ونشأ بها، وتعلّم =

ثم إنَّ حرب حدَّثتهم نفوسهم بأنْ يجتمعوا ويقاتلوه في المدينة، وهيهات أنْ يروم الثعلب قتال الأسد ويدخل عرينه، فلمَّا بلغه الخبر طرح عليهم العيون، وجعل يرسل خَيْلَه كُلّ ليلة خارج البلاد، لِيَقْبِضُوا مَنْ يُصَادِفهم مِنْ الرواد، فصادفوا نجَّابًا[1] خارجًا مِن المدينة، ومعه كتب مِن الكواخي

= القرآن والحديث، ثم صار مُعَلِّمًا للصبيان، ولكنه ما لبث أنْ رحل إلى دمشق، وخدم في الشرطة، فظهر نجمه، ونال مكانة كبرى لدى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م)، ثم أسند إليه القضاء على عبد اللّه بن الزبير في الحجاز عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م، فنجح في ذلك وقتله؛ فولاه الخليفة على الحجاز، ثم ولاه على العراق عام ٧٥هـ/ ٦٩٤م، وقد نجح في القضاء على كافة الخوارج والثورات التي قامت ضد الأمويين وقتئذ. توفي في مدينة واسط بالعراق عام ٩٥هـ/ ٧١٤م. محمود زيادة، **الحجاج ابن يوسف الثقفي**، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣٢ وما بعدها؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢/ ١٦٢.

(١) يذكر المؤرخ المدني صاحب «الأخبار الغريبة»، أنَّ أمر هذا النَّجَّاب كان مُعَدًّا له سلفًا، حيث سعى مصطفى ابن الكَتْخُدا محمد القُمقْمُجيّ إلى افتعال هذا الأمر ليشعل الفتنة بين الشريف سرور مِن جهة وبعض أعيان المدينة وعسكر القلعة مِن ناحية أخرى؛ وذلك لأنَّ الشريف سرورًا لم يفِ بوعده بإعادة أبيه في منصب الكَتْخُدا؛ فقام بتزوير كتاب على أعيان أهل المدينة موجهًا إلى شيخ قبيلة حرب، ثم اتجه إلى أعرابي مِن الجبل، وأجزل له المال، وقال له: «إذا كان الوقت الفلاني تلقاني مع جماعة ناحية النقا التحتاني، فمر بالكتاب علينا، ولا تسلّمه إنكارًا إلا بعد جهد جهيد إلينا، ولك الجعل وافرًا وإنْ شئت خذه حاضرًا»، ثم اتجه إلى بعض المقرّبين للشريف سرور، ودعاهم لزيارة بعض مزارات المدينة؛ فوافقوا، ولما ذهبوا للمكان الموعود، حضر الأعرابي بالكتاب المزوّر، وتظاهر بارتباكه حينما رآهم، فوقع الارتياب في صدورهم مِنْه، فقبضوا عليه، وعثروا في حوزته على الكتاب المَوَجَّه إلى شيخ حرب، الذي جاء فيه: «قد علمت ما وقع بيننا في بعضنا بعضًا مِن الشرور، وما وقع بينكم بعضكم في بعض مِن مدلهمات الأمُور، وكل ذلك مِن دسائس الشريف سرور، فغاية الأمر وما فيه إرغام إنْ أردت اغتنام الفرصة، فَهَلم إلينا مِن خارج ونحن مِن داخل؛ كي نرهقه الغصة، ويصير بعدها عبرة لِمَن اعتبر وقصة، ولك عندنا غير ما تحصل مِنْه جانبًا مِن المال وحصة، فلا يكون جوابك إلا المجيء، وقطع ذلك الغصن الرديء»، فقبض أتباع الشريف على الأعرابي، وساقوه إلى سيدهم، وأخرجوا له الكتاب، «ولما قرأه طلعت عيناه في أم رأسه، وكشر عن أنياب أضراسه»، وقبض على المتآمرين وسجنهم. جعفر ابن حسين المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٥-٨٧. وعلى ذلك فيتضح جليًّا أنَّ الشريف سرورًا لم يُقْدم على ما فعله إلاَّ بعد أنْ ظهر له أمر تواطؤ عسكر القلعة وبعض أعيان المدينة مع مشايخ حرب. ونلحظ أنَّ أمر هذا النجَّاب قد ذكره مؤرخنا ابن عبد الشكور =

لقبايل[١] حرب، يحثونهم على الإقدام إليهم بصدد الحرب، على أننا نقاتله مِن داخل البلد وأنتم خارجه، حتى ندع أجسامهم في بحر الدماء مايجة[٢].

= والمؤرخ جعفر المدني، وبينما اكتفى الأول بالإشارة إليه بصورة مقتضبة مثبتًا فيها صحة نسبة الكتاب المذكور، نرى الآخر قد استفاض في وصف ما حدث، نافيًا نسبة الكتاب لأهل المدينة، ومؤكدًا على أنَّه مزورٌ، وأمَّا البرزنجي فقد غفله أو تغافل عن ذكره، وهذا يضع كثيرًا مِن علامات الاستفهام؛ لأنَّ في حالة إثباته قصة النجَّاب حتى وإنْ كانت على نفس الصورة التي أوردها ابن جعفر المدني؛ فإنَّه يحمل إشارة على دفع ذنب ما اقترفه الشريف سرور مع أهل القلعة وبعض أعيان المدينة المتآمرين ضده. والحقيقة أنَّ الباحث لا يستطيع أنْ ينفي أو يثبت صحة هذا الكتاب لأنَّه لا توجد سوى روايتين الأولى تثبت والأُخرى تنفي، وإذا افترضنا أنَّ الكتاب صحيحٌ، فما الدوافع وراء صدوره؟ وهل أقلق بعض أعيان المدينة وعسكر القلعة طول المدة التي قضاها الشريف سرور في المدينة المنوَّرة، وتجاوزت شهرًا، وخشوا مِن حدوث أمر ما، فسعوا إلى مكاتبة مشايخ حرب للتحالف ضده، وبخاصة بعد أنْ قطعت قبائل حرب السبل عن المدينة، ومنعت الزوار مِن وصولها، فتلاقت مصالح الطرفين ضد الشريف سرور؟ ولعلَّ ما يرجح ذلك أنَّ بعضًا مِن أحداث الفتن السابقة بالمدينة شهدت تعاونًا بين عسكر القلعة وقبائل حرب؟ فلمَّا لا يكون الكتاب صحيحًا وغير منحول عليهم؟ وهل كانت النية مبيتة عند حرب بقتال الشريف سرور حينما منعوا قدوم ركب الزائرين للمدينة؟ وإذا افترضنا أنَّ الكتاب مزورٌ وأنَّه كان بفعل مكيدة من ابن القمقمجي لإشعال الفتنة بين الشريف وأهل القلعة، فما الذي كان من المتوقع أنْ تكون ردة فعل الشريف سرور حينما وصله الكتاب؛ هل سيأتي بالمتآمرين عليه ليحتفي بهم؟ أم إنَّ موقفه كان رد فعل طبيعيًا على المؤامرة التي حيكت ضده ؟ هذا ولا بدَّ من التأكيد على أنَّ ما كتبه البرزنجي قد يُوهم القارئ بأنَّ الشريف أنزل النكال بكل أهل المدينة، وهذا مخالف للواقع؛ حيث إنَّ مَن طالهم العقاب كانوا مِن عسكر القلعة المتآمرين عليه، وبعض الأعيان المتحالفين مع قبيلة حرب، وقد ذكر المؤرخون المناوئون للشريف سرور أنَّ بعض أهل المدينة المنوَّرة قد تعاونوا معه في سبيل الايقاع بأهل القلعة، ومِن المعروف أنَّ مجتمع المدينة لم يكن نسيجًا واحدًا، بل كان منقسمًا وكل يعمل حسب مصالحه، ولقد كان للأشراف سلطة ويد طولى في المدينة المنوَّرة، ولهم أتباع إبَّان هذه المرحلة يتعاونون معهم. انظر: زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٦ وما بعدها. الافتراض الثالث هل كان أمر هذا الكتاب بمعرفة مِن الشريف سرور حتى يحقّق مبتغاه ويفرض سيطرته على المدينة؟ ورُبَّمَا الشريف سرور تشكّك في نوايا حرب بسبب قطعهم الطريق، ونوى على مراقبة المدينة والداخل والخارج إليها، وعندئذ قام ابن القمقمجي بفعل فعلته التي اشتعلت بها الفتنة بين الجانبين.

(١) كذا في الأصل، والصواب: لقبائل.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائجة.

فلمَّا قرأها أرسل في طلب شيخ الحرم والكواخي فورًا بلا تراخي، وكان حازمًا في أموره يتوقع الأمر قبل صدوره، فأنْكَرُوا عرفتها وكبروا فرقتها، قال لهم: بل هي منكم ولا يفيدكم الإنكار وتَشْهَد عليكم الخُطوط والأمْهَار، فقالوا: إذًا هي علينا مُزَوَّرة، وإنْ كانت مُمْهَرَة، فقال لهم: إنْ كُنتم صادقين[١] المقال فأعطوني القلعة تحت يدي، حتى يتضح لي الحال، فامتنعوا عن إعطاء ما طلب، وقالوا: هذه تكون للفتنة سبب[٢].

فلمَّا لم يفعلوا أعاقهم عنده، وأرسل شيخ الحرم لأهل القلعة يطلبها مِنْهم لتكون تحت يده، وأنْ يُحَصِّنها بِمَنْ يختاره مِن عُمَدِه، فتَوَجَّه شيخ الحرم إليهم ووجدهم قد ترَّسُوها بالرجال، ونووا على ما نووا عليه مِن ذميم الفعال، وتَعَذَّرُوا له بأننا رمينا عند سيدنا بالزور والبهتان، ولا نُسَلّمها ما لم تأتنا مِنْه بالأمان، فلمَّا رجع له وأخبره بالخبر، فسمح عنهم وأمَّنَهم، وأرسل معه مَن يحفظها مِن العسكر، / ق١٠٠/ وقال لهم شيخ الحرم: هذه الْمَحْرَمَة أمان لكم مِن صاحب الترجمة، فلم يفطن إلا ورمي الرصاص عليه كالمطر، وما وسعه إلا فَرَّ عنهم ونفر، فأصابوا واحدًا مِنْ العسكر[٣]، وكان هذا مفتاح الشَّر.

فلمَّا رأى ذلك[٤]، قبض على الثلاثة كواخي الذي[٥] عنده، وأغات القلعة[٦]، وحطهم في الحديد، وتحقّقت الوقعة، وابتدروا بالرمي على

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: صادقي.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: سببًا.

(٣) هذا القتيل بَيْرَقْدار جنود الشريف الذين ذهبوا لتسلم القلعة، وقال على أهلها: «يخرجون وهم كلاب»، فضربه أحدهم برصاصة، فسقط صريعًا أمام الباب. انظر: زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب**، ص ٥٩٧.

(٤) يقصد الشريف سرورًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٦) كَتْخُدا القلعة وقتئذٍ أبو بكر الحلبي، وقد تولّى هذا المنصب بعد وفاة الكَتْخُدا محمد فلبلي عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، وظلّ في منصبه حتى قدم الشريف سرور إلى المدينة فقبض عليه وعزله في شعبان ١١٩٤هـ/ أغسطس ١٧٨٠م، وعيَّن بدلاً مِنْه وزيره محمد المضايفي =

بيته عن قصد، [وقتلوا][(١)] قبالة بابه بعيرين ورجل[(٢)] قتْلَ عَمْدٍ، ثم إنَّه نقل أهله إلى بيوتٍ بعيدةٍ عن القلعة حَذَرَ الرصاص، وما رأى له في القرب مِنْها خلاص[(٣)]، ووقع القتال بينهم مِن ليلة عيد المعراج واستمر إلى ثلاثة أيام[(٤)]، وما تمَّ لأحد مِن الفريقين مرام.

وقد صنع لهم سلالم مِن الخشب الطوال، وأطلع عبيده عليها في ليلة مِنْ تلك الثلاث ليال، فبلغوا بها المقصود ووصلوا، ولو لم ينبئهم شخص [كان][(٥)] معهم لملكوها ودخلوا، ثم أرسل لهم بأني قد سمحت عنكم فاخرجوا بأمان اللَّه ورسوله، وأظن أنَّه ما فعل ذلك إلاَّ لأجل التحصن مِن العدو قبل وصوله، فرضوا خديعة مِنْهم ليدخلوا مِن جماعاتهم مَنْ لم يكن دخل، وطلبوا مُهلة ثلاثة أيام ففعل، فعند ذلك كف الرمي مِن الطرفين، وقد أخمدوا له الغدر والْمَيْن.

فأرسل مِن حينه عسكرًا ترَّسُوا البيوت التي حول القلعة مِن كُلّ جانب، ورمى بسهم رأيه لهذا الغرض فجاء صايب[(٦)]، وأمرهم إنْ دخل عليهم أحد فامنَعُوه، ومَن أراد الخروج مِن القلعة فدعوه، فليت شعري هل فطن لما استبطنوه مِن الغدر، أم كان فعله إلهامًا مِن اللَّه تعالى الذي أمَدَّه بالنصر، ولمَّا رأوه لزم عليهم البيوت، ووهنت حِيلتهم كما وهن بيت العنكبوت، أحرقوا السلالم الذي[(٧)] اصطنعها في الحال، وظهر أنَّهم لم يجنحوا للسلم في المقال، وشرعوا يرمونه بالرصاص، فأمر عسكره بقتالهم، والجروح قصاص.

= العدواني. انظر: جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٤، ٩٠.

(١) وردت في الأصل: وقاتلوا، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٧٢.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رجلًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خلاصًا.

(٤) أي بين يومي ٢٦ - ٢٨ رجب ١١٩٤هـ/ ٢٧ - ٢٩ يوليو ١٧٨٠م.

(٥) ساقطة في الأصل، والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ٧٢.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: صائبًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: التي.

واستمرّوا على حالهم في اليوم الأوَّل، وفي اليوم الثاني ظهر عجزهم وتخلخل[١]، وما أتلفهم شيء مثل البيوت التي ترَّسَها في الثلاثة الأيام الأُول[٢]، وكانت هي السبب في هذا العجز والخلل، وبعد صلاة الفجر في اليوم الثاني ربط شخص مِنْهم نفسه بحبل ونقز مِن القلعة، وتبعه الثاني، والثالث وهكذا / ق١٠١/ إلى سبعة[٣]، وأصحابهم غافلين[٤] عن هذا الانطلاق[٥]، ولم يفطنوا لهذا الحبل المربوط إلاَّ بعد الإشراق، فنقدوا لبعضهم بالنقد، وعَرَفُوا مَن افتقد.

وكان صاحب الترجمة في المسجد المعظّم، يطلب مدد اللَّه تعالى متوسلاً بجده - صلى اللَّه تعالى عليه وسلم - فجاه[٦] الخبر بأنَ جانبًا مِنْهم شرد، ونزل على الأحبال، فأرسل خلفهم خَيَّالةً تلحقهم في الحال، وركب مِن فوره وأمر برمي مدفع على بيت آغاة القلعة

---

(١) كُتِبَ على هامش ورقة ٧٢ مِن النسخة (ب)، ما نصّه: «فلمَّا اشتدّ به الحال، وآل أمره إلى الوبال، وكان معه ساحرٌ مِن سنار، فأمره برصد تلك النار، فصار بارودهم لم يثور، وذلك مِن فعل ساحر لا فعل سرور». وقد ذكر أمر هذا الساحر - أيضًا - جعفر البرزنجي في «**كشف الحجب والستور**»، ص ٥٩٨.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الأولى.

(٣) وردت في الأصل (إلى سبعة أيام)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ٧٢، وهو الصحيح، أي إنَّه صار عدد الهاربين سبعة أنفار، لأنَّ الجملة التي بعدها تثبت أنَّ أمر أولئك الهاربين قد اكتشف بعد الإشراق، أيّ في الصباح، ولأنَّ مُدَّة حصار الشريف لأهل القلعة لم تستمر سوى ثلاثة أيام.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: غافلون.

(٥) كان أحد الفارين مِن القلعة صبيًّا، ضاق ذرعًا مِن الحصار، فخرج مِن القلعة على حين غفلة مِن أهلها، فلمَّا رآه أحد أهل المدينة التابعين للشريف، قبضه وأخذه إليه، فسأله الشريف عمَّا في القلعة مِن الرجال، فقال: نحو عشرين مِن العسكر وبعض النساء والأطفال، فظن الشريف كذب الصبي، فهدّده بالقتل، فقال له: واللَّه ما قلت زورًا ولا أتيت فجورًا، وعندئذ حرّض الشريف رجاله على التشديد على مَن بالقلعة للإسراع في إسقاطها. جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٨. ويذكر البرزنجي أنَّ عدد الهاربين مِن أعلى سور القلعة بلغ ثمانية عشر رجلاً، وقد أمر الشريف سرور بقتلهم جميعًا. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٨.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فجاءه.

لِكَوْنه واهن البنا[١] فانخرق خرقًا ظهر مِنْه السَّنا، وزاد في توسيعه بهدِ جانبٍ مِن البنيان[٢]، حتى صار يدخل مِنْه الإنسان، ثم جلس في بيتٍ مِنْ البيوت المقابلة للقلعة، وصار يحرض الرجال ويحثهم على سرعة الرمي في القتال، فعمَّا قليل بدا العجز فيهم وظهر، وفروا مِنْها لو وجدوا مفر[٣]، وصارت البادية ترجمهم بالأحجار[٤]، ولم يطب لهم بعد ذلك فيها قرار، فصاحوا صيحةً واحدةً بطلب الأمان، وقد قدَّر اللَّه تعالى عليهم بالخذلان، وطلعوا عليهم مِن كُلّ مكان، ودخلها العُربان والعسكر فنهبوا جميع ما فيها من الأثاث والنقود وأنواع السلاح الذي قلَّ أنْ يكون له وجود.

ومِن القضاء النافذ أنَّ غالب أكابر أهل المدينة وضعوا في القلعة عزيز أدباشهم الثمينة، فذهبت شذر مذر، ولا حذر عمَّا قضاه اللَّه تعالى وقدَّر، وأخرجوا العسكر[٥] أهل المدينة الذي كان ملزومًا مِن الخناق، فأمر بسجنهم ووضع لهم السلاسل في الأعناق، فقاسوا مِن أنواع المشاق ما لا يطاق، ومكثوا أيامًا ينهبوها[٦]، وحفروها أرضها[٧] حتى أخربوها، وأمر بنهب بعض بيوت معلومة خارجة عن القلعة فنهبت في الحال، وعفوا رسوم ما يُنهي حتى كأنَّه طللٌ بالٍ، مِنْها: بيت لأحمد مكي[٨]، وكان فيه مال جزيل، ومِنْها: بيت لأمين

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: البناء.

(٢) كان هدم السور مِن ناحية باب الصغير، مِن خلال القمقمجي الذي كان على علم بمناطق ضعف القلعة. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٨؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٨٨، خريطة مرآة الحرمين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مفرًّا.

(٤) كتب على هامش ورقة ٧٢ نسخة (ب) ما نصه: «قوله: ترجمهم بالأحجار، كذب في مقاله، وليسوا في إخوانه».

(٥) كذا في الأصل، والصواب: وأخرج العسكر.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: ينهبونها.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: حفروا أرضها.

(٨) **أحمد مكي**: مِن القيادات العسكرية في المدينة المنوَّرة، وقد تولى منصب كَتْخُدا النوبتجية مرتين، عندما وقعت الفتنة بين كَتْخُدا النوبتجاية محمد قمقمجي، وكَتْخُدا القلعة محمد =

ميكائيل[١]، ومِنْها: بيت مفتي المدينة تاج الدين إلياس[٢]، ووجدوا فيه مِن معتبرات الكتب ما يضيع فيه القياس.

ثم لمَّا تمَّ له فيها ما تمَّ، وكان عليه مسرة وعليهم مأتم، قام بأمورها بغير تراخي، وألْبس مِن طرفه الوزير والكواخي، وأسكن وزيره[٣]

= فلبلي، استنصر كل مِنْهما على الآخر بالشريف سرور عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، وتَمَكَّن الأوَّل مِن أنْ يأخذ الشريف إلى جانبه، فاجتمع شيخ الحرم المدني مع بعض القيادات العسكرية وقرروا عزل قمقمجي مِن الكَتْخُدية وتولية أحمد مكي بدلاً مِنْه، فلمَّا وصل الأمر إلى الشريف كلّف بعض رجاله وشيخ حرب بدوي بن عيد بإعادة قمقمجي إلى منصبه، وفي موسم الحج في ذي الحجة ١١٨٨هـ/ فبراير ١٧٧٥م، كان أمير الحج محمد باشا العظم، ولمَّا وصل إلى المدينة خرج إليه الكَتْخُدا محمد قمقمجي والكَتْخُدا أحمد مكي، فرأى العظم أنَّ الشريف سرورًا يميل إلى قمقمجي، فنصبه وأخذ أحمد مكي معه إلى مكة، وفي موسم الحج عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٦م، جاء فرمان مِن الدولة بعزل محمد قمقمجي وتولية أحمد مكي مرة أخرى. جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٦٥-٧٨؛ عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة**، ٢/ ٣٩٩-٤٠٩.

(١) **أمين ميكائيل**: محمد أمين ميكائيل، كَتْخُدا الإنكشاريَّة في المدينة. جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٥٨.

(٢) **تاج الدين إلياس**: تاج الدين بن جلال الدين إلياس زاده، ولد في حوالي عام ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م. تلقى العلم على عُلماء عصره، ومنهم: شيخ بن إسماعيل الأُزبكيُّ، وإسماعيل النقشبندي، وإبراهيم السندي، والعربي الحُريشي، وعطا المصري، وعمل إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بالمسجد النبوي، وتولى إفتاء الحنفية مرتين بالمدينة المنوَّرة، وعندما وقعت الفتنة بين أحمد مكي ومحمد قمقمجي كتب شيخ الحرم رسالة إلى الباب العالي لتعيين الأول وعزل الثاني، فسافر بهذه الرسالة المفتي تاج الدين مع ركب الحج الشامي محرم ١١٨٩هـ/ مارس ١٧٧٥م، ووصل إلى إستانبول، وعاد بمرسوم مِن الدولة بعزل محمد قمقمجي والقبض عليه، وتعيين أحمد مكي كَتْخُدا للنوبتجاية، ولذلك فقد حدث العداء بينه وبين الشريف سرور، بسبب ميل الشريف إلى محمد قمقمجي، فكان ما وقع على بيت المفتي حينما سيطر الشريف على المدينة المنوَّرة. مؤلف مجهول، **تراجم أعيان المدينة**، ص ٣٢؛ عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة**، ٢/ ٤٠٣، ٤٠٨-٤٠٩.

(٣) **الوزير**: كان وزير الشريف القائد محمد العداوني المضايفي، وهو مِن قبيلة عدوان المشهورة في نواحي الطائف، وقد عينه الشريف سرور قائدًا عسكريًّا لقلعة المدينة المنوَّرة، وزوده بأربعمائة مِن جنوده اليمنية في القلعة، ولكن أساء هؤلاء الجنود معاملة الأهالي، وظلّ الحال على ذلك شهرًا، وفي ٢٣ رمضان ١١٩٤هـ/ ٢١ سبتمبر ١٧٨٠م انتفض أهل المدينة ضده، وحاصروا القلعة، وتَمَكَّنوا بالتعاون مع اثنين مِن شيوخ حرب، =

بداخل[١] القلعة، وهمّ بالتراخي[٢] والنجعة، فدبّر عساكره وبرز، وقطع علايقه[٣] ونجز، فنصبت بالنقا خيامه، وأقام / ق١٠٢/ بها أيامًا هو وأقوامه، وأسر مِن أهل المدينة نحو خمسين ووضع الحديد في الأطراف[٤]، وأطلق ربطا[٥] حرب وأمرهم بالانصراف، وأخرج فرمانًا سلطانيًّا[٦]

= وهما: محمود ونصَّار، مِن طرد وزير الشريف والحامية المصاحبة له مِن المدينة في ١٧ شوال/ ١٥ أكتوبر مِن العام المذكور، فعاد الوزير إلى الشريف في مكة بخفي حنين. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٦٠٠-٦٠٥؛ أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢١٨؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٩٠-٩٤؛ عارف عبد الغني، **أمراء المدينة**، ص ٣٩٥.

(١) وردت: بباطن في النسخة (ب)، ورقة ٧٢.

(٢) وردت: بالترحيل في النسخة (ب)، ورقة ٧٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: علائقه.

(٤) كتب على هامش لوحة ٧٣ نسخة (ب) «ليسوا كفار بل إنَّ قصد (كلمة غير مقروءة) بل هم جيران سيد البشر صلى اللّٰه عليه وسلم».

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ربطاء.

(٦) يذكر البرزنجي أنَّ الشريف سرورًا بعد أنْ أحكم سيطرته على المدينة المنوَّرة، كتب عرضًا إلى الدولة العليَّة، وأجبر أهل المدينة على مَهر (ختم) العَرْض، ففعلوا تحت التهديد، وقد جاء فيه: «إنَّه لما وصل الحاج المصري بعد أن عاد من المدينة وبِالْخَيْفِ نزل، قاتلته العرب مِن كل جبل، وقتلوا الحجاج، وقطعوا السُّبل والفجاج؛ ركبنا عليهم غيرةً لحضرة السلطان، فانتصرنا عليهم، وقصدنا زيارة جدنا سيد الأكوان، فلمَّا وصلنا إلى البلدة، وجدنا أهلها في غاية الكرب والشدة، والقتل والنهب والطعن والضرب، وانقطاع المسالك - والحال أنَّ أهل المدينة على خلاف ذلك - فأرسلنا إليهم بالأمان، والإكرام والإحسان، ثم بعد أنْ أقمنا بالمدينة اثنيْ عشر يومًا، وقفنا على كُتُب مِن كبارهم يستصرخون بها لقتالنا باديةً وقومًا، فمسكنا عند ذلك رؤساءَهُم المفسدين، وأبقيناهم عندنا مُصَفَّدِين، وأرسلنا لأغواتهم بالأمان، وأمرنا بعض عسكرنا بالدخول معهم في القلعة، خوفًا من الخديعة والخذلان، فأغلقوا القلعة ورموا بالرصاص على الأوادِم والبهائم والشرايف، وتركوا كُلَّ مَنْ بالمدينة وهو مرعوب خايف، فحملنا عليهم بعساكرنا المنصور، وقاتلناهم قتلاً أحرَّ مِن حَرِّ الظَّهيرة، وفتحنا القلعة يوم التاسع والعشرين من رجب الحرام، وأسْكنَّا بها وزيرًا مِن طرفنا، والسلام». زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٩.

بعزل أحمد أغا شيخ الحرم[1]، وأمره أنْ ينتقل معه مِن حرم إلى حرم، فانتقل معه لتسع بقين مِنْ شهر شعبان[2]، ومعه نَحْوُ الثلاثين مِنْ ركب أهل مكة، وأظهر أنَّ طريقه على حرب إلى ساعة السفر، ثم تَوَجَّه مِنْ طريق الشرق[3] قصرًا للشر.

ولمَّا وصل في أوَّل مرحلة بموضع يقال له: الخنق[4]، طاح واحد مِنْ مرابيط أهل المدينة والسلسلة في حلقه فاختنق[5]، فلمَّا أقبل على موضع فيه آبار يقال لها: الْحَجْرِيَّة[6]، قلَّ الماء على الناس بالكلية، وحصل عليهم مظمأ

---

(١) بعد أنْ قام الشريف سرور بعزل أحمد أغا تصادف ذلك مع وصول فرمان سلطاني بنصب علي أغا شيخًا للحرم في ذي القعدة ١١٩٤هـ/ نوفمبر ١٨٨٠م. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٥٩٩؛ عارف عبد الغني، **أمراء المدينة**، ص ٣٩٥.

(٢) ٢١ شعبان ١١٩٤هـ/ ٢١ أغسطس ١٧٨٠م.

(٣) **طريق الشرق**: إحدى الطرق التي يسلكها الحجاج بين مكة المكرمة والمدينة المنوَّرة، وكثيرًا ما تسلكه القوافل في المواسم التي تشتد فيها الحرارة وأوقات وقوع الحوادث على الطرق الأخرى، وهي تخرج من مكة المكرمة من باب المعلى، وتتجه إلى البيَّاضة، ثم تسير في طريق شمال طريق منى، وتتجه إلى الشرق، وتمر على عديد من المحطات، وهي: بئر البارود، ووادي الليمون، والحفاير، وبركة سمرة، وبركة المِسْلَح، والحبيط، وسُفَيْنَة، والسُّوَيْرِقِيَّة، والْحَجْرِيَّة، وغُرابة أو غراب، والغدير، وسيدنا حمزة، والمدينة المنوَّرة، ويعيش على هذه الطريق عُربان مِن الزيود، واللَّهبَة، وعُتَيْبَة، ومُطَيْر، والرِّحَلَة، وكانوا أبعد الأعراب عن الحضارة وقتئذٍ. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية**، ص ٢١٢-٢١٣؛ إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٣٦٩-٣٨٢.

(٤) **الخَنَق**: هو مضيق وادي رَنْيَة بين الأملح والروضة، وهو من المحطات الأولى على طريق الشرق مِن المدينة المنوَّرة إلى مكة، وكان يوجد فيه بحيرة كبيرة تجمعت مياهها مِن الأمطار. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب**، ترجمة: محمد حرب وآخرين، ج٥، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٦٨؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٥٧٧.

(٥) كتب في هامش لوحة ٧٣ نسخة (ب) «الذي يخبر عنه هو المرحوم محمد رجب، سأله الشريف عن مَن بقى مِن الرجال، فأجابه بجوابٍ عنيف وقال، فعند ذلك ضربه بدبوس قطع مِنْه الوريف، وهو إذ ذاك مصفد بالحديد غفر اللَّه للجميع».

(٦) **الْحَجْرِيَّة**: قرية صغيرة تقع غربي المدينة، وإحدى المحطات على طريق الشرق مِن المدينة إلى مكة، ويوجد بها العديد مِن الآبار العذبة. أيوب صبري، **مرآة الحرمين**، ٥/ ١٦٨؛ =

بل مشقّة عظما[١]، وأخبرهم مَن لا له درايةٌ عن الطريق ولا نقد، أنَّهم لا يصلون إلى الماء إلا بعد غد، فطاح كثيرٌ مِن الوهم، ورماه العطش بسهم، وحصل لكثير مِن الناس دَهْشٌ مِن الوهم لا مِن العطش، وأناخ كثيرون واستسلموا للهلاك، فلطف اللَّه تعالى بهم وسيرهم مسير الأفلاك، فعمَّا قليل جاء رايده[٢] ببدرتين ملآنة بالماء، وبشر بالماء قريب، والوارد لا يظمأ، فدارت حُمَيَّا الحياة فيهم، وطار نعاس الناس مِن مَآقيهم، ووصل جناحهم وأراش، وابتلَّت قلوبهم مِنْ العطاش، وتَوَجَّهوا كأنَّما نشروا مِنْ رمْس، وآخرهم وصل إلى الماء قبل مطيح الشمس، وما غاب أحد مِنْهم ولا فات، ولا عَاطِشٌ مِنهم إلا حفرته الوفاة.

فأقام بهم يومين على هذا الماء، ثم جدد للرحيل عزمًا، فلمَّا وصل إلى البِرْكَة[٣]، موضعٌ مِن الطايف[٤] على مرحلتين، استأذنه بعض أتباعه ومعهم ركب أهل مكة، وتَوَجَّهوا يوم الاثنين، وتَوَجَّه بأهله إلى الطايف[٥]، ودخله في سابع يوم مِن شهر رمضان[٦]، وحصل له شنآن وأي شنآن، ثم حث نجايب[٧] السرى، وارتحل نحو أم القرى، فدخلها لأربع بقين مِن شهر الصيام[٨]، وفاز مِنْ الحَجَرِ المُكَرّم بالاستلام، فسلم عليه جيرانها، وفاز بالمسرّة سُكَّانها،

= حمد الجاسر، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: معجم مختصر**، دار اليمامة، الرياض، د.ط، د.ت، ص ٤١٥.

(١) كذا في الأصل، والصواب: عظمى.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رائده.

(٣) **البِرْكَة**: تُعرف بِبِرْكَة زبيدة، نسبة إلى السيدة زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، تبعد عن مكة المكرمة ١٣٣ كيلاً، وهي إحدى محطات استراحة طريق الشرق بين المدينة ومكة، وكانت بركة واسعة على شكل دائري مبنية بالحجر والجص يزيد قطرها عن عشرين مترًا. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٩٦.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) ٧ رمضان ١١٩٤هـ/ ٥ سبتمبر ١٧٨٠م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: نجائب.

(٨) ٢٦ رمضان ١١٩٤هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٧٨٠م.

فاستقرّت به البلد، ورجعت الروح في الجسد.

فأقام ثلاثة أيام متمّمة حتى جاء نجّاب [مِن][1] المدينة، وأخبره بنقض ما أبرمه، وأنَّ وزيره في القلعة محصور، والقتال بينه وبين أهل / ق١٠٢/ المدينة مِنْ داخل السور، فأزعجه نقض الأمُور الذي بناها، قبل أنْ يستريح مِن عناها[2]، وهذا الأمر مِن مُوجِبات القهر ومتاعب الدهر، على أنَّ أهل المدينة اجتمع رأيهم واستحسنوا لهم تدبير[3]، وأحكموا لهم حيلةً قويَّةً على الوزير، بأنْ يستخرجونه[4] مِن القلعة بلطافة وصنعة، فإذا خرج ببعض العسكر إلى خارج البلد، يسطوا[5] فيهم بالسلاح مِن يد، ويرسلوا[6] مِنْهم جماعة على مَنْ يبقى في القلعة مِن العسكر، وأمرهم سهل لا يُعْبَأ به ولا يُذْكر، فَنملكها مِنْ أيديهم قهرًا، ونأخذ الثأر مِنْهم غدرًا.

فاتفقوا على هذه الحيلة، وذهبوا إلى الوزير وقالوا له: جئناك بأمر نستشيرك فيه، ومثلك مَنْ يُسْتَشار ويستشير، وأنت الوزير ولك الأمر والتدبير، ورأيك هو الرأي الكبير، وكان هذا الوزير عدوانيًّا مِن آحاد عدوان[7]، وقع عليه نظر الملك فارتفع هذا المكان، وقالوا له: قد جانا[8]

---

(١) زائدة في النسخة (ب)، ورقة ٧٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عنائها.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: تدبيرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يستخرجوه.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: يسطون.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: يرسلون.

(٧) **عدوان**: مِن أقدم القبائل العربية في الطائف، وأشهر قراهم على وادي ليَّة، أم الشرم، والعُبَيْلاء، والمجنب الأعلى، والمجنب الأسفل، وصلبة، والباردة، وقد كانوا على علاقات طيبة مع أشراف مكة وأمرائها. ماكس أوبنهايم، **البدو**، ٢/ ٥٦١-٥٦٢؛ محمد بن منصور آل سرور، **قبائل الطائف**، ص ٦٥-٦٦.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: جاءنا.

خبر بأنَّ القافلة محشورة بأبيار علي[١] والحسا[٢]، ورأت القافلة مِنْ القوم شدّة ومشقة وقسا[٣]، وأرسلوا يطلبون النجدة والمعونة، وأنت المتصرف في أقطار المدينة، فما تأمرنا نقتفيه ولا نخالفك فيه، فقال لهم: ليس الرأي إلا نركب عليهم ونُرْدِيهم، ونستخلصها مِنْ أيادِيهم، على أنْ أركب معكم ببعض عسكري وتبعِي، وأنتم تكونون معي، فقالوا: حُبًّا وكرامة، وهذا هو المطلوب الذي جيناك[٤] فيه، وعسى اللَّه أنْ يتمّمه ويقضيه.

سَارَتَ مُشَرِّقَةٌ وَسرتُ مُغَرِّبًا
شَتَّان بَيْن مُشَرِّق وَمُغَرِّبِ

فركن بالركوب على العسكر، ولم يبحث على الأمُور ويتفَكَّر.

وَإِذَا الْمَنِيَّة أَنْشَبَتْ أظْفَارهَا
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ[٥]

فتقَدَّم نحو عشرين مِن عسكر الوزير، وخرجوا قبله لسابقة التقدير، فجاء شخص مِن أهل المدينة[٦]، وأخبر الوزير عن الربطة، وحذّره مِن الخروج والوقوع في هذه الورطة، فحزب أهل المدينة وخرجوا للعَنْبَرِيَّة وانتظروه انتظارًا طويل[٧]، وظنّوا أنْ يأتيهم هدية في مِنْدِيل، فلمَّا استبطؤه أرسلوا له

(١) **أبيار علي**: وتعرف بذي الحُلَيْفَة، وهي أحد المواقيت المكانيَّة، تبعد عن المدينة بحوالي ٩ أكيال في طريق مكة. ويحرم مِنْها أهل المدينة المنورة والذين يأتون إلى المدينة ثم يتجهون إلى مكة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٢) **الحسا**: جزء من وادي عقيق المدينة، ويطلق على الجزء الواقع بين أبيار الماشي إلى قرية الوسِطَة، وفيه مزارع كثيرة وقرى لحرب مِنْها: العلاوة، والوسِطَة، وأبيار علي (ذي الحُلَيْفة)، ويسكنه عوف من قبيلة حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٦٥، ١١٧٤.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قسوة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جئناك.

(٥) البيت من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي .

(٦) كتب على هامش النسخة (ب)، ورقة ٧٤: «المخبر رجل من بيت (كلمة غير مقروءة)».

(٧) كذا في الأصل، والصواب: طويلًا.

رسولاً يطلبونه بالسرعة، ليدركوا القوم قبل النجعة، فأعاد لهم الجواب بعدم الرواح، وأنْ ليس له عن / ق١٠٤/ القلعة براح.

فلمَّا عَلمُوا أنَّه انتبه لحِيْلتهم تَنَدَّمُوا، وقَتَلُوا العشرين الذين تقَدَّموا، وثار الحرب بالمدينة بين الوزير وجميع سكانها، وأضرمت بينهم الحرب بنيرانها، وما زال الحرب ثاير[1] بينهم بالليل والنهار، وانقطع طريق المسلمين حتى لم يدعوا طريقًا لمار، وأضاعوا ما يجب لحضرة النبى ﷺ مِن الوقار، ولم يراعوا له حقّ الجوار[2]، فتقطعت السبل، واشتدّ الغلا[3]، وتعب الفقير مِن البلا[4]، فنفد زاد الوزير، ولم يبقَ عنده قليل ولا كثير، وقلت ذخايره[5]، وضاقت موارده ومصادره، فزاد بهم الجوع.

واشْتَدّ الحال إلى سابع عشر شوال[6] فَسَلَّمُوا في القلعة، وطلبوا الأمان بعد طول الحصار، وخرجوا في وجه شيخ بني نصَّار، ثم أقام الوزير في البَرَكَة[7] بِمَن معه، وعرّف الشريف بِمَا وقع عليهم مِن التزيف، مع أنَّه أرسل إليهم قبل أنْ يصل رسولهم سرية[8]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثائر.

(٢) كُتِبَ على هامش النسخة (ب)، ورقة ٧٤، الآتي: «قد أضاعه قبل مِن هو أحقّ به مِنْهم». ولعلّه يقصد ما فعله الشريف سرور في المدينة المنوَّرة مِن قَبل.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الغلاء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: البلاء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ذخائره.

(٦) ١٧ شوال ١١٩٤هـ/ ١٥ أكتوبر ١٧٨٠م.

(٧) **البَرَكَة**: عين في وادي الصفراء، مجاورة للفارعة، قرب المدينة المنورة على الطريق الغربي. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ١٩٦. وهي تختلف عن البِرْكَة - سالفة الذكر - الواقعة في الطريق الشرقي.

(٨) كان قائد هذه السرية السيد ناصر بن مستور، وعندما وصلت قرب المدينة ٢٧ شوال ١١٩٤هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٧٨٠م، استعد أهل المدينة ومعهم قبائل حرب، وخرجوا لملاقاتهم. زين الدين البرزنجي، **كشف الحجب والستور**، ص ٧٦٧-٧٦٨؛ جعفر المدني، **الأخبار الغريبة**، ص ٩٥-٩٧.

نحو ثمانماية[1] مِن أهل النجدة والحمية، وكُلّهم على خيل وركاب، وأمرهم يجدوا[2] السير في المهامه والهضاب، وكان طريقهم على درب الشرق، فلمَّا أقبلوا بلغهم أنَّ الوزير خرج مِنْها قبل وصولهم بعَشَرَة أيام[3]، وأخذ مِنْهم عهدًا وزمام[4]، فندموا حيث لا ينفعهم الندم، وتمَنّوا أنَّهم وصلوا ولا سلم، فنزلوا خلف أُحد[5] بِمَا معهم مِن جموع، وأرسلوا للوزير يطلبونه للرجوع.

فلمَّا سمع أهل المدينة بالسَّرية، خرجوا لقتالهم حمية جاهلية، وكان خروجهم مِن سوء التدبير، ومعهم أربعمائة مِن حرب، كانوا يقاتلون

(١) كذا في الأصل، والصواب: ثمانمائة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يجدون.

(٣) أي إنَّهم وصلوا إلى المدينة المنوَّرة في ٢٧ شوال ١١٩٤م/ ٢٥ أكتوبر ١٧٨٠م، وكان خبر محاصرة الوزير في قلعة المدينة قد وصل إلى الشريف في ٢٩ رمضان/ ٢٧ سبتمبر مِن العام المذكور، أي إنَّ الشريف سرورًا استنزف شهرًا حتى تصل المعونة إلى أتباعه المُحَاصَرِيْن في المدينة، وهي مُدَّة طويلة، ورغم أنَّ السرية كان يتراوح عددها بين ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ مقاتل، فإنَّ قائدها السيد ناصرًا أرسل بعض أتباعه للحاق بالوزير لإعادته حتى ينضم إليه في القتال، ويبدو أنَّ هذا الشريف لم تكن له قدرة على القيادة، لأنَّه لو باغت أهل المدينة، لمَا استطاعوا أنْ يستنجدوا بشيوخ حرب، لينضموا إليهم ويستعدوا لملاقاته، فضيع عليه الوقت خمسة أيام ينتظر قدوم الوزير، الذي خرج عن طريق قرية بدر إلى مكة، بينما جاءت السرية عن طريق الشرق، فأعطى للمدنيين فرصة ترتيب أنفسهم والاستعداد لقتاله، وانضمام أربعمائة مِن قبيلة حرب إليهم، كما أنَّ تأخر السَّرية في خروجها دليل على التخبط الذي أصاب الشريف سرورًا، ولذلك فرغم القوة المحدودة التي خرجت لمحاربة سرية الشريف، فإنَّها لم تستطع الصمود؛ فهزمت وولّت مدبرة إلى مكة. عبد الباسط بدر، **التاريخ الشامل للمدينة**، ٢/ ٤١٩-٤٢١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: زمامًا.

(٥) **أُحُد**: جبل يقع شمالي المدينة المنوَّرة، يبعد عن المسجد النبوي بحوالي خمسة كيلو مترات، وقد وقعت عنده غزوة أحد ٣هـ/ ٦٢٥م بين المسلمين ومُشركي قُرَيْش، وقد قال فيه النبي ﷺ: «هَذَا جَبَلٌ يُحِبّنَا ونُحِبّهُ». انظر: إبراهيم العياشي، **المدينة بين الماضي والحاضر**، المكتبة العلمية، لمدينة المنورة، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٥٢٢؛ عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة المنوَّرة**، ص ١٩٧-٢٠٠.

معهم الوزير، فالتقى الصفان في البساتين التي خلف البقيع[١] في غُرَّة ذي القعدة[٢]، وقع بينهم هذا الأمر الفظيع، فتكاسرت الرتبة حتى أخرجوهم للبراح، ورَدَّتَ الخيل عليهم ضربًا بالمهند والرماح، فقتل يومها مِن المدنيين ما يزيد على العشرين[٣]، خلا مَن جُرِحَ مِنْهم وأُصِيْب، في ذلك اليوم العصيب، وقتل مِن الرتبة عبد وصوبت فرسان مِن الخيل الطلايع[٤]، وصوب ثلاث[٥] وأخذت أربعة مِن خيلهم قلايع[٦]، ثم رجعوا مِن طريق الشرق في أسرع مُدَّة، ودخلوا مكة في الثاني عشر مِن ذي القعدة[٧].

وهذه تَمَام سيرة الشريف سرور مع أهل المدينة، ونسأل اللَّه تعالى أنْ ينزل علينا وعليهم الأمن والسكينة.

ثم إنَّ صاحب الترجمة /ق١٠٥/ خشى مِنْ حرب أنَّها تطلق عمّه الشريف أحمد بن سعيد مِن يمبع مِن السجن، وتوصله جبال هُذَيْل على ظهور الهجن، فأرسل لوزيره بيمبع أنْ يرسله ومَنْ معه مِن الأشراف إلى جدة، ولو قاسى المتاعب والشدة، فلمَّا وصلوا أطلق السيد محسن بن عبد اللَّه، وأقاله مِن الهُوان، وأبقى عمّه في السجن ومعه السيد سليمان، وأخبروا بأنَّ السيد

---

(١) **البقيع**: مقبرة أهل المدينة المنوَّرة، منطقة مستطيلة بشرقي المدينة المنوَّرة، مُسَوَّرَةٌ مِن جميع النواحي، وقد دُفِنَ فيها ما يقرب مِن عشرة آلاف صحابي وصحابية. والمنطقة الممتدة خلف البقيع إلى جبل أحد مليئة بالبساتين حيث تتوافر فيه مياه الآبار، ولعل أشهرها: بئر أبي أيوب، وبئر حاء، وبئر بضاعة. عبد القدوس الأنصاري، **آثار المدينة**، ص ١٧٥-١٧٦؛ البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) غُرَّة ذو القعدة ١١٩٤هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٧٨٠م.

(٣) كتب على هامش الأصل ما نصه: «الذين قتلوا مِن أهل المدينة في هذه الوقعة تسعة أنفس لا غير، وهم: سليمان خوج، وعبد الرحمن بن خالد، ومصطفى خطاب، ومثقال عبد بيت عاشور، وعبد اللَّه مشعل وابنه محمد وخادمهما واهس البدوي».

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ثلاثة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: قلائع.

(٧) ١٢ ذو القعدة ١١٩٤هـ/ ٨ نوفمبر ١٧٨٠م.

راجح[1] بن الشريف أحمد قضى اللَّه تعالى عليه، واختاره إليه، فهذا حال الدنيا، والسجن قبر الأحياء.

[اعتداء قبيلة جُهَيْنَة على قافلة الحج المصري]

ثم في موسم هذا العام[2]، وصل الحج لبيت اللَّه الحرام ووقع بين الحاج المصري[3] وجهينة[4] وقعة يقضي الغريم بها دينه[5]، وسببه أَنَّهم استضعفوه وتعبشوا عليه بطلب الزيادة، مع أَنَّه أَوْفَاهم المقرر لهم في الدفاتر المعتادة، فلم يرضوا وقتلوا شخصًا عبشًا مِن جماعته،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: راجحًا.

(٢) عام ١١٩٤هـ/ ٧ يناير- ٢٥ ديسمبر ١٧٨٠م.

(٣) كان أمير الحج المصري في هذا العام مصطفى بك الكبير المحمدي، أحد مماليك محمد بك أبي الذهب، ولي إمارة الحج في هذا الموسم، وخرج بالقافلة في ٢٠ شوال ١١٩٤هـ/ ١٨ أكتوبر ١٧٨٠م، وعاد بها ١٩ صفر ١١٩٥هـ/ ١٤ فبراير ١٧٨١م، ونلحظ أنَّ الرشيدي والجبرتي لم يذكرا ما وقع للحج المصري مع قبيلة جهينة، ورُبَّمَا يرجع ذلك إلى وصول القافلة بسلام وعدم إصابة أيّ مِن الحجاج، على عكس ما سيحدث في المواسم التالية، فسوف يخرج مصطفى بك بالحج ثلاثة مواسم أُخَر في الأعوام الآتية: ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م، و١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، و١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، وسيمر بكثير مِن المتاعب والمشكلات - كما سيأتي ذكره في محله - نتيجة لاضطراب الأوضاع في مصر، ومُمَاطلة كلٍّ مِن مراد بك وإبراهيم بك في دفع عوائد العُربان، ونفقات أمير الحج، وصرّة الحرمين الشريفين. أحمد الرشيدي، **إمارة الحج**، ص ٢٢٤؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٨٥، ٨٦، ٣/ ٢٧٨.

(٤) **جُهَيْنَة**: إحدى القبائل الكبرى في الحجاز، يعيشون في المنطقة الممتدة مِن وادي الحمض حتى مسافة قريبة مِن المدينة المنوَّرة وينبع، وقد كانت جهينة مِن الرعايا المخلصين لأشراف مكة، وكانوا يعتمدون عليهم في خلال نزاعاتهم، ولجهينة علاقات طيبة مع بلي، وأمَّا حرب فهم في عداء معهم. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٥/ ٢٠٧؛ ماكس أوبنهايم وآخرون، **البدو**، ٢/ ٥١٤-٥١٩.

(٥) هناك مخطوط صغير يتكون مِن ٢٩ ورقةً، باللغة التركية العثمانية، تناول هذه الوقعة بالتفصيل، وهو لمؤلف مجهول، بعنوان: «**تغريد حمام الأيك فيما وقع لأمير الحج مصطفى بيك**»، مكتبة جامعة إستانبول، تحت رقم (ع ١٢٩٩). انظر: خليل ساحلي أوغلي، **مِن تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني: بحوث ووثائق وقوانين**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٤٩-١٥٠.

فجعل اللَّه تعالى النصر تحت رايته، فقتل مِنْهم في أسرع حين ما ينوف على الثمانين، ولم يتَوَجَّه مِن عندهم حتى أحرق لهم السوق، وهذه آفة الطغيان والفسوق.

ولكن تحيَّر فكره، في كيف يكون الرجوع إلى بلده، لِكَوْنه ضعيفًا في عُدَدِه وعَدَدِه، فأشار إليه حضرة الشريف سرور أنْ يتَوَجَّه مِن طريق الشرقيَّة، ويسلم من هذه الحمية الجاهليَّة، فتَوَجَّه مِن مكة وأصبح بوادي المضيق، ثم عاد إلى الطريق السلطاني بعد أنْ قاسى شياء[1] لا يقواه ولا يطيق، فدخل المدينة على حين غفلة مِن أهلها، بعد أنْ قاسى مِن وعور الطريق وسهلها، ثم تَوَجَّه على طريق العلا، وتعب وأتعب الملأ، وقعدت له جهينة على طريق القزاز، فقتل مِنْهم أربعة، وحاز السلامة وفاز، هذا خبر الحاج المصري.

[الشريف يرفض شفاعة أمير الحج الشامي في أهل المدينة]

وأمَّا الحاج الشامي، فإنَّه لمَّا ورد إلى المدينة المنوَّرة، وشاهد الروضة المُطَهَّرة، وقع عليه أهلها بأنْ يستسمح لهم خاطر الشريف، فيما وقع بينهم وبين وزيره، وأقرُّوا له بالذنب، وأنْ يقوموا له بالخدمة في جميع أموره، وسألوه أنْ يفك أهم الربطا[2] حال كونهم مُعترفين بالخطأ، فبلغ الشريف هذه القضية فأرسلهم قبل وصول الحج إلى العَابِدِيَّة، ولمَّا وصل الحاج الشامي، وكان وزيره الجناب السامي محمد باشا بن العظم، فخاطبه هذا الوزير صاحب الرأي والتدبير على أنْ يفكهم لأجله، ولا يواخذ[3] الجاني بسوء فعله، فأبى بعد / ق١٠٦/ معالجته أشدَّ العلاج، وما أفاد قوله ولا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الربطاء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: يؤاخذ.

راج، فلمَّا لم يقبل الشريف رجاه[١]، سافر ولم يجتمع به ولا جاه[٢].

فلمَّا وصل المدينة أخبرهم الخبر، وأنَّه لم يُجْعل لقوله أثر، فأعذروه عمَّا صار، وما زالوا في انتظارٍ لطلب الانتصار، فبينما هم كذلك إذ هدف عليهم خبر، وشاع وذاع، بأنَّ الشريف سرور[٣] أقبل عليهم بجنود ملأت البقاع، فاضطربت لذلك أحوالهم، ونالهم مِن الخوف ما لا ينالهم، فاسترجوا مِن محمد باشا بأنْ يُقِيْم عندهم أيامًا، حتى يتضح لهم الحال، وينظرون ما يول[٤] إليه المآل، خوفًا مِن أنْ يصير عليهم مثل ما صار أوَّل مرة، وليس لهم على مُمَانعته قدرة، فصَكّوا الأبواب، وبنوا المتارس، وطرحوا عليه العيون والحوارس، فلمَّا وصل الحاج المصري سألوه عن حقيقة الحال، فظهر أنَّه زُور ومحال.

❑ ❑ ❑

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رجاءه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءه.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: سرورًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يئول.

[أحداث سنة ١١٩٥]

[وفاة الشريفة صالحة بنت مساعد]

وفي غُرَّة محرم سنة خمس وتسعين بعد المايه والألف[١] مِن هجرة مَن له العز والشرف، توفيت المصونة المكنونة، الذي[٢] أقرَّ المجدُ بها عيونَه، ذات الحجاب الرفيع، والستر الصافي المنيع، المتحجبة عن أعين الكواكب، والمخدرة بسمر القنا وبيض القواضب، الشريفة الصالحة، وهي على اسمها صالحة بنت المرحوم الشريف مساعد، الذي أعانه الزمان وساعد، فهي الملكة المنضمة، والحريّة بأنْ تذكر في هذه الترجمة، لأنَّها هي التي شيَّدت الْمُلْك لأخيها، وأنارت أيامها ولياليها، وقد فاقت على كثير مِن الرجال، وللَّه در أبي الطيب حيث قال:

فَمَا التَّأْنِيثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَلاَ التَّذْكِيرُ فخرٌ للهلال

وَإِنْ كَانَ النِّسَاء كَمَنْ ذَكَرْنَا
لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ[٣]

وفي هذا العام حصلت كثرة الأمطار، وارتخت بعد غلوها الأسعار.

---

(١) غُرَّة محرم ١١٩٥هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٧٨٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: التي.

(٣) البيتان للمتنبي من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة الحمداني، انظر: الصاحب بن عباد، **الأمثال السائرة من شعر المتنبي**، ص ٣٨.

[إصلاحات في عَيْن زُبَيْدة]

وفي هذا العام أرسلت الدولة العليَّة مِعْمَرْجيًّا ينظر في أمر العين، ويُعَمِّر عينَ زُبَيْدَة، ثم عينَ حُنَيْن، فابتدوا[1] بالعمارة مِنْ البَزَابِيزِ[2]، وأصرفوا اللُّجَيْن والإِبْرِيز[3]، ووَجَدوا عند المدرج دمارًا[4] فنزعوه، وفي عرفة دمارًا فأطلعوه، فلمَّا وصلوا إلى وادي نَعْمَان، شاهدوا الخراب عِيانًا بيان[5]، فشرعوا في إصلاحها، وبذلوا المال والهمة، وجَدَّدوا ما يحتاج إلى / ق١٠٧/ التَّجْدِيد، ورَمَّمُوا ما يحتاج إلى الْمَرَمَّة، ولم يَرَ دمارًا في دَبْل[6] ولا خرزة، حتى أصلحه ونجزه.

فصلحت بحمد اللَّه تعالى، وجرت بعد انقطاعها أربعة عشر سنة[7]، وكان هو السبب الداعي لهذه الحسنة، فاطمأنت البلاد، وفرحت أنفس العباد، وفاز مُجْرِيها يوم الحشر بالرشاد، أحسن اللَّه تعالى إليه كُلّ الإحسان، وأدام اللَّه الكريم دولة آل عثمان على مَمَرّ الزمان، ثم أرسل عروضًا إلى الدولة العليَّة، وأخبرهم بورود العين إلى البلد المحميَّة، فحصل عندهم السرور وغاية المأمول، وأكرموا الرسول حتى عاد بالإحسان مشمول[8].

ثم إنَّ مولانا السلطان عبد الحميد خان[9]، جَدَّد لتعمير العين ألف

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فابتدأوا.

(٢) **البَزَابِيزُ**: النبع.

(٣) أي: أنفقوا الفِضة والذهب.

(٤) يقصد بها الهدد.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٦) **دَبْل**: مجرى الماء في قناة تحت الأرض.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: أربع عشرة سنة.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: مشمولًا.

(٩) **السلطان عبد الحميد خان الأول (١١٨٧-١٢٠٣هـ/ ١٧٧٤-١٧٨٩م)**: ابن السلطان أحمد الثالث. ولد في عام ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م، وتولّى الحكم في ذي القعدة ١١٨٧هـ/ يناير ١١٧٤م. وقد كان صافي القلب، رحيمًا بالشعب، ومُتَدَيِّنًا إلى درجة أنَّ الروايات حول كرامته انتشرت بين أفراد الشعب، وقد حاول إدخال بعض الإصلاحات في الدولة لكن =

مَحْبُوب[1] ترد صدقة، مع الصّر في كُلّ سنة، وناهيك بهذه الحسنة، ولم تزل جارية في كُلّ عام ترد مع الصّر، لِمَا يبدو بها مِن خراب ويظهر، وهذا المقدار خلا ما هو مرتب مِنْ آبائه السلاطين، أدام اللَّه تعالى ملكهم إلى يوم الدين.

في أوَّل شهر صفر[2] يوم السبت، خرج صاحب الترجمة متنزهًا إلى الخبت، فحصل له مرض شديد أعاقه عن القعود والقيام، حتى كاد أنْ يسلّمه إلى يد الإعدام، قاسى مِنْه المشاق وجيء به إلى مكة محمولاً على الأعناق، فشفاه اللَّه تعالى الذي يشفي المرضى، وهناه على السلامة بقصيدة طنانة صاحبنا محمد رضا.

[وفاة الشريف أحمد بن سعيد]

وفي عشرين مِن شهر ربيع الثاني[3]، ورد الخبر بوفاة مَن قدّس اللَّه

= الظروف جاءت بعكس مَا أراد؛ حيث اضطرت الدولة في عهده إلى توقيع معاهدة كوتشك قينارجه مع الروسيا ١٢ جمادى الأولى ١١٨٨هـ/ ٢١ يوليو ١٧٧٤م، وهذه المعاهدة تُعَدّ بداية النهاية للدولة العثمانية؛ حيث إنها جعلتها دولة مِن الدرجة الرابعة، فقد ذُكِرَت بعد دولٍ مثل: إنجلترا، وفرنسا، والروسيا، بالإضافة إلى أنَّ المعاهدة أوصلت الروسيا إلى البحر الأسود، ووضعتها في موضع سهل لها أنْ تحتل شبه حزيرة القرم، فقد أعلنت قيصرة روسيا كاترين الثانية في شعبان ١١٨٧هـ/ يوليو ١٧٨٣م بضمها القرم، وجعلها ولاية مِن الولايات الروسية، بعد أنْ حكمها العثمانيون ثلاثمائة وعشرة أعوام، وقد توفي في ١٢ رجب ١٢٠٣هـ/ ٧ إبريل ١٧٨٩م، بعد أنْ حكم خمسة عشر عامًا وثمانية أشهر. محمد فريد بك، **الدولة العليَّة**، ص ٣٤١-٣٦٢؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣٥٨-٣٦٢.

(١) **مَحْبُوب**: مِن النقود الذهبيَّة في الدولة العُثمانيَّة، وزنه ٢,٥٩٦ جرام، وكان سعر صرفه ٣,١١٣ نصف فضة في العام الذي أرسل فيه السلطان عبد الحميد هذه الصدقة. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ١٣٦-١٣٧؛ أحمد السيد الصاوي، **النقود المتداولة في مصر العثمانية**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٧٢، ١٩٢.

(٢) شهر صفر ١١٩٥هـ/ ٢٦ يناير - ٢٣ فبراير ١٧٨١م.

(٣) ٢٠ ربيع الآخر ١١٩٥هـ/ ١٤ إبريل ١٧٨١م.

تعالى روحه، وجعل مِن الفردوس غبوقه وصبوحه[١]، سُلالة آل الرسول، وقُرَّة عين الزهراء البتول، واسطة العقد الفريد، الشريف أحمد بن المرحوم الشريف سعيد[٢]، فحصل له مشهد عظيم، ودُفِنَ بساحل بَنْدَر جدة، وكلّ مَن عليها فانٍ، ويبقى وجه اللَّه تعالى وحده، فسبحان مَن حكم على عباده شرب كاس[٣] المنون، وبه انقطع طمع الطامعين، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾[٤]، وبقى ابنه السيد الحسن، والسيد سليمان في الحبس، وخلاصهم إمَّا للدنْيا وإمَّا للرَّمْس.

[مقتل نصَّار بن عطية مِن مشايخ حرب]

وفي غُرَّة جمادى الأخرى[٥] ورد نجَّاب للشريف مِن طريق مصر، وهو مِن الدولة العليَّة، فأخبره بأنَّه استضاف نصَّار بن عطية، وأوعده بأنْ يمرّ عليه إذا رجع مِن هذا الطريق، ليكون معه إلى مصر رفيق[٦]، فأسَرَّها / ق١٠٨/ الشريف في نفسه ولم يبدها إليه، ونوى على نصَّار ما نوى عليه، وعلم أنَّها فرصة تغتنم لذوي المروءة والشيم.

فكتب أجوبة النجَّاب وأرسله لوزير يمبع، وأوصاه أنْ يكرمه، ويراصد على نَصَّار بتعويق النجَّاب حتى يلزمه، فأعاق الوزير النجَّاب حتى سمع بوصوله نصَّار وأنَّه ينتظر النجَّاب، فأرسل له عشرين شخصًا على خيل ركاب، فأحاطوا بنَصَّار بعد أنْ دارت عليه دواير[٧] الأقدار، لكن لم يكن أحد

---

(١) الغبوق شُرب العشي والصبوح خلافه يشرب صباحًا. ابن منظور، **لسان العرب**، ١٠/ ٢٨٢.
(٢) أحمد القطان، **تنزيل الرحمات**، ٢/ ٣٠٦.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: كأس.
(٤) القرآن الكريم، **سورة البقرة**، جزء مِن آية ١٥٦.
(٥) غُرَّة جمادى الآخرة ١١٩٥هـ/ ٢٤ مايو ١٧٨١م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: رفيقًا.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: دوائر.

مِن نفسه، فقتلوه وجاوا[(١)] للوزير براسه[(٢)]، وهرب ابنه فتطلبوه ولم يلحقوه، وسلبوا عبيده وركايبه[(٣)] وكل ما لقوه.

[قبيلة حرب تستولي على ميناء ينبع]

ثم إنَّ ابنه المذكور صاح مستنجدًا بقبائل حرب، فيما حصل على أبيه مِن القتل والسلب، وصاح مُستنجدًا بقبائل جهينة وبكل قبيلة لتعينه، فاجتمع معه نحو خمسة آلاف مِن طغاة الأعراب، وأقبل بهم على وزير يمبع فترَّس البلد وصكّ الأبواب، وأرسل للشريف يستنجده في عساكر يحفظ بها البندر، فتوانى عن إرسالها، ولم تكن له عادة أنْ يتأخَّر، فلمَّا أرسل العسكر وجد الوقت قد فَات، وأخذوا البلد وللتأخير آفات، فملكوها بعد قتال ثلاثة عشر يوم[(٤)]، وقتل نحو الخمسين مِن القوم.

[فشل وزير الشريف في استرداد ينبع]

فلمَّا بلغ الشريف حصل عنده غاية الكدر، ولا محيص عمَّا جرى به القضا[(٥)] والقدر، ولو عمل همة وأدركهم قبل ذلك، لأراح نفسه وقومه مِن المتاعب والمهالك، ثم إنَّ وزير يمبع وصل إلى جدة بأهله وبجميع ما يملكه مِن الأموال، واتفق أنَّ الشريف كان في جدة فأُخبر بحقيقة الحال فأحزنه أخذ البَنْدَر بالقهر، ولم يكن له على ذلك جلد ولا صبر، فأمر وزير جدة أنْ يلزم أغربة[(٦)] مِن مراكب اليمن، وأوصى بشحنها مِن كُلّ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: برأسه.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ركائبه.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يومًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القضاء.

(٦) **أغربة**: جمع غراب. مِن السفن الشراعية، التي استخدمت بكثرة في الغارات والغزو، وانتشرت في كافة أنحاء العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، وقد عُرِفَت بهذا الاسم لأنَّ مقدم هيكلها كان على شكل رأس غراب، وكذلك لسوادها حيث كان يتم طلاؤها بالأطلية المانعة للماء عنها. وكانت ذات أحجام مختلفة تتنوع بعدد المجاديف. درويش النخيلي، =

فنّ، وقد نوى على ما نوى عليه على قبائل حرب واشْتَدّ عليهم الغضب.

[الشريف يعد حملة لقتال قبيلة حرب، وتفشل]

فتَوَجَّه إلى مكة في غاية رجب[1]، وكتب إلى جميع القبائل يطلبهم مِن كُلّ مكان، وأوعدهم أنْ يصلون[2] في غُرَّة رمضان، ثم تَوَجَّه بنفسه إلى الطايف[3] لجمع القبايل[4] بحيث لم يترك كلمة لقائل، فاستلحق جميع الشيوخ وأعطاهم البخاشيش[5] وألبسهم الجوخ، وصحب معه هلال[6] مِن الفِضة وضعه على قبة الحَبْر، راجيًا مِن اللَّه تعالى الثواب والأجر / ق١٠٩/، فأقام أيامًا ثم تَوَجَّه إلى مكة، ولم يلبث بها غير قليل حتى جاته[7] العُربان مِن كُلّ سِكة، وأراد السفر في رمضان فتأخَّر بعض القبائل وتَعَذَّر الإمكان، ولم يزل يجمع في الذخاير[8]، وتُلْقَى عليه القبايل والعشاير[9]، وأخذ مِن جميع أرباب الصنايع[10]، ومِن المُعلمين والنجارين وعبيد العين، وكُلٌّ جاء راضيًا طايع[11]، ثم صرف الأموال بين الرجال؛ فأعطى البادية اثني عشر مَحْبُوبًا،

= **السفن الإسلامية على حروف المعجم**، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص ١٠٤-١١٢.

(١) غاية رجب ١١٩٥هـ/ ٢١ يوليو ١٧٨١م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يصلوا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٥) **البخاشيش**: لفظ فارسي معناه: هبة، أو منحة، أو عطاء، ويُكتب بقشيش في التركيَّة. وما يزال حتى يومنا هذا دارجًا على ألسنة العامة بنفس اللفظ في معظم البلدان العربية. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٤٣؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٧٠.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: هلالًا.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: جاءته.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: القبائل والعشائر.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: الصنائع.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: طائعًا.

وعشرين للخَيَّال، وضبط قدر المنصرف مِن صنف النقود خمسماية[١] ألف غرش ما عدا المهَمَّات لليوم المعهود، وما عدا الذخاير[٢] وكرى الجمال، والاستعداد لأمور القتال، فإنَّه يبلغ قدرًا عظيمًا مِن المال لِمَن يتأمل، وعن الملوك فلا تسل[٣].

وأطلق يومها خمسة وعشرين مِن أهل المدينة المسجونين، وأمرهم بالسفر وترك الباقين، وأمر وزيره بجدة أنْ يرسل الأغربة والـدَّاوَات[٤] إلى يمبع في الحال، فلمَّا وصلوا قريبًا مِنْها خرج لهم جهينة في دواتهم مُستعدِّين للقتال، فثار الرمي بينهم، ولم يكونوا للقتال مُستعدِّين؛ فانهزمت الأغربة وعادت إلى جدة مكسورين.

وفي الرابع والعشرين مِن شوال[٥] تَوَجَّه صاحب الترجمة بِمَن معه مِن الجنود، وكان الطالع نحسًا، فلهذا لم يدرك المقصود، وكان معه مِن عُتَيْبَة ستة آلاف، ومعه سبعماية[٦] مِن بني عمّه السادة الأشراف، ومعه ما ينوف عن الألفين مِن المراجل، ومِن ثقيف وهُذَيْل ثلاثة آلاف، فكان الجمع اثني عشر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: تسأل.
(٤) **الدَّاوَات**: جمع داو، وداوة، وتعرف في الإنجليزية باسم Dhow، وهي سفينة بشراع واحد، حمولتها مائتا طن، وكانت تستعمل في البحر العربي والبحر الأحمر بكثرة، وكانت تطلق هذه التسمية بخاصة على السفينة التي كانت تستخدم بسواحل شرقي أفريقيا في تجارة العبيد، وتعرف في سواحل الهند الغربية، وتتميز بأشرعتها المثلثة الشكل، وكانت هذه السفن تستخدم في حمل البن والبهار وبضائع التجار بين مواني اليمن والبحر الأحمر، وكذلك في نقل المؤن والجنود، فضلاً عن نقل الحجاج إلى سواحل الحجاز. انظر: درويش النخيلي، **السفن الإسلامية**، ص ٤٥.
(٥) ٢٤ شوال ١١٩٥هـ/ ١٢ أكتوبر ١٧٨١م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: سبعمائة.

ألف مقاتل، ومعه خمسماية[١] مِن الخيول الطلايع[٢]، وماية[٣] وخمسين مِن أرباب الصنايع[٤]، ومعه جمال لحمل الذخاير[٥] سبعة آلاف جمل.

وهكذا تكون هِمّة الملوك، وعن الملوك فلا تسل[٦]. فدخل بعض هؤلاء القوم إلى جدة وترك البعض في الطريق علمًا بأنَّ البَنْدَر عن دخولهم يضيق، فحصلت منافسة بين قبيلتين، وحصل بينهم القتال، فما افتر إلاَّ بعد قتل رجلين، فعاهد بين القبائل بعضهم بعضًا، خشية مِن إثارة فتنة توجب للأُمُور نقضًا، ثم دنا الرحيل مِن جدة، وتَوَجَّه في خامس القعدة[٧]، فأصبح يوم الأربعاء بعُسْفان، وهزّ يوم الخميس بخُلَيْص الذايل[٨] والْمُرَّان، فنهبت السوق عُتَيْبَة، ولم يبقَ للقوم سوى الخيبة، ونهبوا جميع ما في البلاد، ونهى القومَ / ق١١٠/ عن النهب فما أفاد، فما أقام فيه غير بياض يومه، وأمر بالرحيل على قومه، فتَقَدَّمَت البيارق والعساكر والخيول التي تسرّ الناظر.

وتَوَجَّهت جميع القبايل[٩] مِن راكب وراجل إلا هُذَيْل فإنَّها امتنعت، وأرسل لها رسولاً فما سمعت، فجاءهم بنفسه وخاطبهم، فلمَّا أعاد القول عليهم ثانيًا أغلظوا في الجواب، قيل: إنَّ صاحب الترجمة ضرب واحدًا مِنْهم بمِشْعاب ضربة غير مُؤلِمَة، فعمد إلى بندقية ورماه برصاصة تعمد بها المقتل، فسَلَّمَه اللَّه تعالى مِنْها عزّ وجلّ، ثم كرُّوا إلى مكة راجعين ولم يُبَالوا، وجنحوا إلى ما جنحوا إليه حين مَالوا.

فأرسل خلفهم السيد منصور بن عبد اللَّه الحمودي، وأمره أنْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: خمسمائة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطلائع.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الصنائع.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: تسأل.

(٧) ٥ ذو القعدة ١١٩٥هـ/ ٢٢ أكتوبر ١٧٨١م.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الذائل؛ وهو الفرس ذو الذيل الطويل.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

يتعطَّف خواطرهم، ويقول لهم قولاً لينًا عَلَّه يفيد، فلمَّا خاطبهم قالوا له: إنْ ترد مكة فامشِ معنا، ونحن نحارب الحرب الشديد، فلمَّا أخبره الخبر تحيَّر في أمره وتكدر، ولم يهنه مقرّ حتى غاب عن حسه، ولم يدرِ ما يخمن في حدسه.

ثم إنَّه أمر بردّ الخزانة إلى خُلَيْص، وأبقى عندها بعض المراجل وبعض الأعراب، وتَوَجَّه خلفهم بالعساكر والمراجل على خيل وركاب، فأدركهم على موقدات صبيحة يوم الجمعة، في يوم يسمونه لهوب، وحصل بينهما ملحمة مِن وقت الإشراق إلى وقت الغروب، ومال عليهم كُلّ الميل، وقتل جانبًا كثيرًا مِن هُذَيْل، ونهب جمالهم وما معهم مِن بنادق وسلاح، وجندل دون الماية مِنْهم في تلك البطاح، ثم إنَّهم تدخلوا على الشريف فَكَفَّ عنهم القتال، ولو أراد استيصالهم(١) عن آخرهم لطال، وقُتِل مِن عُتَيْبَة أحَدَ عَشر رجلاً، وواحد(٢) مِن الأشراف.

ثم عاد الشريف إلى الوادي، وأقام به حتى لحقته الخزاين(٣)، ودخل البيت الحرام، ومَن دخله كان آمن(٤)، فوجد هُذَيْل(٥) قد تدخلوا على الأوليا(٦) مِن شدّة الخوف، لما عَلِمَت مِنْه مِن الحوف، فأمَّنَهم وعفا عنهم، ورحلوا إلى أهلهم في أسوء حال، وهذا جزاء الخاين(٧) الخَتَّال، فعند ذلك أمر العُربان بالانصراف، وعزم على العود ثانيًا إنْ حصل له مِن اللَّه تعالى إسعاف، وتلى لسان حاله يقول حين يجول:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: استئصالهم.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: وواحدًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الخزائن.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: آمنًا.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: هُذَيْلًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الأولياء.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الخائن.

وَلاَ بُــدّ لِـي مِــن عَـــوْدة بَـعْـد هَـذِه

وَأَشْـفِـي بِبِيْض الهِنْد حَـرّ غَلِيْلِي[١]

/ ق١١١/.

فلمَّا أقرّ بمكة أرسل للشيوخ فجاوا[٢] مُعترفين مُنقادين، وقد ظهر عندهم الخطأ واتضح، فعفى عنهم وسمح، وجعل لهم مُقرّرات عوضًا لهم في المقاتيل، وعاملهم بفعله الجميل.

وفي عشرين مِن ذي القعدة[٣] أمر بتسفير مَن بقي مِن محابيس أهل المدينة؛ فسفّرهم إلى القُنْفُذَة.

[أخبار قوافل الحج]

ووردت الحجوج، وأخبروا أنَّ يوسف باشا بن محمد باشا ابن العظم والٍ على جدة ومحافظٌ لمدينة النبي - صلى اللَّه تعالى عليه وسلم - وكان والي الحاج الشامي محمد باشا ابن العظم، وجاء في قوّة عظيمة، وأحواله مِن كُلّ الأمُور مُستقيمة، والسنة بحمد اللَّه رخية، وأفعال الناس مرخية، إلا أنَّ أهل مكة ومَن حَوْلها لم يحجوا في هذا العام، توقّعُوا حصول فتنة بينه وبين شريف مكة، للعداوة التي سبق عليها الكلام.

فحجت الحجوج ووقفت الناس، وهم في غاية السرور والإيناس، وجات[٤] الأمُور على خلاف القياس، ثم توسّط بينهما بالصلح الوزير ريحان، وأصلح بينهما صلحًا أتْقَنه غاية الإتْقان، وجاء كُلّ مِنْهما عند الآخر، وعاهد بينهما داخل البيت الحرام، وبلغا غاية المرام، وقَدَّم كُلّ مِنْهما هدية للآخر، وبالغ فيما قدَّمَه وفاخر، وأقام إلى اليوم الثالث والعشرين مِن ذي الحجة[٥]،

---

(١) لم أقف على قائله فيما لدي من مصادر.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: فجاءوا.

(٣) ٢٠ ذو القعدة ١١٩٥هـ/ ٦ نوفمبر ١٧٨١م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاءت.

(٥) ٢٣ ذو الحجة ١١٩٥هـ/ ٩ ديسمبر ١٧٨١م.

وتَوَجَّه على طريق الشرق، فلمَّا وصل المدينة قبض على كواخيها وثلاثة مِن راسايها[1] أهل الصَّولة[2]، وأخبرهم أنَّه بفرمان مِن الدولة.

وفي ست وعشرين[3] سافر الحج المصري على الطريق الفرعي، لا زال بحفظ اللَّه تعالى مرعي[4]، وسافر معه نحو سبعين رجلًا مِن أهل المدينة، ولم يعطِ ما هو مُرَتَّب لحَرْب وجُهَيْنَة.

❏ ❏ ❏

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رؤسائها.

(٢) كتب على هامش النسخة (ب)، ورقة ٨٠: الأشخاص الذين قبض عليه أمير الحج، «وهم: الكيخية أحمد رجب، والكيخية مصطفى، والكيخية الحويري، ومِن الأعيان الشيخ عبد ؟؟؟ والديري، ومدة إقامتهم عنده في الشام ثمانية أشهر وعشرة أيام، ثم رجعوا إلى المدينة المنوَّرة».

(٣) ٢٦ ذو الحجة ١١٩٥هـ/ ١٢ ديسمبر ١٧٨١م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مرعيًّا.

[أحداث سنة ١١٩٦]

[آل علي مِن قبيلة هُذيل يقطعون طريق الطائف]

وفي سنة ١١٩٦ ألف وماية وست وتسعين[١] عصت على صاحب الترجمة آل علي بن سالم، وهم بطن مِن هُذَيْل، وقطعوا طريق الطايف[٢] ومالوا كُلّ الميل، فنهبوا حجَّاجًا وتوازوا بالجبال، ولحقتهم أهل المدارك وأعادوا بعض المال، وأخذوا مرة ثانية وثالثة، ولم تزل هذه القبيلة طاغية عابشة، ولم يَتَمَكَّن مِنْهم لِكَوْن جِبالهم حصِيْنة مانِعَة، وأمَاكِنُهُم شاهقةً شاسعة.

وفي شهر صفر[٣] أطلق السيد الحسن بن الشريف أحمد بن سعيد، والسيد سليمان بن يحيى مِن الحبس وكان مريضًا، وبعد عشرة أيام سكن الرَّمْس.

[الشروع في بناء قلعة أجياد]

وفي شهر رجب[٤] جمع العمال والمعلمين الذين هم في البلاد، وشرع في عمارة القلعة التي على راس[٥] جبل بَلبَل بسفح أجياد، واستلحق معلمي الطايف[٦] وجدة، واستعدّ لها أعظم عدة، واشترى جميع ما حولها مِن البيوت،

---

(١) ١١٩٦هـ/ ١٦ ديسمبر ١٧٨١هـ - ٥ ديسمبر ١٧٨٢م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) شهر صفر ١١٩٦هـ/ ١٥ يناير - ١٢ فبراير ١٧٨٢م.

(٤) شهر رجب ١١٩٦هـ/ ١١ يونيو - ١٠ يوليو ١٧٨٢م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

لأجل الأخشاب والأحجار، بحيث لم يقدر غيره على تعمير حانوت ولا دار، واشترى غالب البيوت التي بشعب عامر[١]، ولم يترك بيتًا خاربًا ولا عامر[٢]، ثم أمر بهدم هذه البيوت بحيث يعقرونها الفعلة مِن أسفلها، فتطيح الدار دفعة واحدة، كما رأيناهم بالمُشاهدة، وهذا كُلّه لأجل السرعة والمعونة، ومع هذا تتلف أغلب المؤنة، فطاحت البيوت وبقيت أكوام[٣] في أقلّ أيام، ثم أطلق المُنادي في شوارع البلاد على جميع الحاضر والباد، حتى العبيد والعساكر، والأكابر والأصاغر، وأرباب الحرف، ومَن جهل ومَن عرف، على أنَّهم يحضروا ويشيلوا[٤] مِن هذا الدمار، ويُقَرِبُونَه مِن الدار، ومَن لم يكن له استطاعة يرسل أتباعه، وعيّن لكل مِنْهم أجرة، ولم يُشَغّل أحدًا بالسخرة، فبلغت أجرة كُلّ يوم ألفين[٥] غرش، ومع هذا كثير من الناس لم يطلبها، ويمر عنها ويتجنبها، وما زال هذا الشأن إلى أربع في الثمان.

وفي ذي القعدة[٦] أرسل القُنْفُدَة، وطلب المحبوسين مِن أهل المدينة، وحبسهم في جدة ببيت الوزير، ولم نعلم لذلك سببًا غير التقدير.

[أخبار قوافل الحج]

وفي اليوم التاسع والعشرين[٧] طلع الشريف إلى الطايف[٨] لزيارة

---

(١) **شِعْب عامر**: يقع في الشمال الشرقي لمكة المكرمة، وفيه حيّ مِن أشهر أحيائها، يجاور شِعْب علي مِن الشمال، عرف بهذا الاسم نسبة إلى عامر بن لؤي القرشي، ويرد في بعض المصادر شِعْب بني عامر وابن عامر. وكان به قبة مولد الرسول ﷺ وقريب مِنْه قبة مولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت فيه بيوت بني هاشم في الجاهلية. إبراهيم رفعت، مرآة **الحرمين**، ١/ ١٨١؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٩١٧.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: عامرًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أكوامًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يحضرون ويشيلون.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ألفي.

(٦) شهر ذي القعدة ١١٩٦هـ/ ٧ أكتوبر - ٥ نوفمبر ١٧٨٢م.

(٧) ٢٩ ذي القعدة ١١٩٦هـ/ ٤ نوفمبر ١٧٨٢م.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

حبر الأنام، وكان مِن عادته لا يترك الزيارة في كُلّ عام، فدخلها في غُرَّة ذي الحجة[١]، وأقام يومين وتَوَجَّه ودخل مكة في خامس الثمان، وصادف دخول الحاج في أمنٍ وأمان، وكان أمير الحاج الشامي محمد باشا بن العظم، جاء في قوة عظيمة، بنى أموره على الحزم، وأمير الحاج المصري أيوب[٢] بيه[٣] في هذا العام، ومعه مغاربة بصدقة مِن سلطان المغرب[٤] وإنعام.

فحجت الناس ووقفت بعرفة، وكان موسمًا مُباركًا، قلوب المسلمين فيه مؤتلفة، وارتخت الأسعار بسبب ما سبق مِن الأمطار، وبيع إرْدَبّ الشعير بسبعة غروش بعد التنظيف، وجبر اللَّه تعالى فيه قلب كُلّ ضعيف.

[حريق في إسلامبول]

وأخبرت الحجوج عن الحريق الذي وقع في إسلامبول[٥]، وأنهم لا يعلمون مثل هذا الأمر المهول حتى قيل: إنَّ عُنْصُرَ النار قد سُلِّط على هذه / ق١١٣/ البلدة وأحرق ثلثها، وذهبت فيه نفوس وأموال لا تُعَدّ، وركب السلطان بنفسه واجتهد في طفيها، فعجز وما أمكنه رَدّهَا، ثم قال: دَعُوهَا فإنها مُسَلَّطَة حتى تأخُذ حَدَّهَا، مع هذا وهم مُستعدّون للحريق كمال الاستعداد، وقد قَدَّر اللَّه تعالى بهذا وأراد.

---

(١) غُرَّة ذي الحجة ١١٩٦هـ/ ٦ نوفمبر ١٧٨٢م.

(٢) **أيوب بيك**: أيوب بيك الكبير المحمدي، مِن أتباع محمد بك أبي الذهب، انضم إلى مراد بيك وإبراهيم بيك في صراعها ضد إسماعيل بيك الكبير، وشاركهما في جميع الأحداث التي وقعت في عهد سيطرتهما على مصر، وخرج أميرًا للحج عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م. وصفه الجبرتي بقوله: «كان لين الجانب، مهذب النفس، يحب أهل الفضائل، ذا ثروة وعزوة وعفة». توفي بالقاهرة عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م. أحمد الرشيدي، **إمارة الحج**، ص ٢٢٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٧٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيك.

(٤) عبد السلام ابن سودة، **اتحاف المطالع**، ١/ ٥٦.

(٥) كانت بيوت مدينة إستانبول مصنوعة مِن الأخشاب، الأمر الذي جعلها عرضة للحرائق بين الفينة والأخرى، التي كان يصعب السيطرة عليها. أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١١٤.

[فيضان في بَنْدَر سورة في الهند]

وردت أخبار مِن الهند أنَّ بَنْدَر سورة[١]، زاد فيه عُنْصُر الماء وطغى، وهدم كُلّ بيت حول البحر فلباه وصغى، وغرق نحو ماتين[٢] وستين مركب[٣] في المراسي، وانطمست بها فيها طمسًا، وكان جملة ما انهدم مِن البيوت ثلثمائة بيت، وكم تلف أموالاً وكم ترك ميت[٤].

وسافرت الحجوج في أيامها على طرقها المُعتادة، لأمر قضاه اللَّه تعالى وأراده، قيل: إنَّه حصل على الحج المصري أمطار وسيول، وذهب ثلث الحج مِن هذا الأمر المهول.

❒ ❒ ❒

(١) **بَنْدَر سورة**: يقّع على الساحل الغربي للهند، ويُعَدّ مِن أقدم الموانئ الهندية، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام ٩٤٣هـ/ ١٥٣٧م، وكان الميناء الذي يمر مِنْه الحجاج إلى مكة المكرمة. أحمد رجب علي، **المدن الأثرية الإسلاميَّة في الهند**، ص ١٠٦.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مركبًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ميتًا.

[أحداث سنة ١١٩٧]

[وفاة محمد باشا العظم أمير الحج الشامي]

وفي شوال سنة [١١٩٧ [(١)]] ورد الخبر بأنَّ يد الحمام غالت محمد باشا بن العظم بدمشق الشام، رحمه اللَّه تعالى، وجعل سحب رضوانه عليه تتوالى، وقد وقف عشر حجج بالمحمل، فطوبى له بهذا المنهل، فألْبست الدولة محمد باشا[(٢)] بن عثمان الصادق، ومكث شهرين، وطرقه مِن المنون خير طارق، فأرسلوا الأطواخ[(٣)] إلى أخيه درويش[(٤)]، وما زال جناح همة عزمه يريش، فحج بالمحمل عام

---

(١) وردت في الأصل سنة ١١٩٦هـ، والصواب أنَّها ١١٩٧هـ، فقد توفي محمد باشا العظم في ١٣ جمادى الأولى عام ١١٩٧هـ/ ١٥ إبريل ١٧٨٣م. انظر: خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٤/ ١٠٢.

(٢) **محمد باشا**: محمد باشا ابن عثمان باشا الصادق والي الشام. كان متسلمًا على مدينة طرابلس الشام في عهد والده، إبَّان الصراع ضد ضاهر العمر، وبعد وفاة محمد باشا العظم والي الشام في ١٣ جمادى الأولى ١١٩٧هـ/ ١٥ إبريل ١٧٨٣م، عيّنته الدولة على الشام، فدخلها في ١١ رجب/ ١١ يونيو مِن العام المذكور، ولكنَّه كان مريضًا، فلم يدم سوى شهر واحد، ومات في ٩ شعبان/ ٩ يوليو، ودُفِنَ في سيدي خمار بدمشق. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٥.

(٣) **الأطواخ**: كلمة صينية الأصل، دخلت إلى التركية بمعنى راية من نوع خاص، كانت تتخذ من القماش، تحمل على عمود، ويعلق بها ذيل ثور أو حصان يسمى: شاليش، وعلى رأس العمود كرة ذهبيَّة يعلوها هلال. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣١٠.

(٤) **درويش باشا**: درويش باشا ابن عثمان باشا الصادق، كان متسلمًا على مدينة صيدا، وبعد وفاة أخيه صدر الفرمان بتعيينه على الشام، فدخلها في ١١ رمضان ١١٩٧هـ/ ٩ أغسطس ١٧٨٣م، فاحتفل الناس به، فقد كان عادلاً وفي قلبه رقة، محبًا للعلم والعلماء، وقد حج بالناس في عامي ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م، و١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م، ثم عزله الباب العالي في ١٨ ربيع الآخر ١١٩٩هـ/ ٢٧ فبراير ١٧٨٥م. خليل المرادي، **سلك الدرر**، ٢/ ٧٢، ٣/ ٣٩؛ صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٥.

سبع وتسعين، وكانت سنة [(١)]١١٩٧ أبرك السنين ثم تَوَجَّهت الحجوج، وأمور الناس بالخير تروج.

[ورود صدقات مِن سلطان المغرب]

ووَرد صدقة في موسم هذا العام، تفضلاً مِن سلطان المغرب[(٢)] وإنعام[(٣)]، لأشراف مكة الكرام، وللعُلماء الأعلام، وخُدَّام بيت اللَّه تعالى الحرام، وكذلك لأهل مدينة الرسول مثل هذا القول، وكانت الصدقة ذهبًا مطبوعًا، مقدار كُلّ واحد وزن ريال مِن الفِضة، مكتوب عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[(٤)].

[أهل المدينة يقبضون على أمير الحج المصري]

وفي هذا العام تَمَرَّد أمير الحج المصري[(٥)] عن تسليم المعاليم، وادَّعى أنَّه لم يقبض ذلك وافيًا وارتحل، وأراد أنْ يفعل بأهل المدينة كما فعل، فتَحَيلوا عليه بحيلة لطيفة مُبتكرة، حتى أدخلوه بيت العشرة[(٦)]، فطالبوا بجميع الصُّر، وقالوا له: إنْ لم تعطهِ فأنت مسجون محصر، فتيقّن عدم الخلاص، ولات حين

(١) ١١٩٧هـ/ ٦ ديسمبر ١٧٨٢ - ٢٤ نوفمبر ١٧٨٣م.

(٢) عبد السلام ابن سودة، **اتحاف المطالع**، ١/ ٥٩.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: إنعامًا.

(٤) القرآن الكريم، **سورة التوبة**، آية رقم ٣٤.

(٥) كان أمير الحج المصري مصطفى بك الكبير، المذكور سابقًا، وقد خرج بالمحمل في ٢٠ شوال ١١٩٧هـ/ ١٨ سبتمبر ١٧٨٣م، وعاد في ٢٣ صفر ١١٩٨هـ/ ١٧ يناير ١٧٨٤م. أحمد الرشيدي، **إمارة الحج**، ص ٢٢٥؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٠٦، ١١٤.

(٦) **بيت العشرة**: لعله يقصد دار العشرة، والتي كانت تعرف بدار آل عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، وكانت تقع في قبلة المسجد النبوي الشريف من الجهة الشرقية، انظر: أبو الحسن علي بن عبد اللَّه السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٣٥.

مناص، فأعطى ما يملكه مِن النقود، وأبقى رهونًا في الباقي بمحضر الشهود، وتَوَجَّه في شهر محرم سنة ١١٩٨ [١].

□ □ □

(١) شهر محرم ١١٩٨هـ/ ٢٥ نوفمبر - ٢٤ ديسمبر ١٧٨٣م.

[أحداث سنة ١١٩٨]

[وفاة علي باشا والي جدة]

وفي غاية هذا الشهر[١]، ورد علي باشا على جدة / ق١١٤/ وأقام شهرًا، وتوفي بها، ودعاه داعي الحمام إلى دار السلام.

وفي خامس عشر مِن شهر صفر[٢] عزل سعيد الجبرتي مِن منصب النظارة، وتولى بعده حسن الرشيدي بقدر لا أعرف مقداره.

[نقض قلعة أجياد وإعادة بنائها]

وفي شهر ربيع[٣] نقض القلعة التي على جبل بَلبَل[٤]، وأعادها على ما هي عليه الآن، وأتقنها غاية الإتقان، لأنَّ المُعلِّم الذي بناها، لم يدرِ ما طحاها.

[عزل نائب الحرم وتولية آخر]

وفي غاية ربيع الأول[٥] عزل السيد عثمان نايب[٦] الحرم، لِكَوْنه تولاها بقدر معلوم مِن الدراهم، فسلَّم بعضه والبعض قصر، وولي بعده الشيخ أحمد

---

(١) غاية محرم ١١٩٨هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٧٨٣م.
(٢) ١٥ صفر ١١٩٨هـ/ ٨ يناير ١٧٨٤م.
(٣) شهر ربيع الأوَّل ١١٩٨هـ/ ٢٣ يناير - ٢١ فبراير ١٧٨٤م.
(٤) أي قلعة أجياد.
(٥) غاية ربيع الأوَّل ١١٩٨هـ/ ٢١ فبراير ١٧٨٤م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: نائب.



الحلبي بشيء مِنْ المال، يُسلمه لأهل الوظايف[١] في الحال.

[رفع ضرائب غير شرعية عن الناس]

وفي هذا العام[٢] وفقّ اللَّه سبحانه وتعالى صاحب الترجمة، ورفعَ الصابونَ الذي يؤخذُ على الأموات، والمصالح التي تؤخذ على الصرّ، واستقام على ذلك مُدَّة حياته واستقرّ، ورفع المكوسَ التي تؤخذ على الجِمَال، ورفع كثيرًا مِن المكوس جعلها ذخيرة للمال.

وفيها ناقل بِمَا بقى مِن دار السعادة بعد ما احترق، وأعطاهم الدار التي عند قهوة المفترق.

[بشارة بمولود للسلطان، سمَّاه: مرادًا]

وفيها ورد نجَّاب مِن الدولة العليَّة في شهر جماد[٣]، وأخبر بأنَّه أتاه مولود، وسمَّاه: مراد، وأخبر أنَّ على الدولة سفرين، وأخرجوا له عُرضين، وشرعوا في قراة[٤] سورة الفتح، وصحيح البخاري[٥]، وينتظرون النصر على

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الوظائف.

(٢) عام ١١٩٨هـ/ ٢٥ نوفمبر ١٧٨٣ - ١٢ نوفمبر ١٧٨٤م.

(٣) شهر جمادى الأولى ١١٩٨هـ/ ٢٢ مارس - ٢٠ إبريل ١٧٨٤م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قراءة.

(٥) نقل ابن أبي جمرة أحد شرّاح صحيح البخاري عن بعضهم قوله: إنّ صحيح البخاري ما قرئ في شدّة إلا فرجت ولا ركب به في مركب إلاّ نجت. وقال تقي الدين السبكي: وأمّا الجامع الصحيح، كونه ملجأ للمعضلات، ومجربًا لقضاء الحوائج فأمر مشهور، ولو اندفعنا في ذكر تفصيل ذلك، وما اتفق فيه لطال الشرح، وقد جرى على العمل بذلك كثير من رؤساء العلم ومقدمي الأعيان إذا ألم بالبلاد نازلة مهمة فيوزعون أجزاء الصحيح على العلماء والطلبة ويعينون للختام يومًا، وقد ردّ هذا العمل بعض العلماء، وعدوه من المحدثات في الدين. للمزيد انظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٢، تحقيق: محمد الطناحي و عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٣٤؛ أبو الفضل أحمد بن علي بن ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ج١، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص ١٣؛ محمد جمال الدين القاسمي، **إصلاح** =

الأعداء وفتح الباري.

وفي شهر جماد عزل حسن النايته مِن منصب الشابندرية[1]، ولم يبق له فيها مجال، وتولى بعده أحمد القاري بأربعة آلاف ريال، وخرج في أيامه قماش بثلاث وثمانين ألفًا على الهنود رمِيّة، واشترط أن لا يقبض غير المَحَابِيْب الذهبية.

[ذوو هجار يطلبون السماح مِن الشريف]

وفيها وصلوا ذوي[2] هجار[3]، وطاحوا على الشريف، وطلبوا مِنْه السماح عن القوي والضعيف، وطلبوا مِنْه أنْ يرسل وزيره لحفظ البندر[4]، وأنَّ جميع ما تحصَّل في المدّة السابقة يُسَلِّمونه على حسب ما هو مُسَطَّر في الدفتر، فرأى أنَّ أخذه في هذه الصورة حيف عليه وأيّ حيف، ولم تقبل هاشميته إلا أخذها بالسيف، فمكثوا أيامًا يرمون دلوهم في كُلِّ موضع

= **المساجد من البدع والعوائد**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٥٥-٢٥٩.

(١) **الشَّابَنْدَرِيَّة**: مكوَّن من مقطعين: أولهما شاه: الملك، والآخر بندر: الميناء، معناه: شيخ التجار، ورئيس تجار الميناء، ويكتب شَهْبَنْدر، وشاهْبَنْدر، دخل اللغة العربية في العصر الإسلامي المُتأخر، وقد تطور المعنى في العصر العثماني، فأطلق على: جابي الضرائب، ومدير الميناء، والقنصل في الدول العثمانية؛ على اعتبار أنَّ معظم القناصل تجار لدولهم. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٦٧-٢٦٨

(٢) كذا في الأصل، والصواب: وصل ذوو.

(٣) **ذوو هجار**: هم الأشراف ذوو هجار، ويقال لهم الهجارية ولواحدهم «هجاري» - بالتخفيف وكسر الهاء - وهم أحد فروع الأشراف القتادات الرئيسية، وينحدرون مِن نسل الشريف هجار بن دراج بن معزى بن هجار القتادي، الذي كان أميرًا على ينبع إمارة ينبع (٩١٠-٩١٧هـ/ ١٥٠٥-١٥١١م)، وكان آخرهم في حكم ينبع الشريف عبد الكريم بن بديوي عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وكانت فيها مساكنهم ومزارعهم وخيوفهم؛ فهم في ينبع النخل منذ القدم، وكانت لهم بها ستة قرى، وهي: قرية الأشراف مركزهم ومقر إمارتهم، وقرية العلقمية، وقرية المزرعة، وقرية المبارك، وقرية عين النوى، وقرية البركة. أحمد ضياء العنقاوي، **معجم أشراف الحجاز**، ص ١٥١٦-١٥١٨؛ صالح الفضلة، **النسب النبوي**، ص ٦٤-٦٩.

(٤) يقصد مدينة ينبع، التي سبق أنْ سيطرت عليها قبيلة حرب، كما ذكر آنفًا.

ويخيب، ثم ارتحلوا بعد مُدَّة فلا داعي ولا مجيب، وقد صمَّم على تركه في أيديهم ما عاش مدّ الزمان، أو يسترجعه بالسيف والسنان.

[هبوب سَمُوم أدت لوفاة حجاج قادمين مِن البحر]

وفي ذي القعدة[1] حصل بمكة سَمُوم عظيم لم يعهد، مات فيه كثير مِن الحجاج الواصلين / ق١١٥/ في البحر عندما اشْتَدَّ، ولم يتعرض بيت المال لأخذ شيء مِن المال، فجزاه اللَّه تعالى خيرًا وبلغه الآمال.

وفي سادس ذي الحجة[2] عزل حسن الرشيدي عن النظارة، وتولاها بعده محمد الغزاوي بثمانية عشر ألف، غير ما أعطاه للوسايط[3] مِن الكف.

□ □ □

(١) شهر ذي القعدة ١١٩٨هـ/ ١٥ سبتمبر - ١٤ أكتوبر ١٧٨٤م.

(٢) ٦ ذو الحجة ١١٩٨هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٧٨٤م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: للوسائط.

[أحداث سنة ١١٩٩]

[امتناع أمير الحج المصري عن زيارة المدينة المنورة]

ودخل العام الجديد والطالع السعيد - سنة ١١٩٩ - سنة تسع وتسعين بعد المايةٍ[١] والألف[٢]، مِن هجرة مَن له العزّ والشرف، وأوّل خبر سمعناه ورد، أنَّ صنجق الحاج المصري[٣] بصرّ أهل المدينة شرد، لأنَّه لمَّا وصل إلى رابغ مال إلى نحو نخشوش، وإلى يمبع، وإلى مصر، ولم اتفق[٤] قبله أنْ يسافر الحاج بدون الزيارة[٥]، لكن هذا الصنجق باع عرضه بالمال، ولم يخش عاره[٦].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: المائة.

(٢) ١١٩٩هـ/ ١٣ نوفمبر ١٧٨٤ - ٢ نوفمبر ١٧٨٥م.

(٣) كان أمير الحج المصري مصطفى بك الكبير - المذكور آنفًا - وقد خرج بالمحمل في ٢١ شوال ١١٩٨هـ/ ٧ سبتمبر ١٧٨٤م، وعاد به في ١٥ صفر ١١٩٩هـ/ ٢٨ ديسمبر ١٧٨٤م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١١٨، ١٣٢.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يتفق.

(٥) دون زيارة المسجد النبوي الشريف.

(٦) إنَّ تحليل ابن عبد الشكور هنا مخالف للواقع، وبه تحامل على مصطفى بك أمير الحج المصري، الذي كان قد كتب على نفسه لأهل المدينة وأعطاهم رهونًا على ما تبقى لهم مِن المال، كي يطلقوا سراحه، وهو الأمر الذي ذكره مؤرخنا في موسم الحج السابق، أي عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م، وعلى الأرجح أنَّ أمير الحج خشى الذهاب إلى المدينة المنوَّرة، حتى لا يحدث نزاع بينه وبين أهلها، يؤثر على القافلة وسلامة الحجاج؛ وبخاصة أنَّه لم يتوفّر لديه المال الذي كتبه على نفسه من قبل، وذلك لم يكن بتقصير منه، بل من مراد بك وإبراهيم بك حيث إنَّهما كانا يماطلان أمير الحج في دفع المخصصات والمُقرّرات، ويذكر الجبرتي الأوضاع التي صاحبت خروج هذا المحمل، بأنَّه كان موكبًا حقيرًا جدًّا بالنسبة للمواكب السابقة، وأنه تأخر له مبلغ من مال الصرة وخلافها، وقد =

[عُربان مِصْرَ ينهبون الحجاج المغاربة]

ثم ورد خبر أنَّ عُربان مصر[1] نهبوا الحج المغربي استأصالًا، وأثخنوه جراحًا وقتالاً[2]، فاللَّه تعالى يجانيهم على فعلهم الذميم، ويخزيهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم.

وفي شهر ربيع[3] عزل محمد الغزاوي مِن النظارة سنة ١١٩٩، ولم يلبث

= ماطله إبراهيم بك ومراد بك، حتى اضطر الأخير إلى الدفع لإخراج موكب الحج، ويبدو أن المقررات المخصصة للحرمين الشريفين كانت محدودة، وأقلّ من المتعارف عليه، وذلك يتضح من المكاتبات التي وصلت في أواخر ذي الحجة ١١٩٨هـ/ نوفمبر ١٧٨٤م، وهي شكاوى إلى الأمراء والعُلماء، من الشريف سرور ووكلاء التجار، بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتاجر، وحضور المراكب مُصَبَّرة بالأتربة، وزيادة الضرائب عن الحد المعروف، ثم يعلِّق الجبرتي عليها بقوله: «فلما حضرت قُرِئ بعضها وتُغُوفِل عنها، وبقي الأمر كذلك». ولعل في هذا ما يثبت براءة أمير الحج من التهم المنسوبة إليه باستيلائه على المقررات، كما أن عدم زيارته للمدينة لم يكن رغبة في الاستيلاء على مقرراتهم بل لحماية الموكب، نظرًا لعدم توفر الأموال المقررة المخصصة للقبائل والأهالي في المدينة المنوَّرة، ولو كان التقصير من أمير الحج لاتخذ موقفًا صارمًا ضده عند عودته القاهرة، وما كانوا أخرجوه في موسم الحج التالي، أي عام ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، كما سيأتي ذكره. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١١٨، ١٢١.

(١) **عُربان مصر**: هي القبائل العربية المتواجدة في شبه جزيرة سيناء، وكانت هذه القبائل تتنقل بينها وبين الحجاز، وكثيرًا ما قامت بمهاجمة القوافل التجارية ومحمل الحج المصري. وللمزيد عن هذه القبائل، انظر: إيمان محمد عبد المنعم، **العُربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول مِن القرن التاسع عشر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين (٩٧)، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٣-٢٤، ٨٨-٩٢

(٢) تعرّضت قافلة الحج المصري في هذه السنة لصعوبات وكوارث شديدة، عصفت بها في نهاية الأمر، ويصوّر الجبرتي ما حَلّ على الحجاج بقوله: «وحصل للحجاج في هذه السنة مشقّة عظيمة مِن الغلاء ... ووقفت العُربان لحجاج المغاربة في سطح العقبة، وحصروهم هناك، ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج مِنْهم إلا نحو عشرة أنفار». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٣٢.

(٣) شهر ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ١١ يناير - ٩ فبراير ١٧٨٥م.

إلا ثلاثة أشهر سيارة، وتولاها بعده حسن الرشيدي مرة أخرى بشيء مِن المال، لا أعلم له قدرًا، وبلغني أنَّه سلّم من النقد والصنف قدر ثلاثين ألف. وفي شهر ربيع تولى درويش بن صالح صبغه منصب بيت المال، بقدر معلوم مِن المال، وعشرة أوجاب مِن غير سوله، ومِن النقود التي كانت حوله.

[وفاة الشيخ عبد اللطيف الحُريشي]

وفي يوم عيد المولد الشريف(١) توفي العالم العلامة، والعمدة الفهَّامَة، قَرَّاءُ أهل زمانه، ووحيد عصره وأوانه، شيخنا الشيخ عبد اللطيف الحُريشي، عليه الرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان.

[وقوع سيل وكسوف في مكة]

وفي الثالث عشر مِن ربيع أوَّل(٢)، شهر مولد النبي المُفضل، حصل بمكة سيل عظيم حتى أسال الشعاب والهضاب، وكثيرًا مِن البيوت أوهنها الخراب، ودخل المسجد الحرام وارتفع مِن البيت الشريف إلى قفل الباب، وكم مات فيه أنداد وأتراب.

وفي ثمان وعشرين(٣) بعد صلاة العصر، كسفت الشمس بقدر ثلثي ساعة، وكل كوكب في السماء أظهر شعاعه، ثم أسفر محياها ولاح سرورها، ووقف في الخافقين سناها ونورها.

[القبض على الشريف الوبير أحد قُطَّاع الطريق]

وفي اليوم الثالث عشر من ربيع الثاني(٤) ركب صاحب الترجمة لا زالت دولته مُنظمة وتَوَجَّه على طريق اليمن، ثم استدار على الوادي،

(١) ١٢ ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ٢٢ يناير ١٧٨٥م.
(٢) ١٣ ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ٢٣ يناير ١٧٨٥م.
(٣) ٢٨ ربيع الأول ١١٩٩هـ/ ٧ فبراير ١٧٨٥م.
(٤) ١٣ ربيع الآخر ١١٩٩هـ/ ٢٢ فبراير ١٧٨٥م.

وطالع السعد له حادي، ثم على المبارك والطرفاء/ ق١١٦/ ثم على المضيق، وقبض على الشريف الوبير، مِن أكبر قُطَّاع الطريق، طالما ركب عليه المرّة بعد المرّة، ولم يظفر به حتى لحقته عليه الحسرة، وأخذ مراحه ومواشيه، وأراه سهم المنون الذي يغشيه، وقبض معه شريفين، ورماهم في الحبس مُصّفَدِين، وأراح مِنْهم المسلمين.

[وفاة السيد عبد اللَّه هارون العلوي]

وفي خمس وعشرين مِن ربيع الثاني[1] توفي السيد الفاضل والماجد الكامل سلالة آل الرسول وقُرَّة عين الزهراء البتول السيد عبد اللَّه هارون العلوي، نفعنا اللَّه تعالى بسرهم القوي، وأفاض علينا مِن مشربهم الروي، كان في الصلاح راسخ القدم، وفي الطاعة والعبادة على أشدّ قدم.

[وفاة الشيخ محمد العمودي]

وتوفي أيضًا العالم العلامة والعمدة الفهامة الوالي الزاهد الشيخ محمد العمودي، وأجاب داعي اللَّه تعالى، وأدام الفيض عليه يتوالى.

[ذكر ولاية أحمد باشا الجزار على الشام]

وفي شهر رجب[2] وردت الأخبار، أنَّ الدولة العليَّة أنعمت بإمارة الشام على أحمد الجزار[3]، وهو ظالم غشوم طال ما ظلم وجار، وعمل

---

(١) ٢٥ ربيع الآخر ١١٩٩هـ/ ٦ مارس ١٧٨٥م.

(٢) شهر رجب ١١٩٩هـ/ ٨ مايو - ٧ يونيو ١٧٨٥م.

(٣) **أحمد باشا الجزار**: ولد في البوسنة حوالي عام ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م وقيل عام ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، ثم هرب إلى إستانبول، ثم انتقل إلى مصر عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م حيث خدم عند عدة أشخاص مِن بينهم علي بك الكبير، ولقب بالجزار لشدة بطشه ببدو إقليم البحيرة. وبعدها انتقل إلى بلاد الشام، حيث أدى دورًا مُهمًّا في تاريخ المنطقة، فَقد عُيِّن في البدء على بيروت ثم تدرَّج في المناصب حتى عُيِّن على ولاية الشام أربع فترات: الأُولى (١١٩٩-١٢٠١هـ/ ١٧٨٥-١٧٨٧م)، والثانية (١٢٠٥-١٢١٠هـ/ ١٧٩٠-١٧٩٥م)، والثالثة (١٢١٣-١٢١٤هـ/ ١٧٩٨-١٧٩٩م)، والرابعة (١٢١٨-١٢١٩هـ/ ١٨٠٣-١٨٠٤م). وقد بلغ ذروة مجده عندما نجح في وقف الحملة بقيادة نابليون بونابرت على الشام عندما كان متوليًا مدينة عكا عام ١٢١٤ =

بأعمال الفُجَّار، طالعه شوم[1] وهو سفاك غشوم، مشغول بسفك الدماء ونهب الأموال، ولا يفرّق بين الحرام والحلال، تارة يدعي أنّه شريف الطرفين أبوه وأمه مِن الحسن والحسين، وتارة يدعي أنَّه هو المهدي المنتظر، مع أنَّه أفجر مَن فجر، وعلى كُلّ حال، إنَّه مِن كبار الفئة الخاسرة، الذين اشتروا الدنيا بنعيم الآخرة، أعاذنا اللَّه تعالى مِن فجوره وطغيانه، وعاملنا بلطفه وإحسانه.

وفي ست مِن شهر رمضان[2] تَوَجَّه الشريف إلى جدة ببعض أجناده، لأجل الموسم الهندي على حسب معتاده، فطلع يومًا يتفرج على مركب مِن مراكب الإنقليز[3]، فرأى غلامًا مُسلمًا مِن المنيبار[4] بلغ أسره القبطان بالقوة والاقتدار، فوقع الغلام على الشريف وقبَّل قدميه، واستنجده في الخلاص مِن يديه، فطلب الشريف خلاصه مِن يده بمهما أراد مِن المال، فما جنح خاطره ولا مال، والغلام متعلق بأردانه، يدري النَّجِيع مِن أعيانه، فأخذته الحمية الهاشمية، وهزته لذلك الأريحية، فأخرجه مِن المركب جبرًا على

= هـ/ ١٧٩٩م، توفي وهو في منصب ولاية الشام في ذي الحجة ١٢١٨هـ/ أبريل ١٨٠٤م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٥٠٨-٥١٠؛ أحمد حيدر الشهابي، **قصة أحمد باشا الجزار بين مصر والشام وحوادثه مع نابليون بونابرت**، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، سلسلة صفحات من تاريخ مصر (٧٦)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م؛ صالح علي الشورة، **أحمد باشا الجزار والي صيدا (١٧٧٦-١٨٠٤)**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإنسانية، الجامعة الأردنية، ١٩٩٨م، ص ١١ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: شؤم.

(٢) ٦ رمضان ١١٩٩هـ/ ١٢ يوليو ١٧٨٥م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الإنجليز.

(٤) **المَنيبار**: ويكتب المَلَبَار، والملابار Malabar، وهو الساحل الجنوبي الغربي للهند، ويبلغ طوله حوالي ٨٥٠ كم، وكان به بعض المراكز التجارية المُهمَّة مثل: بومباي، كووة، كاليكوت، التي كانت سوقًا للمتاجر الشرقية مثل الفلفل، والزنجبيل، والصندل، والساج وغيرها. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٥/ ١٩٦؛ عبد العزيز المنقادي، **تاريخ ظهور الإسلام في ساحل مليبار مِن خلال مخطوط تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين**، مجلة الوثيقة، مج٩، ع١٧، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ يوليو ١٩٩٠م، البحرين، ص ١٦٠ وما بعدها.

القبطان، ووضعه في زعيمة وسلمه في يد الربان، فغاظه ذلك ونوى الخيانة، ونطق لجماعته بحرق الجبخانة، فقيض اللَّه سبحانه وتعالى / ق١١٧/ مَن يخبر الشريف بِمَا أراد ذلك الكلب، بأنَّ قصده يحرق الشريف ويحرق نفسه ومَن في المركب، فهالت الشريف فعلته الذميمة، وقبض القبطان وجماعته ورماهم في الزعيمة، وحبسه في بيت وزيره ريحان وأطلقه بعد مُدَّة، وهذا جزاء مَن خان، وتَوَجَّه الشريف إلى مكة ومعه الغلام، وسافر المركب بدون الصبي، وتم الكلام.

وفي شهر شوال[١] بنى المنارة التي على راس[٢] الجبل.

[إتمام بناء قلعة أجياد]

وفي هذا العام تَمَّت القلعة[٣]، وما أراده فيها مِن عمل وتمّ نظامها، وقد بناها كلها أقبوة وعقود، وتَمَّت في الطالع المسعود، وأرَّخها صاحبنا الجمال محمد رضا ببيتين، ما نسج مثلهما على منوال، ولعمري إنَّه أجاد فيما صنع، ووقع له شيء ما تمّ لغيره ولا وقع، يخرج مِن البيتين ست وثلاثون تاريخًا؛ فشطر كُلّ بيت مِنْهما تاريخ، ومهمله وكذلك معجمه، ومهمل الشطر الأول، ومعجم الشطر الثاني وعكسه، ومهمل الشطر الأول من البيت الأول، ومعجم الشطر الثاني، وهكذا في الأربعة أشطار، وَلْيكن كذلك الاقتدار، وهُمَا قوله:

قَـد طيلت الـدَّار دَار الْـعِـزّ حَـقّ بِـهَـا

نَـصـر الْـعـنَـايَـة عَـال فَـاز صاحـبـها

---

(١) شهر شوال ١١٩٩هـ/ ٦ أغسطس - ٣ سبتمبر ١٧٨٥م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٣) **قلعة أجْياد**: قلعة على ربوة بَلبَل، مِمَّا يلي المسجد الحرام، بناها الشريف سرور عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م، وقد ظلَّت قائمة في قبضة الأشراف آل غالب، حتى أصدر الملك فهد ابن عبد العزيز آل سعود (١٤٠٢-١٤٢٦هـ/ ١٩٨٢-٢٠٠٥م) أمرًا بانتزاعها مِن أهلها، وإعطائها لأوقاف الحرم، ثم هدمت عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، وأُقيمت مكانها عمارة شامخة، فجاء المطر فهدمها. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٣؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، / ١٣٩٦-١٣٩٧.

فِـي سوحـهَـا الـسّـعْـد مبقـا مَـا تَـزال مـرا

عَـات الـلَّـطِـيْـف وَقَـهْـرًا زال حَـاربـهـا

وعندي أنَّه لو ملأ فمه بالدر جايزة(١) لَمَا جازاه، بيد أنَّه حبسه أيام الموسم وأرزاه، ونسبه أنَّه دسّ ثلاثة أعجام وحرمة، لأجل أخذ الضرمة.

[تأخر غسيل البيت الشريف]

وفي هذه السنة(٢) تأخَّر غسيل البيت الشريف عن معتاده، ولم يغسلوه إلا في رابع ذي الحجة(٣)، وكل شيء على وفق مراده، وسببه أنَّ الشريف تَوَجَّه في هذا العام لزيارة الحَبْر، ولم يصل غير رابع الشهر.

[امتناع أمير الحج المصري عن تسليم الصرّ لأهل مكة]

وفي هذا العام لم يعطِ صنجق المصري مصطفى بيه(٤)، ما هو لأهل مكة مِن المعاليم(٥)، وسافر بها هذا الفاجر اللئيم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: جائزة.

(٢) أي عام ١١٩٩هـ/ ١٣ نوفمبر ١٧٨٤ - ٢ نوفمبر ١٧٨٥م.

(٣) ٤ ذو الحجة ١١٩٩هـ/ ٧ أكتوبر ١٧٨٥م.

(٤) خرج بمحمل الحاج في ٢١ شوال ١١٩٩هـ/ ١٨ أغسطس ١٧٨٥م، وعاد في ١٦ صفر ١٢٠٠هـ/ ١٩ ديسمبر ١٧٨٥م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٣٥، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٦.

(٥) يبدو أنَّه رُفِعَت إلى الباب العالي مكاتبات سواء مِن أمير الحج الشامي أحمد باشا الجزار أو مِن الشريف سرور، حيث إنَّه بعد عودة أمير الحج المصري مِن حج ذلك العام، وصلت مكاتبات إلى القاهرة في رجب ١٢٠٠هـ/ أبريل ١٧٨٥م، ومضمونها: طلب الخزائن المتأخرة، وإرسال مرتبات الحرمين الشريفين مِن الغلال والصرر عن السنين الماضية، واللَّوم على عدم زيارة المدينة المنوَّرة، ثم تكرر إرسال المكاتبات في شهر رمضان/ يوليو مِن العام المذكور، فاجتمع أمراء المماليك مع الباشا في القلعة، فأغلظ مراد بك للباشا قائلاً: «ليس لكم عندنا إلا حساب، أمهلونا إلى بعد رمضان ... وإلا فلا نُشَهِّل حجًّا ولا صُرَّة، ولا ندفع شيئًا، وهذا آخر الكلام». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٥٣-١٥٦.

[أحداث سنة ١٢٠٠]

وقد تَمّت السنة، ودخلت السنة الجديدة، بالطوالع السعيدة، سنة ١٢٠٠ [١] ألف وماتين[٢].

[إصلاحات بناء في المسجد الحرام]

وفي هذا العام أرسلت الدولة العليَّة مِعْمَرجيًّا، ومعه مِن الترك مُعَلِّمين[٣] لإصلاح المسجد الحرام، وتعديل ما مال مِن الأسطوانات الرخام، وأرسلوا معهم مراكب /ق١١٨/ موسوقة بالخشب، وكل ما يحتاجون لهذا السبب، فَشَرعُوا في غُرَّة شهر ربيع الأول[٤] ببئر زمزم، وقَلَعُوا الأحجار التي ببابها، ووضعوا بدله رخامًا زاد في إعجابها، فوجدوا مِن داخل الجدار البرانيَّة، تقوية لأبنيتها السنية، رصاصًا مصبوبًا مستديرًا بها، عرضه أربعة قراريط[٥] بذراع العمل[٦]، حتى صيرها كأنَّها قطعة مِن جبل، ثم قلعوا فراش أرضيتها الحجر، ووضعوا بدله مِن الرخام المرمر، ثم جعلوا في جوانب الباب حلياتٍ

---

(١) ١٢٠٠هـ/ ٣ نوفمبر ١٧٨٥ - ٢٢ أكتوبر ١٧٨٦م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مُعَلِّمُون.

(٤) غُرَّة ربيع الأول ١٢٠٠هـ/ أوَّل يناير ١٧٨٦م.

(٥) **قراريط**: جمع قيراط، معيار في الوزن والقياس. ويأتي في الموضع المذكور بمعنى القياس، وهو جزء مِن أربعة وعشرين، وهو مِن الفدان ١٧٥ مترًا. فالتر هنتس، **المكاييل والموازين**، ص ٩٨؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٥٧.

(٦) **ذراع العمل**: مقياس يُقاس به أرض البنيان مِن الدور وغيرها، طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل، أي حوالي ٦٦,٥ سم. فالتر هنتس، **المكاييل**، ص ٨٩؛ أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي**، ص ١٨٠.

وعقود، تذرى بالحلي والعقود، ووضعوا في الحليتين الذين[1] في جوانب الباب سبيلين تملآ[2] مِن كُلِّ الجهات، وقايضها بنصب على سبيل الأغوات، وهم يشربون مِن بين السبيلين، وينغمسون في تلك العين، وجعلوا مِن الرخام على نفس البير[3]، كُلّ حجر بقدر القامة مُستدير[4]، فظهرت في الحسن بديعة الشكل، لم تكن هذه المحاسن مِن قبل، ظهر لها في محاسنها شأن حسنها وما شان، فجات[5] في غاية الإبداع والإتقان كما تراها الآن[6]، ولمَّا أحكموا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: اللتين.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: تملآن.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: البئر.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مُستديرًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فجاءت.

(٦) أورد العديد مِن المؤرخين نصوص الكتابات والنقوش، التي وردت على بئر زمزم مِن عهد السلطان عبد الحميد الأول، ولكن لم يشيروا إلى التجديدات التي تَمَّت في هذه المناسبة، وجعلته يكتب هذه النقوش، ويُعَد مؤرخنا ابن عبد الشكور شاهد عِيان لهذه التجديدات والأحداث التي أوردها بشيء مِن التفصيل في نص المخطوط. وسوف نشير لكافة الكتابات التي وردت بمناسبة التجديدات التي وقعت في عهد السلطان عبد الحميد الأول، وهي:

كتب على باب قبة زمزم هذه الأبيات:

سرور لِسُلْطَان الْبَسِيْطَةِ وَالْوَرَى ... عَبْدِ الْحَمِيدِ الْبَرّ بَحْرِ الْمَكَارم

ونصر له أيضًا وفتح وَرفعة ... بِتَجْدِيد هَذَا الْمَأثرِ الْمتقادم

حفيرة إبراهيم يوم بن آجر ... وركضة جبريل على عهد آدم

وكتب على الشباك الشرقي مِمَّا يلي باب القبة مِن الجهة الشمالية (مَاء زَمْزَم شِفَاء مِنْ كُلِّ دَاء)، ومكتوب أيضًا (آيَة مَا بَيْنَنَا وَبَيْن الْمُنَافِقِين أَنَّهُم لاَ يَتَضَلّعُون مِن زَمْزَم)، وكتب تحت الحديثين (السلطان عبد الحميد خان ١٢٠١). وكتب على الشباك الجنوبي مِمَّا يلي باب قبة زمزم (مَاء زَمْزَم لِمَا شُرِبَ لَه - لاَ يَجْتَمِع مَاء زَمْزَم وَنَار جَهَنْم فِي جَوْف عَبْد)، ومكتوب فيه أيضًا (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٢٠١هـ). إبراهيم رفعت، مرآة **الحرمين**، ١/ ٢٥٧؛ حسين عبد الله باسلامة، **تاريخ عمارة المسجد الحرام**، تهامة للنشر، جدة، ط٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٨٤-١٨٥. وقد قام بنشر هذه النصوص وعمل دراسة أثرية وحضارية لها؛ عادل محمد نور عبد الله غباشي، **المنشآت المائية لخدمة** =

وضعها وتمّ صنعها، كتب على بابها مولانا الشيخ طاهر سنبل هذه الأبيات، بقوله:

سُرُور لِسُلْطَان الْبَسِيطَة وَالْوَرَى
عَبْد الْحَمِيد الْبَرّ بَحْر الْمَكَارِمِ
ونَصْر لـهُ أيضًا وَفَتْحٌ وَرفعةٌ
بِتَجْدِيدِ هَذَا الْمأثرِ الْمُتَقَادِمِ
حَفِيْرَة إِبْرَاهِيْم يَوْم بن آجر
وَرَكْضَة جِبْرِيْل عَلَى عَهْد آدَمِ

وفي شهر ربيع الثاني[1] شرعوا في تصليح ثلاثة مِن العواميد، وتعديل أغصانها التي كادت تميد، ومِن أعجب ما شهدناه، وأعذب ما رويناه، [بعد أنْ رأيناه][2]، أنَّهم عَدَّلوها بغير ترس يحفظون بها العمود، ويقيمون ما ماس مِن تلك القدود، بل حفظوا العماويد بالشواحي، حفظاً يلزمها مِن الأربعة النواحي، وضربوا بين تلك الأساطين خوابير فلسطين، ثم هدموا القباب الأربع التي على تلك العقود، وفرطوا أنظم سلكها بمحضرٍ وشهود، فبقي عمود الرخام قايما[3] كأنَّه الأهرام، واقفًا على قدم الإجلال في غاية الإتقان والاعتدال، وجعلوا / ١١٩/ في حَلَقه حَبْلاً مِن مَسَد، إذا عصر به اعتدل وقعد.

ومِن أعجب ما رؤي وروي، شيء ما رواه الراوون، ولا رأته الراؤون، أنَّه صار الشخص الواحد يُمِيْل العامود يمينًا وشمالاً، ويثقفه حتى كأنَّه

= مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني دراسة حضارية، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٢٩، ٥٠٧-٥١٥.

(١) شهر ربيع الآخر ١٢٠٠هـ/ ٣١ يناير - ٢٨ فبراير ١٧٨٦م.

(٢) ساقطة في الأصل، والإضافة مِن النسخة (ب)، ورقة ٨٥.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: قائمًا.

الرمح اعتدالاً، وهذا شيء لا يصدقه إلاَّ مَن كان مِنْه بمشهد أو خبر صدق عليه المعتمد، ثم بعد أنْ تَمَّت عمارة هذه الثلاثة العواميد على الوجه الأتم، صنعوا بالثلاثة الأُخَر - كَمَا تَقَدَّم - فأدام اللَّه تعالى دولة آل عثمان، وحماها مِن الزوال على مَمَرّ الزمان.

[وفاة الشيخ أسعد بن أحمد الحباب]

وفي أحد عشر شعبان(١)، توفي العالم الفاضل، والجهبذ الكامل، الأريب الماهر، والناظم عقود الجواهر، مولانا الشيخ أسعد بن أحمد الحباب(٢)، عليه رحمة الملك الوهاب، دُفِن رحمه اللَّه تعالى بالمَعْلا، ولم يعقب مِن الأولاد أصلاً.

[زيارة الشريف جامع ابن عباس بالطائف]

وفي ثلاث وعشرين من شعبان(٣)، تَوَجَّه صاحب الترجمة، لا زالت أيام دولته منظمة، مُقَيِّلاً في العَابِدِيَّة، على مُقتضى عادته السنية، فعَنَّ له زيارة سيدنا الحَبْر، وتَوَجَّه مِن محلّه وأقام ثمة برهة، ثم عاد إلى أهله.

وفي العاشر مِن شهر رمضان(٤) تَوَجَّه إلى جدة، وحضر الموسم الهندي الجديد، وقبض ما تحصَّل مِن العوايد، وعاد إلى مكة قبل العيد.

---

(١) ١١ شعبان ١٢٠٠هـ/ ٨ يونيو ١٧٨٦م.

(٢) **أسعد بن أحمد الحباب**: أسعد بن أحمد بن يحيى الحباب بن صالح المكي الحنفي، ولد في مكة، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها، وأجاز له شيوخه بالإفتاء والتدريس؛ فدرَّس بها، وكان من مشاهير فقهاء وقته، وقد ذكر مؤرخنا أنَّ وفاته في ٢٣ شعبان ١٢٠٠هـ/ ٢٠يونيو ١٧٨٦م، بينما ذكرت بعض المصادر الأخرى أنَّه توفي عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م. انظر: عبد اللَّه الغازي المكي، **نظم الدرر**، ص ٣٣٤؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٢١٠-٢١١؛ عبد اللَّه المعلمي، **أعلام المكيين**، ١/ ٣٥٦.

(٣) ٢٣ شعبان ١٢٠٠هـ/ ٢٠ يونيو ١٧٨٦م.

(٤) ١٠ رمضان ١٢٠٠هـ/ ٦ يوليو ١٧٨٦م.

[وفاة الوزير ريحان أغا الفروجي]

وفي الثامن والعشرين مِن رمضان[١]، وصل إلى مكة الوزير ريحان، وقد شفه المرض حتى صيره نحيل[٢]، ينتظر مِن اللَّه تعالى الإذن بالرحيل، فما مكث غير يومين بعد وصوله ثم توفاه اللَّه تعالى، ونال غاية سؤله، وكان هذا الوزير حسن الرأي والتدبير، وهو السبب لهذا البَنْدَر في التعمير ربع وزارته بالمحاسن عامر، وله مزايا قصر عن فعلها الأوايل[٣] والأواخر، مِنْها صدق محبته في أهل البيت وحسن عقيدته في كُلّ حي مِنْهم وميت. ومِنْها أنَّه بنى ببَنْدَر جدة جامعًا للمحاسن جامع[٤]، يقصده كُلّ ساجد لله تعالى وراكع، وأجرى له أوقافًا تصرف على مَهَمَّاته، وفايضها[٥] لتعميره ومرماته، ومِنْها أنَّه عَمَّر بالطايف[٦] مسجدًا لله تعالى، وأوقف عليه بستانًا بوادي لِيَّة يقال له: ليلاه، وأوقف عليه دارًا بمكة في خط سويقة على قارعة الطريق، مركبًا على الظّلّة التي تجاه دكة الرقيق /ق١٢٠/ وبنى بمكة زاوية بأوّل سفح أجياد، وسمَّاها حين رسمها بزاوية الحداد[٧]، وهي في الحقيقة مسجد بمصلاه، وبيت مِن بيوت اللَّه، وأوقف عليها جملة مِن الكتب المُعتبرات، ونال مِن اللَّه تعالى الأجور والمبرات، تقبّل اللَّه تعالى مِنْه الإحسان، وجازاه بالمغفرة والرضوان، ثم أُلْبِس بعده خِلْعةُ الوزارة ألماس تابع السيد يحيى رمضان.

[ذكر أخبار حسن باشا جزايرلي مع المماليك في مِصْر]

وفي اليوم العاشر مِن ذي القعدة[٨] ورد خبر مِن مصر بأنَّ حسن باشا

---

(١) ٢٨ رمضان ١٢٠٠هـ/ ٢٤ يوليو ١٧٨٦م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: نحيلًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأوائل.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جامعًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فائضها.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٧) **زاويةُ الحداد**: كانت تقع هذه الزاوية عند مدخل أجياد، وقد دخلت في هدميات شارع الملك سعود، انظر: أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ص ٥١٠.

(٨) ١٠ ذو القعدة ١٢٠٠هـ/ ٣ سبتمبر ١٧٨٦م.

جزايرلي قبطان[١] استولى على مصر، وأخذها مِن يد الغز، فلم يبق لهم فيها ذكر، وفي اليوم الثاني عشر مِن شوال[٢] استأصل ما في بيوتهم مِن أموال، وولُّوا هاربين على الصعيد، قيل: لما أقبل عليها مِن جهة البحر، خرج لقتاله جميع الصناجق، ومعهم ألوف مؤلفة مِن الخيول السوابق، فلمَّا رأت العين العين رماهم بقنبرة[٣] واحدة وقعت في وسطهم فأثارت النقع، فأصابت كثيرًا مِنْهم وتشتّت ذلك الجمع، وهكذا عاقبة مَن ظلم، لكونهم لم يشكرون[٤] اللَّه تعالى على ما خَوّلَهم مِن النعم.

---

(١) **حسن باشا جزايرلي قبطان**: مِن أشهر القادة العثمانيين، عُرف بالجزايرلي لأنَّه تولى إيالة الجزائر، وعرف بالقبطان لأنَّه كان مِن رجال البحريَّة العثمانيَّة، وتولى الصدارة العظمى في الدولة العثمانية. ولد في القفقاس عام ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م، وفي أثناء الصراع بين المماليك في مصر، وانتشار الفوضى، أرسله الباب العالي ليقضي عليها، فوصل إلى الإسكندرية في ١٠ رمضان ١٢٠٠هـ/ ٦ يوليو ١٧٨٦م، ثم انتقل إلى رشيد، فأرسل له مراد بيك وإبراهيم بيك وفدًا مِن العُلماء والوجهاء بصحبتهم الهدايا، لكي يحصلوا مِنْه على الأمان، فلم يصلوا معه إلى حلٍّ، وعادوا إلى القاهرة، وبعدها تحرّك حسن باشا إلى القاهرة، ولمَّا علم المماليك بقدومه، هربوا إلى الصعيد، فدخلها في ١٢ شوال/ ٧ يوليو مِن العام المذكور، وأمَّن أهلها، ورفع كثيرًا مِن المظالم، وانتهى الأمر بوصوله إلى اتفاق مع إبراهيم بيك ومراد بيك على أنْ يترك لهما حكم المنطقة من برديس بالقرب من جرجا حتى شلال أسوان، وعيَّن إسماعيل بك شيخًا للبلد، وعلي بيك دفتر دارًا، وحسن الجداوي أميرًا للحج. وظلّ يرتب أمور البلاد إلى ما يقارب عام، حتى خرج مِن القاهرة في ٢٣ ذي الحجة ١٢٠١هـ/ ٦ أكتوبر ١٨٨٧م، مصطحبًا معه بعض رهائن المماليك، متجهًا إلى إستانبول. وقد عيِّن في منصب الصدارة العظمى عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، ولكنَّه ما لبث أنْ توفي فجأة في مدينة شومينو بالبلقان عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. مصطفى القلعاوي، **صفوة الزمان**، ص ٢٨٤-٢٨٧؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٥٧-٢٢٢؛ حسن عثمان، «**تاريخ مصر في العصر العثماني ١٥١٧-١٧٩٨**»، بحث منشور في كتاب المجمل في التاريخ المصري، القاهرة، ط١، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، ص ٢٨٣-٢٨٤؛ فيصل حبطوش، **الشراكسة ومنصب الصدارة العظمى في تركيا العثمانية والحديثة**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمَّان - الأردن، العدد ٨٧، آذار/ مارس ٢٠٠٦م، ص ٢٨-٣٣.

(٢) ١٢ شوال ١٢٠٠هـ/ ٧ أغسطس ١٧٨٦م.

(٣) **قنبرة**: ما يقذفه المدفع بواسطة البارود، واللفظ متداول في العصر العثماني، وتكتب أيضًا قمبرة، وقنبلة. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٣٧٤.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: يشكروا.

[إنشاء بيت للشريف سرور في عرفة]

وفي غُرَّة ذي القعدة[١] أرسل صاحب الترجمة ستين مُعَلِّمًا غير أتباعهم مِن أصحاب المعرفة، وأمرهم أنْ يبنوا له بيتًا بعرفة[٢]، فبنوه وتَمّ مقصوده في غاية الإتقان، في شهر ذي القعدة وست أيام مِن الثمان، ولم يسبق لغيره بناء دار في هذا المحل، وعن الملوك فلا تسل[٣].

[الدولة ترسل صفائح الفضة لأعمدة الحرم المكي]

وفي هذا الشهر أرسلت الدولة العليَّة، زادها اللَّه تعالى صلة ومزيَّة، خمسين أقة[٤] مِن الفِضة النقية، وأمر أنْ تصنع صفايحا[٥] مُمَوّهة بالذهب بنظر مولانا الشريف، ويطوّقون بها الثلاثة العمادية التي داخل البيت، زاده اللَّه تعالى عزًّا وتشريف[٦]، فاستلحق كبار الصُّواغ، وأتقن كُلٌّ صنعته فيها وأفرغ، فطوّقوا بها العمدان، أحسن اللَّه تعالى عليهم كُل الإحسان.

ووصلت الحجوج على عاداتها في موسم هذا العام، بكمال الخير

---

(١) غُرَّة ذي القعدة ١٢٠٠هـ/ ٢٥ أغسطس ١٧٨٦م.

(٢) **بيت عرفة**: كان يقع أسفل جبل الرحمة على يسار المصلي بمسجد الصخرات. ويبدو أنَّ هذا البيت كان على انقاض دار عتيقة في هذه المنطقة، حيث يذكر ابن جبير - في رحلته موسم الحج عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م - هذه الدار بقوله: «وفي أسفل هذ الجبل المُقَدَّس [جبل الرحمة]، عن يسار المستقبل للقبلة فيه، دار عتيقة البنيان، في أعلاها غُرف ... وعن يسار الدار في استقبال القبلة، الصخرةُ التي كان عندها موقف النبي ﷺ وهي في جبل مُتَطَامِن. وحول جبل الرحمة والدار المكرّمة صهاريج للماء وجبات، وعن يسار الدار أيضًا، على مقربة مِنْها، مسجد صغير». أبو الحسين محمد بن جُبير الأندلسي، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص ١٥٢؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٢٠٩-٢١١.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: تسأل.

(٤) **أَقة**: وحدة وزن تعادل ٤٠٠ درهم، أو حوالي ١,٢٨٢٨ كجم، أو ١,٢٤٨ كجم. **المعجم الوسيط**، ص ٢٢؛ فالتر هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص ١٩.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: صَفَائِحَ.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: تشريفًا.

والإنعام، وكان والي الحاج الشامي أحمد باشا الجزار - الْمُتَقَدّم ذِكْره - وما له مِن قبيح الأخبار، فأقامت الحجوج بمكة على حسب العادة، ثم انصرفوا ونال كُلٌّ مرادَه.

[اعتداء قبيلة حرب على قافلة الحج المصري وإبادتها]

وها أنا أذكر نادرة غريبة ومصيبة وأيّ مصيبة / ق١٢١/ ، لمَّا تَوَجَّه الحج المصري ووصل إلى خُلَيْص، وأراد اللَّه تعالى أنْ يوقعه في حَيْص بَيْص، قبض الصنجق[١] على لصوص مِن حرب، كانوا يقطَعون الدَّرب، فَشَفَّع فيهم كبار هذه القبيلة، وتحيلوا في تخليصهم مِن يده بكل حيلة، فأبى أنْ يقبلهم بل أغلظ عليهم في الكلام، وقال: واللَّه لا بدَّ أنْ أوسمهم بالنار، ليعرفهم الخاص والعام، وحلف أن لا يتركهم حتى يضع في خدودهم المياسم[٢]، ويجعلهم عبرة في جميع المواسم، فأوقد نارًا في أخدود، وأحمى المحاوير وكواهم على الخدود، وقد استحسن ذلك لقصور نظره، لما سبق في قضاء اللَّه تعالى وقدره.

ولمَّا غدوا كالبهايم[٣] في خدودهم الحلق، سارعوا مُسَارعة السلق[٤]، وصاحوا بالنجدة في جميع الأحيا[٥]، وتصلفوا بالوجه الذي لم يبقَ فيه حيا[٦]،

---

(١) كان أمير الحج المصري محمد بك حسن، وقد خرج بالقافلة في ٢٧ شوال ١٢٠٠هـ/ ٢٣ أغسطس ١٧٨٦م، وعاد في ١١ صفر ١٢٠١هـ/ ٣ ديسمبر ١٧٨٦م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ١٧٥، ٢٠٢.

(٢) أي علامات من أثر الكي بالنار.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: البهائم.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الصولاق. وهم صنف مِن العسكر العثماني، يتميَّزون بسرعة الحركة لأنَّهم يخضعون لنمط معين مِن التدريبات، واستخدم بعضهم في أعمال البريد لمهارتهم في الانتقال مِن مكان إلى آخر، وسرعتهم في الجري. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٩٧.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الأحياء.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: حياء.

فجاهم[١] كل فاجر ملعون، مِن كل حدب ينسلون، فأدركوه بموضع يقال له: قويزة[٢]، وأَنَاخُوا حَوْزَه، ثم أرسلوا للصنجق الجاهل العابث، القاصر نظره عن عواقب الحوادث، وقالوا له: إنْ أردت السفر بالسلامة، فاجعل مقرراتٍ لِمَن وضعت على خُدُودِهم العلامة، فأبى اللئيم وامتنع، حتى وقع على حجاج المسلمين ما وقع، فعند ذلك صاحت الأعراب وتناخت، وحملت على الحج حملة واحدة وشاخت، فظهر عليه الذُّل والإنكسار، وشَمَّر ذيل عزمه وركب مطية الفرار، فانهزم بجريدة مِن الخيل، وجعل يطردها بالنهار والليل، حتى دخل المدينة، وكل نفس بِمَا كسبت رهينة، وترك الحجاج في تلك الفجاج، فما راق حال ولا راج، فاستولى عليه العُربان قتلاً ونهبًا، واستأصلوه إيجابًا وسلبًا، وجَرَّدُوه حتى لم يبقَ له أثر[٣]، وتفرَّق جَمْعه شذر مذر.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فجاءهم.

(٢) **قويزة**: حي يقع الآن في شرق جدة.

(٣) يذكر عاتق البلادي رواية شفوية حكاها له أحد المعمرين عن شاهد عيان لهذه الواقعة، فقال: «لقد تشاور مشايخ حرب قبل الهجوم مع العسكر المصري، فَقَرَّرُوا أنْ يطلبوا مِن الحاج الابتعاد عن العسكر، فنادى مُناديهم: حَوْزَه يا حجاج حَوْزَه، ولكنّ أمير الحاج المصري أوْهَمهم بأنَّ القبائل تريد عزلهم لنهبهم، وأكَّد لهم أنَّ ما معه من جيش قادر على حمايتهم، وتجاوز ذلك، فوَزَّع عليهم الأسلحة فأخذوا يَصُبون البنادق إلى رجال القبائل، وهم في ثياب الإحرام. وكان سبب هذه الواقعة منع أمير الحج المصري صرف مخصصات بني حرب المقررة سنويًا». عاتق البلادي، **نسب حرب**، ص ١٢٢. وهذه الرواية يشوبها الريبة، وسوف نناقشها بربطها مع المصادر المعاصرة للأحداث، مِن خلال الآتي:

أولاً- إنَّ ما ذكره عن سبب هذه الحادثة هو منع أمير الحج مقرّرات حرب، هو محض افتراء؛ حيث إنَّ الجبرتي أشار إلى أنَّ أمير الحج لما أراد أنْ يتجه إلى المدينة المنوَّرة أرسل إلى أكابر القبائل ودفع لهم عوائد سنتين، وقسَّط الباقي على السنين المقبلة بموجب الفرمان. وهنا يتضح أن الخلاف لم يكن على المقررات، ونلحظ إشارة عبارة العوائد والمخصصات السابقة - والتي لم يدفعها أمراء الحج المصريون السابقون - قد رُفِعَ أمرها إلى السلطان العثماني، الذي أصدر فرمانًا بدفع سنتين للقبائل وتقسيط ما تبقى لهم على سنوات أخرى.

ثانيًا- هناك تضارب في أمر الرجال الأربعة المذكورين، وكيفية وصولهم في قبضة أمير الحج، ودوافع فعلته فيهم؛ فقد ذكر مؤرخنا ابن عبد الشكور أنَّ هؤلاء الأربعة كانوا لصوصًا وقطاع طريق قبض عليهم أمير الحج في خُلَيْص، ورفض شفاعة أكابر الشيوخ فيهم، وقام بوسمهم عقابًا لهم، بينما يذكر الجبرتي أنَّ الأربعة كانوا رهائن قد تسلمهم أمير الحج =

= من القبائل بعد أنْ قام بتسليم العوائد المخصصة لهم؛ فلمَّا أخذهم كواهم بالنار في وجوههم. والحقيقة لا ندري لماذا يقوم أمير الحج بوسم أولئك الرهائن الأربعة بالنار، رغم أنهم الضمان الوحيد لعدم تعرض القبائل لقافلة الحج خلال تَوَجُّهها إلى المدينة المنوَّرة؟ وإذا كان فعل ذلك رعونة مِنْه في التقدير، ورغبة في الانتقام، فلماذا يطلق سراحهم بعد أنْ وسمهم ليجعل نفسه عرضة لهجوم القبائل على قافلته ويضيع الضمان الوحيد لحمايته؟ فهل أراد مِنْهم أنْ يستصرخوا قبائلهم عليه ليقاتلوه؟

ثالثًا- ذكر ابن عبد الشكور أنَّ المشايخ اجتمعوا بأمير الحج، وطلبوا مِنْه فرض مقرّرات لِمَن تم وسمهم، ويبدو أنَّ ذلك على سبيل التعويض - أي إنَّهم لم يطالبوه بمقرّراتهم. ولعل في ذلك ما يؤكد رواية الجبرتي بأنَّ الأمير دفع لهم عوائدهم - ولكن أمير الحج رفض هذا العرض، فكان ذلك دافعًا لقتالهم هذا الأمير والاعتداء على القافلة ومَن بصحبتها، حتى وقع في القافلة ما وقع.

رابعًا- إذا كان الخلاف بين أمير الحج والمشايخ، فلماذا اعتدوا على حجاج بيت اللَّه الحرام الآمنين وأحدثوا فيهم القتل والسلب والنهب وسبي النساء - كما ذكر الجبرتي - وسنجد لدى أتباع القبيلة الرواية الشفوية التي ذكرها البلادي لتبرير فعلتهم هذه، ويذكرون بأنَّ أمير الحج وَزَّع الأسلحة على الحجاج فشاركوا في القتال ! ولا أعرف هل قدَّر أمير الحج ذلك البلاء فدجَّج القافلة بالأسلحة التي تكفي عسكره المصاحبين، وما يفيض ليستخدمه الحجاج؟ وهل كان هؤلاء الحجاج مدربين على حمل السلاح لقتال رجال حرب؟ وماذا تعني عبارة: أنَّ الحجاج قاتلوا وهم بثياب الإحرام؟ وهل ظلَّ الحجاج بملابس الإحرام بعد انتهاء موسم الحج؟ أم إنَّ الراوي تعمد اشراك الحجاج في الحدث للتغطية على الكارثة التي اقترفوها في حقهم؟

ولنترك الآن الجبرتي يقصّ علينا أمر الحجاج الذين قُدِّر لهم البقاء ووصلوا إلى مصر في ١١ صفر ١٢٠١هـ/ ٣ ديسمبر ١٧٨٦م، وذلك بقوله: «وفي يوم الأحد حادي عشره، نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة، وهم في أسوأ حال من العري والجوع، ونهبت جميع أحمال أمير الحاج وأحمال التجار وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال، وكان أمرًا شنيعًا جدًّا، ثم إنَّ الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحاج الشامي، فتكلَّم مع العرب في أمر النساء، فأحضروهن عرايا ليس عليهم إلاَّ القمصان وأجلسوهن جميعًا في مكان، وخرجت الناس أفواجًا كلّ مَن وَجَد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها اشتراها مِمَّن هي في أسره، وصارت المرأة مِن نساء العرب تسُوق الأربعة مِن الجمال والخمسة بأحمالها فلا تجد مانعًا ... وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوه، وأخذوا ما أخذوه، فلم ينج مِنْهم إلاَّ مَن طال عمره، وسلم نفسه أو افتداها إلى غير ذلك، وأخذوا المحمل أيضًا ولم يردوه». عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٢٠٢. وهناك مؤرخ معاصر للأحداث يقصّ هذه الحادثة بقوله: «وتوجهت المحامل مِن مكة المشرّفة نحو المدينة المنورة، فكمنت الحرامية مِن بُدوان حَرْب لانتهاب الطريق، فوافاهم محمل أهل مصر، وكانت قلوبهم تغلي مِن =

فما رأيت فيما رأيت، وما رويت فيما رويت، أنَّ حجًّا استوصل[(١)] بين الحرمين، وغدا أثرًا بعد عين، إلا ما وقع لهذا الحج في هذا العام، ولا لهذه المقدمة نتيجة تحل عقد الإبرام، فانظر لهذه القبيلة الباغية، والفرق اللَّعِيْنة الطاغيَّة، كيف تجرت على ما تجرت[(٢)] عليه، والأمر كُلّه للَّه والمُنتهى إليه، فاللَّه تعالى يجزيها بالويل والتنكيل، وهو حسْبنا ونعم الوكيل، ولا بُدَّ للباغي مِن مصرع، وعمَّا قريب / ق١٢٢/ يُجازيه اللَّه تعالى بِمَا صنع، وكما يَدِينُ الفتى يُدان، وكُلّ يوم هو في شأن. وأرجو أنْ تكون عقوبة هذه العصابة الفاجرة في الدنيا قبل الآخرة، فقد روينا عن المشايخ أنَّ العقوباتِ في الآخرة إلا عقوبةَ اثنين: الباغي، وعاق الوالدين، فإنَّ لهم عقوبة في الدنيا، حتى يُبْصرها الأحيا[(٣)]، ونَرْجُو أنْ تكون عقوبتهم وفاء الأجل، ويكون الجزاء مِن جنس العمل.

❑ ❑ ❑

= باشتهم (الباشا) إذ كان قد أتى بسبعةٍ منهم عند وروده مكة فعزرهم ومثّل بهم، وكانت جماعتهم قد كمّنت ثلاثة مكامن، فَبدّد وأَجمَع المصارية، وانتهبوا أثقالهم وأتوا على أموالهم، وقتلوا الأجزل مِن أهل المحمل حتى قال بعض الناس: لم يرجع مِنْهم سوى أربعين نفرًا». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٢٢٣. وقد استغلّ الشريف سرور هذه الحادثة لصَالِحِهِ للتنكيل بقبيلة حَرْب، حيث رفع تقريرًا للباب العالي ذكر فيه أنَّه نصح أمير الحج المصري بأنْ يأخذ الطريق الفرعي لأنَّ الطريق السلطاني غير آمن؛ ولكن الأمير توجه على الطريق السلطاني، فوقع له من قبيلة حرب ما وقع، ثم ختم الحديث بقوله: «إنَّ تدمير العربان المذكورة أصبح في مرتبة الوجوب». **الأرشيف العثماني**، ٧٧٥ H.H نقلاً عن: فائز البدراني، **مِن تاريخ قبيلة حرب**، ص ٣٨١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: اسْتُؤْصِلَ.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: كيف تجرأت على ما تجرأت.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأحياء.

[أحداث سنة ١٢٠١]

[عمارة منارة الحرم المكي]

ولمَّا انقضى عام الألف والمائتين[1]، ختام القرن الثاني عشر، ذكرت ما حدث في الواحد بعدها على الآثر، فمِمَّا جَرَى من الحوادث، وانبعث به البواعث سنة ١٢٠١ [2]، عمارة المنارة التي بالمسجد الحرام، لتذكير القلوب الغافلة عن السلام، فباشرها المُعَلِّم حسن مهدي مهندس البلد، وقوَّمها حتى كأنَّها في الرياض غصن أملد، فظهرت بديعة في شكلها تزدري بِمَن قبلها، تامة النظام، مثمنة القوام، فجعل يعمرها برهة، ويتركها تتشمع أيامًا وليال، حتى تَمَّت بعامها في غاية شوال[3]. ولم أرَ مَنْ تعرَّضها بتاريخ مِن أهل الأدب، ولا أعلم لمنعهم عن ذلك ما السبب، فقال لسان حال بانيها أنا أولى بها، وأمر أنْ يُكْتَب على بابها: أمر بتعمير هذه المنارة مِن ماله الشريف سرور بن مساعد.

وها أنا أذكر بالمناسبة، سابقة لطيفة، ونكتة جرت بمصر المحروسة، ولكنها ظريفة، قيل: لمَّا تَمَّت عمارة المسجد[4] الذي

---

(١) عام ١٢٠٠هـ/ ٣ نوفمبر ١٧٨٥ - ٢٢ أكتوبر ١٧٨٦م.

(٢) عام ١٢٠١هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٨٨٦ - ١١ أكتوبر ١٨٨٧م.

(٣) غاية شوال ١٢٠١هـ/ ١٣ أغسطس ١٧٨٧م.

(٤) **جامع المؤيد شيخ**: يقع عند داخل باب زويلة في القاهرة، وقد شُرع في بنائه عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، وقد حدث أنَّه لمَّا بَنَوْا مئذنتي الجامع مالت إحداهما إلى السقوط عندما كملت، فرسم بهدمها فهدمت، ثم أُعيدت ثانيًا، وقد أرجع بعض عُلماء وقته أنَّ سبب ذلك هو قيام المؤيد بظلم الناس عند تحصيله رخام الجامع، وكذلك أخذه باب مدرسة السلطان حسن والتنور النحاس الكبير وجعلهما في جامعه بأقل الأثمان، وأخذ العمودين السماق من محراب جامع قوصون. وقد حدث =

عمَّره الملك المؤيد[1]، وقد أتقن بناءه وشيّد، وقعت منارته على قصر الملك المؤيد فانهدم، وندم على ذلك واستشاءم، وكان في أيام دولة العَالِمَيْنِ الْهُمَامَيْنِ: قاضي القضاة الإمام العَيْنِي الحنفي[2]، والشيخ ابن حَجَر الشافعي[3]، ومن المعلوم أنَّ المُعَاصَرَة مُعَاصَرَة، فكتب

= هذا الميل في ربيع الآخر ٨٢١هـ/ مايو ١٤١٨م. أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج٢، دار صادر، بيروت، د٠ط، د.ت، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(١) **الملك المؤيد (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م)**: شيخ بن عبد اللَّه المحمودي الظاهري، من سلاطين العصر المملوكي، تلقَّب بالملك المؤيد، تولى الحكم عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، قضى على بعض الفتن التي ظهرت في عهده مثل فتنة الأمير نوروز في دمشق، وقاد حملة على الشام وآسيا الصغرى عام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م فاستعاد طرطوس وما جاورها من العثمانيين، ومن آثاره الشهيرة جامع المؤيد شيخ قرب باب زويلة، والبيمارستان المؤيدي قرب القلعة، توفي في القاهرة في ٩ محرم ٨٢٤هـ/ ١٣ يناير ١٤٢١م. بدر الدين العيني، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**، حققه وقدم له: فهيم علوي شلتوت، راجعه: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٠٣ وما بعدها؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١٨٢.

(٢) **العَيْنِي الحَنَفِي**: محمد بن أحمد بن موسى العينتابي الحنفي، ولد في عين تاب بالشام في ٢٦ رمضان ٧٦٢هـ/ ٢٩ يوليو ١٣٦١م، وينحدر من أسرة مشهورة بالعلم، فتلقى العلم على يدى والده وعُلماء عصره، وتنقل في الشام ومصر في رحلات علمية، ثم استقر المقام به في مصر، ثم ولي الحسبة والقضاء عدة مرات، وله العديد من الشروح والمؤلفات مِن أشهرها: «عمدة القاري في شرح البخاري»، و«عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، توفي بالقاهرة في ٤ ذي الحجة ٨٥٥هـ/ ٢٩ أكتوبر ١٤٥١م، ودُفِنَ بمدرسته التي بناها قرب الأزهر. صالح يوسف معتوق، **بدر الدين العيني وأثره في علم الحديث**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٥٥ وما بعدها؛ **خير الدين الزركلي**، الأعلام، ٧/ ١٦٣.

(٣) **ابن حَجَر الشَّافِعِي**: أحمد بن علي بن محمد بن حجر الشافعي العسقلاني، أحد أشهر أئمة الحديث والتاريخ. ولد بالقاهرة في ٢٢ شعبان ٧٧٣هـ/ ٢٧ فبراير ١٣٧٢م، وتلقى العلم على أيدي عُلماء عصره، وقام برحلات إلى: الشام، والحجاز، واليمن، وولي القضاء في مصر عدة مرات ثم اعتزل، وله العديد مِن الشروح والمؤلفات، مِن أشهرها: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»، و«الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، توفي بالقاهرة في ١٨ ذي الحجة ٨٥٢هـ/ ١١ فبراير ١٤٤٩م، ودُفِنَ في القرافة الكبرى قرب الإمام الشافعي. شمس الدين محمد السَّخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ٣ أجزاء، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار =

الشيخ ابن حَجَر بيتين ورّى بالإمام العَيْنِي فيهما، فقال:

[لِـجَـامِـعِ][1] مَـوْلَانَـا الْـمُـؤَيَّـد رَوْنَـقٌ

مَـنَـارَتـهُ [بـالـحُـسْـنِ][2] تَـزْهُـو وَبِـالـزَّيْـنِ

تَـقُـول وَقَـدْ مَـالَـت عَـلَـى الـقَـصْـرِ أَمْـهِـلُـوا

فَـلَـيْـس عَـلَـى جِـسْـمِـي أَضَـرُّ مِـن الـعَـيْـنِي

فلمَّا بلغت الإمام العيني أجاب وأتقن الجواب، فقال:

مَـنَـارَةٌ كَـعَـرُوسِ الْـحُـسْـنِ إِذْ جُـلِـيَـتْ

وَهَـدْمُـهَـا بِـقَـضَـاءِ الـلَّـه وَالـقَـدَرِ

قَـالُـوا أُصِـيْـبَـت بِـعَـيْـنٍ قـلـتُ: ذَا غَـلَـطٌ

مَـا أَوْجَـبَ الـهَـدْمَ إِلاَّ خِـسَّـة الـحَـجَـرِ

فانظر بِمَا تداعبوا به جلال القَدْر، مع سماحة الخاطر وسلامة الصدر/ ق١٢٣/ .

وفي شهر ربيع الأول[3] وردت الأخبار بالواقعة التي بين عسكر المدينة، وما ارتكبه بعضهم مِن الأمُور المشينة، فتَرَّسُوا البلد، وصككوا الأبواب، وحمي الوطيس واشْتَدَّ ضرب الرقاب، وسببه أنَّ شيخ الحرم أبعد كَتْخُداه أحمد رجب ونصب بدله إليه عبد اللَّه المديني وقرب، والعسكر لا يريدون غير كخيتهم الأوَّل، وعالجوا شيخ الحرم على ردّه فلم يقبل، فلأجل ذلك

= ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٠١ وما بعدها.

(١) وردت في الأصل لمسجد، والتصويب مِن: تقي الدين المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ٢/ ٣٢٩.

(٢) ما بين القوسين ساقطة مِن الأصل. والإضافة مِن: تقي الدين المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، ٢/ ٣٢٩.

(٣) شهر ربيع الأول ١٢٠١هـ/ ٢١ ديسمبر ١٧٨٦ - ١٩ يناير ١٧٨٧م.

ثارت الفتنة، وزادت المشقة والمحنة، فلمَّا اشْتَدَّ الكرب وقوي الحرب، دخل بينهم السادة والخطبا[١] وتَوَجَّهوا على شيخ الحرم، وأرادوا طفي[٢] هذه النار التي تضرم، وقالوا له: عاقبة الأمر لا تحمد ما لم يكن العَوْدُ أَحْمَدَ، فأعاده وهو مَقْهور، وحصل الصلح وتمّ السُّرور.

وقد سبق لك آنفًا ذكر العمارة التي عمَّرَها الشريف سرور في شِعْب أَجْيَاد[٣]، وذكرنا أنَّه أتقن فيما صنعه وأجاد، وأنَّه هدم جُملة دور وأمكِنَة، وقصور مُشَيَّدةٍ مُتقنة، ومِن جُملة ما هدمه ثلاثة أربطة موقوفة على الفقراء قديمة البنا[٤]، لا يُعلم واقفها ولا يُدرى، فأخرج مِنْها سُكَّانها، وهدم بنيانها، طلبًا لتوسعة ساحة داره، وانتفاعًا بمونته وأحجاره، وعمَّر بدلها ثلاثة أربطة في شِعْب بني عامر، ليستبدل ما هدمه مِن الوقف الخارب بالوقف العامر، فبناها وأتقنها، وميّزها وعينها، فعند تتمة الأربطة الثلاثة قرب الأجل، وأدركته المَنِيَّة وما استبدل، فجعلتها الورّاث تراث[٥]، وقسموها مِن جُملة المِيراث.

[حملة الشريف سرور على قبيلة حَرْب]

وفي شهر جمادى الأولى[٦] أرسل صاحب الترجمة - لا زالت رماح أسنته مُثقفة في الأعدا[٧] ومُقوَّمة - كتبًا لمشايخ العرب، وحَثّ عليهم بالطلب، بحيث يُحضروا[٨] مِن كُلِّ قبيلة شيخها واثنين مِن المزاريب، ولا يتأخَّر أحدٌ

(١) كذا في الأصل، والصواب: الخطباء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إطفاء.

(٣) شِعْب أجْيَاد: يقع في مكة المكرمة، يلي الصفا، وهُمَا أجْيَادان؛ أجْيَاد الكبير، وأجْيَاد الصغير. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٦٠-٦١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: البناء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: تراثًا.

(٦) شهر جمادى الأولى ١٢٠١هـ/ ١٨ فبراير - ١٩ مارس ١٧٨٧م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: الأعداء.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: يُحضرون.

مِنْهم ولا يغيب، وما أظهر للناس خبرًا عن مراده، إلاَّ أنَّهم يرون هِمَّته وقوة اجتهاده، وما أراه إلا حرَّكته الأقدار، ونزت الأيام لأخذ الثأر، مِن أولئك الفُجَّار، فجات[1] الشيوخ القريب مِنْهم والشاسع، / ق١٢٤/ وتكاملوا في اليوم التاسع؛ فأخبرهم أنَّ قصده يسير على قبيلة حرب، ويستقضي للحج الذي أخذوه قتلاً وسلب[2]، فقالوا: ما منَّا خلاف، فأوعدنا بموعدٍ لم يكن فيه إخلاف، فاتفق معهم على نقد متعيّن، وأوعدهم في يوم بيّن، وبخشش الشيوخ على اثني عشر مَحْبُوبًا والمزاريب على سبعة، وتَوَجَّهوا بعد أنْ ربطوا القول معه.

وفي اليوم الثالث عشر[3] مِن تاريخ هذا الشهر، أمر جميع العساكر أنْ يبرزوا في جوخي الزاهر، فنصب لهم الخيام، ولاَح لموع برقه يمنًا وشام[4]، وأخرج المدافع والمَهَمَّات، وما يحتاجه مِن الآلات، وفي خمس وعشرين[5] وَرَدَه أوَّل الجرود مِن عربيات الدار، والمدنيين مِن الأقطار، فيعرضوا عليه ويقفوا[6] صَفًّا تحت القصر، حتى يحصيهم بالعَدّ والحصر، ويأمر لهم بالمصروف وهم وقوف.

وفي السادس والعشرين مِن جماد الثاني[7] وصلت قبايل[8] الشرق يسارعون كالبرق، فحشرهم بشعبة المصافي، بِكُلِّ مَن يراه مكافي[9]، وصكّ

(١) كذا في الأصل، والصواب: فجاءت.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: سلبًا.
(٣) ١٣ جمادى الأولى ١٢٠١هـ/ ٢ مارس ١٧٨٧م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: شامًا.
(٥) ٢٥ جمادى الأولى ١٢٠١هـ/ ١٣ أبريل ١٧٨٧م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: فيُعرضون عليه ويَقفون.
(٧) ٢٦ جمادى الآخرة ١٢٠١هـ/ ١٤ أبريل ١٧٨٧م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: مكافأ.

عليهم بخيله وبِمَن يراه معتمد[١]، وأخرجهم شيا[٢] بعد شيء لأجل العُدد، فبلغت خيلهم ماتين[٣] في ذلك الميقاف، وعددهم تسعة آلاف، وقد شرع يُسَلِّم الدراهم التدبير للخَيَّالة الأشراف على مائة غرش، وللبارودية مِنْهم على خمسين، ولكافة العرب على عشرة مَحَابِيْب ذهب، وعيَّن في كُلّ ثلاثة أيام لمراجله وللعسكر زادًا لِكُلِّ شخص كَيْلَة مِن الدقيق، وربع رِطْل مِن السمن، ورِطْل مِن التمر، وأعطى لجميع القوم مصرف أربعين يوم[٤]، مبتدأه مِن رجب[٥] كما أمر وطلب.

وفي سادس رجب[٦] وصل أهل الحَرَّة، وهم: سليم، ومعبد، وبني[٧] عبد اللَّه، وكل قاطن بتلك المحلّة، فأحصاهم عدَّة، وسلّمهم مصروف تلك المُدَّة.

وفي يوم الحادي عشر[٨] وقعت الواقعة بين هُذَيْل وعُتَيْبَة، وثار الرمي في الحال، وطلعوا كالقرود على روس[٩] الجبال، وصار الأمر الذي لا يخطر ببال، واستدام وطال، فاستمرّ إلى نصف النهار، ولم يفء إلى أمر اللَّه أحد مِن أولئك الأشرار، فأرسل يقرعهم بوجهه وما اقترعوا، وردوا مراسيله ليقرع بينهم فما اقترعوا، وقد حمي وطيس القتال، ونفقت الأرواح في سوق الآجال، فحينئذ خشي أنْ تُشَتَّت الجرود مِن يده، ولا يتم جل مرامه ومقصده، فجمع من جماعته /ق١٢٥/ أهل الثبات والميقاف، ومِنْهم بنو عمّه السادة الأشراف، وجمع العبيد والمراجل والعسكر وأهل الخيل، وركب بنفسه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: معتمدًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يومًا.
(٥) شهر رجب ١٢٠١هـ/ ١٨ أبريل - ١٧ مايو ١٧٨٧م.
(٦) ٦ رجب ١٢٠١هـ/ ٢٣ أبريل ١٧٨٧م.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: بنو.
(٨) ١١ رجب ١٢٠١هـ/ ٢٨ أبريل ١٧٨٧م.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

على هُذَيْل ولمَّا رأوا اليد عليهم ثقيلة، تفكَّكَت عزايمهم[١] وقلت الحيلة، وعلموا أنَّهم إذا لم يكفوا أنفسهم يدرعهم القتل، ويفعل بهم الآن كما فعل في العام الذي قبل، وقد جربوه وعرفوه فلأجل ذلك توقف، وقد قيل مَن جرب المجرب حلّت به الندامة، فكفوا أيديهم عن القتال وأمرهم بالنزول عن الجبال، ولم أعلم عدد القتلى إلا أنَّه قُتِل مِن الطرفين، وقتلت فَرَسين[٢].

وفي اليوم الثالث عشر من رجب[٣] خرج مولانا الشريف بآلاي منظم في موكب معظم بالمراجل والعساكر، ونزل في مُخَيَّمه الذي بالزاهر، فأقام إلى واحد وعشرين من الشهر[٤] وأمر بشَدّ الخزاين[٥]، وتوْجِيه المراجل إلى وادي مَرّ ولحقهم صبيحة اليوم الثاني، محفظ[٦] بالمثاني، ثم تَوَجَّه إلى خُلَيْص ومِنْه إلى رابغ، ورحل بعساكره المنصورة وأقام بمَسْتُورة، وسرى غزية على جبل صُبْح[٧]، فغنموا مواشي أهل تلك الدايرة[٨]، وعادوا إليه وهو في مَسْتُورة.

وأمَّا طايفة عُتَيْبَة فإنَّهم يصلون البنادر، وينهبونها قبل وصول العساكر، فأقام أيامًا على مَسْتُورة بحالة مُجملة مَسْتُورة، أمر على جميع عُتَيْبَة أنْ يُقِيْمُوا بالحُدَيْبِيَّة، وأمَّا حَرْب فقد تَجَمَّعُوا مِن كُلِّ مكان ناوين على قتاله متى وصل فاستبطؤه[٩] وطالت الإقامة، ولم يعلموا قصده ومرامه، فظنوا أنَّه لم يتأخَّر عنهم إلا خوفًا مِنْهم، وخطر ببالهم أنْ يَدْهَمُوه في محلّه، وأنَّهم يظفر

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عزائمهم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: فَرَسان.

(٣) ١٣ رجب ١٢٠١هـ/ ٣٠ أبريل ١٧٨٧م.

(٤) ٢١ رجب ١٢٠١هـ/ ٨ مايو ١٧٨٧م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الخزائن.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: محفوظًا.

(٧) **جبل صُبْح**: جبل يقع غربي المدينة المنورة، على بعد مائة كيلًا عن قرية بدر، وعُرِفَ بهذا الاسم نسبة إلى بني صبح مِن قبيلة حرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٢٩٧.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الدائرة.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: فاستبطأوه.

بخزاينه[١] وحلّه.

فحرَّكهم داعي الغي والغوى، وتركهم الرشد واتباع سبيل الهوى، واجتمع مِن أولئك الأجْلاف نحو ثمانية آلاف، وما أراهم إلا كالباحث على حتفه، والقاطع مآرف أنفه بكفه، فأقْبَلُوا مِن مواضعهم على عُتَيْبَة في ثلاثة عشر شعبان[٢]، وأحاطوا بهم مِن كُلّ مكان، وكان منزلهم نازحًا عن العرضي بسويعات، وفات مِن الفريقين مَن دنى أجله بالوفاة، فعند ذلك صاح مُستنجدهم بالشريف، وقد ظهر الفرار عليهم والتزييف، فنهض صاحب الترجمة كما ينهض الأسد بعزمه القوي ورأيه الأسدّ، واستنجد الكُمَاة مِن بني عمّه السادة الهاشميَّة، والضياغم أهل الحميَّة / ق١٢٦/ وكل مَن كان معه بذلك النادي، مِن العسكر والمراجل والبوادي، وانساب كما ينساب الأُفْعُوان.

وشَمَّر للحرب العوان، وفرغ لهم الذهب الأصفر النافع في اليوم الأَسْود، فرموا أنفسهم في الموت الأحمر للخناق الأزرق، فلمَّا رأوا عيون البُوم، وداعي المَنِيَّة يحوم في اليوم الشوم[٣]، ونادى عليهم وعيون القوم شاخصة، كُلّ مَنْ قطع رأسًا فله خمسة مشاخصة؛ فتتابعوا للقتال كأنَّهم ناشطون مِن عقال، فلم يكن إلا كلمحة شارق، أو لمعة بارق، إلا والروس[٤] بين يديه منشالة، بتخضيب الصفايح والرماح العسالة، وقتلوا فيهم القتل الشنيع، فلو عاينهم ذو الرُّمَّة[٥] لا يستطيع،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يظفرون بخزائنه.

(٢) ١٣ شعبان ١٢٠١هـ/ ٣٠ مايو ١٧٨٧م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الشؤم.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الرءوس.

(٥) ذُو الرُّمَّة: أبو الحارث غيْلَان بن عقبة بن بُهَيْس، والرُّمَّة هو الحبل البالي، مِن فحول شعراء الطبقة الثانية، عاش في العصر الأموي، ولد حوالي عام ٧٧هـ/ ٦٩٦م، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، وكان مُقِيمًا في البادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيرًا، وامتاز بإجادة التشبيه، توفي في أصبهان، وقيل في البادية عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م. عبد اللَّه بن قتيبة =

وما أراه إلا مثل يوم النحر مِن كثرة الجلاد، أو يوم تَمُجَّ القتلى دمايها[١] بدجلة بغداد، فأخذته الشفقة لكثرة القتلى، وقال الربط مِنْهم أولى، فنادى عليهم المربوط دون المقتول، بِمَا وقع عليه القول، فانبهرت الناس في الحال، وأخذت معها الأحبال، فلم يكن إلا كلمحة طرف أو إيما[٢] بكف، حتى رأيت مِنْهم مربوطين كالغنم، فما غربت شمسها حتى تمزّقت تلك الفئة، وربطوا ما ينوف عن الخمسمائة، فعاد إلى مُخَيَّمه قرير العين، بعد أنْ أذاقهم الحَيْن، وجعل يتعرض المرابيط، ويسالهم عن أسمايهم[٣]، ومِن أيّ القبايل[٤]، ويأمر بوضعهم في الأغلال والسلاسل، وجاء الخبر إلى مكة بطيب الأرج، مع نجَّابه الشيخ سليمان بن أبي بكر أبو الفرج[٥]، وافتدى يومها بالسَّمّامِير[٦] الفاخرة، والنقود المُتكاثرة، ثم بعد أيام وصلت المرابيط في الزعايم مُصَفَّدِين، وكُبْكِبُوا في الحبس أجمعين.

[إخضاع قبائل وادي الفرع، والصفراء، وبدر، والسويق، ويمبع]

وفي الحادي عشر مِن رمضان[٧] وصل مكة جماعة مِن عُتَيْبَة وهُذَيْل مُتنكرين[٨] السّمة، هاربين مِن صاحب الترجمة، فقبض على بعضهم وكيل الشريف الذي بمكة، وبعضهم هرب ولم يوغل خلفهم الطلب، وأخبروا أنَّ

= الدينوري، **الشعر والشعراء**، ١/ ٥٢٤-٥٣٦؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٥/ ١٢٤.

(١) كذا في الأصل، والصواب: دماؤها.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إيماء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ويسألهم عن أسمائهم.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: أبي الفرج.

(٦) أيّ فراء حيوان السَّمُّور، وقد سبق التعريف به.

(٧) ١١ رمضان ١٢٠١هـ/ ٢٦ يونيو ١٧٨٧م.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: مُتنكري.

الشريف تَوَجَّه على الفُرُع[١] وملكه بغير قتال، وهرب أهله مِن تلك الخلال، فحرق بعض الدور، وقطع نخيلات مِن نخل ابن جود اللَّه المشهور، فعندما سمعوا جاوا[٢] يهرعون إليه طالبين السماح، ومعهم شيخهم شيخ بدر والصفرا[٣] وتلك البطاح، فتَوَجَّه إلى مَسْتُورة، بتلك الجيوش / ق١٢٧/ المنصورة، وأقام بها أيامًا رحب الصدر، ثم تَوَجَّه إلى بدر فلقيه أهلها بالإطاعة والإذعان، وأعطاهم الأمن والأمان، ثم ارتحل إلى يمبع النخل، ثم تَوَجَّه إلى السُّوَيْق[٤]، وخَيَّم تجاه البندر[٥]، وأحاط عليه بالجنود والعسكر، فأخرجوا حريمهم مُتدخلين عليه ومُسْتجيرين، وتقدمت مِنْهُنّ اثنتان، وقالتا: أتينا طايعين[٦]، فآوى إليهن ومنعهنّ القوم، وقال: لا تثريب عليكم اليوم.

ولزم في حضور ابن جُبَارة، ليريه عجزه ويعرفه مقداره، ولو مِن أيّ خرارة، فنودي عليه في أنحاء العرب بالطلب، فخرج مِنْها خايفا[٧] يترقَّب، فلمَّا مثل بين يديه جلس بغير استئذان فصاح عليه صيحة أرعده، فما قام إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان، فأخذ يَتَعَذّر وهو يوبخه، ويذكره قوله: الشام شامنا واليمن يمننا بذلك الأنف الذي كان يشمخه، ثم قال له: لا بدُّ مِن دخولي هذه البلد، بجمع كثير العدد، والنكال يقوم مقام القتال، وقد سمحت رحمة للنساء والأطفال، والتزم له بهذا الشرط أنْ لا يقع خلاف، وذهب إلى

---

(١) **الفُرُع**: وادٍ من أطول أودية الحجاز، وأغناها عيونًا، يبعد عن المدينة ١٥٠ كم جنوبًا. يأخذ أعلى مساقط مائه مِن حرَّة بني عمرو، ويسمَّى أيضًا بوادي النَّخْل لكثرة نخيله، ويسكنه بنو عمرو مِن حرب، ومِن قراه: أبو ضباع، وأم العيال، والمضيق، والفَقير. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٤١٣-١٤١٧.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الصفراء.

(٤) **السُّوَيْق**: قرية تقع في ينبع النخل، عُرِفَت بهذا الاسم حيث كانت تقام فيها سوق عامرة وما تزال قائمة حتى الآن، يشرف عليها من الشمال جبل رضوى، وتبعد عن ينبع البحر ٥١ كيلاً، ويسكنها قبيلة جُهَيْنَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٥٣.

(٥) يقصد بَنْدَر ينبع.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: طائعين.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: خائفًا.

جماعته وأخبرهم بِمَا صار، وعاد راضيًا مختار[١]، فدخلها بعض جماعته أشرافًا وأطراف[٢]، وحذرهم مِن وقوع الخلاف، فحصلت غفلة بغير اطلاعه، مِن بعض أشياعه وأتباعه، فأوجبت النقض، وحرك البعض إلى البعض، فلمَّا بلغه جعل يضرب في جماعته حتى بالسيف، ويوبخهم على فعل الزيف، فما أجدى بعد أنْ ثار الرمي ولم يفد، وانفرط الأمر كما ينفرط العقد، فزاد الحال واتسع الخرق، ولم يقدر على جمع ما تفرق، فخرجوا هاربين مِن البلد، وفاز بعمره مَن شرد، وأسرعوا بالانهزام، حتى وصلوا إلى الخيام، ولم يزل القتال بينهم إصدارًا وإيراد[٣]، والحرب سجال لدى الأجناد، حتى ظفر بهم صاحب الترجمة، ونقض سور عزمهم وهدمه، فملكها على أحسن الحالات وأجمل الأوضاع، وداسها بالأخيار والأوضاع، [ونهب كُلّ ما فيها وضاع، وخمد دخان الشرّ الذي ضاع][٤] وقُتِلَ مِن الطرفين مَن دنا مِنْه الحَيْن، وقبض على سبعين، وأرسلهم في الحديد مُصَفَّدين، وارتحل إلى يمبع البحر، فارغ الفكر خالي البال، وأقام بها حتى شوال[٥].

[زيارة الشريف سرور للمدينة المنورة]

ثم ارتحل إلى بدر ومَنْه إلى الخَيْف، / ق١٢٨/ وقد جرد عنه عزمه إلى السيف، فوجد أهله مترّسين على شواهد الجبال، وظنوا أنَّهم مانعتهم

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: مختارًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أطرافًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: إيرادًا.

(٤) ما بين القوسين المعقوفين زائدة في النسخة (ب)، ورقة ٩٢.

(٥) شهر شوال ١٢٠١هـ/ ١٦ يوليو - ١٣ أغسطس ١٨٧٨م. ويذكر الجبرتي ضمن أحداث هذا الشهر، أنَّ الشريف سرورًا أرسل رسالة، «يخبر فيها بعصيان عرب حرب وغيرهم، وقعودهم على الطريق، ومنعهم السبيل، ويحتاج أنَّ أمير الحاج يكون في قوة واستعداد، وأنَّ الحرب قائمة بينهم وبين الشريف، وخرج إليهم في نحو خمسة عشر ألفًا». وفي موضع آخر يذكر أنَّه وردت رسالة أخرى من الشريف يخبر فيها بانتصاره على العرب وهزيمتهم، وأنَّه قتل منهم نحو ثلاثة آلاف. انظر: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٢١٨، ٢١٩.

حصونهم مِن القتال، وقد جعلوا ردمًا في الطريق الذي بين الجبلين سدًّا، وظنوا أنَّه لا يستطيع له هدًّا، فعدت الجنود على السد كما يعدي السَّلِيْك ابن سُلَكَة[١]، ونقضوا البنا[٢] بأدنى حركة، فانفتح الطريق وسلك، وحرق بعض الدور بعد ما مَلَكَ، وأسر نحو العشرين، وهرب شيخهم اللعين، وتم المقصود بحرق نخل محمود.

وأرسل نجَّابًا مُبَشِّرًا بهذا الخبر، وهو السيد عبد الوهاب الصِّيرفي كاتب الصرّ، وذلك أنَّه مَلَكَ الخَيْف ونهبه وقَتَل وأسر، فأخرج الناس بالخبر وأسر.

وأرسل لمولانا المُفتي عبد الملك، مُفتي بلد اللَّه تعالى الأمين، وطلبه لزيارة سيد المرسلين، فتَوَجَّه للزيارة التي هي مِن أعظم القرب، ونال بالوقوف بين يديه - صلى اللَّه تعالى عليه وسلم - أَسْنى الرتب.

ثم تَوَجَّه مِن الخَيْف إلى المدينة المنوَّرة، زادها اللَّه تعالى تعظيمًا وإجلال[٣]، ودخلها في سبعة عشر مِن شوال[٤]، فقابله أهلها بالقبول، وهبت عليه ريح الصَّبَا والقَبُول، وقصد قبر جده سيد البرية، وأدى ما يجب عليه مِن التحية، وأقام في ساحة المقام السامي، إلى دخول الركب الشامي، ولم يتعرض لأهل المدينة بنقض ولا حل، ولا تولية ولا عزل.

[امتناع والي الحج الشامي عن إلباس الخِلْعة للشريف في المدينة]

وكان والي الحج الشامي أسد الهيجاء الذي لا يتحاشى، بطال حسين

---

(١) **السَّلِيْك بن سُلَكَة**: السَّلِيْك بن عمير السعدي التميمي، مِن شعراء العصر الجاهلي، واشتهر بابن سُلَكَة نسبة إلى أُمِه، وكان مِن أدَلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها، وأجودِهم عَدْوًا على رِجْلَيه؛ ولذلك ضُرِبَ به المثل فقيل: أعْدَى مِن السَّلِيْك، وكان لا يغير على مضر، وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة، قتله أسد بن مدرك الخثعمي حوالي عام ١٧ق.هـ/ ٦٠٥م. عبد اللَّه بن قتيبة الدينوري، **الشعر والشعراء**، ص ٣٦٥-٣٦٨؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٣/ ١١٥.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: البناء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: إجلالًا.

(٤) ١٧ شوال ١٢٠١هـ/ أوَّل أغسطس ١٧٨٧م.

باشا[١]، فجاءه مرسول الشريف يطلب الخلعة التي يعتاد لبسها بمكة، وأجابه لذلك ثم امتنع[٢]، وما أراه إلا لأمر بينهم قد وقع، فعالج والي الحج على أن يلبسه إلا هنا بالمدينة بأشدّ العلاج، فما قبل قوله ولا راج.

ثم تَوَجَّه الحج قاصدًا حما الحرم، والبيت الشريف المعظّم، وخرج بعده بيوم بِمَا معه مِن القوم، والتقى بالحج المصري[٣] يوم بدر تخفق عليه رايات النصر، كيف لا والشريف سرور قد مهَّد تلك الأراضي وطَيَّبها لِكُلّ غريب، حتى صارت الشاة ترعى مع الذيب[٤]، ولم يستطع أحدٌ مِن حَرْب يَتَعَرَّض لحجاج المسلمين، خوفًا مِن سطوة أسد العرين.

ودخلت الحجوج مكة سادس ذي الحجة[٥]، وأناخوا يومين بساحة البيت المحرم، وتَوَجَّهوا إلى الموقف الأعظم، وأمَّا الشريف فما صعد إلاَّ بعد صلاة العصر/ ق١٢٩/ في اليوم التاسع[٦]، وصلى المغرب بعرفة، وكرَّ

---

(١) **بطال حسين باشا**: حسين باشا بن علي باشا والي إيالة أرضروم، من القادة المشهورين الشجعان، كان رجلاً عاقلاً عادلاً، ولي على حلب في شوّال ١٢٠٠هـ/ أغسطس ١٧٨٦م، ثم عُزِل وولي على دمشق، فدخلها في ٧ ربيع الآخر ١٢٠١هـ/ ٢٦ يناير ١٧٨٧م، وخرج بقافلة الحج عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، ولم يلبث في الحكم طويلاً؛ حيث عزل في جمادى الأولى ١٢٠٢هـ/ فبراير ١٧٨٨م. كامل بن حسين الحلبي الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ج٣، المطبعة المارونية، حلب، د.ط، د.ت، ص ٣٠٨-٣٠٩؛ صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٦.

(٢) يبدو أنَّ أمير الحج الشامي قد امتنع على ذلك لأنَّه خشى أنْ يخالف الدولة لأنَّ إلباس الخِلْعة السلطانية مقرها في مكة، كذلك عرف ما يرمي إليه الشريف خاصة بعد الحملة الكبرى التي قام به لتأديب قبيلة حرب، كما أنَّ وجود مفتي مكة في المدينة أثناء التنصيب رُبَّمَا يحمل رسالة لأهل المدينة المنورة بالنسبة للشريف؛ فامتنع صاحبنا عن التنصيب، وتَوَجَّه إلى مكة بقافلة الحجيج.

(٣) كان أمير الحج غيطاس بك، خرج بالمحمل في ٢٤ شوال ١٢٠١هـ/ ٩ أغسطس ١٧٨٧م، وعاد في ١٩ صفر ١٢٠٢هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٧٨٧م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٢١٩، ٢٣٣.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الذئب.

(٥) ٦ ذو الحجة ١٢٠١هـ/ ١٨ سبتمبر ١٧٨٧م.

(٦) ٩ ذو الحجة ١٢٠١هـ/ ٢١ سبتمبر ١٧٨٧م.

في الحال راجع[١].

ولمَّا كان اليوم الرابع والعشرون[٢] تَوَجَّه الحج الشامي إلى مدينة سيد المرسلين، ولم يطب بعده لوالي المصري مقام إلاَّ خمسة أيام[٣].

[صدقات مِن سلطان المغرب وحكام الهند]

وفي موسم هذا العام، وردت ثلاثة[٤] صدقات لأشرف البقعات: صدقة مِن سلطان المغرب كفت أهل المدينة كافة على سبيل العموم، وأفراد[٥] مِن أهل مكة نالوا مِنْها شياء معلوم[٦]، ومنها شيء عظيم لأهل اليمن[٧]، وأهل يمبع وحضر موت وعدن[٨]، فوزعها وزعته ولا أعلم لها كمية، والصدقة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: راجعًا.

(٢) ٢٤ ذو الحجة ١٢٠١هـ/ ٦ أكتوبر ١٧٨٧م.

(٣) ٢٩ ذو الحجة ١٢٠١هـ/ ١١ أكتوبر ١٧٨٧م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ثلاث.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: وأفرادًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا معلومًا.

(٧) أرسل حاكم اليمن الإمام المنصور، مندوبًا مِن لدنه وهو أحمد بن إسماعيل حنش، إلى الشريف سرور ليقبض هذه الصدقة الواردة مِن المغرب، فلمَّا وصل كان الشريف في مرض موته، فلمَّا مات قبضها مِن أخيه الشريف غالب ابن مساعد. انظر: لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٢٤٤-٢٤٥، ٦٣٩. ويبدو أنَّ هذه الأموال التي أرسلها المولاي محمد بن عبد اللَّه كانت تتعرض للضياع والتبديد ولا تصل إلى المستحقين؛ ولذلك قام المولاي بعد ذلك بإرسال الأموال إلى إستانبول حتى ترسلها بمعرفتها إلى الحرمين الشريفين، وتوزعها على المستحقين، ولا يحدث ما حدث في المرات السابقة. محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ٩٨-٩٩، وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٢).

(٨) **عدن**: أهم المدن الساحلية اليمنية، وتقع شرقي باب المندب. اكتسبت أهميتها مِن موقعها الاستراتيجي القابض على الفتحة الجنوبية للبحر الأحمر، ومكانتها كأعرق ميناء بحري وتجاري بين الشرق والغرب، وهي مدينة تقوم على شبه جزيرة صخرية بركانية، تحيط بها الجبال من ثلاث جهات. وبهذه الصفة تميزت عدن عن بقية الموانئ اليمنية بموقعها الاستراتيجي المُسَوَّر بالجبال والمعزول تقريبًا بماء البحر عن البَرِّ. إبراهيم المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ٢/ ١٠٢٥-١٠٢٨.

الثانية مِن الهند: أرسلها محمد علي خان فأظهروا مِنْه ماية[١] ألف غرش وخان فيها مَن خان، والصدقة الثالثة مِن الهند: أرسلها نظام علي لأهل مكة، وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص فرقت، وكُلّ أخذ مِنْها مَخَص[٢].

وفي هذا الموسم أَلْبس كبير أغا قيمقام البَنْدَر المعمور، وسلك سلوكًا أرضى الجمهور.

❑ ❑ ❑

(١) كذا في الأصل، والصواب: مائة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مخصًا.

[أحداث سنة ١٢٠٢]

[ختان أولاد الشريف سرور ومعهم ولد أخيه]

وفي اليوم العاشر مِن ربيع الأول[١] ختن صاحب الترجمة أولاده ومعهم ولد أخيه، وتم له ختان لم يسبق مثله لذويه، فألْبس الملابس الفاخرة لِكُلّ مَن حضر الختان، ونثر مِن الذهب والفِضة نثارًا ينطق به لسان المزمار، وأمر أهل الحارات يعرضون عليه وكُلّ مَن يعرف شيا[٢] مِن الملاعيب، وهو ينثر عليهم النثار الذي تقرّ به العين وتطيب، ومِن بعد صلاة المغرب ينتصب الديوان بالعساكر، والنوبة تضرب بأنواع المزامِر[٣].

ولم يتأخَّر أحد عن الحضور في ذلك النادي مِن الحضور والبوادي، وعرضت عليه جماعة مِن السادة الأشراف فألبسهم جميعًا ابناشًا وأصواف[٤]، وأعطاهم صُرة مِن الدراهم تُوزَّع لِمَن حضر مِن بادية وحضر، ولم يزل كُلّ يوم وليلة على هذا النظام البديع إلى السابع والعشرين مِن ربيع[٥]، وأولم للسادة الأشراف وللعُلماء وبياض الناس وليمة منظمة، وصنع فيها مِن أنفس المآكل وخيار الأطعمة، وأوْلَم لجميع عساكره وأشياعه وعبيده وأتباعه وأطلق في هذه الوليمة، وما استخصّ أحد[٦]

(١) ١٠ ربيع الأول ١٢٠٢هـ/ ١٩ ديسمبر ١٧٨٧م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المزامير.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أصوافًا.

(٥) ٢٧ ربيع الأول ١٢٠٢هـ/ ٥ يناير ١٧٨٨م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: أحدًا.

بهذه العزيمة.

[احتفالات وولائم في مكة]

وفي سبع وعشرين[١] أمر جميع عساكره وخَيَّالته أنْ يحضروا بباب دولة إمارته، وأمرهم أنْ يطوفون[٢] بأكناف البلاد، في موكب عظيم وآلاي منظم، فخرجوا بأفخر الملابس / ق١٣٠/ وأحسن السّمة، مشاة وركبانًا على الخيول الْمُسَوَّمَة، مُصْطَفين كُلّ أربعة خَلْف أربعة، مُقَدَّمًا أمام الجيش سبعة مِن المدافع تسير معه، ولم يبقَ أحد مِن أهل المدينة حتى خرج يوم الزينة، ولما عادوا إلى داره العامرة، ألْبس الجميع أَسْنى الملابس الفاخرة، ونثر يومها مِن الدراهم ما أغنى به كُلّ صعلوك، وقال الرائي لذلك: هكذا شان[٣] الملوك.

وفي غُرَّة ربيع الثاني[٤] جعل فرحًا عظيمًا، ووليمة للنسا[٥]، دعى المغنيات وأكساهن أفخر الكسا[٦]، فهرع نساء البلد متبرجات على الغناء متفرجات، وأكل مِن الوليمة كُلّ مَن حضرها مِن بواديها وحضرها، والمغنيات يغنين للنسا[٧] بأنواع الألحان، كتغريد الطيور في الأغصان، وما زال الضرب على هذا التوقيع إلى ثلاثة أيام خلون مِن ربيع، وكان خاتمة الفرح والسرور، وقد تمّ له ما لم يتم لغيره، فليخش عواقب الأمُور،كما في المثل المشهور:

إِذَا تَـمَّ أَمْـرٌ بَـدَا نَـقْـصُـهُ
فَـحَـاذِرْ زَوَالًا إِذَا قِـيْـلَ تَـمّ[٨]

---

(١) ٢٧ ربيع الأول ١٢٠٢هـ/ ٥ يناير ١٧٨٨م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: يطوفوا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: شأن.
(٤) غُرَّة ربيع الآخر ١٢٠٢هـ/ ٩ يناير ١٧٨٨م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: للنساء.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الكساء.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: للنساء.
(٨) البيت لأبي العَتَاهِيَة، انظر: محمد بن أيدمر المستعصمي، **الحماسة المغربية**، ٢/ ٢٩٥.

ثم لم يمضِ له مقدار أسبوع، حتى أجرى الزمان حكم الأيام في النكس والرجوع، فتَغيَّرَت تلك الأفراح وذهبت، واسترجعت الأيام ما وهبت، ودارت أدوارها، وتقَلَّبت أكوارها، وتبدل السرور بالكدر، ولا محيص عمَّا جرى به القدر، فحصل عليه إغماء غيَّبه عن الوجود، وكدر المنهل العذب بعد الورود، فكتموا أمره عن الناس دون العاني، إلى اليوم الرابع عشر مِن ربيع الثاني[١].

[وفاة الشريف سرور]

وبينما الأيام تُضِيء كما تُضِيء الشموع، إلا وانعكس الأمر وانقلب الموضوع، فتوهموا أنَّه قد فات ومات، فأعلنوا بالنحيب، وأسالوا العبرات، فاضطربت البلاد لعظم المشقة، ووقع الجري في الأسواق والأزِقَّة، وشقّ على الناس موته بغتة، وقد أصابتهم بهتةٌ وأيّ بهتة، فهرعت العساكر إلى داره ينتشقون الخبر، ويلتمسون الأثر، والناس على بابه زُمَرًا، وقد سرى في قلوبهم مِن الوجل ما سرى، فمِن كثرة ضجيج الناس لهذا الأمر الشاق، حصل له صحوةٌ فأفاق، فنظر إلى الناس وهم في ذلك الميقاف، فشقّ عليه ذلك، وأمرهم بالانصراف.

فعند ذلك استبشرت الناس واطمنت[٢]، وحنَّت القلوب بعد ما أنَّت، لكن لم يفد وقد نفد السهم في أيام دولته وشق أستارها، / ق١٣١/ ويد المَنِيَّة أنشبت أظفارها، فلم يَعِشْ بعدها غير أربعة أيام، ثم هطل غصن دوحته الرطيب يدُ الحمام، فمات في اليوم الثامن عشر مِن ربيع الثاني عام ألف وماتين واثنين[٣] مِن هجرة سيد الكونين، وجرت دماء المدامع مِن كُلّ عين، ودفن بالمَعْلا بقبة السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بعد الإشراق، وأشرقت

(١) ١٤ ربيع الآخر ١٢٠٢هـ/ ٢٢ يناير ١٧٨٨م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: اطمأنت.
(٣) ١٨ ربيع الآخر ١٢٠٢هـ/ ٢٦ يناير ١٧٨٨م.

الناس بدموعهم إشراق[١].

عاش مِن العمر نحو خمس وثلاثين سَنة كأنَّها قدر سنة، وتَوَلَّى مكة وهو حديث السن، وكان مُهَابًا تخافه الإنس والجن، ولم يليها[٢] أصغر مِنْه سنًّا، فيما رويته وما رأيته، وليها وعمره نحو عشرين سنة، وسار في الناس سيرة حسنة[٣].

وكانت مُدَّة ولايته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام، فمضت على عجل كأنَّها طيف أحلام.

وَلَيتَ ذَاكَ السَّوادَ الجَونَ مُتَّصِلٌ
قد اِستَعارَ سوادَ القَلْبِ وَالبَصَرِ[٤]

أعقب مِن الذكور على ما هو مشهور ابنه: عبد اللَّه[٥]،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: إشراقًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يَلِهَا.

(٣) يُوضح لطف اللَّه جحاف أنَّ خبر وفاة الشريف سرور وقع على أهل مكة وقع الصاعقة، بقوله: «وظنّ العامة في موته الظنون، وحلفوا باللَّه إنَّه اختفى، وأنَّه سيظهر من بعد». لطف اللَّه جحاف، **درر نحور العين**، ص ٢٥٠. ولعلّ في ذلك لأكبر دليل على محبّة الناس له، والسيرة الطيبة التي ساد بها بينهم.

(٤) البيت للفتح بن خاقان من قصيدة في ابن زيدون، انظر: شهاب الدين أحمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٦٣٠-٦٣١.

(٥) **عبد اللَّه بن سرور**: أكبر أبناء الشريف سرور، وقد كانت لديه رغبة في تولي الشرافة بعد وفاة أبيه، فحارب عمّه الشريف غالبًا عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م، ثم اصطلح معه، وبعد سنوات تَوَجَّه إلى إِسْتَانْبُولَ وحاول الحصول على تأييد السلطان في توليه الشرافة، ولكنه فشل، فظل هناك عدة سنوات، ولما علم باستيلاء الوهابيين على مكة، اتجه إلى الدرعية وحاول إقناع الأمير سُعُود فِي أنْ يتولى شرافة مكة، ولكنه فشل أيضًا، وعندما طلب الرجوع إلى مكة، لم يأذن له سعود إلا بالتَوَجُّه إلى السُّوَيْرِقِيَّة، وبعد مضي ثلاث سنوات سمح له سعود بالعودة إلى مكة، ولكنَّ الشريف غَالِبًا منعه مِنْ دخولها، فاتجه إلى قرية الجال بالقرب مِنْ الطائف، وقضى فيها بقية حياته حتى توفي عام ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، ونقل إلى مكة، ودُفِنَ بها. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٩٣؛ جون لويس بوركهارت، **ترحال في الجزيرة العربية**، ١/ ٢٧٨؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٢/ ١٥٩-١٦٠.

ويحيى[١]، وسعيد[٢]، وأحمد، ومحمد.

رحمه اللَّه تعالى، ورحم روحه ونَوَّر ضريحه، ولا زالت شآبيب الرحمة والرضوان، تنهل على قبره مدى الأزمان. ولم يعهد لأحد بعده بالْمُلْك، وترك المقادير تجري بالْفُلْك، فقام لها أخوه العاقل الفطين، وسليل علي الأنزع البطين، حضرة مولانا الشريف عبد المعين / ق١٣٢/ .

❐❐❐

---

(١) **يحيى بن سرور**: ولد في مكة، ونشأ بها، ولاه على شرافة مكة محمد علي باشا، بعد عزل عمّه الشريف غالب بن مساعد عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، وقد كانت فترة شرافته هادئة، حيث ظلّ حوالي أربعة عشر عامًا، حتى قام محمد علي باشا بعزله في شعبان ١٢٤٢هـ/ فبراير ١٨٢٧م، ثم رحل إلى مصر عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م، وأقام بها حتى وفاته عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، أعقب خمسة أبناء، وهم: حسين، وحسن، ومنصور، وشرف، وعبد المحسن. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٩٩-٣٠٨؛ عبد الستاري البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٢٠٠٩؛ إسماعيل حقي، **أمراء مكة**، ص ٢٠١-٢٠٧.

(٢) **سعيد بن سرور**: ولد في مكة في حدود عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م، وتعلم فيها، ويوصف بأنّه كان رجلاً فيه صلاح، نائيًا بنفسه عن النواحي السياسية، وحين عزل أخوه الشريف يحيى عن شرافة مكة، عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٧م، كان في الأربعين من عمره، وقد ورد اسمه ضمن الأشراف المرشحين لشرافة مكة في إحدى الوثائق، في ٢٦ ذي القعدة ١٢٤٢هـ/ ٢٠ يونيو ١٨٢٧م، ولم يتم له الأمر، توفي في ٦ جمادى الأولى ١٢٥٤هـ/ ١٨ يوليو ١٨٣٨م. وأعقب ابنين، وهما: محمد، وأحمد. أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ٢٠-٢١.

[عهد الشريف غالب بن مساعد]

[نسبه وولايته الشرافة]

هذه ترجمة مولانا الشريف غالب بن الشريف مساعد ابن الشريف سعيد ابن الشريف زيد بن الشريف محسن بن الشريف حسين بن الشريف حسن بن الشريف أبي نمي، سَدَّد اللَّه تعالى سهام رأيه في أغراض الصواب، وفتح له بمفاتيح البيض والسُّمر مغلق كُلّ باب، فهو المَلِكُ الذي شرَّفه اللَّه تعالى بمزايا جَمَّة، وجعله مِن سلالة المُخاطب بِكُنْتم خَيْر أُمَّة، واختاره لحماية هذا الحرم، فشاع بذكره الركبان وحدا به الحادي وزمزم، وما زال قايما[1] لحماية الحرمين الشريفين، وباسمه ينوه في المقامين المنيفين، وما برحت ساحته محطّ الرجال، ومنتهى الآمال، ومَعْدِن الجود والكرم، والمقصد الذي لا يخيِّب مَن أمّ، وهو غاية الطلب وموسم أهل الأدب، قبلة الوفود وكعبة السماحة والجُود، نادرة الزمن، ونابغة بني حسن، وربّ الفصاحة واللسن، الذي سَنَّ الإغارة وشَنَّ درة الفلك، أرأف مَن سَلَكَ حِيْن مَلَكَ، منبع الجُود والإحسان، وصاحب المزايا الحسان، افتخرت بدولته الأيام، وتَحَلَّى جِيدها بطوق يهزء بطوق الحَمَام، هِمَته مقصودة على مجد يشيِّده أو حديث يستورويه ويستورده، ينعقد على همته عقود الخناصر، وتثني على سيرته الدهور والعناصر، ويقصر عن مداه كُلّ ملسان، / ق١٣٣/ ولو جاء بالبيان عجزت الفصحاء عن إدراك بعض أوصافه، كما قصر باع السَّالفين عن أوصاف أسلافه، فَمَن عضّه الدهر بنابه فَلْيَلُذْ بجنابه ويقف ببابه، فسوحُ الأنورُ لأهلِ

(١) كذا في الأصل، والصواب: قائمًا.

العلمِ الجامعُ الأزهر، مجمع الأدبا[١] ومأوى الغربا[٢].

كَـأَنَّـمَـا هُـوَ مَـغْـنَـاطِـيْـس أَنْـفُـسِـنَـا

حَـيْـث مَـا دَارَ دَارَت نَـحْـوه الـصُّـور[٣]

ولم تزل أرباب الآمال بسوحه ينزلون، ومِن كُلّ حدبٍ إليه ينسلون.

تَـرَى الـنَّـاس أفْـوَاجًـا عَـلَـى بَـابـه الأسْـمَـى

وَكَـم سَـايـل قَـدْ حَـلّ سَـاحَـتـه الـعُـظَـمَـا

فَـمَـا خَـاب مَـن وَافَـى حِـمَـاه مُـؤمّـلا

وَمَـن وَرَد الـبَـحْـر الْـخـضَـم فَـلاَ يَـظْـمَـا

ثم ينقلب إلى أهله مسرورًا ومجبورًا، بعد أنْ كان مكسورًا ناشرًا لواء الثنا[٤]، ظاهرًا عليه أثر الغنا[٥]، وهو ينشد معلنًا:

وَلَـمَّـا وَردنَـا لايـذيـن بـسُـوحـه

أعَـان عَـلَـى جَـوْر الـزَّمَـان الَّـذِي عَـنـا

وَردنَـا حِـمَـاهُ مُـجـدبين فَـأخصبت

لَـنَـا الْـعَـيْـش فَـورًا حِـيْـنَ مَـن وَلاَ مـنـا[٦]

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأدباء.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الغرباء.

(٣) البيت لا يعرف قائله، انظر: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، **ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا**، تحقيق: محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ٤٠١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الثناء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الغناء.

(٦) لم أقف على قائله فيما لدي من مصادر، وهو قريب من قول لأبي الفرج الأصفهاني:

لـمَّـا انتجعنا لائذين بظله أعَـان وَمَـا عَـنـى وَمَـن وَمَـا منا

ردنـا عَـلَـيْـهِ مقترين فراشنا وردنـا نـداه مجدبين فأخصبنا

انظر: لويس شيخو، مجاني الأدب، ٥/ ٢٨٣.

فيأمن مِن نكبة الدهر كأنَّما صادف ليلة القدر، مُهَنَّئًا بجزيل وفره، منعمًا ببيضه وصُفره، ويعلم أنَّ أيام دولته مواسم بل للعفاة بواسم، وتاريخٌ للمجد والمكارم، كم سطرت الفضلاء في حُسن أوصافه رسايل[1] بأنَّ راحته نَهْر سايلٌ وما نَهَر قط سايل[2]، لا يلقاك إلاَّ بوجه طلق يسر القلوب، ويفرج كرب كُلّ مكروب، ويغفر للدهر ما جناه مِن الذنوب، ومع ما حواه مِن الإحسان والمحاسن، روضُ الفضل الذي غير آسن، لا يخيب مِن أمله وقصد ساحته وأمَّ له.

بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِن الْقِرَى[3]
فَكَيْف إِذَا جَاءَ الْقِرَى وَهْوَ بَاسِمُ[4]

فكم معروف[5] مع ملهوف صنع، وما إِخَالُهُ إلا كالغيث أينما همع نفع، فهو البحر الذي تستمد الأنهار مِن أنهاره، والشمس الذي تستضيء بدور الكواكب بأنواره، كيف لا وهو سلطان إقليم الحجاز، وابن سلاطينها الذين ملكوها / ق ١٣٤/ حقيقة لا مجاز[6].

مِن آل زَيْد الَّذِي لَوْلاَ وُجُودهم
مَا قَرّت النَّاس فِي حِلٍّ وَفِي حَرَم

فهم مِن سادة سادوا بشرفهم ساداتِ البرية، وامتطوا سنام الجوزاء بهمتهم العليَّة، اختارهم اللَّه تعالى صيانة لِحَرَمه، وجيران بيته الحافظين لِحُرَمِه، لا زالت دولتهم مُرتبطة بارتباط الفلك السَّيار، وصولتهم تَزيد

(١) كذا في الأصل، والصواب: رسائل.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: سائلًا.
(٣) **القِرَى**: ما يُقَدَّم إلى الضيف. **المعجم الوسيط**، ص ٧٣٢.
(٤) البيت لعبد العزيز الديريني، انظر: لويس شيخو، **مجاني الأدب**، ٣/ ١٤٨. وفيه:
بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِن الْقِرَى فَكَيْف بِمَن يَأْتِي وَهْوَ ضَاحِكُ
(٥) كذا في الأصل، والصواب: معروفًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: مجازًا.

كازدياد النور في الشموس والأقمار، ولا زال السَّعد واقفًا ببابه، والحظ خادمًا لركابه، ولا انْفَكّ طالعه سعيد[١]، وأيام دولته كُلّ يوم في تجْدِيد، وهو واسطة عقدهم الفريد.

ولي مكة يوم الخميس أذان ظهره، وحيعل داعي الفلاح بفتحه وبنصره، وكان العام والفصل مريعًا وربيع[٢]، والشهر كثمان مِن ربيع سنة ١٢٠٢ ألف وماتين[٣] واثنين، مِن هجرة سيد الكونين، صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❐ ❐ ❐

(١) كذا في الأصل، والصواب: سعيدًا.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: ربيعًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

بيان الحوادث الواقعة في أيام دولة الشريف المترجَم أدام الله تعالى نعمه عليه وأنعم

[شراء الشريف غالب بُستانًا في المَعَابِدَة]

ففي اثنين وعشرين مِن شهر رجب[١]، عام اثنين بعد الألف والمايتن[٢]، اشترى البُسْتان الذي بالمَعَابِدَة مِن السيد ماضي بن سليمان[٣]، وعَمَّره فأتقنه غاية الإتقان، وغرسه بأنواع الغروس حتى صار نزهة للنفوس، وجعل في وسطه منزهًا عديم النظير، وكساه مِن الجهات الأربع ثوبًا أخضر، زرّدته أنامل المنثور بالأزاهير، فقصدته الشعرا[٤] بأنواع القصايد[٥]، وحلّت جِيده مِن جواهر النظم بالقلايد[٦]، مِنْها قصيدة السيد سعيد بن مالك[٧] تتيه حسنًا

(١) ٢٢ رجب ١٢٠٢هـ/ ٢٧ إبريل ١٧٨٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٣) **ماضي بن سليمان**: ماضي بن سليمان بن يحيى بن سعد بن زيد النموي الحسني، ولد في مكة، ونشأ بها، ورُشِّح والده لشرافة مكة أثناء الصراع بين الشريف سرور ومراد بيك أمير الحج المصري. وأمَّا السيد ماضي فقد لمع نجمه في عهد الشريف غالب، عندما اشترى مِنْه الشريف بُستانًا يمتلكه في المَعَابِدَة، ثم صار أحد القادة العسكريين لديه إبَّان صراعه ضد الوهابيين، وفي نهاية الأمر انضمَّ إلى الوهابيين أثناء حصارهم مكة في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م - كما سيأتي ذكره - وفِي شوَّال/ ديسمبر مِن العام المذكور دخل حربًا مع الوهابيين ضد قوات الشريف غالب، قُتِل خلالها ابنه السيد سليمان، وقُطِعَ رأسه وعُلِّق في أحد أسواق مكة لمدة يومين. أعقب السيد ماضي أربعة أبناء، وهم: يحيى، وسعد (أو سعيد)، وحسين، وحسن. أحمد الحضراوي، **تاج تواريخ البشر**، ٣/ ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٩؛ أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٣/ ٦.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الشعراء.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القصائد.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: بالقلائد.

(٧) **سعيد بن مالك**: سعيد بن مالك بن ناصر بن أحمد بن محمد بن الحارث النموي، مِن=

بالسبع المَمَالك، ومِنَها قصيدة لصاحبنا العفيف بل الشاب الظريف عبد اللَّه بن أحمد شَلْهُوب[١] تأخذ بمجامع القلوب، ومِنْها قصيدة للسيد خضر صَحَرَا[٢] أودعها مِن البيان سِحْرًا، ومِنَها قصيدة للسيد زين الخطاب كشف عن عرايس[٣] مُخَدَّرَاتها النقاب، ومِنْها قصيدة للسيد سعد بن زيد العَتَاوي أقَرّ بفضلها الحاضر والبادي، وقَفَوت أثر الجماعة بقصيدة على قدر البضاعة، وحسب الاستطاعة، ولولا خوف التطويل لأوردتها إليك وجلوت محاسنها عليك، / ق١٣٥/ لكن المدة قصيرة عن سَرد السِّيرة.

[زيارة الشريف لمدينة الطائف]

وفي خامس شعبان[٤] تَوَجَّه إلى الطايف[٥] قاصدًا زيارة العفيف، ومتفيئًا بظل روضه الوريف، فأقام أيامًا يستمد مِن فايض[٦] مَدَدِه، إلى أنْ أعاده اللَّه إلى بلده.

= رجالات الأشراف في عهد الشريف غالب، ويبدو أنَّه كان ينظم الشعر، توفي في مكة المكرمة في ١٨ ذي الحجة ١٢٠٤هـ/ ٦ نوفمبر ١٧٨٩م، أعقب ابنين، وهما: مالك، وحسن. انظر: أحمد ضياء العنقاوي، **موسوعة أعلام الأشراف**، ٢/ ٢٥.

(١) **عبد اللَّه بن أحمد شَلْهُوب**: عبد اللَّه بن أحمد شَلْهُوب الزمزمي الحنفي المكي، الشاعر الأديب، اللوذعي الأريب، مِن أشهر أدباء الحجاز في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وهو جد بيت شَلْهُوب الموجودين في مكة، وهو بيت قديم في حرفة الزمازمة. ولم يرد في المصادر المعاصرة ذكر لتاريخ ميلاده أو وفاته. عبد اللَّه ميرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٣٠٢؛ عبد اللَّه المعلّمي، **أعلام المكيين**، ص ٥٦٨.

(٢) **خضر صَحَرَا**: السيد خضر ابن السيد يحيى بن سحرة المكي، مِن أدباء الحجاز، وله ديوان شعر، مدح الشريف غالب بن مساعد بالعديد مِن القصائد، وله تخميس على لامية العجم (قصيدة لامية لمؤيد الدين الطغرائي ت ٥١٣هـ)، ووصفه الحضراوي بقوله: «ينبوع الكلام ... صاحب البلاغة والقلم، أمير المعاني..»، وتوفي سنة نيف وثلاثين ومائتين وألف. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ١/ ٣٦٩-٣٧١؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ٥١٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عرائس.

(٤) ٥ شعبان ١٢٠٢هـ/ ١٠ مايو ١٧٨٨م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فائض.

[وصول الخِلْعة السلطانيَّة للشريف غالب]

وفي التاسع والعشرين مِن ذي القعدة[١]، وصل أبو بكر أغا مهتار[٢] بالخِلْعة السلطانيَّة والفرمان مِن صاحب الخلافة، وهي أوَّل خِلْعة لبسها صاحب الشرافة، فأخرج لملاقاته العساكر المنظمة بالخيول المسوّمة، ودخلوا بموكب تضيء له الغياهب، ويزهو حسنًا على الكواكب، فنزل إلى المسجد الحرام، وأقام بين الركن والمقام، وحضرت السادة الأشراف المنتسبين[٣] إلى عبد مناف، والعُلماء والأعلام شموس الآفاق وبدور التمام، وقاضي الشريعة المُطهرة، والمفاتي الأربعة، وجميع الخواص مِن الأشخاص، فقرأ الفرمان العالي باسمه، وبرز مرسومه برسمه، ولبس الخِلْعة السلطانيَّة بالفرو السَّمُّور الجالب لأنواع السرور، ثم ألْبَس أرباب مناصبه في ذلك المقام، ومَن له معتاد مِن عهد آبائه الكرام، ثم أمر بزينةٍ ثلاثةَ أيام تبجيلاً لِمَا ناله مِن الإنعام.

[خروج بعض الأشراف على الشريف غالب]

وفي اليوم الحادي عشر مِن ذي الحجة[٤] أفرقه إخوانه وخرجوا جنح ليل، وتَوَجَّهوا بأتباعهم إلى جبال هُذَيْل، رامين حصول المكانة، وهي منحة مِن اللَّه سبحانه، فغابوا نحو ثمانية أيام وجاوه[٥] بهُذَيْل اليمن

---

(١) ٢٩ ذو القعدة ١٢٠٢هـ/ ٣٠ أغسطس ١٧٨٨م.

(٢) **مهتار**: أصله مهتر، لفظ فارسي معناه: رئيس القوم، وقد شاع استعماله منذ العصر الأيوبي كلقب أطلق على الكبير في كُلِّ طائفة. وفي العصر العثماني ضاق استعماله، لينحصر على ما له صلة بالفرقة الموسيقيَّة، فقد أطلق لفظ مهتارية على أفراد الفرقة الموسيقيَّة التي تتألف مِن تسعة شواش يضاف إليهم عازفو الآلات المختلفة، ويرأسهم ضابط يعرف بلقب: مهتار أغا أو مهتار باشي، ينتقى مِمَّن يتمتعون بأُذُن موسيقيَّة مرهفة ونَفَسٍ قَوِي. مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٤٣١-٤٣٢.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المنتسبون.

(٤) ١١ ذو الحجة ١٢٠٢هـ/ ١١ سبتمبر ١٧٨٨م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: جاءوه.

والشام، وتَرَّسَوا بجبال المَفْجَر[١] وتلك الجِهات، فخرج لقتالهم بالسراة أُسُود الغابات، وأمَدَّه أمير الحج الشامي[٢] بنزر مِن العسكر، فالتقى الفريقين[٣] في تاسع عشر الشهر[٤]، وحصلت بينهما ملحمة، أسفرت عن انتصار صاحب الترجمة، وسطعت النيّران بفلكه، ودخل منصور[٥] إلى مَقَرّ ملكه، فأكرم العساكر وكساها، وناداه لسان الزمان لك مقرها ومرساها، وأمَّا إخوانه فقد أخذوا مِنْه ذمَّة، ووهنت حالتهم بعد تلك الهِمَّة، وتَوَجَّهوا إلى الطايف[٦]، واحتربوا مع وكيله فضيَّق عليهم غاية التضييق، ولم يمتنعوا إلا بحصن العَقِيق[٧].

ولمَّا بلغ صاحب الترجمة ما فعله الوكيل بِمَن لديه، بالغ في إكرامه وأثنى عليه، وأمَدَّه برتبة مِن العسكر تقوية وتحصينًا للبَنْدَر، ثم إنَّهم تَرَفَّعُوا /ق١٣٦/ عن العقيق والمنزه الأنيق، لموضع يقال له: بِسِل[٨]؛ وهو اسم على مُسَمّى، قد حاز نصيبًا مِن اسمه وسهمًا، فأقاموا به أيامًا وجمعوا

---

(١) **جبالُ المَفْجَر**: سهل يقع في أواخر مِنَى على يمين الصاعد إلى مزدلفة من بطن مِنَى مِن جهة مسجد الخيف، وجبال المَفْجَر يطلق على الجبال المحيطة بهذا الموضع. محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٢٩٩-٣٠٠؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٦٣٦.

(٢) كان أمير الحج الشامي إبراهيم باشا والي دمشق، وقد تولَّى الحكم في ١٧ جمادى الآخرة ١٢٠٢هـ/ ٢٣ فبراير ١٧٨٨م، وخرج في الحج ثلاثة مواسم في أعوام: ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، و١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، و١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م. وعُزل عن دمشق في صفر ١٢٠٥هـ/ أكتوبر ١٧٩٠م. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٦-٨٨.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الفريقان.

(٤) ١٩ ذو الحجة ١٢٠٢هـ/ ١٩ سبتمبر ١٧٨٨م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: منصورًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٧) **العَقِيق**: وادٍ يأخذ مِن جبل الغُمَير الذي يظلل الطائف وقت الغروب، ويمر بطرف الطائف مِن الغرب والشمال، وعليه أحياء مِن الطائف، ثم يعدل شمالاً، وفيه قرى مِنْها: المليساء، ولُقَيم، وأُم الحمضة، وملاكه الأشراف وبخاصة العبادلة، وفيه أخلاط مِن عُتَيْبَة، والحمدة مِن ثقيف ملاكه الأصليين. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١١٧٤-١١٧٥.

(٨) **بِسِل**: وادٍ يأخذ أعلى مساقط مياهه مِن جبال ناخرة وسلامة؛ وهو كثير القرى والمزارع والروافد، سُكَّانه العُصَمَة، والحشابرة، والجُعَدَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٢٠٦.

مِمَّا حوله أقوامًا، وأقبلوا على مكة مُجِدِّين، يطلبون الغفلة، وهيهات أنْ يغفل [الأسد عن][1] العرين؛ فلمَّا تحقَّق عنده الخبر، أمر بتجهيز المراجل والعسكر، وبرز تجاه بستانه الذي بالأبطح[2]، وتَقَلَّد بصارم النصر وتوشح، وجعل في كُلّ ليلة يبيت بالمَعَابِدَة، وينزل إلى داره عند الصباح، ولسان السَّعد يحييه بحي على الفلاح، وتبقى العساكر والمراجل في المَعَابِدَة، لقتالهم مراصدة.

❑ ❑ ❑

(١) ساقطة في الأصل والإضافة من النسخة (ب)، ورقة ٩٩.

(٢) **الأبطح**: مسيل الوادي الواقع بين مكة ومِنَى، ويعرف بالمحصَّب، وخيف بني كنانة. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٣٩-٤٠.

[أحداث سنة ١٢٠٣]

[القتال بين الشريف والخارجين عليه]

ففي ثمانية مِن ربيع الأوَّل[١] جاءه المُستفزع إلى داره، يستصرخه ويخبره أنَّهم وصلوا الميدان، وجالوا وهَمُّوا بِمَا لم ينالوا، فركب مِن فوره بِهِمَّة عليَّة عَلويَّة، وناهيك بهِمَّة الهواشم، وطلب أنْ يطلعوا معه هُذَيْل فامتنعوا إلا بتعجيل الدراهم، فعالجهم على الطلوع معه أشَدَّ علاج، فما أفاد قوله معهم ولا راج، فطلع وحده معتقدًا ومتوكلاً على مَن أولاه، عالمًا أنْ هُذَيْلاً تخذله وما النصر إلا مِن عند اللَّه؛ فقاتلهم العسكر وفازوا بالنصر قبل طلوعه، وأمَدَّهم اللَّه تعالى بالإعانة وكسروا إخوانه، ورجعت بواديهم مهانة، فبلغه الخبر وهو في أثناء الطريق، فلمَّا وصل ظهر له التحقيق، فحمد اللَّه تعالى على مزيد فضله وإحسانه، ثم إنَّ إخوانه بعد انكسارهم قصدوا وادي الزَّيْمَا، ومِنْه إلى ليّة ومِنْه إلى الأُخَيضر[٢]، وأقاموا فيه شهرًا ويومًا.

وفي نصف جمادى الأولى سنة ١٢٠٣[٣]، عاملهم عُربان ثقيف، وأحربوا الطايف[٤] وكسروا وكيل الشريف، فأخذ مهلة مِنْهم ثلاثة أيام،

---

(١) ٨ ربيع الأوَّل ١٢٠٣هـ/ ٦ ديسمبر ١٧٨٩م.

(٢) **الأُخَيضر**: قرية في أسفل وادي العرج للعُصَمة مِن عُتَيْبَة، وعندها يسمى وادي العرج وادي الأخيضر، وهذا الوادي تختلط فيه قبائل: العُصَمَة والأشراف ذوو حراز، وعدوان وغيرهم. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٨.

(٣) ١٥ جمادى الأولى ١٢٠٣هـ/ ١٠ فبراير ١٧٨٩م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

وخرج مِن البلد وما بقى مِن عسكر الشريف أحد، فوصلوا إلى مكة على طريق كرا، وأناخوا برحاب سيدهم سامي الذرا، ثم بلغ صاحب الترجمة أنَّ إخوانه يجمعون في الجرود، وقصدهم يقاتلونه في يوم موعود، فأرسل صاحب الترجمة للعُربان وجمعهم مِن كُلّ مكان.

وفي اليوم التاسع عشر[١]، برز إلى المَعَابِدَة بالبيارق والعساكر، وخرج بمراجله / ق١٣٧/ كالأُسُود الكواسر، ولمَّا ثبت عنده أنَّ في غدٍ سيكون القتال، سَلَّم لكل واحد مِن العُربان سبع ريال[٢]، فوصله الخبر في غدٍ أنَّهم في عرفة، وأمزجتهم مِن القتال منحرفة، ومضى لهم فيها يومان، ورجعوا ناكسين إلى نَعْمَان، وأقاموا يومهم بقلب خايف[٣]، ثم ارتحلوا إلى الطايف[٤].

[انعقاد الصلح بين الشريف والخارجين عليه]

وفي الرابع والعشرين مِن الشهر[٥] المذكور، أرسل صاحب الترجمة لا زال منصور[٦] إلى إخوانه السيد ناصر بن مستور، ونايب[٧] قاضي الشرع، والمفاتي الأربع يتوسطون بينه وبين إخوانه بالصلح، ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[٨]، فأكرموا المراسيل، وأثنوا عليهم بالثناء الجميل، فعرضوا عليهم وقبلوا، وما توقفوا ولا تأملوا، واشترطوا عليه شروط[٩]، وكان مدار الأمر عليها منوط[١٠]، ثم نزلوا إلى مكة وأخبروه

---

(١) ١٩ جمادى الأولى ١٢٠٣هـ/ ١٤ فبراير ١٧٨٩م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: سبعة ريالات.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: خائف.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) ٢٤ جمادى الأولى ١٢٠٣هـ/ ١٩ فبراير ١٧٨٩م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: منصورًا.
(٧) القرآن الكريم، **سورة النساء**، جزء من آية ١٢٨.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: نائب.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: شروطًا.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: منوطًا.

بِمَا اشترطوه، فتمَّم لهم الكلام الذي ربطوه، وأعادهم ثانيًا إلى الطايف[١] لتتمِيم الصلح، وتحصيل المسَرَّة والنُّجْح، فوصلوا إلى الطايف[٢] ونزلوا جميعًا إلى بلد اللَّه تعالى المحميَّة، وخرج لملاقاتهم صاحب الترجمة إلى العَابِدِيَّة، فَقَيَّلوا بها يومًا وباتوا إلى الصباح، ثم نزلوا في موكب مُعَظَّم تزهو به البطاح.

[ذكر ولاية السلطان سليم خان]

وفي هذا العام[٣] توفي مولانا السلطان، وخليفة رسول الرحمن، القايم[٤] بوظيفة الجهاد، والباذل نفسه في إصلاح العباد والبلاد، سُلطان السَّلاطين، ومالك الأقاليم والأساطين، دُرَّة تاج آل عثمان، وأشرف ملوك الزمان، مولانا السُّلطان عبد الحميد خان ابن المرحوم أحمد خان[٥]، أسكنه اللَّه تعالى فسيح جنته، وعامله بفضله ومنته، وأُقيم مقامه على

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) عام ١٢٠٣هـ/ أوَّل أكتوبر ١٧٨٨ - ١٩ سبتمبر ١٧٨٩م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: القائم.
(٥) **السلطان أحمد الثالث** (١١١٥-١١٤٣هـ/ ١٧٠٣-١٧٣٠م): ولد في ٣ رمضان ١٠٨٣هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٦٧٣م، تولّى الحكم في ٢٢ شعبان ١١١٥هـ/ ٣١ ديسمبر ١٧٠٣م، وقد دخلت الدولة في عهده في حروب عديدة ضد الروسيا والبندقية، وعقدت في نهاية الأمر الصلح مع الروسيا بمعاهدة باساروفجه ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م، واسترجعت كذلك إقليم المورة، وقلعة آزاق، وفتحت عدة مدن مِنْ الأقاليم الإيرانية، وفي عهده تمَّ تأسيس أوَّل دار طباعة رسمية في إستانبول بعد إقرار المفتى لها عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م، وفي أواخر أيامه قام الإنكشارية بثورة في إستانبول في ١٥ ربيع الأول ١١٤٣هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٧٣٠م، بزعامة بترونا خليل، وقاموا بقتل الصدر الأعظم، وأميرال الأساطيل البحرية، ثم أعلنوا عزل السلطان أحمد الثالث، ونادوا بابن أخيه السلطان محمود الأول؛ فأذعن السلطان أحمد، وتنازل عن الحكم بدون معارضة، وظلّ معزولاً حتى وفاته في ربيع الأوَّل ١١٤٩هـ/ يوليو ١٧٣٦م. محمد فريد، **الدولة العليَّة**، ص ٣١٢-٣١٩؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣٣٥-٣٥١.

تخت الخلافة ابن أخيه القايم[1] بأمور الْمُلك على الأمر الذي يرضيه، دُرَّة تاج الخلفا[2] أهل العزم والوفا[3]، مَن أحيا ذكر الدولة العثمانية، وزادهم فخرًا ومَجْدًا ومَزِيَّة، مُنظم الأقطار الإسلامية، والذاب عن المسلمين بصولته القويَّة، ذو الهمة والعزم، والقوة والحزم، مولانا السلطان سليم[4] خان بن المرحوم مصطفى خان[5]، زاده اللَّه تعالى ثباتًا ومننًا، وأنبته اللَّه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: القائم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الخلفاء.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوفاء.

(٤) **السلطان سليم الثالث** (١٢٠٣-١٢٢٢هـ / ١٧٨٩-١٨٠٧م): ولد في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م، وتولّى السلطنة في ١٢ رجب ١٢٠٣هـ/ ٨ أبريل ١٧٨٩م، وهي مِن أخطر فترات الدولة العثمانية؛ حيث كانت الحرب على أشدها ضد النمسا والروسيا، وانتهت بتوقيع الباب العالي معاهدة زشتوي مع النمسا ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م، ومعاهدة ياش مع الروسيا ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢ م، وقد قام هذا السلطان - الذي يُعَدّ مِن السلاطين المُصلحين في الدولة العثمانية - بحركة إصلاح للأوضاع الداخلية، فأعلن عن تأسيس النظام الجديد عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، ولكن هذا النظام لم يؤتِ ثماره نتيجة معارضة الإنكشارية والعناصر الرجعية في الدولة، وتدهورت الأوضاع الخارجية للدولة حيث غزت فرنسا مصر ومكثت فيها الفترة ما بين عامي (١٢١٣-١٢١٥هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م)، وتمكّن محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م) مِنْ انتزاع فرمان توليته مِن الباب العالي، واستطاع الوهابيون ضمّ الحرمين الشريفين إلى دولتهم بصورة نهائية عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وقام الصرب بثورة ضد الحكم العثماني في عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وفي أواخر عهده قام الإنكشارية بحركة عصيان داخلية ضده، وأجبروه على إلغاء النظام الجديد، ثم عزل السلطان المذكور في ٢١ ربيع الآخر ١٢٢٢هـ/ ٢٨ يونيه ١٨٠٧م، وتولى من بعده مصطفى الرابع، وقد ظلّ السلطان سليم الثالث بعد عزله على قيد الحياة، حتى توفي في ٤ جمادى الأولى ١٢٢٣هـ/ ٢٨ يونيه ١٨٠٨م. محمد فريد، **الدولة العليَّة**، ص ٣٦٣-٣٩٣ ؛ أحمد آق كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣٦٢-٣٨١.

(٥) **السلطان مصطفى الثالث** (١١٧٠-١١٨٧هـ/ ١٧٥٩-١٧٧٤م): ابن السلطان أحمد الثالث، ولد في عام ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م، وتولّى الحكم في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٩م، وكان شاعرًا، وخطاطًا، وعالمًا، وقد اهتم بأمور الدولة، وحاول علاج مشاكلها، وفكر في حفر قناة السويس، وأقام جامع «لاله لي»، وشهد عصره حركة استقلال علي بك الكبير فِي مصر، ومُنِيَت الدولة فِي عهده بعدة هزائم مِن الروسيا، انتهت باستيلاء الروسيا على رومانيا، وتقدمت مِنْها إلى بلغاريا، وقد أصيب السلطان جراء ذلك بالفالج، وتوفي في ٨ ذي القعدة ١١٨٧هـ/ ٢١ يناير ١٧٧٤م. محمد فريد، **الدولة العليَّة**، ص ٣٢٩-٣٤٠؛ أحمد آق=

نباتًا حسنًا، ووفَّقَه لجميع مصالح المسلمين / ق١٣٨/ وسدّد أموره - آمين - وأصلح أرباب دولته، ووفَّقَهم للنظر بزيادة صولته.

[مقتل الشيخ عبد السلام الحُريشي]

وفي يوم الجمعة مِن الشهر المذكور(١)، وقعت حادثة مِن الحوادث بمكة شرفها اللَّه تعالى، وجعل الخير على أهلها يتوالى، وهي أنَّ خطيب الجمعة الشيخ عبد السلام الحُريشي(٢) عندما نزل إلى المسجد الحرام، وكان بين المنبر والمقام، تعرض له بنقاليٌّ(٣)، قِيْلَ: مجنون، قبل الصلاة، وضربه سكينًا قطع بها أمعاه(٤)، فكانت هي القاضية الماضية، ووقع في المسجد ضَجَّة عظيمة حتى أشاع بعض العوام، أنَّ المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام، وعمَّا قليل انكشف الإلباس، وتقَدَّم خطيبٌ آخر فخطب وصلى بالناس، وأمر صاحبُ الترجمة بصلب القاتل.

[وقوع منافسة بين والي جدة ووزير الشريف هناك]

وفي شهر شعبان(٥) حصلت منافسة بين والي جدة عزت محمد باشا

كوندز وسعيد أوزتوك، **الدولة العثمانية**، ص ٣٥٥-٣٥٧.

(١) شهر جمادى الأولى ١٢٠٣هـ/ ٢٧ يناير - ٢٥ فبراير ١٧٨٩م.

(٢) **عبدُ السلام الحريشي**: عبد السلام الحريشي الفاسي المغربي المكي. لم أعثر على ترجمه له، ولكن وجدت ترجمه لابن له ذكرها الزبيدي في معجمه، ويتضح مِن خلالها أنَّ والده دخل إلى مكة المكرَّمة، وأقام فيها، حتى صار مِن خطباء الحرم، وكان له أربعة أبناء، وهم: علي، والعربي، وعبد الخالق، وعبد الوهاب، والأخير كان ضريرًا، وفيه يقول الزبيدي: «لقيته في دروس شيخنا المرحوم أحمد الأشبولي في الجامع الصغير، وكان أكثر السؤال له في الدرس، وكان شيخنا يلتفتُ إليه كثيرًا، يجلُّه». محمد مرتضى الزبيدي، **المعجم المختصّ**، اعتنى به وقابل أصولهُ: نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد ابن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٤٤٧.

(٣) أي من بلاد البنغال المعروفة اليوم بنغلاديش. .

(٤) كذا في الأصل، والصواب: أمعاءه.

(٥) شهر شعبان ١٢٠٣هـ/ ٢٦ إبريل - ٢٤ مايو ١٧٨٩م.

وبين وزير الشريف سعيد؛ فأغلق الفُرْضَة[١] والقَبَّان[٢]، وقَلَّد قاضي الشرع بالمقالِيد، فجعل القاضي ينزل الفُرْضَة لجمع العشور، ويضبط ما تحصَّل مِن المال المذكور.

[حبس الوزير ألماس رمضان]

وفي الخامس والعشرين[٣] جاوا[٤] بالوزير ألماس رمضان إلى مكة وسجن، وقيد بالحديد حتى امتهن.

[تعيين على بلح في النظارة]

وفي الثالث عشر مِن ذي القعدة[٥]، أُلْبس علي بلح على منصب النظارة، وتشرَّف بالخدمة على أقرانه.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سادس ذي الحجة[٦] وصل الحج الشامي وتلاه المصري، وحجت الناس وقضت المناسك، وعاد إلى وطنه كُلّ غريب وناسك.

❒ ❒ ❒

---

(١) **الفُرْضَة**: هي فُرْضَةُ البحر، أي أماكن محطّ السفن في الميناء. **المعجم الوسيط**، ص ٦٨٣.

(٢) **القبَّانُ**: الميزان ذو الذراع الطويلة المقسَّمة أقسامًا، ينقلُ عليها جسمٌ ثقيل يسمَّى الرُّمَّانة، لتعيِّن وزنَ ما يوزن. **المعجم الوسيط**، ص ٧١٣.

(٣) ٢٥ شعبان ١٢٠٣هـ/ ٢٠ مايو ١٧٨٩م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: جاءوا.

(٥) ١٣ ذو القعدة ١٢٠٣هـ/ ٤ أغسطس ١٧٨٩م.

(٦) ٦ ذو الحجة ١٢٠٣هـ/ ٢٧ أغسطس ١٧٨٩م.

[أحداث سنة ١٢٠٤]

وانقضت السنة بخير، ودخل العام الجديد بحمد اللَّه المبدئ المعيد سنة ١٢٠٤[١].

[فتنة يحيى سلتوح]

وفي خمس وعشرين مِن جماد الأوَّل[٢]، حبس صاحبُ الترجمة مقدم أخيه يحيى سلتوح، سَدًّا لباب الفتنة التي في صفحات جبينه تلوح، ووضعه في قبو تحت الأرض في بيت ريحان الفروجي، وهو موضع فيه بياض النهار كليل الدُّجا[٣]، فأقام فيه برهة مِن الزمن كُلّ يوم يفتقد، ففي أثنائها هَدَم بَالُوعة المَطْهَر[٤]، ومِنْها شرد وتوارى في بيت أولاد الشريف سرور، وكان داعية لهذه الفتنة والشرور، فأقام أيامًا يرتب تراتيب الفساد، الذي ظهر في أشرف وادٍ، وصاحب الترجمة لم يعلم له مكان[٥]، وتَطَلَّبه فلمْ يجده، فظن أنَّه بان، وفي آخر ربوع مِن صفر[٦] أبدى ما رامه مِنْ الفساد وأظهر، وأغَرَّ عبد اللَّه ابن الشريف سرور/ ق١٣٩/ ، وحَثَّه على طلب المكانة، وتَكَفَّل له بالإعانة، وهو صغير السن لم يبلغ عمره اثني عشر سنة، غير مُكَلَّف بسيئة ولا حسنة،

---

(١) عام ١٢٠٤هـ/ ٨ سبتمبر ١٧٨٩ - ٢٠ سبتمبر ١٧٩٠م.

(٢) ٢٥ جمادى الأولى ١٢٠٤هـ/ ٩ فبراير ١٧٩٠م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الدُّجَى.

(٤) بَالُوعَة المَطْهَر: في العصر العثماني كانت المَطْهَرة المكان الذي يسكب فيه الماء للطهارة؛ أيّ الوضوء، والبالوعة المدخل الذي يفرغ فيه السقَّاؤن الماء من القِرب سواء على ظهورهم أو على ظهور الجمال.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مكانًا.

(٦) ٢٥ صفر ١٢٠٤هـ/ ١٤ أكتوبر ١٧٨٩م.

فأرسل شرذمة مِنْ العبيد تبلغ الخمسين، ورموا مِن المسجد بالبنادق على بيت الشريف، ثم وَلّوا مُدبرين، وتَرَّسُوا ببيت الوزير ريحان، وبيت القطي وما حوله مِن البيوت، وثبت الشريف في داره غاية الثبوت، فوقع الحرب مِن الطرفين، وأضرمت نار الحرب مِن الجانبين، واستمر اليوم كله بِمَا طال تعصبًا وعناد[1]، وانقطعت الناس عن المسير في طرقات البلاد، وما فتروا عن الرمي حين رَوَّق الليل البهيم، بل إلى الصباح والحرب مُسْتديم.

[القتال بين الشريف غالب والسيد عبد اللَّه بن سرور]

وما زالوا على هذا المنوال أربعة أيام وأربع ليالٍ، فانقطعت الصلوات الخمس مِن المسجد، وبطل المطاف، واستبدل الأمن في بلد اللَّه تعالى بالمخاف، ولم يُصَلِّ أحد مِن المسلمين صلاة الجمعة، وعن ذمة مَن روى أنَّ الحجر الشريف أُصِيب برصاصة وطارت مِنْه قطعة، ومع هذا لم يظفروا بمرام، كيف بِمَن لم يخفر للبيت الحرام زمام[2].

فخرج عبد اللَّه بن سرور وأخوه محمد، وأخذوا ذِمَّة مِن صاحب الترجمة لا زال مؤيد[3]، وهُمُوا في وجوه جملة مِن الأشراف أهل الحميَّة، وخرجوا وتَوَجَّهُوا إلى العَابِديَّة، وخرج معهم يحيى سلتوح وجميع عبيد أبيهم، وجملة أشراف وبادية كانوا مُختفين بناديهم، فأرسل عليهم رتبة أمَّرَ عليها أخاه عبد المعين، وحاصرهم في بيت العَابِديَّة حتى حِيْن، فلمْ يطب لهم المقام، وشَرَدُوا ليلاً والناس نيام، فلم يُقْفَ لهم أثر، ولم يقف لهم على خبر.

وفي الثامن[4] مِنْ هذا الشهر، فَرَّق الشريف للمراجل والعسكر الدراهم، وأقام بالأبطح وخَيَّم، وتَرَّس الجبال المُطلة على بركة السَّلَم.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عنادًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: زمامًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مؤيدًا.

(٤) ٨ جمادى الأولى ١٢٠٤هـ/ ٢٣ يناير ١٧٩٠م.

وفي اليوم الثالث عشر[١] قَدِمَ السيد عبد اللَّه بن سرور بالجنود والبوادي، والجمّ الغفير الذي ضاق به الوادي، فحصلت بينهما ملحمة بقدر خمس ساعات، حتى ارتوت الأرض بالبِيض والرُّدَيْنِيَّات[٢]، وأسفر الأمر عن انكسارهم عيانًا بيان[٣]، وفَرُّوا مُنْهَزِمين إلى رَهْجَان[٤].

ثم إنَّ صاحب الترجمة عاد إلى مقرّ ملكه، وأشرقت شموس الإقبال بِفَلَكِه / ق١٤٠/ .

وفي اليوم الثاني بلغ الخبر بأنَّهم رجعوا إلى العَابِديَّة، يرومون الهجوم على مكة المحميَّة، فأرسل عليهم سريةً مائة راس[٥] مِن الخيل، وجنود تنساب انسياب السيل، وأمَّرَ عليها أخاه عبد المعين، وقَلّدَه بسيف العزم الثمين، وأتبعه بجندٍ آخر أمَّرَ عليها أخاه السيد عبد العزيز، وفتية توذي الأعادي أيّ أزيز، فلمْ يثبتوا عندما أقبلوا، وفَرُّوا قبل أنْ يصلوا، فأقاموا بالرتبة ثمة يومين، وعادوا بخُفَي حُنَين وتَوَجَّهوا إلى جبال هُذَيْل، وظَنُّوا أنَّهم يميلون معهم كُلّ الميل، فأبوا عن معاملتهم لكونهم قد عاملوا الشريف، فتركوهم وتَوَجَّهوا إلى الطايف[٦] حتى ملكوه، وبذلوا الهمة في طريقهم الذي سلكوه.

ثم إنَّ وكيل الشريف أخذ مِنْهم ذِمَّة وارتحل، وصحب معه العسكر ونزل، ولمَّا وصلوا إلى الكرد، قابلتهم رتبة تقوية لهم ومدد، وأخبروهم أنَّهم

---

(١) ١٣ جمادى الأولى ١٢٠٤هـ/ ٢٨ يناير ١٧٩٠م.

(٢) **الرُّدَيْنِيَّات**: الرِّمَاح. مفردها الرُّدَيْنِيّ. نسبة إلى رُدَيْنَة، وهي امرأة كانت تُقَوِّم الرماح. **المعجم الوسيط**، ص ٣٤٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بيانًا.

(٤) **رَهْجَان**: وادٍ مِن روافد وادي نَعْمَان، يسيل مِن جبال سَحَار وجبال الخُشاع، يفترق رأسه إلى شعبتين كبيرتين: رَهْجَان الأبيض مِن الشرق، ورَهْجَان الأَسْود مِن الغرب مِن جبل قُرظَة، ويصب في وادي نَعْمَان على بُعد ٢٩ كيلاً مِن مكة يمين طريق الطائف، وهي الطريق التي تأخذ على جبل كرى. ويسكن رَهْجَان: الجوابرة، ودعد، وبنو ندا، وكلهم مِن هُذَيْل. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٣٨.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

قد تَمَكَّنُوا مِن البلد، فعادوا جميعًا إلى أم القرى، وأخبروا صاحب الترجمة بِمَا جرى، ثم إنَّهم أقاموا أيامًا بالطايف[١]، وأمورهم تزداد في التقوية والارتباط، ومِنْه تَوَجَّهُوا إلى رُهَاط.

فلمَّا عَلِمَ صاحب الترجمة، لا زالت نتايج[٢] المقدمات له مُسَلَّمة، نزل بعُرضيه مِن المَعَابِدَة، وأجرى عليهم مِن البخاشيش صلة وعايدة[٣]، وما زال قرير العين مِمَّا يعاني إلى الثالث عشر مِن جماد الثاني[٤]، فبلغه أنَّهم أقبلوا بالقبايل[٥]، والخيل الجياد الأصايل، وأنَّهم يُقِيمُون بوادي الرَّيان[٦]، يرومون المُلك وطَرْف الزمان عنهم وَسْنَان[٧]، فبرز الشريف بوادي الأبطح، وَتَقَلَّد مِن النصر بعسال وأملح، وأخرج المراجل واستدعى القبايل[٨]، وكُلّ كمي مِن السادات الأشراف كالأسد الصايل[٩]، وفي السادس عشر[١٠] حصلت بينهما ملحمة جَرَّعَهم فيها ناقع الحَمَّة، بعد أنْ انكسرت أولاً قبايل[١١] الشريف وصالت قبايله[١٢]، ولمعت ساعة سيوفه وحمائله، وهزم صفه ذلك الصف، وسكت الرمي ساعة وكف، ودخل بعض عبيده إلى مكة منشرح الصدر، ونزل على بني حسن الهايف، يبشر أهله بالنصر، هذا كُلّه قد حصل وصاحب الترجمة ثابت الجنان،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بالطائف.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: نتائج.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: عائدة.

(٤) ١٣ جمادى الآخرة ١٢٠٤هـ/ ٢٧ فبراير ١٧٩٠م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٦) **وادي الرَّيَّان**: وادٍ يقع شمال شرقي مكة المكرمة، وبه قرية تعرف بذات الاسم، يسكنها الأشراف المُنَاعِمَة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧٤٠.

(٧) **وَسْنَان**: النائم الذي ليسَ بمستغرقٍ في نومهِ. ابن منظور، **لسان العرب**، ١٣/ ٤٤٩.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: القبائل.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الصائل.

(١٠) ١٦ جمادى الآخرة ١٢٠٤هـ/ ٢ مارس ١٧٩٠م.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: قبائل.

(١٢) كذا في الأصل، والصواب: قبائله.

مُتَقَلِّد الحسام ومعتقل السنان، / ق١٤١/ راسٍ على صهوة الطرف كالطود الراسخ، وهيهات أنْ يزعج الريح شُمّ الجبال الشوامخ، حتى سكنت روعة مِن ارتاع، وكشفت يد السعد عن وجه النصر القناع، حمل حملةً واحدةً أمام جيشه، وترك عقل مِن ارتاع في طيشه، فكسرهم كسرة لا تعهد، وقبض على عبد اللَّه وأخيه محمد باليد، فَتَبَدَّد ذلك الجمع وتَشَتَّت، وتكسر طاق الحرب وتَفَتَّت، وتدخل عبيده الأوليا[١] كأبي طالب والمحجوب، وكم رأيت مأسورًا مِنْهم ومسلوب[٢]، فأقاموا ثلاثة أيام في ضريحه متدخلين، ثم أخذ سلاحهم ونفاهم وكانوا نحو الخمسين، وكان في ذلك المحجوب مِن العبيد نحوٌ مِن هذا العدد، وتَفَرَّقوا واحدًا بعد واحد، وأراح اللَّه تعالى مِنْهم البلد.

ثم رتب صاحب الترجمة هذا الترتيب، وترك معانده أسيرًا وسليب[٣]، ونزل مِن المَعَابِدَة وأمر الجنود أنْ ينزلوا بمهماتهم، وأطلق أبناء أخيه يذهبوا[٤] لأمهاتهم وسامحهم وعفى[٥]، ولم يأخذ أحدًا مِنْهم بِمَا هفى، ورتب لهم المصاريف والجوامك، وأجرى عليهم النعم، وصاروا مِنْ جملة الخدم.

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّه لِلمَرْءِ مُسْعِفًا
تَهَيَّأَ لَهُ مِن كُلِّ شَيءٍ مُرَادُهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُن عَوْنٌ مِنْ اللَّه لِلفَتَى
فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[٦]

فاستقرّ الأمر وسكن، والحمد لله على إخماد الفتن، وقد هرب يحيى

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الأولياء.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مسلوبًا.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: سليبًا.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: يذهبون.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: وعفا.
(٦) البيتان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، انظر: المحسن بن علي التنوخي، **الفرج بعد الشدّة**، ١/ ١٧٧؛ الحسين بن محمد الأصفهاني، **محاضرات الأدباء**، ١/ ٥٣٢.

سلتوح إلى ديار حَرْب، ثم إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام، ثم تَوَجَّه إلى دمشق الشام، وزَوَّر عرضًا للدولة ممهور[١]، بطلب المُلك لعبداللَّه بن سرور، ثم تَوَجَّه به إلى إسلامبول، ورفعه إلى الأعتاب العالية، ولم يصادف قبول [٢]، فعاد كصقر الجراد إلى مصر القاهرة، وأقام بها حتى سكن الحافرة.

هذا ما كان مِنْ أمرهما وأمره، فانظر لدهاء هذا الرجل ومكره.

[وصول الخِلْعة السلطانيَّة للشريف]

وفي اليوم السابع والعشرين[٣]، وصل قفطنجي مِن الدولة العليَّة بالقُفْطَان[٤] والخِلْعة السنية، وصحبته فرمان عزيز الشأن، والخطابات لصاحب الترجمة لا زال سامي البنيان، فقروه[٥] / ق١٤٢/ في داره بحضرة السادة الكرام، وكانوا قبل ذلك يقرونه[٦] في المسجد الحرام، فألْبَس أرباب دولته الخِلَع الثمينة، ونادى ثلاثَ ليالٍ بالزينة، فَزَيَّن دكانه العزيز والمَهِين، ومِنْ جملتهم عبد اللَّه بن جعفر كان مُزَيِّن[٧].

[زيارة الشريف لمدينة الطائف]

وفي تسع وعشرين مِن شوال[٨] تَوَجَّه إلى الطايف[٩] بقصد الزيارة، فأقام أيامًا ثم شرف دياره.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ممهورًا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قبولًا.

(٣) ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٠٤هـ/ ١٣ مارس ١٧٩٠م.

(٤) **القُفْطَان**: جمع قَفاطينُ. ثوبٌ فضْفاضٌ مفتوح مِن الأمام، يَضُمّ طرفيه حزام، ويُتَّخذ مِن الحرير أو القطن، وتُلبَس فوقَه الجُبَّة. **المعجم الوسيط**، ص ٧٥١.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: فقرؤوه.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: يقرأونه.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: مُزَيِّنًا، أيّ يعمل في تعليق الزينة في الاحتفالات.

(٨) ٢٩ شوال ١٢٠٤هـ/ ١١ يوليو ١٧٩٠م.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

[صدقة من الهند أرسلها الأمير محمد علي خان]

وفي غاية ذي القعدة[١] وردت صدقة محمد علي خان، كان اللَّه له حيث كان، وجازاه بكل إحسان، فوزعت كما في دفتره على أربابها، وفاز بالأجور وحاز حسن ثوابها، وكانت له ذخيرة إذا نزل بالقبور وثوى بها.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ست مِن ذي الحجة[٢] وصل الحاج الشامي، وأميره إبراهيم باشا[٣] لا زال قدره سامي[٤]، وفي سابعه[٥] وصل الحج المصري، وحجت الناس وقضت المناسك، وحث للرحيل كُلّ زاهد وناسك، فأسرع كما يسرع البرق، وتَوَجَّه على طريق الشرق، ثم تَوَجَّه الحج المصري على الطريق السلطاني حسب معتاده، ووردت الأخبار بوصوله إلى بلاده.

❑ ❑ ❑

---

(١) ٣٠ ذو القعدة ١٢٠٤هـ/ ١٠ أغسطس ١٧٩٠م.

(٢) ٦ ذو الحجة ١٢٠٤هـ/ ١٦ أغسطس ١٧٩٠م.

(٣) **إبراهيم باشا**: والي دمشق، تولَّى الحكم في ١٧ جمادى الآخرة ١٢٠٢هـ/ ٢٣ فبراير ١٧٨٨م، وخرج في الحج ثلاثة مواسم في أعوام: ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، و١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، و١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م. وعُزل عن دمشق في صفر ١٢٠٥هـ/ أكتوبر ١٧٩٠م. صلاح الدين المنجد، **ولاة دمشق**، ص ٨٦-٨٨.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ساميًا.

(٥) ٧ ذو الحجة ١٢٠٤هـ/ ١٧ أغسطس ١٧٩٠م.

[أحداث سنة ١٢٠٥]

وتَمَّ العام ودخل العام الجديد بالمسرة والتجديد سنة ١٢٠٥[١].

[إطلاق الوزير ألماس رمضان من السجن وتعيينه على جدة]

وفي الثامن مِن محرم الحرام[٢]، أُطْلِق الوزير ألماس رمضان مِن الحبس، وظهر كوكب سعده بعد الطالع النحس، وكانت مُدَّة حبسه ثمانية وعشرين شهرًا[٣]، وسيحدث اللَّه تعالى بعد ذلك أمرًا، وفرّج اللَّه تعالى عنه بمحض فضله، وأمره أنْ ينزل إلى جدة مسرعًا لأهله، فما مضي عليه ثلاثون يومًا حتى أفاض عليه خِلْعة الوزارة، وأيْنَع له روض المجد واقتطف أزهاره، ومازال في البَنْدَر له الحل والعقد، والاختيار في اختبار النقد.

[غزوة على الأشراف ذوي حسن سكان الشَّاقَّة]

وفي الشهر المذكور[٤] غزا صاحب الترجمة، لا زالت عقود دولته منظمة، وصَبَّح الأشراف ذوي حسن سكان الشَّاقَّة، وارتكب المهامة والهضاب الشَّاقَّة، لأنَّهم كانوا يقطعون طريق اليمن، ويسلكون غير طريق جدهم الحسن، كم قتلوا مسلمًا ونهبوه، وأتلفوا ضعيفًا وسلبوه، وما زالوا يقطعون طريق المارين، ويمنعون سبيل المسلمين، فظفّره اللَّه تعالى عليهم وأخذ مواشيهم، وقتل مِنْهم وأسر فيهم.

---

(١) عام ١٢٠٥هـ/ ٩ سبتمبر ١٧٩٠ - ٢٩ أغسطس ١٧٩١م.
(٢) ٨ محرم ١٢٠٥هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٩٠م.
(٣) حبس منذ ٢٥ شعبان ١٢٠٣هـ/ ٢٠ مايو ١٧٨٩م حتى ٨ محرم ١٢٠٥هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٩٠م.
(٤) شهر المحرم ١٢٠٥هـ/ ٨ سبتمبر - ٨ أكتوبر ١٧٩٠م

[الشريف يأمر بحفر بئر في الخبت]

وفي الثامن والعشرين مِن ربيع الثاني[١]، خرج للخبت بقصد نزاهة الصيد والقنص، واغتنام اللذات والفرص، وأمر بحفر بئر يشربون مِنْه الفقرا[٢]، لينال ثوابها في الدار الأخرى، فأقام في الخبت شهرًا، ثم عاد إلى وطنه ومَقَرّ مُلْكه وسَكَنه / ق١٤٣/ .

[حريق برج سفح أجياد]

وفي الثاني عشر مِن رمضان[٣] ثارت بطة[٤] بارود على غير المراد، وأحرقت البرج الذي بناه الشريف سرور على سفح أجياد، فاقتلعت البرج مِن أساسه، ووصلت الأحجار إلى المسجد وكانت سبب اندراسه؛ فمات مَن دنا أجله بالحرق، وكان الشريف غايبا[٥] في الشرق، ثم بناه مقدمه يحيى أغاه، فأجاده كما كان وأحسن بناه[٦].

[احتراق بيتين للشريف سرور]

وفي خمس وعشرين مِن رمضان[٧]، احترق بيتان للشريف سرور وأهله ساكنون فيها، وخربت أسافلها وأعاليها، وكان في هذين البيتين مِن عزيز الجواهر ونفايس[٨] الذخاير[٩] ما ليس له أشباه ولا نظاير[١٠]، بل كُلّ ما حواه الشريف سرور أيام دولته إلى

---

(١) ٢٨ ربيع الآخر ١٢٠٥هـ/ ٣ يناير ١٧٩١م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الفقراء.
(٣) ١٢ رمضان ١٢٠٥هـ/ ١٤ مايو ١٧٩١م.
(٤) **بطة**: وعاء مِن جلد كقربة الماء. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٤٠-٤١.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: غائبًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: بناءه.
(٧) ٢٥ رمضان ١٢٠٥هـ/ ١٤ مايو ١٧٩١م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: نفائس.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الذخائر.
(١٠) كذا في الأصل، والصواب: نظائر.

نهاية مُلْكه وصولته، ذهب أكثره شَذَرَ مَذَرَ، وكان عبرة لِمَن اعتبر، فَسُرِقَ بعضُه وحُرِقَ البعضُ بالنار، وبقي النزر الذي فيه تذكرة لأولي الأبصار، وكانوا(١) أولاد الشريف سرور مع عمّهم في الشرق، ولم يحضروا في هذا الحرق.

[أخبار قوافل الحج]

وفي السادس مِن شهر الحجة(٢)، وصل الحج الشامي بجنود كالبحر الطامي، وأميره جزار أحمد باشا، ظالم عن قتل النفوس لا يتحاشى، وتلاه الحج المصري، فخرج لهما صاحب الترجمة بموكبه، ووضع الخِلَع السلطانيَّة على منكبه، ثم نزل بعد الوقوف إلى منى، واقتبس مِن المشاهد المنيرة الثنا(٣)، وتَوَجَّه الشامي في اليوم الرابع والعشرين(٤) على طريق الشرقيَّة إلى طيبة المحميَّة وزيارة خير البرية، وتلاه الحج المصري مِن هذه الطريق وما تلاها، بعد ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس وضحاها.

❑ ❑ ❑

(١) كذا في الأصل، والصواب: وكان.

(٢) ٦ ذو الحجة ١٢٠٥هـ/ ٥ أغسطس ١٧٩١م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الثناء.

(٤) ٢٤ ذو الحجة ١٢٠٥هـ/ ٢٣ أغسطس ١٧٩١م.

[أحداث سنة ١٢٠٦]

ثم دخل العام الجديد والطالع السعيد سنة ١٢٠٦[(١)].

[تنقلات الشريف بين الخبت وجدة ومكة]

ففي اليوم الرابع والعشرين مِن جمادى الأولى[(٢)]، خرج إلى الخبت للنزهة في زمن الخلاعة والصبا، ليصطاد ما سنح له مِن الظبا، وصحب معه مِن الخواص، مَن يتم بهم لذة الاقتناص، فأقام في الخبت مُدَّة ومنه تَوَجَّه إلى جدة.

وفي ثاني رجب[(٣)] الأصم تَوَجَّه لمشاهدة البيت المحرَّم، ثم عاد إلى بندره جدة في الثامن والعشرين مِن شعبان[(٤)]، وصام بها أيامًا مِن رمضان.

[ذكر أخبار الحرب بين الدولة العليَّة والنمسا]

وفي عشرين مِن شوال[(٥)] وصلت زعيمة، أخبرت أنَّ عُرضي الدولة العليَّة - زادها اللَّه تعالى هِمَّة قويَّة - صال على عُرض النمسا[(٦)]، وذاقوا مِن

---

(١) عام ١٢٠٦هـ/ ٣٠ أغسطس ١٧٩١ - ١٧ أغسطس ١٧٩٢م.

(٢) ٢٤ جمادى الأولى ١٢٠٦هـ/ ١٨ يناير ١٧٩٢م.

(٣) ٢ رجب ١٢٠٦هـ/ ٢٤ فبراير ١٧٩٢م.

(٤) ٢٨ شعبان ١٢٠٦هـ/ ٢٠ إبريل ١٧٩٢م.

(٥) ٢٠ شوَّال ١٢٠٦هـ/ ١٠ يونيو ١٧٩٢م.

(٦) **حرب النمسا**: ترجع أسباب هذه الحرب إلى رغبة الروسيا والنمسا في الاستيلاء على ممتلكات العثمانيين؛ فعقد تحالف بين إمبراطورة الروسيا كاترين الثانية Catherine II (١١٧٥-١٢١٢هـ/ ١٧٦٢-١٧٩٦م) وإمبراطور النمسا جوزيف الثاني Joseph II (١١٨٠-١٢٠٤هـ/ ١٧٦٥-١٧٩٠م)، وعرف هذا التحالف بـ"المشروع الإغريقي"؛ وقام على طرد الدولة العثمانية مِن أوروبا وتقاسم أملاكها. وقد نجحت الإمبراطوريتان في =

أيدي المسلمين شدةً وقسا، حتى إنَّ جملة مِن رعاياهم دخلوا تحت الطاعة، وأخذوا المسلمين[١] مِن أراضيهم اثنتين وسبعين ساعة.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سابع شهر الحجة[٢] وصل /ق١٤٤/ حجاج المسلمين مِن الشام، وأميرها أحمد باشا الجزار، جاء على قوة ونظام، ووصل أمير المصري[٣] يوم

= الاستيلاء على العديد من الأراضي العثمانية، وأنزلا بقواتهما هزائم متوالية، ولكن وقعت بعض الأحداث السياسية في غرب أوروبا، حالت دون إتمام التحالف الروسي - النمساوي ضد الدولة العُثمانية، منها وفاة إمبراطور النمسا، وقد خلفه ليوبولد الثاني Leopold II (١٢٠٤-١٢٠٦هـ/ ١٧٩٠-١٧٩٢م)، الذي انشغل في بعض المنازعات الداخلية، وكذلك الوقوف ضد الثورة الفرنسية التي اندلعت عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م، خوفًا مِن امتدادها إلى أراضيه، ولذلك فإنَّ التحالف النمساوي - الروسي تحول نحو فرنسا، فعقدت النمسا معاهدة مع الدولة العثمانية في زستوي Zistovi في ذي الحجة ١٢٠٥هـ/ أغسطس ١٧٩١م، والتي بمقتضاها عادت الدولة العثمانية إلى حدودها التي كانت عليها قبل الحرب، واستعادت جميع المناطق التي فقدتها بِمَا في ذلك بلغراد مع استثناء بعض التعديلات البسيطة على الحدود وبعض الأراضي، وبهذا أدى الصلح إلى الحفاظ على الوضع القائم بين الدولة العثمانية والإمبراطورية النمساوية اللتين لم تتحاربا مرة أخرى حتى عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م. كما عقدت الروسيا مع الدولة العثمانية معاهدة ياش Yas في ١٥ جمادى الأولى ١٢٠٦هـ/ ٩ يناير ١٧٩٢م، التي أنهت الحرب بينهما. انظر: يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج١، ترجمة: عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٦٣٩-٦٤٢. وللمزيد عن العلاقات العثمانية مع النمسا والروسيا انظر: منصور بن معاضه بن سعد العمري، **الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة** (١١٢١-١٢٢٠هـ/ ١٧٠٩-١٨٠٥م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ١٦٦-١٨٠، ٢٠٥-٢١٢؛ إيمان علاء الدين إبراهيم صائغ، **العلاقات العثمانية النمساوية** (١٢١٩-١٢٨٤هـ/ ١٨٠٤-١٨٦٨م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ٤١-٤٦.

(١) كذا في الأصل، والصواب: أخذ المسلمون؛ أيّ استولى العثمانيون على جزء مِن أراضيهم.

(٢) ٧ ذو الحجة ١٢٠٦هـ/ ٢٦ يوليو ١٧٩٢م.

(٣) كان أمير الحج عثمان بيك طبل الإسماعيلي، وهو مِن مماليك إسماعيل بيك. خرج=

الاثنين، فقابلهما صاحب الترجمة ولبس الخِلْعتين، ولمَّا قضت المناسك حجاج المسلمين، وتملوا مِن هذا البلد الأمين، تَوَجَّهوا في حفظ اللَّه المعين في اليوم الثاني والعشرين(١) لزيارة سيد المرسلين، صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

□ □ □

= أميرًا للحج المصري في عامي ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م، و١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، وفي العام الأخير تعرَّضت قافلة الحج لهجوم العُربان في مغاير شعيب (مدين)، وجُرِحَ عثمان بيك، وَفَرَّ إلى غزة، ثم رجع إلى القاهرة بعد أنْ حصل على الأمان، فأهمل أمره، ولمَّا جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، خرج إلى الشام، وظَلَّ هناك حتى وفاته بالطاعون عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٧٦-٢٧٧؛ أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي، **مختصر حسن الصفا والإبتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج**، تحقيق: محمد بن ناصر الخزيم ومحمد بن سيد أحمد التمساحي، دار زهراء الشرق ودار القاهرة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٨٣-٣٨٤.

(١) ٢٢ ذو الحجة ١٢٠٦هـ/ ١٠ أغسطس ١٧٩٢م.

[أحداث سنة ١٢٠٧]

وانقضى العام بحمد اللَّه على التمام، ودخل العام الجديد بالمسرة والتجديد سنة ١٢٠٧[١].

[زيارة الشريف غالب لمسجد النبي ﷺ والسيدة ميمونة]

وفي اليوم الثالث والعشرين مِن محرم الحرام[٢]، تَوَجَّه صاحب الترجمة لزيارة خير الأنام، ونال بقربه أقصى المرام، فأقام شهر[٣] إلا ثلاثة أيام ثم قضى شئونه، وقصد مِنْه زيارة السيدة مَيْمُونَة[٤].

[وفاة الشيخ عبد الرحمن القبائي المدني]

وفي عشرين من محرم[٥] توفي الوجيه عبد الرحمن القبائي المدني،

---

(١) عام ١٢٠٧هـ/ ١٨ أغسطس ١٧٩٢ - ٧ اغسطس ١٧٩٣م.

(٢) ٢٣ محرم ١٢٠٧هـ/ ٩ سبتمبر ١٧٩٢م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شهرًا.

(٤) **السيدة ميمونة**: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية. آخر امرأة تزوَّجها الرسول ﷺ في عمرة القضاء في ذي القعدة ٧هـ/ مارس ٦٢٩م، وبنى بها في سَرِف شمال غربي مكة حاليًا، كان اسمها بَرَّة فسمّاها الرسول ميمونة، رُوي عنها ثلاثة عشر حديثًا. توفيت بعد أدائها فريضة الحج، ودفنت في سَرِف عام ٥١هـ/ ٦٧١م، وقد بلغت مِن العمر ثمانين أو إحدى وثمانين سنة، وقد أُقيم وقتئذ على قبرها قبة، فصارت مِن مزارات الحجاج في مكة المكرمة، وقبرها معروف إلى يومنا، يقع في حي النوارية على يمين الداخل إلى مكة المكرمة. محب الدين أحمد بن عبد اللَّه الطبري، **السمطُ الثمين في مناقب أمهات المؤمنين**، تحقيق: محمد علي قطب، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٨٩-١٩٣؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٠٥-٨٠٧.

(٥) ٢٠ محرم ١٢٠٧هـ/ ٦ سبتمبر ١٧٩٢م.

أمَدَّنا اللَّه تعالى بمدده السني، كان عارفًا مِن كُمَّل الرجال، وبطلاً مِن العارفين الأبطال، وصاحب كشف وأسرار، وخوارق أجلى مِن بياض النهار، وذكره الشرنوبي في «طبقات العارفين»[١]، عاش مِن العمر إلى حدود الثمانين ودُفِنَ بالمَعْلا بالقبة التي تجاه البحر الرابي سيدي عُمر العرابي[٢].

[ترميم بركة الشَّامِي والمِصْري]

وفي غُرَّة ربيع الثاني[٣] سرحوا المُعَلِّمين في ترميم بركة الشامي والمصري، وملوها[٤] مِن العين، وأصلحوا ما فيها مِن الخراب ونقلوا الرماد، وكان الصرف مِن مال أحمد باشا الجزار.

[خروج الشريف إلى متنزه الخبت]

وفي الثالث والعشرين مِن هذا الشهر[٥]، خرج صاحب الترجمة إلى الخبت للتنزه والصيد، فأقام به رويد[٦]، ثم فاز بالسرى إلى أم القرى.

---

(١) يبدو أنَّه وقع سهو من مؤرخنا في ذكر المصدر الذي استقى منه معلوماته؛ لأنّ الشرنوبي المذكور هو أحمد بن عثمان بن أحمد بن علي الشرنوبي المصري من أهل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي (٩٣١-٩٩٤هـ/ ١٥٢٤-١٥٨٦م)، وكتابه «طبقات العارفين» رسالة في مناقب الأقطاب الأربعة للصوفية، طبع في القاهرة عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م في (٤٨ صفحة)، انظر: إدوارد كرنيليوس فانديك، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع: أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية**، صححه وزاد عليه: محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م، ص ١٠٩؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ١/ ١٦٧.

(٢) **عمر العرابي**: أحد أئمة الصوفية في مكة المكرمة، وكان قبره أحد المزارات الدينية التي يزورها الناس، وذكرته بعض المصادر بأنه عمر العربي، ولم أقف على ترجمة له. انظر: سامح إبراهيم عبد العزيز، **الظواهر الطبيعية في مكة المكرمة**، ص ٢٤٧.

(٣) غُرَّة ربيع الآخر ١٢٠٧هـ/ ١٥ نوفمبر ١٧٩٢م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ملؤوها.

(٥) ٢٣ ربيع الآخر ١٢٠٧هـ/ ٧ ديسمبر ١٧٩٢م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: رويدًا.

[صدقة مِن الهند مِن الأمير محمد علي خان]

وفي غاية جمادى الأولى[١]، أرسل محمد علي خان صاحب الخيرات، ومُجْرِي مبرات الصِّلَات، اثني عشر تنور[٢] مِن صافي البلور، وأمر أنْ يضعوا في كُلّ مقام مِنْها اثنتين، وتُسرج بالشمع الكافوري بين العشائين، واثنتين على عتبة البيت الحرام، واثنتين تعلق بمقام الخليل، عليه وعلى نبينا افضل الصلاة وأزكى السلام، تقبَّل اللَّه تعالى إحسانه، ووفَّقَه للخير وأعانه.

[وقوع خلاف بين الكواخي ووزير الشريف في المدينة المنورة]

وفي السابع عشر مِن شعبان[٣] ورد الخبر مِن مدينة سيد ولد عدنان، بأنَّه وقع خُلْفٌ بين وزير الشريف والكواخي، واشْتَدّ الأمر بعد أنْ كان متراخي[٤]؛ فخشي - أطال اللَّه تعالى بقاه[٥] - اتساع الفتنة، وداعي المشقة والمحنة، فأرسَل / ق١٤٥/ السيد ناصر بن مستور، ينظر في عواقب الأمُور، فجمع كلا الفريقين وأصلح ذات البَيْن.

[صدقة عظيمة مِن الهند مِن الأمير محمد علي خان]

ولثمان خلون مِن شعبان[٦]، وصلت صدقة عظيمة مِن محمد علي خان، وما زال يحسن بها على أهل مكة والمدينة، ما ينوف عن عشرين سنة، ويرجو بها مِن اللَّه حسنة، إلى أنْ تُوفي رحمة اللَّه تعالى عليه، وسيجدها نورًا يوم القيامة تسعى بين يديه، فوزعتها وَزَعَتَه بين أربابها، ودخل كُلّ مُستحق مِن بابها، وحاز مُجريها جزيل الثواب مِن الملك الوهاب.

---

(١) ٣٠ جمادى الأولى ١٢٠٧هـ/ ١٢ يناير ١٧٩٣م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: تنورًا.
(٣) ١٧ شعبان ١٢٠٧هـ/ ٢٩ مارس ١٧٩٣م.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: متراخيًا.
(٥) كذا في يالأصل والصواب: بقاءه.
(٦) ٨ شعبان ١٢٠٧هـ/ ٢٠ مارس ١٧٩٣م.

[الشريف في بَنْدَر جدة]

وفي غاية شعبان(١) تَوَجَّه مولانا الشريف - لا زال بعين اللَّه تعالى منظور(٢) - إلى بَنْدَر جدة المعمور، فأقام بها اثنين وعشرين يومًا، ثم نادى بالرحيل مناديه، وفي الثالث والعشرين(٣) وصل إلى ناديه.

[خلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة المنورة]

وفي رابع شوال(٤) ورد خبر أنَّ بين شيخ الحرم وأهل المدينة اختلاف(٥) وعدم ايتلاف(٦)، وطال بينهم الشقاق وعدم الاتفاق، فأرسل كتابًا صاحبُ الترجمة للسيد ناصر بن مستور أنْ يوفق بين شيخ الحرم وأهل المدينة، وأنَّه لا يدع الفتنة تطول بينهما وتمتد، فدخل بالصلح بين كُلّ فريق، والحمد لله تعالى على التوفيق.

[مُراسلة الباب العالي لطلب المعونة لقتال السلفيين]

وفي السادس عشر مِن الشهر(٧) المذكور أرسل مراسيله صاحب الشرافة إلى الأعتاب السلطانيَّة - لا زالت آمنة محميَّة - وأنهى إليهم أمر الشقي عبد العزيز بن سعود، وما أفسد في التهايم(٨) والنجود، وما وقع بين أهل المدينة مِن الأفعال المشينة، وكتب لهم المراسيم وتَوَجَّهُوا في حفظ الكريم، وهم: السيد مبارك بن محمد بن مساعد(٩)، والسيد محسن

---

(١) ٢٩ شعبان ١٢٠٧هـ/ ١٠ إبريل ١٧٩٣م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: منظورًا.
(٣) ٢٣ رمضان ١٢٠٧هـ/ ٣ مايو ١٧٩٣م.
(٤) ٤ شوَّال ١٢٠٧هـ/ ١٤ مايو ١٧٩٣م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: اختلافًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: ائتلاف.
(٧) ١٦ شوَّال ١٢٠٧هـ/ ٢٦ مايو ١٧٩٣م.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: التهائم.
(٩) **السيد مبارك بن محمد**: مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد النموي، أحد القادة العسكريين في عهد الشريف غالب، أرسل في وفدٍ إلى الباب العالي عام ١٢٠٧هـ/ =

ابن عبد اللَّه الحمودي، والسيد حسين مُفتي المالكيَّة، وحسن آغات الجوخدارية، فتَوَجَّهوا لذلك المرام، وعاد السيد حسين بعد ثمانية أيام لوجع اعتراه فعاد لمقتضاه.

[وصول قُفْطَان للشريف مِن الدولة العليَّة]

وفي شهر القعدة(١) وصل رسول مِن الدولة العليَّة إلى مكة البهيَّة، ومعه قُفْطَان لصاحب الترجمة - لا زالت عقود أيامه منظمة - فلبسه مَعْدِن الشرافة، كما كان يلبس أسلافهُ.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سابع ذي الحجة الحرام(٢)، وصل الحاج الشامي وأميره أحمد باشا الجزار، ووصل الحاج المصري(٣) في يومه ضحوة النهار، ففاز ذو الشرافتين بلبس الخِلْعتين، وحجت الحجاج، وتَوَجَّهت مع جميع الفجاج، وسافر المحملان قواصد سيد ولد عدنان / ق١٤٦/ .

= ١٧٩٣م لطلب المساعدة ضد الوهابيين، وأمَّره على جيش في ٢٥ ربيع الآخر ١٢١٢هـ/ ١٦ أكتوبر ١٧٩٧م لقتال بعض قبائل حرب، وشارك مع الشريف غالب في موقعة الخُرمة شعبان ١٢١٢هـ/ يناير ١٧٩٨ ضد الوهابيين، والتي مني فيها الشريف بخسائر فادحة - كما سيأتي ذكره - واضطر على أثرها إلى عقد الصلح مع الوهابيين عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٦٦، ٢٦٧؛ أحمد ضياء العنقاوي، **أعلام الأشراف**، ٣/ ٢٦.

(١) شهر ذي القعدة ١٢٠٧هـ/ ٩ يونيو - ٧ يوليو ١٧٩٣م.

(٢) ٧ ذو الحجة ١٢٠٧هـ/ ١٥ يوليو ١٧٩٣م.

(٣) كان أمير الحج المصري عثمان بيك طبل الإسماعيلي - المذكور سابقًا - خرج بالمحمل في شوال ١٢٠٧هـ/ مايو ١٧٩٣م، وفي أثناء عودته خرجت عليهم العُربان عن مغاير شعيب، قرب العقبة، وقاتلهم فَجُرِحَ وضرب بثلاث رصاصات، ثم اتجه إلى غزة خوفًا مِن القدوم إلى مصر، وعاد الحجاج إلى القاهرة في صفر ١٢٠٨هـ/ سبتمبر ١٧٩٣م، ثم عاد عثمان بيك بعد أنْ حصل على الأمان في جمادى الأولى/ ديسمبر مِن العام المذكور. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٣٧٨-٣٨٠، ٣/ ٢٧٦-٢٧٧؛ أحمد الحضراوي، **مختصر حُسْن الصفا**، ص ٢٨٣-٢٨٤.

[أحداث سنة ١٢٠٨]

وتم العام بالسرور والإنْعَام، ودخل العام الجديد بالمسرة والتجديد سنة ١٢٠٨[١].

[زيارة الشريف إلى الطائف]

وفي رابع عشر محرم الحرام[٢]، أرسل صاحب الترجمة عياله إلى الطايف[٣]؛ فرارًا مِن الحر[٤] الزمن الصايف[٥]. وفي السابع عشر[٦] مِنْه تَوَجَّه بنفسه وأدركهم في الطريق، وشاهدوا السلامة مِن واد العقيق، فأنزلهم في قرية السَّلاَمَة[٧]، لكونها في وجنة الرياض شامة، فأقام إلى الثالث والعشرين مِن ربيع، وهو في ظلّ عيش مريع، ثم عاد إلى حما الحرم، وفاز باستلام الحجر المكرم.

[إخراج عمر بلح وصالح نصيف مِن بَنْدَر جدة]

وفي هذا الشهر المذكور، أخرج عمر بلح وصالح نصيف مِن جدة، وطهَّر اللَّه تعالى مِنْهما تلك البلدة، فإنَّهما إكْسير الفساد، وأفجر مِن ثمود

(١) عام ١٢٠٨هـ/ ٨ أغسطس ١٧٩٣ - ٢٧ يوليو ١٧٩٤م.

(٢) ٤ محرم ١٢٠٨هـ/ ١١ أغسطس ١٧٩٣م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: حر.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: الصائف.

(٦) ١٧ محرم ١٢٠٨هـ/ ٢٤ أغسطس ١٧٩٣م.

(٧) **قرية السَّلاَمَة**: من قرى الطائف الجنوبية، بها مسجد للنبي ﷺ وفي جانبه قُبَّة فيها قبر عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما وجماعة من أولاده، ومشهد للصحابة رضي الله عنهم وقد وسِّع مسجد ابن عباس حاليًا. انظر: عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٨٢٥.

وعاد، وظالمين[1] وأيّ ظالمين، وكُلّ مِنْهما نجس العين، نقل لي عَمَّن سَمِع مِنْهما أنَّ أحدهما يقول: لو يعلم فيه شعرة تدخل الجنة لقطعها ورماها، وفي هذا القدر كفاية لأشقاها، ولولا اعتقد أنَّ مكة كالكير تنفي الخبث، لاستشأمه دخول هذا الحَدث، فانظر إلى هذا الزنديق كيف يتكبر مِن رحمة اللَّه، وييأس مِن روح اللَّه.

[وصول الخواجة محمود مُحَرَّم]

وفي شهر جماد وصل الخواجة محمود مُحَرَّم[2]، ودخل حالًا إلى البيت المحرّم، فأضافه صاحب الترجمة ثلاثة أيام، وأكرمه غاية الإكرام، وأنزله في داره وعرف بحقّ مقداره، وفعل له ما يفعل بالضيف إذا قام، ونزل بساحة الكِرَام.

[القبض على بعض الأشراف وسجنهم]

وفي رابع جماد قبض على السيد عبد اللَّه بن الشريف سرور، وسجنه في دار أبيه التي في سفح أجياد، لما بلغه أنَّه يسعى بين مراجله بالإفساد، فمكث في الحبس أربعة أشهر لهذا السبب. وفي ثاني شوَّال[3] كسر شباكًا وتدلَّى بحبل وهرب. وفيه قبض على مقدمه يحيى أغا مهتار ووزيره الأغا سعيد، وسجنهما في الخشب والحديد، وبعد ثلاثة أيام قبض على ابني عمّه السيد حمود والسيد حسين أبناء الشريف أحمد بن سعيد، وأرسلهم إلى جدة وسجنهم في حبسها مُدَّة مِن الزمن، ثم سفرهم إلى اليمن، ومات بها السيد حسين وسكن اللحود،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: ظالمون.

(٢) **الخواجة محمود مُحَرَّم**: ولد في القاهرة، وكان والده مِن أشهر تجارها، فنشأ في عز ورفاهية، ثم اشتغل مع والده في التجارة، وعرف بالصدق والأمانة؛ "فاشتهر ذكره، ونما أمره، وشاع خبره بالديار المصرية والحجازية والشامية والرومية"، وقد ذهب إلى مكة المكرمة عن طريق البحر لأداء فريضة الحج عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، وفي أثناء عودته في صحبة أمير الحج عثمان بيك الشرقاوي، تعرضت القافلة للعُطَاش، فقضي عليه فيها، ودُفِنَ في الخيوف. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ١/ ٣٨٥-٣٨٧.

(٣) ٢ شوَّال ١٢٠٨هـ/ ٢ مايو ١٧٩٤م.

وعاد إلى مكة يحيي أغا والسيد حمود، وسَفّر ثلاثة عشر مِن أغوات الخزنة مِن عبيد أخيه / ق١٤٧/ الشريف سرور، لإصلاح أمور الجمهور، وقد جرت العادة في الملوك أنَّهم لا يسمحوا[1] عَمَّن قدح في الْمُلك بفساد، ولو كان مِن أعَزّ الأولاد، كما قيل شعرًا:

إنَّ الْـمـلـوك لَـتَـعْـفُـو عِـنْـد قُـدرتِـهَـا إلَّا ثَـلاثَـا فَـعَـنـهَـا الـعَـفْـو قَـد نَـزحَـا

هَـتْـك الْـحَـرِيـمِ وَإفـشـاء لـسِـرهـمُ وَالْـقَـدح فِـي الْـمُـلـك مِـمَّـن جَـدّ أوْ مَـزحَـا

[الشريف يتنزه في الخبت ويزور جدة]

وفي غاية هذا الشهر ركب صاحب الترجمة معقودة مِن خيله الجِياد، وتَوَجَّه إلى الخبت لأجل التنزه والاصطياد، فأقام به مُدَّة ثم تَوَجَّه إلى جدة، ثم ارتحل مِنْها وعاد إلى عامر، ليقتنص ما سنح له مِن غزلانه النوافر، ثم بعد انقضاء المرام تَوَجَّه إلى حما البيت الحرام.

[وقوع سيل عظيم في مكة]

وفي غُرَّة شعبان[2] غيَّمت السماء مِن جميع الأقطار، وهمت السحب بغيث مدرار في ثلاث ساعات مِن النهار، وعصف الريح فأزجى سحابًا، وفُتِحَتْ السماء فكانت أبوابًا، وابتسم البرق يمنًا وشام[3]، وقهقه الرعد لبكاء الغَمَام، فأسفر الأمر عن مطرٍ شديدٍ كأفواه القرب، واستمرّ إلى أربع ساعات على هذا الصبب، فَجَلَّ السيل حتى كادت الأرض بالماء

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: يسمحون.

(٢) غُرَّة شعبان ١٢٠٨هـ/ ٣ مارس ١٧٩٤م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: شامًا.

تغور، وعلا على الهضاب والشعاب وفار التنور، ثم انفجر السد الذي عند جبل النور[١]، وخلط سيلُ الزاهر هذا السيل المذكور، فزاد الحال، واشْتَدّ الكرب ومال، وكم هرب شخص إلى جبل شامخ ليعتصم، و﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[٢]، ودخل البيت الحرام حتى امتلى[٣]، ووصل إلى رديف باب الكعبة الأعلى، وهدم أعلى بيوت الشوارع التي على الطريق، وكم جرّ شخصًا فيه غريق[٤]، وانهدمت دكاكين الأسواق وأتلف ما فيها مِن البضايع[٥]، ولا دافع لتقدير اللَّه تعالى ولا مانع، ومات في ذلك السيل نحو الأربعين[٦]، فعليهم رحمة رب العالمين.

وبعد أيام نادى صاحب الترجمة على الخاص والعام، بإخراج الدمار مِن المسجد الحرام، فاستمرُّوا ينقلونه ليلاً ونهارًا نحو شهر، ولم يبتغوا مِن الأُجْرَة غير الأجْر، ومِن أغرب ما سمعناه أنَّ كُلّ مَن وصل إلى البلدان / ق١٤٨/ ذكر أنَّ هذا اليوم جاهم[٧] مثل يوم الطوفان.

---

(١) **جبل النُّوْر**: هو جبل حِرَاء. يقع بين الحرم المكي ومنى، وسُمِّي بهذا الاسم لظهور أنوار النبوة فيه، حيث كان النبي ﷺ يخلو فيه ليعبد اللَّه قبل البعثة في غار حِرَاء، الذي بدأ فيه الوحي، ونزلت سُورة العلق، أوَّل سُورة مِن القرآن الكريم. وبسفحه الجنوبي كانت توجد عين الزعفران؛ وهي مِن العيون التي أجرتها السيدة زُبيدة إلى مكة. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٢/ ٩١٢-٩١٥؛ عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٢٦-٤٢٨.

(٢) القرآن الكريم، **سورة هود**، جزء مِن آية ٤٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: امتلأ.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: غريقًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: البضائع.

(٦) أوقع هذا السيل كثيرًا مِن الدمار، ولذلك رفع الشريف غالب على الفور رسالة إلى السلطان العثماني، يعلمه بتفاصيل الأمر، ويطلب الأموال لعمل الترميمات اللازمة، وإزالة الخراب الذي خلَّفه السيل، وقد بيَّنت الاجراءات التي اتخذها الباب العالي لحلّ هذه المشكلة مدى الاهتمام الذي أولاه للعناية والحفاظ على الحرمين الشريفين. **الأرشيف العثماني**، HH.١٠٧١٧، قام بنشر الوثيقة وترجمتها: سهيل صابان، **"مكة المكرمة في بعض الوثائق العثمانية"**، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج١٢، ع١، فبراير ٢٠٠٦م، الرياض، ص ٢١٩-٢٢١. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٣).

(٧) كذا في الأصل، والصواب: جاءهم.

[ولاية يوسف باشا على جدة]

وفي الخامس والعشرين مِن شعبان[١]، وصل إلى جدة واليها وشيخ الحرم المُحترم، الوزير الأعظم، والصدر الرحيب الأفخم، عالي المقام يوسف باشا[٢]، وزير الختام، فاستقرّ في جدة على عادة أسلافه الوزرا[٣]، وأبرز المنشور السلطاني للأعيان ليقرا[٤]، وبعد أسبوع أرسل سلحداره لصاحب الترجمة بهدية منظمة، فتلقاها بالقبول وأكرم الرسول، وعاد بجزيل الوفر مشمول[٥]، وأصحبه كتابًا بتهنية[٦] الوصول.

[يوسف باشا يزور مكة، ويأمر بتعمير عَيْن زُبَيْدَة]

وفي سابع عشر مِن شهر رمضان[٧] وصل إلى مكة بنفسه لزيارة الحرم، ومعه نحو سبعين مِن الخدم، فأنزله صاحب الترجمة في مدرسة تجاه البيت الحرام، وقابله بِمَا يليق له مِن الإكرام، وتَوَجَّه إليه بعد صلاة الجمعة ليهنيه[٨] بالقدوم، ويلتمس مِنْه قضاء مطالبه التي يروم، وفي

---

(١) ٢٥ شعبان ١٢٠٨هـ/ ٢٧ مارس ١٧٩٤م.

(٢) **يوسف باشا**: مِن أشهر القادة العسكريين العثمانيين، وقد تولى الصدارة العظمى، ولمَّا عزل طلب مِن السلطان أنْ يوليه على ولاية جدة، فأظهر اهتمامًا بالغًا بالحرمين الشريفين، ونشر الأمن بين ربوعهما، وكان يختلف مع الشريف غالب في التعامل مع الوهابيين، وقد وقعت مراسلات بينه وبين الأَمِير عبد العزيز بن محمد بن سعود، أقنعه خلالها على ضرورة إرسال مندوبٍ من لدنه إلى إستانبول، ولذلك كان الشريف غالب حانقًا على يوسف باشا، وقد توفي عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م. محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع**، ٢/ ٣٥٧-٣٦٨؛ سهيل صابان، «**وثيقتان عثمانيتان حول الاتصالات بين الإمام عبد العزيز ابن محمد بن سعود والسلطان العثماني سليم الثالث**»، مجلة الدارة، الرياض، مج ٣٢، ع٢، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م، ص١٩٥ وما بعدها. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٤).

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الوزراء.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: لِيُقْرَأ.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مشمولًا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: بتهنئة.

(٧) ١٧ رمضان ١٢٠٨هـ/ ١٧ إبريل ١٧٩٣م.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: ليهنئه.

اليوم الثاني تَوَجَّه هو لبيت مولانا الشريف، وأقام عنده ساعة زمانية، وقَدَّم له خنجرًا مرصَّعًا بالجواهر هدية، فقابله الشريف بثلاثة روس[١] مِن الخيل المُسَوَّمَة، ومِنْها حِصان مَرَخَّت[٢] جعله تقدمة، ثم بعد يومين عاد إليه مولانا الشريف، وذاكره في تعمير المسجد الشريف، وتعمير عين زبيدة، وإصلاح الخراب الذي حدث فيها مِن السيل الذي عَمَّ أطراف مكة، وأخربها مِن كُلّ ناحية وسكة.

وكان مجيء هذا السيل جنح ليل، وكانت ليلة العاشر مِن رمضان[٣]، فأخرب عين الحُسَيْنِيَّة والعَابِدِيَّة وما حولها مِن البلدان، فما خرج مِن عنده حتى أمر بعمارة العين، وقال له: على الراس[٤] والعين، وكذا أمر بعمارة المسجد الحرام، وأذعن أنْ يقوم بها أحسن قيام، وأشار لخادمه فانبرى في الأثر، وقَدَّم له حِصانًا مَرَخَّتًا، وسيفًا مجوهر[٥]، وساعة مُرَصَّعَة بالألماس تخطف بأبصار الجلاس، وتَوَجَّه مِن وقته إلى جدة.

[ذكر اعتداء ذئب على أهل مكة]

وفي ليلة الثالث عشر مِن رمضان[٦] دخل مكة ديب[٧] مستغلس، وشوهد بالعين ونهش في المَعَابِدَة شخصين، ثم دخل المسجد الحرام وحام حول المقام، وتَوَجَّه مُسْرِعًا وما أقام، وعاد إلى المعلا ودخل بيت رجل مغربي فنهشه بعد نهش بنته، /ق١٤٩/ فماتت البنت والرجل

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رءوس.

(٢) مَرَخَّت: أصلها مِن الفارسية رَخَّت، وهي كلمة لها معانٍ كثيرة، وتعني هنا: طقم الحصان وعدة لجامه، فيقال: حصان مرَخَّت، أي مطهم تطهيمة عالية. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١١٣؛ مصطفى الخطيب، **معجم المصطلحات**، ص ٢٠٨.

(٣) رمضان ١٢٠٨هـ/ إبريل ١٧٩٤م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الرأس.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: مجوهرًا.

(٦) رمضان ١٢٠٨هـ/ إبريل ١٧٩٤م.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: ذئب.

لوقته، ثم إنَّ مغربيًّا آخر ضربه بالسيف ضربة قويَّة؛ فقتله ودفن تجاه حارة السليمانيَّة.

[الشريف يتابع أعمال إصلاح عَيْن زُبَيْدَة]

وفي سادس عشر شوَّال[1] تَوَجَّه حضرة مولانا الشريف إلى وادي نَعْمَان، لينظر ما صنعه المُعَلِّمُون في العَيْن مِن البنْيَان، فما وجد مِن الفَعلة والمُعَلِّمين إلا النزر القليل، وعلم بهذه القلة يستديم الشغل ويستطيل، فاقتضى نظره العالي لا زال شامل[2] أنْ يسرحوا للعين أربعماية[3] عامل، فسرحوا فيها وظهر العزم والاجتهاد، وعَمَّا قريب يحصل بعون اللَّه تعالى المراد.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ثلاثة مِن ذي الحجة[4] وصل الوزير الأعظم إلى مكة بقصد الحج، وأقبل حجاج المسلمين مِن كُلّ فج، وفي سابعه[5] وصل الحاج الشامي، وكان أميره الغشوم الجبار أحمد باشا الجزار، وفي آخر النهار وصل الحج المصري[6]، ولبس صاحب الترجمة الخِلْعتين مِن الأميرين.

---

(١) ١٦ شوَّال ١٢٠٨هـ/ ١٦ مايو ١٧٩٤م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: شاملًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أربعمائة.

(٤) ٣ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ أوَّل يوليو ١٧٩٤م.

(٥) ٧ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ ٥ يوليو ١٧٩٤م.

(٦) كان أمير الحج المصري عثمان بيك الشرقاوي، مِن مماليك محمد بيك أبو الذهب، وقد عرف بالشرقاوي لأنَّه تولى إقليم الشرقية، وقد خرج أميرًا للحج في عامي ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م، و١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م. وحج العام الأخير ذكره مؤرخنا ابن عبد الشكور كما سيأتي ذكره. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٣٨٦، ٣/ ٢٧٧-٢٧٨. وقد ذكر الحضراوي خطأً أنَّ أمير الحج كان حسن كاشِف المِعْمَار، ويبدو أنَّه قد اختلط عليه الأمر، لأنَّ الأمير حسنًا المِعْمَار خرج في صحبة قافلة الحج لعام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م، وليس أميرًا عليها، وقد تعرضت القافلة لهجوم العُربان - كما تمت الإشارة - ومات الأمير المذكور فيها، ودُفِنَ في مغاير شعيب (مدين)، ثم أحضر رفاته إلى القاهرة، ودُفِنَ فيها. =

[إرسال الدولة العليَّة كسوة الكعبة الداخليَّة]

وفي موسم هذا العام أرسلت الدولة العليَّة كسوة البيت الداخلية[(١)]، كساها اللَّه تعالى ثوب العزّ والمهابة، ورزقها الفوز وحسن الإنابة، وطلعت الناس في اليوم الثامن[(٢)] إلى عرفة وأحرمت الحجاج مِن مكة المشرفة فلم يصيبوا بها ماء لانقطاع العين، وضجّت الناس مِن العَطَش، وقلق الفقيرُ والضعيف اندهش، والسبب في ذلك عدم إصلاح العين إلى هذه المُدَّة، التي أمر بعمارتها يوسف باشا والي جدة، واسْتَقَى مِن عين الحُسَيْنِيَّة والعَابِدِيَّة جميع الوارد، وبيع الماء بزيادة عن الثمن المعتاد، وتصَدَّق بعض الناس ثوابًا وأجر[(٣)]، وذخيرة يوم العَطَش الأكبر، وما زال الخير في أُمَّة المظلّل بالغَمَامة إلى يوم القيامة، ووقف الناس إلى وقت الغروب، وتَوَجَّهوا مغفورين[(٤)] الذنوب، وبلغوا المنى برمي الجمرات، وطافوا بالإفاضة ساكبين[(٥)] [العبرات][(٦)].

وفي الثاني والعشرين مِن الشهر[(٧)] تَوَجَّه الحج الشامي مِن طريق الشرقيَّة،

= أحمد الحضراوي، **مختصر حُسْن الصفا**، ص ٢٨٤ ثم قارن مع: عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٢/ ٣٧٩، ٣٨٧-٣٨٨.

(١) **كسوة البيت الداخلية**: كان للكعبة المشرفة كسوة داخلية، ولكن هذه الكسوة لم يكن يتم استبدالها كل عام مثل الكسوة الخارجية، لأنَّ عوامل التلف لا تنالها، وكان يتم تصنيعها في إستانبول مُنذ أمر بذلك السلطان أحمد الثالث (١١١٥-١١٤٣هـ/ ١٧٠٣-١٧٣٠م) في عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م، وقد ظلّ الأمر على ذلك حتى نهاية العصر العثماني في الحجاز، وأمَّا عن هيئة هذه الكسوة، فهناك ذكر للكسوة التي أرسلها السلطان عبد العزيز الأوَّل (١٢٧٧-١٢٩٣هـ/ ١٨٦١-١٨٧٦م)، في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م، وكانت تغطي سقف الكعبة وحوائطها، وهي مِن الحرير الوردي، وعليها مربعات مكتوب فيها «اللَّه جلّ جلاله». محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٣/ ٥٨١-٥٨٤؛ محمد فهيم بيومي، **مخصصات الحرمين الشريفين**، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) ٨ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ ٦ يوليو ١٧٩٤م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: أجرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مغفوري.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سَاكِبي.

(٦) وردت في الأصل (العربات)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١١٠.

(٧) ٢٢ ذو الحجة ١٢٠٨هـ/ ٢٠ يوليو ١٧٩٤م.

وتلاه المصري قواصد خير البرية، وتَوَجَّه صحبته الوزير الأعظم والصدر الأفخم يوسف باشا محافظًا للمدينة المنوَّرة، بحسب الفرامين المسطّرة، وأبقى كَتْخُداه بالبَنْدَر المعمور لمباشرة تحصيل العشور. وتَمَّت السنة الثامنة، والناس بحمد اللَّه تعالى آمنة / ق١٥٠/ .

□ □ □

[أحداث سنة ١٢٠٩]

[الشريف يزور الطائف]

وفي سبع مِن شهر محرم سنة ١٢٠٩[١] أرسل صاحب الترجمة حريمه إلى الطايف[٢] لا زال حظه نايف[٣]، وتلاهم بعد ثمانية أيام، وأقام بساحة ذلك المقام.

[تعرض قافلة الحج المصري للعطش واعتداء العربان]

وفي خامس شهر صفر[٤] ورد تحقيق الخبر بأنَّ الحاج المصري سلك طريق الدّورة من أشار عليه تلك الشورة، وحصل عليهم عَطَش عظيم مات فيه كثيرون، ونزل عليه العُربان فانتهبت الباقون، ومات فيهم الخواجا محمود مُحَرَّم، ونهبت أمواله وهو مُحرم.

[أسعار صرف النقود]

وفي تاسع عشر[٥] مِن ربيع وصل علي بلح مِن الطايف[٦]، وسعّر المشخص سبعة غروش، والريال بأربعة، والديواني الكبير بصغير، وسلكت في أيدي الناس على هذا التسعير.

---

(١) ٧ محرم ١٢٠٩هـ/ ٣ أغسطس ١٧٩٤م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: نائفًا.
(٤) ٥ صفر ١٢٠٩هـ/ ٣١ أغسطس ١٧٩٤م.
(٥) ١٩ ربيع الأول ١٢٠٩هـ/ ١٣ أكتوبر ١٧٩٤م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

[يوسف باشا والي جدة يطلع على أمر السلفيين]

وفي واحد وعشرين مِن ربيع[١]، وصل الشيخ سليمان المقدم مِن الطايف[٢]، لا زال مرسله آمنًا مِن المخاوف، بمكاتيب ليوسف باشا والي المدينة، لا زالت بعون اللّه تعالى حصينة، وبَيَّن له أمر الخارجي ابن سعود[٣] اللَّعِين، وبَيَّن له غاية التَّبْيين، وفي رابع جمادى الثانية[٤] أعاد زمام العيش ثاني[٥] لمرسله، ولم ينتج بشيء مَمَّا أرسله.

[خلاف بين يوسف باشا ومفتي المدينة النورة]

وفي الثالث والعشرين مِن هذا الشهر[٦]، وصل مِن المدينة الجناب الأكبر، والمقام المُحترم فخر العُلماء الأعلام، ومُفتي مدينة سيد الأنام أبو السعود أفندي الشرواني[٧]، لا زال محروسًا بالسبع المثاني، هاربًا مِن يوسف باشا، لأنَّه أراد الفتك به ولم يتحاشا[٨]، حيث أمره أنْ يمهر على عرض للدولة فامتنع لكونه اطلع على ما في باطنه لم يكن وقع، فمنعته الديانة عن ترتيب ما لم يكن مُرَتَّب[٩]، وخرج مِنْها خائفًا يَتَرَقَّب، فنزل بساحة هذا الشريف، وتفيأ بظلّ وجوده الوريف، فأنزله منزلة أكرم بها مثواه، وأعطاه مِن الوفر ما تمناه، ولم يزل جليسه ونديمه، كما نادم اليزدي جذيمة.

---

(١) ٢١ ربيع الأول ١٢٠٩هـ/ ١٦ أكتوبر ١٧٩٤م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) أي الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود، ثاني حكام الدولة السعودية الأولى.

(٤) ٤ جمادى الآخرة ١٢٠٩هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٧٩٤م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: ثانيًا.

(٦) ٢٣ جمادى الآخرة ١٢٠٩هـ/ ١٤ يناير ١٧٩٥م.

(٧) **أبو السعود أفندي الشرواني**: من مشاهير علماء المدينة المنورة، وينتمي إلى بيت علم أصله من مدينة شروان الرومية، ولد في المدينة المنورة عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م، وتلقى العلم فيها، وتولى الخطابة في المسجد النبوي عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م، ثم تولى الإفتاء في المدينة المنورة. انظر: عبد الرحمن الأنصاري، **تحفة المحبين**، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: يتحاشَ.

(٩) كذا في الأصل، والصواب: مُرَتَّبًا.

[الانتهاء مِن إصلاح عيون الماء في مكة]

وفي خمس وعشرين مِن جمادى الأولى[١] جرت العيون بمكة، وأشرقت بهجتها وسرورها، وصرفت في جميع الموارد وأضاء نورها، وحصل يوم دخولها لسكان هذا الواد ما يضاهي المواسم والأعياد، وكان مُدَّة انقطاعها ثمانية أشهر وخمسة أيام، ثم سعت على راسها[٢] وقبلت مِن أصول أغصان الرياض أكف الأقدام، فجزى اللَّه تعالى مجريها خيرًا وضاعف له الأجر، /ق١٥١/ وأسقاه يوم الفزع الأكبر مِن حوض الكوثر، ولم أقف على ما أنفق عليها مِن الصرف، وفيما يظهر نحو الخمسين مِن الألف.

[يوسف باشا يتخلّص مِن كواخي المدينة المنورة]

ثم إنَّ هذا الوزير المذكور، والمُدَبِّر أمر الجمهور، مِن حين وصل إلى المدينة، دسّ على أهلها في نفسه دسيسة كمينة، وأظهر لهم كمال المحبَّة والوداد، وسلكوا معه في واد غير ذلك الواد، وما زالوا[٣] كواخيها يترددون كُلّ يوم بابه، ويمشون إذا ركب تحت ركابه، فأرسل مدافعه إلى القلعة يوم وصوله، وأرسل معها حراسها، وجعل هذا الإرسال أصل الدسيسة وأساسها، ثم اختار مِن شجعان جماعته أشخاصًا وفرقها ثلاثة[٤] فرق، وأمرهم بالمرور كُلّ يوم مِن باب القلعة للمناضلة، واللعب بالسيوف والدَّرَق[٥].

ولمَّا مضى نصف عام أراد إبراز هذا السر المضمر، فاستلحق كبار المدينة وكواخي العسكر، وقال لهم: جاني[٦] رسول مِن قافلة حشرها العُربان

---

(١) ٢٥ جمادى الأولى ١٢٠٩هـ/ ١٧ ديسمبر ١٧٩٤م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: رأسها.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: وما زال.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: ثلاث.
(٥) **الدَّرَق**: ترس مِن الجلود يتخذها الجند للوقاية مِن الضربات. **المعجم الوسيط**، ص ٢٨١.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: جاءني.

في الحَسَا(١)، وضَيَّقُوا عليهم وأذاقوهم أنواع القسا(٢)، وأرسلوا يطلبون مِن النجدة والمدد، فهل عندكم رأي يُعتمد عليه ويُستند؟ فقالوا له: الأمر مِنْك وإليك، ولا نخرج مِن بين يديك، فقال لهم: أرى أنْ تخرجوا بأنفسكم، ومعكم جانب مِن العسكر والرجال، وأرسل معكم مِن جماعتي خمسين خيال(٣)، وتَوَجَّهُوا مُسرعين في الحال وتأتون بالقافلة وتُعَدُّوهَا(٤)، ولا تبالون(٥) عن القوم تعدوها(٦)، فقالوا: سَمْعًا لك وطاعة، وها نحن نخرج الساعة، فخرجوا مع كَتْخُداه لأمر قدره اللَّه تعالى وقضاه، ثم إنَّه أوصى كَتْخُداه إذا وصلتم خارج البلد لا تبقي(٧) مِن هؤلاء أحد(٨)، ولا يكن في قتل الكواخي عندكم تراخي، ولتكن في الساعة الثالثة وقوع هذه الحادثة، وأوصى رايِّس حراس المدافع، إذا مَرّ بهم الجماعة الذين يخرجون لرمي الشارة(٩)، يعزمهم إلى دخول القلعة، فإذا تكاملوا أثاروا الغارة.

فلمَّا مَرَّت أوَّل فرقة، تعرَّض لها وعزمها على شرب القهوة، وتكاملت الثانية والثالثة في ضحوة، فعندما تكاملوا أرسل أمامه ومعه جماعة مِن الأتراك، ليس لهم عقل ولا إدراك، فقاموا على أهل القلعة بالسيوف غدر(١٠)، وقتلوا البعض وأخرجوا البعض قهر(١١)، وبالغد طابت لهم القلعة وملكوها، والغدر

(١) **الحَسَا**: جزء من وادي النَّقيع بين بئار الماشي إلى قرية الوسطة، ثم يُسمَّى الوادي بعد ذلك العَقيق إلى أنْ يجتمع مع بقية أودية المدينة، ويمر الحَسَا بين جبل عَيْر شمالاً وحمراء الأسد جنوبًا، وبه زراعة وآبار كثيرة. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٤٦٥.

(٢) أي القسوة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: خيالًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: تعدونها.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: تبالوا.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: تعدونها.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: لا تُبْقِ.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: أحدًا.

(٩) أي الإشارة.

(١٠) كذا في الأصل، والصواب: غدرًا.

(١١) كذا في الأصل، والصواب: قهرًا.

بئس طريقة سلكوها، وتَمَّت حِيلتهم على أهل /ق١٥٢/ القلعة بهذه الصنعة. والحِيلة الأخرى على الذي[1] خرجوا لملاقاة القافلة، وكانت شموس آجالهم آفلة، فإنَّهم لما نزلوا موضعًا يقال له: ربوة، نزل الكَتْخُدا ونصبت له شارقة وأمر بطبخ القهوة، فلمَّا حضرت طلب كواخي المدينة لشربها، وداعي المَنِيَّة دعا آجالهم لقربها، ولمَّا مثلوا بين يديه وسلم الجميع عليه، أبقاهم في المكان وطلب إبريق[2]؛ ليريق ما ليس له تحقيق، وأمر جماعته أنْ يطلقوا عليهم تعشيرة بالبنادق، ولم يرعِ لهم عهودًا ومواثق، فقتلوا ثلاثة مِن كواخي المدينة، وسيسأل عنهم يوم يحشر الناس ضحًى يوم الزينة، وقتل شاوشين[3] ما عدا الأنفار.

وكل تلك الحِيلتين تَمَّت في الساعة الثالثة مِن النهار، ثم أَلْبَس كواخي غيرهم للبلاد، وضبط أمورها على وجه السداد، فانظر لهذه الدويهية، كيف صنع مِن الفعل المهول، الذي تتحير فيه العقول، فوصل إلى ما وصل، وصاد الأرنب بالعجل.

[صدقة مِن الهند مِن الأمير محمد علي خان]

وفي خمس وعشرين مِن شوال[4] ورد جدة أربع[5] مراكب فيها صدقة للحرمين، ومِن العروض والعين مِن محمد علي خان - أحسن اللَّه تعالى إليه كُلّ الإحسان - مِنْها مركب فيه فقرا[6] يحجون بيت اللَّه الحرام، ويَعُودُون إلى بلدهم بعد زيارة سيد الأنام، قد تكفل لهم بالمعونة وكفاهم المؤنة، ومِنْها مركبان مشحونة مِن الدراهم والأرز والقماش، توزع بين سكان الحرمين ليكون لهم بها راحة وانتعاش،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الذين.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: إبريقًا.

(٣) **شاوشين**: وتكتب جاوش، وجاويش، أحد المناصب العسكرية في العصر العثماني. أحمد السعيد، **تأصيل الدخيل**، ص ٥٩-٦١؛ سهيل صابان، **المعجم الموسوعي**، ص ٨٠-٨١.

(٤) ٢٥ شوَّال ١٢٠٩هـ/ ١٤ مايو ١٧٩٥م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: أربعة.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فقراء.

والمركب الرابع شحنه عسكر[١]؛ لئلا يسطو عليه العدو ويظفر.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ست مِن ذي الحجة[٢] وصل الحاج الشامي ضحوة النهار، وأميره أحمد باشا الجزار، فخرج لمقابلته والي البلدة المحميَّة، للبس الخِلْعة السنيَّة مِن الدولة العليَّة.

وفي اليوم السابع مِن الثمان، ورد الحج المصري وأميره الشرقاوي عثمان[٣]، فلبس مِنْه الخِلْعة، وكانت الوقفة بالجمعة، فلمَّا قضيت المناسك وقَصَّر، وما قصّر كُلّ فاضل وناسك، تَوَجَّهت الحجوج لأوطانها، وطابت البلدة لسُكَّانها.

[أحمد باشا الجزار يأمر بإنشاء صهاريج في مِنَى]

فدعا والي الحج الشامي أحمد باشا الجزار الخواجة محمد العنتبلي - لا زال قدره سامي[٤] - وأمره أنْ يَبْنِي له في مِنَى سهاريج[٥] وبرك، وترك عنده مِن الأموال ما ترك.

[يوسف باشا يحاول القبض على أحمد باشا الجزار]

ثم تَوَجَّه إلى المدينة، فعند وصوله إلى تلك البلد، تحيَّل عليه يوسف باشا وأراد مسكه / ق١٥٣/ باليد، فأفسد جميع العساكر باطنًا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: عسكرًا.

(٢) ٦ ذو الحجة ١٢٠٩هـ/ ٢٣ يوليو ١٧٩٥م.

(٣) ذكر الحضراوي خطأً أنَّ أمير الحج في هذا العام كان عثمان بيك الأشقر الإبراهيمي. أحمد الحضراوي، **مختصر حسن الصفا**، ص ٢٨٤. ويبدو أنَّ ما ذكره مؤرخنا ابن عبد الشكور هو الصحيح، لأنَّ الجبرتي لم يذكر عثمان بيك الأشقر أميرًا للحج إلا في عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٦م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٤٤.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: ساميًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: صهاريج، وهي أحواض كبيرة يجتمع فيه الماء. **المعجم الوسيط**، ص ٥٢٧.

وظاهر[١]، بحيث لم يبق أحد مِن العسكر إلا انضم إليه، وسلك فيما عمده عليه، ففطن لِمَا استبطنه مِن الحيلة الدفينة، وهرب وترك أغلب الحج[٢] بالمدينة، فعزلته الدولة لعدم الحزم، وألْبَسَت عبد اللَّه باشا ابن العظم[٣].

وفي هذا الموسم الأغر، عزل الشيخ أحمد الحلبي مِن كتابة الصُّر، وولي بدله السيد عبد الوهاب؛ فصفى له الوقت وطاب.

❐ ❐ ❐

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وظاهرًا.

(٢) أي الحجاج.

(٣) **عبد اللَّه باشا العظم**: عبد اللَّه بن محمد باشا والي الشَّام الأسبق. تولَّى حكم الشَّام تسع سنوات بشكل متقطع على ثلاث فترات: الأولى (١٢١٠-١٢١٣هـ/ ١٧٩٥-١٧٩٨م)، والثانية (١٢١٤-١٢١٨هـ/ ١٧٩٩-١٨٠٣م)، والثالثة (١٢١٩-١٢٢٢هـ/ ١٨٠٤-١٨٠٦)، وبين هذه الفترات كان الباب العالي يولي أَحمد باشا الجزار، الذي كان في صراع معه على ولاية الشام. وفي ولاية عبد اللَّه باشا الأخيرة، فشل في الدخول بقافلة الحج الشامي إلى مكة المكرمة عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، بعد سيطرة الوهابيين على الحجاز، فقام الباب العالي بعزله، وعين بدلاً مِنْه يوسف بَاشا كنج. انظر: عبد الغني عماد، **السُّلطة في بلاد الشام فِي القرن الثامن عشر**، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٧-٧٩.

[أحداث سنة ١٢١٠]

وتَمَّت السنة ودخل العام الجديد بالمسرّة والتجديد سنة ١٢١٠ (١).

[وفاة الشيخ محمد الجبرتي]

وفي الثامن والعشرين من محرم الحرام(٢) عام ألف وماتين(٣) وعشرة، توفي الشيخ محمد الجبرتي، نفعنا اللّه تعالى به وأمَدَّنا بمدده السني، كان رجلاً من الرجال الواصلين والكمل المقتدين، له أسرار ومُكاشَفات، وأمور خارقة للعادات، فدفن بالمَعْلا على قبر الوجيه، رحم اللّه تعالى الجميع -آمين- وأمَدَّنا بمددهم والسامعين، ومشي خلف جنازته صاحب الترجمة، كان اللّه تعالى مُعينه، وهو الذي باشر تجهيزه وتكفينه، وتَوَجَّه آخر الليل إلى الطايف(٤)، أجاره اللّه تعالى مِن المخاوف، فأقام يرتع في تلك الرياض، ويَكْرَعُ نميرًا مِن صافي الحياض إلى غاية جمادى الثانية(٥)، وكانت مُدَّة غيبته أربعة أشهر واثني عشر يومًا، وعاد سَالِمًا لوطنه وخير مُسْتَقَر لسكنه.

[إصلاح بعض الأعمدة في حاشية المطاف]

وفي خمس وعشرين مِن شهر ربيع الثاني(٦)، طاح العمود الرخام

(١) سنة ١٢١٠هـ/ ١٧ يوليو ١٧٩٥- ٥ يوليو ١٧٩٦م.
(٢) ٢٨ محرم ١٢١٠هـ/ ١٣ أغسطس ١٧٩٥م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) ٢٩ جمادى الآخرة ١٢١٠هـ/ ٩ يناير ١٧٩٦م.
(٦) ٢٥ ربيع الآخر ١٢١٠هـ/ ٧ نوفمبر ١٧٩٥م.

المقابل للمقام الحنبلي[(١)] بحاشية المطاف، وتكسر ستة أوصال، وحصل لبعض العواميد الصغر ميل وانحراف، وبعد مُضِيّ شهرين أمر بإعادته مَن يتقن البُنيان، وتعديل ما مال مِن العواميد الصغر كما كان.

[وفاة ناظر السوق علي بلح]

وفي غُرَّة جمادى الثانية[(٢)]، توفي ناظر السوق علي بلح، غفر اللَّه تعالى له وسمح، وكان من أهل المُرُوءة والشهامة والفتوّة، عارفًا بقدر أحبابه في غيبته وإيابه، وكانت مُدَّة نظارته خمس سنين، وعادت بنظر سليمان أبي عدس، فأناب فيها محمد[(٣)] عز الدين.

[الشريف يتنزه في الخبت]

وفي ثمانية وعشرين مِن جمادى الثانية[(٤)]، تَوَجَّه صاحب الترجمة للخبت للصيد والقنص واغتنام أوقات الفرص.

[انتهاء بناء صهاريج الجزار باشا في مِنَى]

وفي شعبان[(٥)] تَمَّت عمارة البِرَك والسهاريج[(٦)]، التي أمر ببنائها الجزار، وبناها له العنتبلي بِمِنَى، وهو هذا المقدار بركة مُستطيلة، مُلازِقَة لمسجد

---

(١) **المقام الحنبلي**: كان يقع فى الجنوب مِن الكعبة مع ميل قليل فى اتجاه الشرق. وكان قريبًا جدًّا مِن بناء بئر زمزم ويكاد يتصل به، لكن هذا الموقع قد تغيّر فى عهد السلطان عبد الحميد الثاني بهمة عثمان باشا والي الحجاز عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، وصار هناك فاصل معقول بين المقام المذكور وأبنية بئر زمزم، إذ جعل المقام الحنبلي فى مواجهة المقام الحنفي، وقد هدم هذا المقام في التوسعة السعودية في عهد الملك سعود، في ٢١ شعبان ١٣٧٧هـ/ ١٢ مارس ١٩٥٨م. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ١/ ٦٩؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٩٨.

(٢) غُرَّة جمادى الآخرة ١٢١٠هـ/ ١٢ ديسمبر ١٧٩٥م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: محمدًا.

(٤) ٢٨ جمادى الآخرة ١٢١٠هـ/ ٨ يناير ١٧٩٥م.

(٥) شهر شعبان ١٢١٠هـ/ ٩ فبراير - ٨ مارس ١٧٩٦م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: والصهاريج.

الخَيْف[١]، مقسومة الوسط، وعمارتها أوهن مِن بيت العنكبوت، وقِس على هذا النمط، وأنشأ سهريجًا[٢] كبيرًا على / ق١٥٤/ يمين الصاعد إلى عرفة، وكُلُّ مَن صعد مِنَى ورآه عرفه، يملأ مِن الغيث إذا همى فأحكمه، وفتح له ستة عشر فمًّا، وأنشأ بجانب البركة بيرًا[٣] في وسط المسيل، وأطال حفرها، ولم يبدُ فيها مِن الماء إلا القليل، وأنشأ سُبُلاً تجاه المسجد بقارعة الطريق، تملأ ماء ويشرب مِنْها كُلّ فريق، وأنشأ بركة أخرى بمحطة المصري، وبجانبها سهريج[٤] يملأ مِن المطر، وجعل مشاربهما مِن سيل الوادي إذا مَرَّ، ونَظَّفَ بمِنَى جملة سهاريج كبارٍ، ورسم سهريجين[٥] بباطن مسجد الخَيْف، وأخرج مِنْهما الدمار، وبنى الجدار الذي سقط مِن شرقي المسجد، وأصلح الخراب، ورمَّم البرج وأصلح الباب، ثم عمَّر بمكة الدَّبْل التي بآبار سوق الليل[٦]، وأجرى فيه الماء بعد أنْ أوقفه السيل، وعمَّر دَبْل أمير ياخور[٧]، ونصف السهريج[٨] الذي بباب إبراهيم[٩] ....

---

(١) **مسجدُ الخَيْف**: يقع في مِنَى في الجهة الجنوبيَّة، على يسار القادم مِن عرفات، وسمي بالخَيْف نسبة إلى ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وهو يقع في خَيْف بني كنانة، وكان المسجد - وقتئذٍ - مُستطيل الشكل، طول ضلعه البحريّ ١٣٠ مترًا وضلعه الغربيّ ١٠٠ متر، وبابه الأكبر في واجهته البحريَّة، وبه أربعة صهاريج كبيرة؛ أُقِيْمَت لحفظ مياه الأمطار والشرب مِنْها في موسم الحج، وكان مكشوفًا ما عدا جهتيه الشماليَّة والغربيَّة. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٢/ ٨٩١-٨٩٢؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٣٠١-٣٠٨.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: صهريجًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: بئرًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: صهريج.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: صهريجين.

(٦) كانت تقع في الجهة الشماليَّة الشرقيَّة للحرم المكي.

(٧) **دَبْل أمير ياخور**: هو دبل تحت الأرض بمكة المكرمة، إليه تنتهي مجاري مياه الحمامات والمراحيض، فيسير بامتداد وادي إبراهيم إلى المسفلة، وهناك بئر على شكل بركة كبيرة تركد فيها هذه المياه، تسمى بئر ياخور. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ١٨٤٩.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: الصهريج.

(٩) **باب إبراهيم**: أحد أبواب الجدار الغربي للمسجد الحرام، وقد عُرف بهذا الاسم نسبة إلى شخص كان يعمل خياطًا عند الباب، فعرف باسمه، وليس المقصود به سيدنا إبراهيم - عليه السلام =

وكان مدمور[1]، وبنى جدار مقبرة ابن سليمان بالمَعْلا، وزاد في بنائه قليلًا وأعلى، وعَمَّر مدرج الفَلْق[2] والحَجُون، ينتفع به يوم لا ينفع مال ولا بنون.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سبعة مِن ذي الحجة[3] وصل الحج الشامي وأميره عبد اللَّه باشا بن العظم، ونزل بوادي الأبطح، وهَزّ به غصن دوحته ورنح، وفي اليوم السابع اختلع مولانا الشريف ولبس الخِلْعة السلطانيَّة، لا زالت مدى الزمان عليه، وفي اليوم الثامن[4] وصل الحج المصري وأميره قاسم بيك أبو سيف[5]، فحجت الناس بالأمن والسلامة.

= - وقد حل هذا الباب مكان باب الخياطين وباب بني جمح وذلك عندما أضيفت زيادة باب إبراهيم عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م في عهد الخليفة العباسي المقتدر باللَّه، وقد أجريت أهم عماره لهذا الباب في العصر المملوكي في عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م، في عهد السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م)، الذي أمر بإعادة بنائه، وصار اتساعه ثلاثة أمتار ونصف المتر، فأصبح بذلك أكبر أبواب الجدار الغربي للمسجد الحرام، ولم يطرأ أيّ تغيير عليه سوى بعض الترميمات في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٥-١٣١٩هـ/ ١٨٧٨-١٩١٠م) إلى أنْ هُدِمَ في التوسعة السعودية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٣؛ طه عمارة، **أبواب المسجد الحرام**، ص ١٢١-١٢٤، ١٧٤-١٧٥.

(١) كذا في الأصل، والصواب: مدمورًا؛ أيّ هالكًا.

(٢) **الفَلْق**: ثنية في مكة تصل بين المَعْلَاة عند الأبطح، وأسفل مكة في الشُّبَيْكة بجانب المسجد الحرام من الغرب. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٣٢٩.

(٣) ٧ ذو الحجة ١٢١٠هـ/ ١٢ يونيو ١٧٩٦م.

(٤) ٨ ذو الحجة ١٢١٠هـ/ ١٣ يونيو ١٧٩٦م.

(٥) **قاسم بيك أبو سيف**: مِن مماليك عثمان بيك أبو سيف، وقد خدم مرادًا بيك واشتهر ذكره، وخرج بإمارة الحج مرتين، وكان له إقطاع والتزام وإيراد، وبنى داره في البركة الناصرية، وكان له ملكة في هندسة البناء، وعندما دخل حسن باشا الجزايرلي إلى القاهرة، ظلَّ قاسم بيك فيها، فَقَلَّدُوه الإمارة والصنجقية عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، فعظمت إمرته وزادت شهرته. توفي بالقاهرة في ٦ ذي القعدة ١٢١٦هـ/ ١٠ مارس ١٨٠٢م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٣٥، ٣٤٦-٣٤٧. وقد ذكر الجبرتي أنَّ أمير الحج في العام المذكور كان عثمان بيك الأشقر الإبراهيمي. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٤٤. ولم أستطع الترجيح بينهما في ضوء ما لديَّ مِن مصادر.

وفي الثاني والعشرين[١] تَوَجَّه [الحج][٢] الشامي لزيارة المُظَلَّل بالغَمَامة، وأقام بعده الحج المصري في هذا المقام ثلاثة أيام، وتَوَجَّه لزيارة صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

❑ ❑ ❑

(١) ٢٢ ذو الحجة ١٢١٠هـ/ ٢٧ يونيو ١٧٩٦م.

(٢) أضيفت حتى يستقيم النص.

[أحداث سنة ١٢١١]

وتم العام ودخل العام الجديد بحمد المُبْدِئ المُعيد سنة ١٢١١ [١]، ألف وماتين[٢] وأحد عشر مِن هجرة سيد البشر.

[وفاة الشيخ محب اللَّه السليماني]

وفي سادس محرم[٣] توفي العالم العلامة والبحر الفهامة، إمام المعقول والمنقول مولانا الشيخ محب اللَّه السليماني[٤] الحنفي نزيل مكة - عامله اللَّه تعالى بلطفه الخفي - كان رجلاً ورعًا ناسكًا مُتزهد[٥]، مُشتغلًا بالدروس والطاعة مِن البيت إلى المسجد، وله في العلوم قدر راسخ، وبيت مجد في الفضل شامخ، جاور بيت اللَّه تعالى أعوامًا كأنَّها أيامٌ، وانتفع به كثير مِن المسلمين، فعليه رحمة رب العالمين /ق ١٥٥/.

[شراء الشريف غالب عَيْن الحُسَيْنِيَّة وتعميرها]

وفي هذا العام[٦] اشترى صاحب الترجمة عَيْن الحُسَيْنِيَّة وعمَّرها عمارة قويَّة، وأنشأ فيها بُستانًا أخذ مِن الحُسن قسمًا، ووسعه حتى صار

---

(١) سنة ١٢١١هـ/ ٦ يوليو ١٧٩٦ - ٢٤ يونيو ١٧٩٧م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٣) ٦ محرم ١٢١١هـ/ ١١ يوليو ١٧٩٦م.
(٤) سبقت ترجمته، ص٣٠، حاشية رقم (٢).
(٥) كذا في الأصل، والصواب: متزهدًا.
(٦) سنة ١٢١١هـ/ ٦ يوليو ١٧٩٦ - ٢٤ يونيو ١٧٩٧م.

يُسْقَى بخمس وجبات[١] مِن الماء، وما سمعنا في الحرمين مثله في البساتين الظراف، وغرس فيه مِن النخل عشرة آلاف، ما عدا غيره مِن أنواع الثمار، الذي يستجاد في جميع الأقطار، ثم إنَّ هذا الغرس طلبه مِن نخل المدينة، ومِن ديار حَرْب وجُهينة، ومِن تُربَة[٢]، ورَنْيَة[٣]، ورُهَاط، وكونه مِن أعزّ النخل مِن جملة الاشتراط، وسَوَّر هذا البُسْتان وأتقنه غاية الإتقان، حتى صار أحد منزهات الزمان، وبنى بها دار[٤] لطيفة تُنْسِيك الخَوَرْنَق وغُمْدَان، متَّعه اللَّه تعالى طول عمره، وأطعمنا مِن يانع ثمره.

[وفاة السيد عبد العزيز بن الشريف مساعد]

وفي الثامن والعشرين مِن جمادى الأولى[٥] توفي السيد عبد العزيز ابن المرحوم الشريف مساعد، واختار لقاء اللَّه تعالى حين رأى منازله وشاهد، ودفن بضريح جدته خديجة الكبرى، المُبَوَّأة بالفردوس في الدار الأخرى، على قبر أخيه المرحوم مولانا الشريف سرور، أسكنهما اللَّه تعالى شامخات القصور.

وفي غُرَّة جمادى الثانية[٦] وصل حسن كَتْخُدا قلعة جدة بالمراسيم العليَّة، لحضرة صاحب الترجمة البهيَّة.

---

(١) **الوجبات**: جمع وجبة، وهي سُقي الماء من شروق الشمس حتى غروبها. وخمس وجبات أيّ خمسة أيام، في المتوسط حوالي ٦٠ ساعة، وهذا يدل على عظم هذ البُستان المذكور.

(٢) **تُربَة**: بلدة عامرة تقع شمالي شرقي الطائف بحوالي ١٨٠ كم، ويسكنها البُقُوم. وعُرِفَت بهذا الاسم نسبة إلى وادي تُربَة، وهو وادٍ فحل من أودية الحجاز الشرقية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من سراة زَهْرَان ثم يكون اتجاهه في الشمال الشرقي.ويسكن في أعلاه زَهْرَان، ووسطه البُقُوم، وأسفله سُبَيْع. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ٢/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) **رَنْيَة**: بلدة تقع شرقي تُربَة، وجنوبي الخُرمَة، وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى وادي رَنْيَة، وهو وادٍ فحل مِن أودية الحجاز الشرقية. عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ٧١٥.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: دارًا.

(٥) ٢٨ جمادى الأولى ١٢١١هـ/ ٢٨ نوفمبر ١٧٩٦م.

(٦) غُرَّة جمادى الآخرة ١٢١١هـ/ أوّل ديسمبر ١٧٩٦م.

[محمد عز الدين مُحْتسب لبندر جدة]

وفي غاية شهر شعبان[1] أُلبس محمد عز الدين مُحْتسبًا ببَنْدَر جدة، لعزل صالح نصيف، وأراح اللَّه المسلمين مِن التطفيف، وقلت فيه أبياتًا لم تخل مِن التنكيت والتبكيت عليه وعلى أهل جدة، يلحظ معناها البديع مِن أجال طرفه ورده.

يَا أَهَلَ جِدَّة بُشْرَاكُم بِكُلِّ عُلا
حزتم مِنْ الْمَجْد موهوبًا وَمكتسبًا

سموتموا كَشُمُوس الأُفْق مَنْزِلَة
رقيتموا بالْمَعَالِي للسُّها رتبًا

مُذُّ حَلَّ هَذَا الْجَمَال الشَّهْم سَاحَتكم
قَرُّوا عُيونًا وَمَدُّوا للعلا سَبَبًا

عَادَ الرَّخَاء مِثْل مَا قَد كَان عِنْدكم
يهنيكموا صَوْم خَيْرٍ أَجْره كتبًا

فَاسْتَقْبلُوه بوجه مِنْكُمُ طَلق
قَدْ قَام للَّه عِزُّ الدِّيْن مُحْتَسبًا

/ ق٦٥١/

[غزية على السادة ذوي عمرو أهل اللفاع]

وفي شهر رمضان[2]، ركب صاحب الترجمة على السادة ذوي عمرو أهل اللفاع، وهم عصبة أضرّ على المسلمين مِن الثعابين والأفاع[3]، وكانوا نازلين

(١) ٢٩ شعبان ١٢١١هـ/ ٢٦ فبراير ١٧٩٧م.
(٢) شهر رمضان ١٢١١هـ/ ٢٧ فبراير - ٢٨ مارس ١٧٩٧م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: الأفاعي.

في القعر وأطراف الحَرَّة؛ لنهب المسلمين والأذيَّة والمَضَرَّة، وما زالوا في مَنْع السبيل، وقتل المسلمين جيلاً بعد جيل، حتى صار لهم هذا الفعل كالغُرر والتَّحْجِيل، فقتل مِنْهم ثلاثة وربط أربع[1]، وأتلف مراحهم وشنَّع وأخذ الحلة بِمَا فيها، وعاد إلى جدة وأقام فيها أيامًا، ثم تَوَجَّه إلى مكة وبلغ مِن البيت والمسجد الحرام مرامًا.

[أخبار قوافل الحج]

وفي رابع ذي الحجة سنة ١٢١١ [2]، وصل الجناب الأمجد، ذو القدر السامي عبد الله باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي، وفي يوم سابعه[3] وصل حجاج مصر المحروسة، لا زالت آمنة مأنوسة، فخرج حضرة الشريف، ولبس الخلع السلطانيَّة بعزمه وإمضائه، على عادة السابقين مِن آبائه، وصعد الناس يوم ثانيه إلى عرفة مِن مكة المشرفة.

وعندما نفر الحج عثر بعير المحمل الشامي وانكسر، وعَدَّها الشاميون لإحْدَى الكُبَر، فجمعت أخشابه إلى مُزْدَلِفَة، وما باتت إلا موتلفة[4] على تلك الصّفة، ثم نزلوا إلى مِنَى وأتَمُّوا المناسك، وتَوَجَّهُوا على طريق الشرق الأبهج في ثمان بقين مِن شهر الحجة[5]، وتلاه الحج المصري بعد ثلاثة أيام، ونال بالبيت أقصى المرام.

❐ ❐ ❐

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أربعة.

(٢) ٤ ذو الحجة ١٢١١هـ/ ٣٠ مايو ١٧٩٧م.

(٣) ٧ ذوالحجة ١٢١١هـ/ ٢ يونيو ١٧٩٦م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مؤتلفة.

(٥) ٢٢ ذو الحجة ١٢١١هـ/ ١٧ يونيو ١٧٩٦م.

[أحداث سنة ١٢١٢]

[احتراق دار عند باب القطبي لأولاد الشريف سرور]

وفي سابع عشر محرم الحرام ١٢١٢ [١]، مِن عام ألف وماتين [٢] واثني عشر مِن هجرته عليه الصلاة والسلام، حُرِقَت دار بباب القطبي [٣] لأولاد الشريف سرور، وتلف فيها مِن الأدْباش ما يضيق عنها السطور، وحُرِقَ داران للخواجة محمد العنتبلي تجاه هذه الدار، وأخرجوا ما فيهما قبل أنْ تتلفه النار.

[مُراسلة الدولة العليَّة لطلب المُسَاعدات ضد السلفيّة]

وفي سادس جمادى الأولى [٤]، أرسل صاحب الترجمة الشيخ أحمد تُركي [٥]، شيخ المُطَوِّفين بكتبٍ إلى الدولة العليَّة، وذكر مقاساته مع

---

(١) ١٧ محرم ١٢١٢هـ/ ١١ يوليو ١٧٩٧م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

(٣) **باب القطبي**: أحد أبواب الجدار الشمالي للمسجد الحرام، ويعرف بباب الزيادة الغربي المنفرد، تمييزًا له عن باب الزيادة الشمالي، حيث إنَّه يقع على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب الزيادة (السويقة)، وقد شيد بين عامي ٢٨١-٢٨٤هـ/ ٨٩٤-٨٩٧م في عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله، وعُرِفَ في القرن ١١هـ/ ١٧م بباب القطبي نسبة إلى المؤرخ قطب الدين النهروالي المكي، ثم حُرِّف إلى باب القطبية، وقد ظل بناؤه على عمارته العباسية حتى هدم في التوسعة السعودية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٤؛ طه عمارة، **أبواب المسجد الحرام**، ص ١٣٨-١٤١.

(٤) ٦ جمادى الأولى ١٢١٢هـ/ ٢٦ أكتوبر ١٧٩٧م.

(٥) **أحمد تركي**: شيخ المطوفين في مكة المكرمة، كان رجلًا ذا عقل ومعرفة، وصار مِن خواص الشريف غالب؛ فكان يرسله إلى الباب العالي بالرسائل المُهِمَّة لقضاء احتياجاته، وقد ظهر على مسرح الأحداث عندما أرسله الشريف في ٦ جمادى الأولى ١٢١٢هـ/ ٢٦ =

الطايفة[1] المشرقيَّة، وقد تكرَّرت المراسيل والأنباء عن طايفة[2] التضليل، يطلب مِنْهم النجدة والإمداد، فما يزدادون إلا نومًا وسهاد[3]، ولسان الحال يقول له حين أنشد: لو كان السلطان هناك لأنجد، فلا نرجو المدد إلا مِن الواحد الأحد، فما زال مولانا الشريف يحمي حمايتها، مِن القوم الذين لا يرعونها حقّ رعايتها، ويُقاتل هؤلاء البغاة حتى يأْذن اللَّه إلى أنْ نفدت خزاينه[4]، وكادت تقف في اللجة سفاينه[5]، وأرجو / ق١٥٧/ أنْ لا يخيب سعيه حتى يسمع عن عدوه نعيه، وأنْ تكون له عاقبة الأمر بعد هذا الصبر.

[سيل عظيم يدخل إلى الحرم]

وفي السادس والعشرين مِن شهر جماد، حصل بمكة مطر عظيم مِن فيض الجَوَاد، واستمر الغيث يهمي أربع ساعات على كُلّ الجهات؛ فأسفر الأمر عن سيل دخل المسجد الحرام، وطاف بالبيت والمقام، فربا السيل وصعد، حتى وصل بالقرب مِن الحجر الأسعد، وكم بيتٍ بسببه سجد.

= أكتوبر ١٧٩٧م إلى الباب العالي ليطلب المُساعدات ضد الوهابيين، ثم أرسله مرة ثانية في ١٧ رمضان ١٢١٣هـ/ ٢١ فبراير ١٧٩٩م؛ وقد صار لهذا الرجل دراية واسعة بشئون الحجاز؛ ولذلك عندما وصل محمد علي باشا إلى الحجاز عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، قرَّبه إليه، وكان مُدبرًا للمؤامرة التي حيكت للقبض على الشريف غالب والتي انتهت بنفيه إلى سالونيك، وقد ظلَّ الشيخ تركي يؤدي دورًا مهمًّا في تاريخ الحجاز، حيث اعتمد عليه محمد علي اعتمادًا كبيرًا في التعامل مع القبائل، حتى وفاته في عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م. أحمد زيني دحلان، **خلاصة الكلام**، ص ٢٦٦، ٢٩٧-٢٩٩؛ عبد اللَّه الغازي، **إفادة الأنام**، ٤/ ٥٣ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: سهادًا.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: خزائنه.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: سفائنه.

[وفاة الشيخ عبد الغني هلال مفتي الشافعية]

وفي ليلة الجمعة غُرَّة شعبان[١]، توفي العالم العلامة إمام أهل التدريس، وخليفة ابن إدريس[٢]، الفاضل الكامل، العالم العامل، قطب دايرة[٣] الكمال، مفتي الشافعيَّة ببلد اللَّه تعالى المحميَّة، شيخ مشايخ أهل الزمن، وأستاذهم في كُلّ فن، شمس المعارف وبدر الكمال، مولانا الشيخ عبد الغني هلال[٤] فَجُرِحَت بموته القلوب، وكادت مِن الحزن عليه تَذُوب، ولعَمري إنَّه أحد أعين بلد اللَّه تعالى الحرام، وخير مِن أُلقي إليه الزمام، كيف لا والأقوال بأفضاله شاهدة، فعسى اللَّه أنْ يرحمه ويبقي لنا هذه العين الواحدة، ويشيد به مذهب النعمان، ويهمي عليه مِن الفيض والرضوان، أعقب اثنين مِن الأولاد، ولم تخلف النار إلا الرماد.

[وصول المِعْمَرجِي عبد اللَّه أغا لإصلاح أبواب الحرم]

وفي منتصف ذي القعدة[٥]، وصل الجناب الأكرم، والهُمَام الأعظم عبداللَّه أغا، دام مجده وعلاه، جاء وهو مِعْمَرجِي مِن طرف الدولة العليَّة، بإصلاح ما أخربته السيول في البلد المحميَّة، ولإصلاح ما يحتاجه الحَرم، وما يجب له مِن الحقوق والحُرم، وتنظيمه على الوجه الأتم، فقطع ما اعتلى مِن الأرض حول أبواب المسجد الحرام، وجعل الأرض مِهَادًا للأنام، واصطنع عربات مِن الأخشاب تملأ بالتراب، ويَجُرهَا شخص واحد وينساب، فشرع مِن باب إبراهيم، وأبذل الجهد والهِمَّة، حتى وقف بباب الرحمة[٦]، وقبل

---

(١) غُرَّة شعبان ١٢١٢هـ/ ١٨ يناير ١٧٩٨م.

(٢) أي الإمام الشافعي رحمه اللَّه.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: دائرة.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) ١٥ ذو القعدة ١٢١٢هـ/ ٣٠ إبريل ١٧٩٨م.

(٦) **باب الرحمة**: أحد أبواب الجدار الجنوبي للمسجد الحرام، ولا يعرف سبب تسميته بباب الرحمة. وقد عُرِفَ أيضًا بباب المجاهدية نسبة إلى الملك المجاهد علي بن داود=

الإتمام أمر أنْ يبني البرج اليماني بجدة، فبناه في أسرع مُدَّة، وأتقن بناه[١] النفيس خشية طايفة[٢] الفرنسيس[٣]، وعمَّر غير ذلك في رواقات المسجد الحرام، بعد أنْ أحكم السَّد الذي بجبل النور غاية الإحكام، فجزاه اللَّه تعالى خيرًا، وجازى الدولة العليَّة بالإنعام / ق١٥٨/.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سادس شهر الحجة[٤] وصل حجاج المسلمين مِن الشام لزيارة بيت اللَّه تعالى الحرام، وكان أميره الجناب الأكرم عبد اللَّه باشا بن العظم، وتلاه الحج المصري[٥]

= الرسولي (٧٠٤-٧٦٤هـ/ ١٣٠٤-١٣٦٢م)، الذي شيد مدرسة ملاصقة لجدار المسجد الحرام. وعُرِفَ بباب أجْيَاد الكبير لأنَّه في مواجهة شِعْب أجْيَاد الكبير. وقد شُيِّد في عهد الخليفة العباسي محمد المهدي، وكان له منفذان، وأُعِيد بناؤه في العصرالعثماني عام ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م، وبلغ اتساعه ستة أمتار ونصف المتر، وقد هُدِم في التوسعة السعودية. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ٢٣٢؛ طه عمارة، **أبواب المسجد الحرام**، ص ١٠٥-١٠٨، ١٦٨، ١٩٥.

(١) كذا في الأصل، والصواب: بناءه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

(٣) ويعني بهم الحملة الفرنسية على مصر ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م - وستأتي تفاصيلها في موضعها - ويفهم مِن سياق النص أنَّ الْمِعْمَرجِي عبد اللَّه أغا قد ظَلَّ فترة طويلة في الحجاز، فقد استخدمه الشريف غالب في إقامة بعض التحصينات في مدينة جدة، بالإضافة إلى عمله الأساسي في تعمير ما أفسدته السيول في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

(٤) ٦ ذو الحجة ١٢١٢هـ/ ٢١ مايو ١٧٩٨م.

(٥) كان أمير الحج صالح بيك، مِن مماليك محمد بيك أبي الذهب، خرج بالقافلة في شوَّال ١٢١٢هـ/ إبريل ١٧٩٨م، وفي طريق عودته إلى مصر عند العقبة، علم باستيلاء الفرنسيين عليها، فأرسلوا إليه بالأمان، ولكنَّه دخل بالحج وانضم إلى إبراهيم بيك في بلبيس وقاتلوا الفرنسيين؛ فهزموا وفَرُّوا جميعًا إلى الشام، وقد أدخل المحمل إلى القدس، وأودعه فيه. توفي في الشام عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، وبعد مدة أرسلت زوجته وأحضرت رفاته، ودُفِنَ في القاهرة بمقبرة المجاورين. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٢٠-٢١، ١١٣؛ أحمد الحضراوي، **مختصر حُسْن الصفا**، ص ٢٨٧؛ نقولا الترك، **ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية**، تحقيق: ياسين سويد، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٤٧.

في اليوم السابع[١]، فخرج صاحب الترجمة ولبس الخِلَع السَّمُّور الجالبة للسرور، وحج حجاج المسلمين وقضى المناسك، وطاف بالبيت العتيق كُلّ ناسك.

[وفاة الوزير ألماس رمضان]

وبلغ الخبر يوم مِنَى[٢] بوفاة وزيره ألماس رمضان، وأنَّه قد فارق الدنيا وصار في جوار الرحمن، فأرسل صاحب الترجمة محمد الدَّلاَّل، ليحفظ ما كان في داره مِن الأموال. وتَوَجَّه الحج على سبيل عادته بعد بلوغ إرادته.

❑ ❑ ❑

(١) ٧ ذو الحجة ١٢١٢هـ/ ٢٢ مايو ١٧٩٨م.

(٢) ٨ ذو الحجة ١٢١٢هـ/ ٢٣ مايو ١٧٩٨م.

[أحداث سنة ١٢١٣]

[وفاة السيد أحمد التواتي المجذوب]

وفي الثاني عشر محرم الحرام[١] سنة ثلاثة عشر بعد الماتين[٢] والألف مِن هجرته عليه السلام توفي السيد أحمد التواتي المجذوب، ونال بقرب مولاه كُلّ مطلوب، أمَدَّنا اللَّه تعالى بمدده.

[إرسال مقدم الشريف الشيخ سليمان إلى جدة لأخذ العشور]

وفي الثاني والعشرين مِن محرم[٣]، أمر صاحب الترجمة مقدمه الشيخ سليمان، ومعه جمع مِن التجار والأعيان، وأمرهم بالنزول إلى البَنْدَر المعمور، لتنجيل المراكب وأخذ العشور، إلاَّ أنَّه لم يلبسه خِلْعة الوزارة، ولم يُعْلِ بسنائها مقداره، بل صيَّره قايم[٤] مقام يقضي فيها زمانه، حتى يظهر صاحب المكانة، فمكث بجدة خمسة وثلاثين يومًا، وغاص في بحر أموالهم عومًا.

[شمعتان مِن مصر لإضاءة الحرم]

وفي هذا الشهر المذكور[٥]، وصل مِن مصر لهذا المسجد شمعتان، وزن كُلّ شمعة قِنْطَارَان، فجعلوا يسرجونها عند مقام الحنفي[٦]، حتى غاب

---

(١) ١٢ محرم ١٢١٣هـ/ ٢٨ يونيو ١٧٩٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.

(٣) ٢٢ محرم ١٢١٣هـ/ ٥ يوليو ١٧٩٨م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: قائم.

(٥) شهر محرم ١٢١٣هـ/ ١٤ يونيو - ١٣ يوليو ١٧٩٨م.

(٦) **المقام الحنفي**: كان يقع هذا المقام فى شمال بيت اللّه أمام ميزاب الرحمة، ويستقبل أهل المدينة المنوَّرة والشام والقدس الشريف هذه الناحية مِن الكعبة عند الصلاة، وكذلك =

ضوؤها وخفي.

[ذكر استيلاء الفرنساويَّة على مِصْر]

وفي غاية صفر[1] وصل الشيخ أحمد تُركي مِن إسلامبول بالخبر الذي يهول، ويذهب العقول؛ أخبر بأنَّ الطايفة[2] الفرنساويَّة[3]، استولت على مدينة الإسكندريَّة[4]؛ فتَوَجَّه هاربًا مِن مصر[5] قبل استيلائهم عليها، غير أنَّهم سيصلون إليها، وبعد أيام ورد الخبر أنَّهم ملكوا مصر، وأخذوا جميع أقاليمها، وأخرجوا

= سكان بلاد المسلمين الواقعة فى ناحيتها، وقد هُدِمَ المقام في التوسعة السعودية في عهد الملك سعود، في شوَّال ١٣٧٧هـ/ إبريل ١٩٥٨م. أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ١/ ٦٩؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٥/ ٩٨.

(١) ٢٩ صفر ١٢١٣هـ/ ١١ أغسطس ١٧٩٨م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائفة.

(٣) **الطائفة الفرنساوية**: جاءت الحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م) بقيادة نابليون بونابرت، كجزء مِن الصراع بين فرنسا وبريطانيا، ورغبة الأولى في إقامة مستعمرة في الشرق تكون قاعدتها مصر، ولتقطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند. وقد تحركت الحملة بقيادة نابليون بونابرت في سرية تامة، مِن ميناء طولون جنوبي فرنسا مايو ١٧٩٨م، ووصل الفرنسيون إلى سواحل مدينة الإسكندرية في ٢٧ يونيو، ونجحوا في الاستيلاء عليها بسهولة، ثم تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى شبراخيت، وهناك اشتبكوا بجيش مملوكي بقيادة مراد بيك، فانتصروا عليه، بينما تقهقر هو إلى القاهرة، واستعد المماليك بكامل قوتهم بقيادة مراد بيك وإبراهيم بيك لقتال الفرنسيين، فالتقى الجمعان في إمبابة قرب القاهرة، وأسفرت المعركة عن انتصار الفرنسيين وهزيمة المماليك، وفرار مراد بيك إلى الصعيد، بينما فَرَّ إبراهيم بيك وبصحبته الوالي العثماني إلى بلاد الشام، ودخل الفرنسيون القاهرة في صفر ١٢١٣هـ/ يوليو ١٧٩٨م. للمزيد محمد فؤاد شكري، **الحملة الفرنسيَّة وخروج الفرنسيين مِن مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٤٢ وما بعدها.

(٤) **الإسكندرية**: مدينة على ساحل البحر المتوسط، شمال مصر، وكانت عاصمة للبلاد قبل الفتح العربي الإسلامي، وصارت مِن أهم المدن التجارية في العصر العثماني، وللمزيد عن وضع المدينة في ظلّ سيطرة الفرنسيين على مصر، انظر: محمد عبد الحميد الحناوي، **الإسكندرية في عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٩٠ وما بعدها.

(٥) يقصد القاهرة، وكان يطلق عليها مصر وقتئذ، مِن باب إطلاق الكُلّ على الجزء.

صناجيقها، وسَبُوا بعض حريمها، وملكوا إقليم الصعيد[١] ومزارع الطين، وانتهكوا حُرَم المسلمين.

[الدولة العليَّة تأمر بتحصين مدن الحجاز خشية الفرنساويَّة]

وفي جماد الأوَّل[٢]، ورد خبر مِن المدينة المنوَّرة مِن يوسف باشا، صاحب الصدارة وحسن الرأي والاستشارة، بأنَّه قد جاء فرمان مِن الدولة العليَّة بِمَا فعل الفرنسيس بالأقطار المصريَّة، وإخراجهم للصناجق /ق١٥٩/ وإيذائهم للرعيَّة، وأمرهم بالمحافظة واتفاق الكلمة، وعدم المُناقضة، وأنْ يَسْتَعِدُّوا للعدو بالكفاح، وأنْ لا يتركوا حمل السلاح، وأنْ يُحَصِّنُوا سُور جدة[٣]

---

(١) لم يستطع الفرنسيون الاستيلاء على صعيد مصر؛ نظرًا لشدّة المُقاومة التي لقوها هناك، فاكتفوا بالمُوافقة على أنْ يحكمه مراد بيك، بعد أنْ عقدوا الصلح معه. للمزيد انظر: نبيل السيد الطوخي، **صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسيَّة (١٧٩٨-١٨٠١م)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. وتجدر الإشارة إلى أنَّه خرجت حملة شعبية مِن الحجاز بقيادة الشيخ محمد الجيلاني واتجهت إلى صعيد مصر لمقاومة الاحتلال الفرنسي. للمزيد انظر: شفيق شوكت العمروسي، «**المكيُّون في مصر: دور عرب الجزيرة في مقاومة الحملة الفرنسيَّة**»، مجلة الدارة، ع١، س ١٠، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، الرياض، ص ٥٤-٦٤؛ عبد اللَّه بن محمد أبو داهش، «**موقف أدباء الجزيرة من الحملة الفرنسيَّة على مصر (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م)**»، مجلة العرب، ج١١-١٢، الجماديان ١٤٠٦هـ/ يناير وفبراير ١٩٨٦، الرياض، ص ٧٥٤-٧٦٦؛ حسين بن محمد الغامدي، «**دور عرب الحجاز في مقاومة الحملة الفرنسيَّة على مصر**»، مجلة الدارة، ع١، س٢٥، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، الرياض، ص ٥-٤٤.

(٢) شهر جمادى الأولى ١٢١٣هـ/ ١٠ أكتوبر - ٨ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٣) **سُور جدة**: كان يحيط بميناء جدة، وقد أُقيم في عهد السلطان المملوكي قنصوه الغوري، وذلك للحماية مِن أخطار البرتغاليين، التي باتت تهدد أراضي الحرمين الشريفين، وكان للسور خمسة أضلاع: الغربي مِنْها على البحر وطوله ٥٧٦ مترًا، والبحري طوله ٦٧٥ مترًا، والشرقي طوله ٥٠٤ مترات، والشرقي الجنوبي طوله ٣١٥ مترًا، والجنوبي طوله ٨١٠ مترات، وكان بالسور برجان، وستة أبواب، وهي: باب مكة ويفتح جهة الشرق، وباب المدينة ويفتح جهة الشمال، وباب الشريف ويفتح جهة الجنوب، وأبواب البحر والمغاربة والشهداء تفتح إلى جهة البحر. وقد تمَّت العديد من التحصينات على سور المدينة وبخاصة في عهد الشريف غالب، وذلك لمواجهة أخطار الفرنسيين والوهابيين، =

غاية التَّحْصِين، ولو يَسْتَدِيْنُو[1] مِن تجار بلد اللَّه تعالى الأمين.

وقد وَرَدَ فرمان نظير هذا الفرمان، لحضرة صاحب الترجمة لا زال عالي الشأن.

وفي اليوم الثاني مِن جماد الثاني[2]، أمر صاحب الترجمة بإقراء الفرمان، نظير الذي قُرِئ بمدينة سيد ولد عدنان، ونادى مناديه أنْ تنزل الرعيَّة بعد صلاة العصر، ويسمعون[3] خطاب الدولة زادها اللَّه تعالى عزًّا ونصرةً، فصلوا العصر ونزلوا، وأطاعوا الأمر وامتثلوا؛ فقرأ الفرمان الشاب الكَيِّس مولانا الشيخ محمد صالح الرَّيِّس[4]، مضمونه مِمَّا صدر مِن طايفة[5] الفرنسيس بمصر القاهرة مِن الخيانة الظاهرة، ونقضهم المواثيق والعهود، وسلوكهم طريقًا غير معهود، وأنَّ مِن قصدهم هدم البيت الحرام، وقُبَّة النبي عليه الصلاة والسلام، وهدم بيت المقدس، والمسجد الذي بني على التقوى وأُسِّس، وأنَّ مِن قَصْد هؤلاء المعاندين قتل

= فقام بحفر خندق حول السور، وبناء برج جهة الميناء. محمد لبيب البتنوني، **الرحلة الحجازية**، ص ٦-٧؛ أيوب صبري، **موسوعة مرآة الحرمين**، ٥/ ١٢٨-١٢٩؛ أحمد بن محمد الحضراوي، **الجواهر المعدة في فضائل جدة**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٥-٣٦، ٤١.

(١) كذا في الأصل، والصواب: يَسْتَدِيْنُون.

(٢) ٢ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ/ ١٠ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: ويسمعوا.

(٤) **محمد صَالح الرَّيِّس**: جمال الدين محمد صالح بن إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد السلام الرَّيِّس الزَّمزمي المكي الزبيري الشافعي، ولد في مكة المكرمة عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، وحفظ القرآن وهو دون العاشرة مِن عمره، وله العديد من الشروح والحواشي والمؤلفات، مِنْها: «شرح حزب الإمام النووي»، و«حاشية على المنهج»، و«كرامات الأولياء»، و«فتح ذوي العزة والكرم لأولى الهمم»، توفي في مكة المكرمة ٧ جمادى الآخرة ١٢٤٠هـ/ ٢٦ يناير ١٨٢٥م، ودُفِنَ بمقبرة المَعْلَاة عند قبر والده. عبد اللَّه ميرداد، **مختصر نشر النور**، ص ٢١٤-٢١٦؛ عبد الستار البكري، **فيض الملك الوهاب**، ص ١٣٥٠-١٣٥٣.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

عَامَّة المسلمين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾[1]، وأمرت الدولة بالتحريض على محافظة مكة، وجدة، وما حولها، وأنْ تصغى الرعيَّة لأوامر الدولة وتمتثل قولها.

[تقلد الشيخ عبد اللطيف الرَّيِّس فتوى الشافعيَّة]

وفي ثلاثة مِن جماد الآخر[2]، تَقَلَّد الشيخ عبد اللطيف الرَّيِّس فتوى الشافعيَّة ببلد اللَّه تعالى المحميَّة، وكان هذا المنصب لأبيه مِن قبل فصار مِن أهله في محلّه، فنال كُلّ مقاصده، ولا غرو أنْ يحذو الفتى حذو والده.

[وزيرا الشريف في جدة صالح أغا، وحسن بن مصطفى]

وفي يوم الجمعة لتسع بقين مِن جمادى الثانية[3]، ألْبس صاحب الترجمة، [وزيريه][4] بجدة، وقد تعطَّل حبل هذين المنصبين مُدَّة، أحدهما: مملوكه صالح أغاه دام مجده وعلاه، فسلك في الناس طريقة مرضيَّة، وسار سيرة رضيت به عنه الرعيَّة، حتى قيل: إنَّه فيما عدا الكرم يخلف الوزير ريحان، لكونه مِن برامكة الزمان.

والوزير الثاني: الجناب النايف[5] المُكَرَّم حسن بن مصطفى الهائف فإنَّ المذكور قد تَقَلَّد كثيرًا مِن المناصب ولم يحل بينهما وبينه حاجب، وأوَّل ما تَقَلَّد منصب النظارة، واستقصى أموره واقتفى آثاره /ق١٦٠/ ثم أغاه على عسكر اليمن، وسلك السلوك الحسن، ثم ألْبس أغاه على تلك الحضارم، وانفردت به ولم يكن له فيها مزاحم، ثم تَقَلَّد وزارة المدينة المنوَّرة، وتَشَرَّف بتقبيل الروضة المُطَهَّرة، ثم تَقَلَّد وزارة الباب، وهذا المنصب حادث لم يكن

---

(١) القرآن الكريم، **سورة التوبة**، آية رقم ٣٢.

(٢) ٣ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ/ ١١ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٣) ٢٢ جمادى الآخرة ١٢١٣هـ/ ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٤) وردت في الأصل وزيره، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١١٨.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: النائف.

في الحساب، وهو أوَّل مَن تَوَزَّر في الباب، وصفا له الزمان وطاب، والآن صار هو الوزير الصغير بالبَنْدَر المعمور، فأكرمه صاحب الترجمة بلبس السَّمُّور، وتَوَجَّه مع الوزير صالح، واسْتَسَرَّ بهما كُلّ غاد ورايح[١]، وقلتُ بيتين تاريخًا، وفيهما التورية بولاية الوزيرين، قد استعنت بأصحاب الكسا فلذا أرَّخْته صالحًا هذا الوزير حسن[٢].

[تعمير سور بَنْدَر جدة]

وفي الثامن والعشرين مِن شعبان[٣]، أمر بتعمير سور جدة، وأنْ يتقنه غاية الإتقان، فاجتهد المعلمون في بنيانه، وبالغوا في تحصيل إتقانه، وجاء على الوجه الأتم، عندما فرغوا مِنْه وتم، وكانت هذه الإمارة والتأسيس، قطعًا لمطامع الفرنسيس[٤].

[ذكر التعاون بين الدولة العليَّة والإنجليز ضد الفرنساويَّة]

وقد ورد الخبر أنَّ الدولة العليَّة - زادها اللَّه تعالى عُلُوًّا وقدرًا - جهزوا على الفرنسيس برًّا وبحرًا، وأرسلوا لطلب عسكر مِن الإنقليز، وجعلوا لهم على القِرَانَات[٥].........................

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: رائح.

(٢) **جاءت بحساب الجُمَّل كالآتي**: صالحًا: ص ٩٠ + ا ١ + ل ٣٠ + ح ٨ + ا ١ = ١٣٠. هذا: هـ ٥ + ذ ٧٠٠ + ا ١ = ٧٠٦. الوزير: ا ١ + ل ٣٠ + و ٦ + ز ٧ + ي ١٠ + ر ٢٠٠= ٢٥٤. حسن: ح ٨ + س ٦٠ + ن ٥٠ = ١١٨. الأجمالي: ١٣٠ + ٧٠٦ + ٢٥٤ + ١١٨ = ١٢٠٨. ويبدو أنَّ التاريخ غير صحيح لأنَّه يحتاج إلى ٧ حتى يكون ١٢١٣، ويوافق تاريخ الولاية المذكور.

(٣) ٢٨ شعبان ١٢١٣هـ/ ١١ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٤) **دارة الملك عبد العزيز**، سجل ٢٣٩٦٣، ملف ١٠٤/ ١٦، وثيقة رقم ٣٢٦. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٥).

(٥) **القِرَانَات**: كلمة صقلبية دخلت التركية، وكانت تطلق في الدولة العثمانية على الملوك المسيحيين، وربما تستعمل بمعنى المملكة. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ١٦٦-١٦٧.

تميز[١]، وأمروهم أنْ يصلوا مِن بحر الهند إلى السويس[٢] والقصير[٣]، ويحاصروهم ليلا[٤] تصل أذيتهم إلى الغير، كما حاصروهم مِن بُغاز[٥] الإسكندرية المراكب الإنقليزية[٦]، بحيث لا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: تمييزًا.

(٢) **السويس**: تقع في مصر عند النهاية الشمالية لخليج السويس، وهي مدينة كليسما التي سمَّاها العرب: «القُلْزُم». محمد رمزي، **القاموس الجغرافي للبلاد المصرية**، ق٢، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٧.

(٣) **القصير**: يقع في مصر على الساحل الغربي البحر الأحمر، وهي في مواجهة مدينة قوص بصعيد مصر، وكان يستخدم في التجارة. محمد رمزي، **القاموس الجغرافي**، ق٢، ج٤، ص ٢٧١.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: لئلا.

(٥) **بُغاز**: المكان الضيق بين جبلين، وتعني هنا مرسى السفن. أحمد السعيد سليمان، **تأصيل الدخيل**، ص ٤١.

(٦) أدى استيلاء الفرنسيين على مصر إلى حدوث تعاون بين الدولة العثمانيَّة وبريطانيا لطردهم مِنْها؛ ويتجلى ذلك في: أولاً- موقعة أبي قير البحريَّة: فبعد أنْ استولى نابليون على الإسكندريَّة، توجه قائد الأسطول الفرنسي بروي Brueys ورسى به في خليج أبي قير شرقي الإسكندريَّة، وفي تلك الأثناء كان قائد الأسطول البريطاني نيلسون Nelson، يبحث عن الفرنسيين، فلمَّا تأكدت لديه المعلومات بمكان وجودهم، توجه إليهم، واشتبك معهم في موقعة أبي قير البحريَّة في صفر ١٢١٣هـ/ أوَّل أغسطس ١٧٩٨م؛ والتي أسفرت عن هزيمة الفرنسيين، وتحطم أسطولهم ومصرع قائده، فانقطعت علاقة الحملة بفرنسا، وسيطر الإنجليز على السواحل الشمالية لمصر. محمد عبد الحميد الحناوي، **الإسكندريَّة في عهد الحملة الفرنسيَّة**، ص ٢٦٨-٣١٢. ثانيًا- إرسال بريطانيا مُسَاعدات مِن الهند: فقد طلبت بريطانيا مِن السلطان العثماني السماح بدخول سفنها في البحر الأحمر، حتى تتمكَّن مِن إرسال المساعدات والمؤن إلى مصر، فأصدر السلطان فرمانًا يمنح السفن البريطانيَّة حرية الملاحة فيه - وكان ذلك محرَّمًا على الأوروبيين مِن قبل ذلك - كما أصدر الأوامر لحكام الثغور لتقديم المساعدة للقوات البريطانيَّة أثناء زيارتهم لها؛ فأصبحت سفن شركة الهند الشرقيَّة البريطانيَّة تمخر عباب البحر الأحمر، محمَّلة بالقوات والمساعدات العسكريَّة إلى مصر عن طريق مينائي السويس والقصير. فاروق عثمان أباظة، **عدن والسياسة البريطانيَّة في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٧٩-٨٤؛ يسري محمد عبد الهادي الحنفي، **أثر الحملة الفرنسيَّة على مصر وبلاد الشام في شبه الجزيرة العربيَّة**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٥١-٢٥٩. وسيذكر مؤرخنا ابن عبد =

يجدوا[1] الفرنساويون ملجأً إلى الخروج، ولا مفرًّا ولا مدخلًا إلى العروج.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفي تاسع شعبان[2] وصل أوَّل التجهيز، مركبان مشحونة بعساكر الإنقليز، وفيها مِن الاستعداد والقوة ما يسر الخاطر ويقرّ به الناظر، ومع ريِّسهم فرمان عالي الشان[3]، لحضرة مولانا الشريف لا زال قدره مصان[4]، بأنَّ هؤلاء الإنقليز صاروا مِن جملة الخدم القايمين[5] بخدمتنا على قدم، فتكرموهم[6] لأجل خدمتنا وترعوهم[7]، ومَهْمَا أرادوه بالدراهم تبايعوهم، فخرجوا إلى البَنْدَر المعمور، وأسكنوا ريِّسهم في أحسن الدور، وأرسل ريِّسهم الفرمان لهذا الشريف المترجَم، فقابلهم بالقبول وأكرم الرسول وأنعم، وخرج الإنقليز إلى البلد وباعوا وشروا، ووسقوا مراكبهم مِن الماء وغيره / ق١٦١/ مَهْمَا قدروا، وتَوَجَّهوا إلى السويس في حادي عشر شوال[8]، حين خَفق الأَزَيْب[9] وسَكَن الشمال[10].

وكتب صاحب الترجمة للدولة العليَّة جواب الفرمان، وأرسل به الشيخ أحمد تُركي في سابع عشر رمضان[11]. وفيه وقع العقد الذي في

= الشكور بعضًا مِن أخبار السفن البريطانيَّة في مواضع متعددة مِن تاريخه، الأمر الذي يوضح التعاون العثماني - البريطاني في سبيل استرداد مصر مِن الفرنسيين. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٦).

(١) كذا في الأصل، والصواب: يجد.

(٢) ٩ شعبان ١٢١٣هـ/ ١١ نوفمبر ١٧٩٨م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الشأن.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: مصانًا.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: القائمين.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: فتكرمونهم.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: وترعونهم.

(٨) ١١ شوَّال ١٢١٣هـ/ ١٧ مارس ١٧٩٩م.

(٩) **الأَزَيْب**: ريح تأتي مِن الجنوب إلى الشمال. **المعجم الوسيط**، ص ٤٠٨.

(١٠) **الشَّمَال**: ريح تأتي من الشمال إلى الجنوب. **المعجم الوسيط**، ص ٤٩٤.

(١١) ١٧ رمضان ١٢١٣هـ/ ٢١ فبراير ١٧٩٩م.

المروة رابعة النهار، ولم يتأذَّ به قاطن ولا مار.

[وفاة الشيخ رضوان الرَّيِّس]

وفي غايته[١] توفي الشيخ رضوان الرَّيِّس، وجاور المَلِك العلام، وقطفت زهرة عمره يد الحمام، واختار في شهر الصوم دار البقا[٢]، وكان مِن جملة العتقا[٣].

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدر جدة مُتجهة إلى السويس]

وفي سادس شوال[٤]، وصل مركبان مِن مراكب الإنقليز، فارتوت مِن الماء وسقت، وحملت المراكب وَسقت، ثم تَوَجَّهت إلى السويس ولحقت بالمركبين، وصارت أثرًا بعد عين.

[الشريف في زيارة إلى بَنْدَر جدة]

وفي عاشر ذي القعدة[٥]، تَوَجَّه صاحب الترجمة إلى جدة، فقضى إربه مِنْها وعاد في أسرع مُدَّة.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سادس الحجة الحرام[٦]، وصل الحجاج مِن دمشق الشام، وكان أميره محمد أفندي كاتب ديوان الجزار، أنابه عنه لحصار الفرنسيس له أيّ حصار[٧]، وجاء بكسوة البيت الحرام مِن الشام، ولم يسبق مجيئها مِنْه قبل

---

(١) ٢٩ رمضان ١٢١٣هـ/ ٥ مارس ١٧٩٩م.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: البقاء.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: العتقاء.
(٤) ٦ شوَّال ١٢١٣هـ/ ١٢ مارس ١٧٩٩م.
(٥) ١٠ ذو القعدة ١٢١٣هـ/ ١٤ إبريل ١٧٩٩م.
(٦) ٦ ذو الحجة ١٢١٣هـ/ ١٠ مايو ١٧٩٩م.
(٧) عقب تحطم الأسطول الفرنسي على يد الإنجليز في موقعة أبي قير البحريَّة صفر ١٢١٣هـ/ أغسطس ١٧٩٨م، أدرك نابليون بونابرت أنَّ بقاءه في مصر لن يستمر إلا بامتلاك الشام، =

هذا العام.

[انقطاع محمل الحج المصري]

ولم يصل عامها المحمل المصري[1] ولا أحد مِن المصريين حج سوى

= حيث وصلت إليه الأخبار بأنَّ أحمد باشا الجزار يقوم بتحصين قلاع الشام، ويُعد العُدَّة للهجوم على الفرنسيين في مصر؛ فخرج نابليون مِن القاهرة في رمضان ١٢١٣هـ/ فبراير ١٧٩٩م على رأس قوة عسكريَّة، مُكَوَّنة مِن ستة عشر ألف مقاتل متجهًا إلى الشام؛ فاستولى في طريقه على العريش، وغزة، والرملة، واللد، ويافا، وحيفا ثم اتجه إلى حصار عكا، ولكنَّه فشل في الاستيلاء عليها، نتيجة حصانة أسوارها، واستبسال أهلها بقيادة أحمد باشا الجزار، ومساعدة الأسطول البريطاني لأهالي عكا عن طريق البحر، وانتشار الطاعون بين جنوده، الأمر الذي دفعه إلى رفع الحصار عنها، وعاد إلى القاهرة متظاهرًا بالنصر، فوصلها في محرم ١٢١٤هـ/ يونيو ١٧٩٩م. أحمد حيدر الشهابي، **قصة أحمد باشا الجزار**، ص ١٥٤-١٥٦؛ نيقولا الترك، **جمهور الفرنساوية**، ص ٦٣-٨٣؛ صالح علي الشورة، **أحمد باشا الجزار**، ص ٧٢-١٠٢.

(١) حينما سيطر الفرنسيون على مصر، سعى نابليون بونابرت إلى إظهار تودده للمسلمين في مصر؛ فاختار مصطفى بيك كَتْخُدا الباشا العثماني - الذي تعاون معهم - ليكون أميرًا للحج، وقد تم تنصيبه في احتفال كبير في ربيع الأول ١٢١٣هـ/ سبتمبر ١٧٩٨م، كما عمل على تبادل الرسائل مع الشريف غالب، وطلب مِنْه حماية الموكب والحجيج مِن هجمات العُربان، ويظهر مِنْها إلحاح الشريف المتكرر لاستئناف إرسال قافلة الحج لِمَا تدره مِن مال على الحرمين الشريفين، ولكن ما أراده نابليون لم يتم نتيجة الظروف التي أَلَمَّت بالحملة، وحفظت كسوة الكعبة التي صنعت في عهده بالمشهد الحسيني بالقاهرة، وعندما تولى جاك مينو قيادة الحملة في مصر عمل على إخراج الكسوة لإرسالها إلى مكة، حتى تعلق على الكعبة باسم المشيخة الفرنساوية، ولكن ذلك لم يحدث حيث أُخْرِجَ الفرنسيون مِن مصر، وبناءً على ما تقدَّم لم تخرج أيَّة قافلة حج مِن مصر طوال الغزو الفرنسي، وقد أُعِيْد إرسالها بعد استرداد العثمانيين لها. عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس**، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٤٩، ٩٩، ١١٩-١٢١، ١٢٨-١٢٩؛ حسام عبد المعطي، **العلاقات المصرية الحجازية**، ص ٢٣٥-٢٣٧؛ محمد علي فهيم، **مخصصات الحرمين**، ص ٤١٨-٤٢٢؛ شيرين عبد الحليم القباني، **المحمل المصري**، ص ٥٩-٦١، ١٣٩. وللمزيد عن عَلاقة الشريف غالب ونابليون بونابرت، والمراسلات التي تبودلت بينهما انظر: سامية أسْعَد بشاوري، **الشريف غالب**، ص ١٨٣-١٩٣؛ محمد زكريا عناني: "**مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق**"، مجلة الدارة، الرياض، ع ٣، س ٦، =

نزر مِن المغاربة[١]، لم يمنعهم الفرنسيس عن سلوك هذا المنهل، فوقف حجاج المسلمين بعرفة، مُلَبِّين بأحسن خضوع وأجمل صفة. وفي الخامس والعشرين[٢] تَوَجَّه مِن طريق الشرق، حين صفا الوقت ورقّ.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفي الثامن والعشرين[٣]، ورد مِن مراكب الإنقليز مركبان كأنَّهما الجبلان، فاستقوا مِن الماء وتَوَجَّهوا، واشتروا مِن البَنْدَر ما اشتهوا.

❐ ❐ ❐

= ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٧٣-٩٩؛ محمد زكريا عناني: **"مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق"**، مجلة الدارة، ع ٤، س ٢١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٥-٢٩. وقد كانت الدولة العثمانية على معرفة بهذه المراسلات، وتابعتها باهتمام شديد، وأدركت أنَّ الشريف لا يتعاون بالشكل المطلوب مع القوات الإنجليزية التي تأتي إلى جدة، وتتجه إلى السويس لمحاربة الفرنسيين في مصر وإخراجهم مِنْها. محمد عبد اللطيف هريدي، **شئون الحرمين**، ص ١١٧-١١٩. وانظر: **ملحق الوثائق**، وثيقة رقم (٧).

(١) **حجاج المغاربة**: كان حجاج المغرب يصلون إلى القاهرة، ثم يخرجون في صحبة قافلة الحج المصري، وفي ٦ ذي القعدة ١٢١٣هـ/ ١١ مارس ١٧٩٩م، وصل حجاج المغاربة إلى الجيزة على الضفة الغربية لنهر النيل، وكان عددهم حوالي عشرين ألفًا، فانتشرت الشائعات بأنَّهم حضروا للجهاد ضد الفرنسيين، فأحضر الفرنسيون كبير المغاربة، للوقوف على حقيقة الأمر، فقال لهم: «إنَّنا لم نأت إلا بقَصْد الحج ... وإنَّ هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا، حتى نقاتل عليها، ولا يصح أنْ نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود»؛ ولذلك قام الفرنسيون في اليوم التالي بنقل الحجاج إلى الضفة الشرقية لنهر النيل، ليستكملوا طريقهم إلى الحجاز. عبد الرحمن الجبرتي، **مظهر التقديس**، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) ٢٥ ذو الحجة ١٢١٣هـ/ ٢٩ مايو ١٧٩٩م.

(٣) ٢٨ ذو الحجة ١٢١٣هـ/ أوَّل يونيو ١٧٩٩م.

[أحداث سنة ١٢١٤]

وتَمَّت السنة ودخل العام الجديد[١] [سنة ١٢١٤] وتحلى جِيد الزمان بالعقد الفريد.

[زيارة الشريف لمدينة الطائف]

وفي الثالث والعشرين من محرم[٢] سنة ١٢١٤، عام ألف وماتين[٣] وأربعة عشر، تَوَجَّه صاحب الترجمة بأهله إلى الطايف[٤]، لا زال مجده على صفحات الدهور نايف[٥]، وهرعت الناس إلى الطايف[٦] في هذا العام، وتراكمت ساحته كتراكم الغَمَام، وحَدَى فيه حَادِي الصفا بالأُنْس، بِمَا يغنِي عن ذكر الأندلس.

[الصدر الأعظم بالجيش العثماني في الشام]

ووَرَدَ الخبر أنَّ عُرضي الدولة، ومَعَه صاحب الختام[٧]،

---

(١) عام ١٢١٤هـ/ ٤ يوليو ١٧٩٩ - ٢٣ مايو ١٨٠٠م.
(٢) ٢٣ محرم ١٢١٤هـ/ ٢٦ يوليو ١٧٩٩م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: نائفًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) **صاحب الختام**: ويقصد به الصدر الأعظم أحمد ضيا باشا، تولى الصدارة العظمى في جمادى الأولى ١٢١٣هـ/ أكتوبر ١٧٩٨م، وعقد اتفاقيتي تحالف مع الروسيا وإنجلترا لإخراج الفرنسيين من مصر، وكان الباب العالي قد عهد بقيادة الجيش الزاحف إلى مصر إلى أحمد باشا الجزار، ولكن ضيا باشا عرض على السلطان استعداده للقيام بتلك المهمَّة، وخرج الصدر الأعظم مِن إستانبول في ١٢١٤هـ/ يونيو ١٧٩٩م بجيش مِن الإنكشارية، وجند بابه ووصل إلى دمشق، وظلَّ بها حوالي خمسين يومًا، ثم بدأ بالزحف على مصر، ولكن هذه الحملة تعرضت للهزيمة على أيدي الفرنسيين،=

أناخ ركايب[1] العزم بدمشق الشام، قاصدًا مصر القاهرة، فأرسل مولانا الشريف المكاتيب / ق١٦٢/ مع إبراهيم أفندي البكاي، وأسداه بِمَا يعينه على البعاد والتنآي[2]، وتَوَجَّه مِن الطايف[3] لحضرة الوزير[4] واجه به في دمشق في شهر أمشير، ثم عاد بالأجوبة في الثامن والعشرين مِن جماد لصاحب الترجمة، وذكر أنَّ الوزير أنعم عليه وأكرمه.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفي السادس عشر مِن ربيع الثاني[5]، ورد البَنْدَر للإنقليز أربعة مراكب، وهي في غاية القوة وأَسْنى المطالب للعدو المحارب، فوَسَقت وَسَقَت مِن الماء، وركبت اللجة الدهما[6].

[ذكر نزول صاعقة على مكة]

وفي الثاني مِن ربيع هَمَا الغيث المريع، فحنت الرعودُ، وأومض البرقُ، ولمع غربًا وشرق[7]، ونزلت صاعقةٌ هدمت بعض الدار الملازقة للقَبَّان الجديد، ولم تصب أحدًا بفضل المُبديء المُعيد.

= وتقهقرت إلى الشام. وقد وصف أحمد ضيا باشا بأنَّه «كان وزيرًا عاقلاً فاضلاً، وعن أمور الشريعة مُناضلاً، يبغض الظلم والعدوان، ويحب العدل والأمان». نقولا الترك، **جمهور الفرنساوية**، ص١٠١ وما بعدها. وللمزيد عن الحملة العثمانيَّة البريَّة مِن ناحية الشام على مصر. عزت حسن الدارندلي، **الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوط «ضيانامة»**، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبد الغني، تاريخ المصريين (١٣٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٢٣-٢٦، ٢٠٣ وما بعدها.

(١) كذا في الأصل، والصواب: ركائب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: التنائي.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) ويقصد به الصدر الأعظم أحمد ضيا باشا.

(٥) ١٦ ربيع الآخر ١٢١٤هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٩٩م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: الدهماء.

(٧) كذا في الأصل، والصواب: شرقًا.

[سرقة الحجر الأحمر مِن المعجن]

وفي غُرَّة جماد سُرِقَ الحجر الأحمر[١] الذي في المعجن[٢]، ومِن يوم ضياعه انقلب على أهل مكة ظَهْر المِجَنّ، فحصل لهم أمراضٌ وإكسال، وأذن داعي المنون بالانتقال، وما زالت الناس تزداد في الأسقام والأمراض، ويد المَنِيَّة تقرض حبل آجالهم بِمِقْرَاض، ومِن أواخر شهر رمضان[٣] ابتدأ الرفعُ وزادت الشدة، والجنايز[٤] تتوالى إلى آخر نهاية القعدة[٥]، وما زال كاس[٦] المَنِيَّة يُصيِّر الأرواح عن أجسامها منحازة، حتى بلغ في هذه المدة بين اليوم والليلة أربعين جنازة. ولم يرتفع هذا الرفع الْمُقَدَّر حتى وُجِدَ الحجر الأحمر.

---

(١) **الحجر الأحمر**: حجرٌ رخاميٌّ كان في حفرة المعجن، في الجهة الملاصقة للبيت الحرام. أيوب صبري، **موسوعة الحرمين الشريفين**، ٢/ ٨٠٨. وقد كان طوله سبعين سنتيمترًا، وعرضه أربعة وثلاثون سنتيمترًا، وكتب فيه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، أمر بعمارة المطاف الشريف، سيدنا ومولانا الإمام الأعظم، المعرض للطاعة على سائر الأمم، أبو جعفر المستنصر باللّه أمير المؤمنين، بلغه اللّه آماله وزين بالصالحات أعماله، وذلك في شهور سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وصلى اللّه على سيدنا محمد». انظر: محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٣/ ٤٦١.

(٢) **المعجن**: كانت حفرة ملاصقة للكعبة المشرفة على يمين بابها، يبلغ طولها مترين، وعرضها ١١٢ سنتيمترًا، وعمقها ٢٨ سنتيمترًا. ويروى أنَّ مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام كان في مكان موضع هذه الحفرة، و أنَّ الصلاة حينما فُرِضَت على المسلمين، صلى جبريل بالنبي ﷺ مرتين فى هذا المكان. وهذه الحفرة لم تكن حفرة حقيقة، وإِنَّما كانت في صدر الإسلام مِن نفس أرض المطاف الترابية، وكان يوضع في موضعها علامة تدل عليها، ولمَّا فرشوا أرض المطاف بالحجارة، جعلوا هذا الموضع حفرة كالحوض عُمقها نحو ثلاثين سنتيمترًا حتى لا يندرس هذا المحل. وقد تمَّ ردم الحفرة أثناء التوسعة السعودية الأولى في عهد الملك سعود بن عبد العزيز وتجديده وترميمه للكعبة المعظمة، وذلك بسبب وقوع بعض الحجاج فيها وقت الطواف في موسم الحج، وكان ذلك في يوم الخميس ٢ شعبان ١٣٧٧هـ/ ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٨م. أيوب صبري، **موسوعة الحرمين الشريفين**، ١/ ٦٧؛ محمد الكردي المكي، **التاريخ القويم**، ٣/ ٤٥٤-٤٦٢.

(٣) شهر رمضان ١٢١٤هـ/ ٢٦ يناير - ٢٤ فبراير ١٨٠٠م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الجنائز.

(٥) ٣٠ ذو القعدة ١٢١٤هـ/ ٢٤ إبريل ١٨٠٠م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

وسَمعتُ مِمَّن يوثق بقوله باطنًا وظاهرًا، مولانا الشيخ العلامة محمد طاهر[١] ابن المرحوم العلامة الشيخ سعيد سُنْبُل[٢]، أنَّه رأى في بعض التواريخ السابقة، أنَّ شخصًا سَرَق حجرًا مِن أحجار البيت الشريف فيما تَقَدَّم مِن الأزمنة، فحصل بسببه الرفعُ الذي عَمَّ جميع الأمكنة، فما ارتفع الرفع حتى عاد الحجر في مكانه، وذكر المورخ[٣] أنَّها وقعت هذه الوقعة في زمانه. ولقد شاهدت واقعة الحجر الأحمر بالعين مشاهدة، وأهل مكة المعاصرون بالواقعة شاهدة، وكُلٌّ قيس قياسًا على سارقه ورجم، وأجمعوا أنَّه لم يسرقه غير العجم، ولم يخل هذا الحجر مِن الخواص، لكونه دُرَة مِن دُرَرِ الغوَّاص، ولقد شاهدنا عمل أهل زماننا عليه الآن يلحسونه باللسان، ويقولون: إِنَّه نافع لداء اليرقان[٤].

ثم اعلم أنَّ شخصًا مِن مجاوري مكة، وهو مِن أصحاب الثروات، يدعي بعلي البصنوي خَلَّفَ ابنًا اسمه محمد، ومات وابنه المذكور / ق١٦٣/ مُبتلى بداء السوداء[٥]، ويخلط في كلامه هَزلًا وجِدًّا، فأنفق مِن مُخَلَّفَات أبيه أموالًا كثيرة، ومات في مُدَّة يسيرة، فَوُجِدَ الحجر الأحمر في تركته، وما أظنّه أخذه

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) **سَعِيْد سُنْبُل**: محمد سعيد بن محمد سُنْبُل المجلائي المكي، مِن فقهاء مكة المكرمة، تولى التدريس والإفتاء في المسجد الحرام. ومِن مؤلفاته «الأوائل السنبليَّة» في أوائل كتب الحديث، توفي في الطائف عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، ودُفِنَ أمام شباك الصحابي عبد اللَّه بن عباس - رضي اللَّه عنه. أحمد الحضراوي، **نزهة الفكر**، ٢/ ١٩-٢٠؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٦/ ١٤٠.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: المؤرخ.

(٤) **داء اليرقان**: مرض ناشئ عن اختلال في إفراز الصفراء أو المرارة ويصحبه اصفرار الجلد والأنسجة والبَول. محمد بن أحمد الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، دراسة وتصدير: عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص ١٥٥. **المعجم الوسيط**، ص ١٠٦٤.

(٥) **داء السّوداء**: ويعرف حاليًا بمرض المَلَنْخُولْيَا، مرضٌ عقليٌّ وضرب من الجنون وهو أنْ تحدث للإنسان أفكار رديئة ويغلبه الحزن والخوف وربما صرخ ونطق بالأفكار الردية وخلط في كلامه. محمد الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، ص ١٥٥. **المعجم الوسيط**، ص ٨٨٧.

إلا ليلتمس مِن بركته، فإنَّ المذكور شاهدناه مِن أصلح الرجال، ينفقُ على المُسْتحقين جَمًّا غفيرًا مِن المال، وهذا هو السبب الحامل على اقتلاعه، سوءُ عقله لا سوء طباعه.

وفي ليلة تاسع شهر الصيام[١]، مِن شهور هذا العام، وقع عمودان مِن الصفر الذي حول المطاف، فأعادهما كما كان سليل عبد مناف.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ليلة ثامن الحجة[٢]، وصل حجاج المسلمين لزيارة البيت الأمين، وكان أميره ابن العظم عبد اللَّه باشا، بلغه اللَّه تعالى مِن الخيرات ما شا[٣]، فخرج إليه سليل السادة الأمجاد، ولبس الخِلْعة السلطانيَّة على الوجه المعتاد، فحج بالناس ولم يقع بفضل الكريم باس[٤].

وفي الثالث والعشرين[٥] تَوَجَّه لزيارة سيد الأنام، حين لمع بارق السلامة يمنًا وشام[٦]، وتَمّ العام بالفيض والإنعام.

❑ ❑ ❑

(١) ٩ رمضان ١٢١٤هـ/ ٣ فبراير ١٨٠٠م.
(٢) ٨ ذو الحجة ١٢١٤هـ/ ٢ مايو ١٨٠٠م.
(٣) كذا في الأصل، والصواب: شاء.
(٤) كذا في الأصل، والصواب: بأس.
(٥) ٢٣ ذو الحجة ١٢١٤هـ/ ١٧ مايو ١٨٠٠م.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: شامًا.

[أحداث سنة ١٢١٥]

ولمَّا هلَّ هلال المحرم ولمع بالخير طالعه سنة ١٢١٥[١] سبقت في ميدان الخيرات طوالعه.

وفي السادس والعشرين مِن محرم[٢] هذا العام، ورد الخبر مِن مدينة سيد الأنام - عليه أفضل الصلاة والسلام، سنة ١٢١٥ ألف وماتين وخمسة عشر[٣] مِن هجرة سيد البشر - بوفاة الوزير المكرم والصدر الأعظم يوسف باشا، فَاسْتَسَرّ كُلٌّ بموته وما تحاشا، لكونه مَن شَيَّد دولة الوهابيين، وأَسَّس هذا الحزب الذي يبقى في الحرمين حتى حِيْن.

[إصلاحات في الحرم وتعمير مقام إبراهيم]

وفي غُرَّة محرم[٤] هذه السنة، تفضلت الدولة العليَّة بهذه الحسنة، أمرت بتنقيل الحجر المفروش في رواق المسجد الحرام، وتعمير مقام [الخليل][٥] عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وتنقيل جميع المماشي، وما حول الطواف والمقامات مِن حواشي، جزاهم اللَّه تعالى خيرًا وأحسن إليهم كُلّ الإحسان، وأبقى دولتهم على ممر الزمان.

[زيارة الشريف إلى بَنْدَر جدة]

وفي خامس[٦] هذا الشهر، تَوَجَّه صاحب الترجمة إلى جدة، أدام اللَّه

---

(١) عام ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠ - ١٢ مايو ١٨٠١م.

(٢) ٢٦ محرم ١٢١٥هـ/ ١٨ يونيو ١٨٠٠م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين وخمس عشرة.

(٤) غُرَّة محرم ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠م.

(٥) وردت في الأصل (السيد خليل)، والتصويب مِن النسخة (ب)، ورقة ١٣٢.

(٦) ٥ محرم ١٢١٥هـ/ ٢٨ مايو ١٨٠٠م.

تعالى مجده وأعلاه سعده، فغاب بها قدر شهر، ثم عاد إلى المقر.

[الشريف يشترى دار عمِّه في أول المَعَابدَة]

واشترى في عامه دار عمّه جعفر التي بأوَّل المَعَابِدَة، وهي مِن أحد الدور المتنزهات، والنسيم يعثر في رياضها مِن كُلّ الجهات، وعَمَّرها عمارة تشهد / ق١٦٤/ لِهِمَّته بعلوها، وتسر الصديق بغيظ عدوها.

[زيارة الشريف إلى الطائف]

فأقام بمكة خمسة أيام، وأماط عن وجه السفر للطايف[١] اللثام، فتنزه في رياضه وكرع مِن نمير حياضه مُدَّة ثلاثة أشهر ونصف، وهو عن الأنس والصفا لا يتحول، وعاد إلى مكة في الخامس والعشرين مِن جماد الأول[٢].

[وفاة السيد فهيد بن عبد اللّه بن سعيد]

وفي غُرَّة جمادى الأولى[٣] تَوَجَّه مِنْه السيد فهيد بن الشريف عبد اللّه بن سعيد إلى بلد اللّه تعالى الحرام، فأقام يومين وقضى شؤنه وتَوَجَّه إلى الشام، وكان سَفَره خنقًا واختلاسًا عن صاحب الترجمة، ولم يظهر لسَفَره إشارة ولا سِمَة، فركب متن الطريق وأَمَّه، وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّة، فلمَّا علم به أوغل في طلبه المراسيل، ولم يدركوا مِنْه غير تعب الرحيل، وما أظنَّه سَاقَتَه غير أمنيته بهم الهمم، ويسعى القدم لعمر دنا أو رزق قسم؛ ولمَّا وصل إلى الشام دعاه داعي الحمام، ودفن بها عليه رحمة المَلِك العلاَّم، أعقب مِن الذكور ابنه النجيب الحايز[٤] مِن الكمالات أوفر نصيب السيد عبد اللّه ابن السيد فهيد، فهو الفاضل الذي سلك طريق المعالي واجتهد، والشبل كما يقال: ولد الأسَد.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: للطائف.

(٢) ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٥هـ/ ١٣ أكتوبر ١٨٠٠م.

(٣) غُرَّة جمادى الأولى ١٢١٥هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨٠٠م.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الحائز.

[أسعار صرف النقود]

وفي عشرين مِن جمادى الثانية[١] مِن العام المذكور، زادت المعاملة عن أسعارها، وارتفعت مقدارًا على مقدارها، فبلغ المشخص أحد عشر غرشًا وربعًا، والريال بخمسة غروش بعد أنْ كان بسبعة وأربعة، وحصل لبعض الناس مضرَّة وللبعض منفعة.

[عمارة سور لحماية الطائف]

ولمَّا رأى صاحب الترجمة الإرجاف، وخيانة الفساد والأعراب عمّت جميع الأكناف والأطراف، والشقي الخارج فتحت لأخذ البلدان مسامعه، وقويت شوكته على المسلمين وزادت مطامعه، أمر حاكمه الجناب المُكَرَّم سليمان بن أحمد الهائف، بعمارة سور حصين محيط بقرية الطايف[٢]، وصيانتها لسكانها مِن رجوم المردة، وحفظًا لأوطانها مِن هجوم القردة، عَالِمًا إنْ تَمَكَّن مِنْهم ذلك الجبار، يفنيهم جميعًا ويخلي مِنْهم الديار، ولم يبقِ مِنْهم دَيَّارًا ولا نافخ نار، وجعل لهذا السور ثلاثة أبواب: الباب الأوَّل باب السلامة ويقال له: باب الريع. والثاني باب حوايه. والثالث باب اليمانيَّة، تمام الجميع.

[الشريف يأمر بإقامة أبراج لتحصين مكة]

وأمر صاحب الترجمة أنْ تُحَصَّن بعض جبال مكة بأبراج / ق١٦٥/ خشية المُنافق، رغبةً وأمنًا للساكن ورهبة وتخويفًا لكُلِّ مُنافق؛ فَبَنَى بقرب المَعَابِدَة برجين[٣] على راس[٤] جبلين شاهقين، وعلى ثنية شعب الْحَجُون بُرجين مُتقابلين[٥] تُدْنِي لمحاربها الحَيْن، وبرج على بئر طُوَى لا ينازله عدو

---

(١) ٢٠ جمادى الآخرة ١٢١٥هـ/ ٧ نوفمبر ١٨٠٠م.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: برجان.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: رأس.

(٥) إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ١/ ٣٠.

ولا يقوى، وبنا بُرجين مُتقابلين بقرب الشيخ محمود[١]، تمنع الداخل مكة عن الورود[٢]، وأمر ببناء برج على البئر الذي بشاقة المنشية، ينال محاربه مِنْه كاس[٣] المَنِيَّة.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفيه وصل مركب، وثلاثة بعده، وبعدها جملة مراكب مِن مراكب الإنقليز، فاستقت ورحلت على مصر، وهي مشحونة بالعساكر، ومجهزة غاية التجهيز، فكسر أكبر المراكب وهو داخل إلى جدة بعد موضع يقال له: العلم، فاجتمع مِن مراكبهم نحو الثلاثين، وأرادوا خروجه فلم يمكن وجوده بعد العدم، فأخرجوه لصاحب الترجمة بعد أنْ عافروا فيه وما ملكوه، وبعد أنْ أعطاهم إيَّاه سافروا وتركوه، فمكث في الماء نحو أربع سنوات، وهو موثوق بالشحنة التامة مِن جميع الآلات، وبعد ذلك أخرج مِنْه صاحب الحظ الذي يقسم الحجر مِن البارود وغيره مِن آلات القتال شي[٤] لا يدخل تحت الحصر، ثم وردت خمسة مراكب إنقليزيَّة؛ فاستقت وسافرت للجهات المصريَّة.

[أخبار قوافل الحج]

وفي سابع ذي الحجة[٥]، ورد الحج الشامي بالفيض الهامي، وكان أميره عبد اللَّه باشا بن العظم، فنال زيارة البيت المكرم.

وفي هذا العام المذكور[٦] لم يصل مِن مصر محمل ولا حج؛ لاشتغال

---

(١) **الشيخ محمود**: موضع في جَرْوَل بمكة، دُفِنَ فيه الشيخ محمود بن أدهم، أحد الصالحين الأتقياء، وكان قبره مِن مزارات الحجاج، عاتق البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ص ١٥١٨.

(٢) إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين**، ١/ ١٨٣.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: كأس.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: شيئًا.

(٥) ٧ ذو الحجة ١٢١٥هـ/ ٢٠ إبريل ١٨٠١م.

(٦) عام ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠ - ١٢ مايو ١٨٠١م.

الدولة العليَّة بقتال الإفرنج، فخرج صاحب الترجمة دام إسعاده وإسعافه، ولبس الخِلْعة كما يلبسها آباؤه وأسلافه، وحج بالمسلمين مِن وفاد وقاطنين.

وفي هذا العام(١)، حج أشقى الأنام سعود وأقوامه اللئام، ونفرت الناس في ثالث مِنَى قبل الزوال للفتنة الواقعة بين بادية الشريف وعصابة أهل البغي والضلال، ووقع الجري في الأسواق، ونالت الناسَ متاعبٌ ومشاق، وسأقصّ عليك واقعة الوهابيين في محلّها، وأوضح بيان إضلالها وجهلها.

وفيه وقع قتال بين عبيد لصاحب الترجمة وبني هُذَيْل، ونال كُلًّا مِن صاحبه شدةٌ وميل، ففرعها بينهم ذو الشرافتين، بعد أن أصيب مِن كلا الطرفين.

وفي اليوم السادس والعشرين(٢)، بعد أنْ خلق ثوب الأصيل / ق١٦٦/ ورق، تَوَجَّه المحمل الشامي بجنوده مِن طريق الشرق.

❑ ❑ ❑

(١) عام ١٢١٥هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠٠ - ١٢ مايو ١٨٠١م.

(٢) ٢٦ ذو الحجة ١٢١٥هـ/ ٩ مايو ١٨٠١م.

[أحداث سنة ١٢١٦]

وتَمَّت السنة بالمسرة والميمنة، وَوَلَجَ العام الجديد(١) [سنة ١٢١٦]، والطالع السعيد، ففي العاشر مِن محرم الحرام(٢)، عام ألف وماتين(٣) وستة عشر مِن هجرة خير الأنام، نزل صاحب مكة بالجنود والعساكر إلى بَنْدَر جدة العامر.

[وصول مراكب للإنجليز إلى بَنْدَر جدة مُتجهة للسويس]

وفي اليوم الثاني عشر(٤) وَرَدَ اثنا عشر مركبًا مِن مراكب الإنقليز؛ تقْوِية لما شيَّدته الدولة مِن التجهيز، فخرج رايِّسهم واجتمع بصاحب الترجمة - لا زالت الأيام له مبتسمة - وطلب مِن حضرته العليَّة وهمته القويَّة، أنْ يشتري لهم خمسمائة مِن النُّوق والجِمال، ومثلها خَيلاً وبِغال(٥)، برخيصٍ بغال، ليركبها عسكرهم مِن القصير إلى الريف، ومِنه يتَوَجَّهُون إلى مصر وظلها الوريف؛ فأعطاهم مِن النُوق والجِمال والخَيل والبِغال قديمة الميلاد مِن عهد عاد، مِمَّن تحق حرب البسوس، وأدركت زمن دقيانوس(٦)، مِن خَيل

---

(١) عام ١٢١٦هـ/ ١٣ مايو ١٨٠١ - ٢ مايو ١٨٠٢م.

(٢) ١٠ محرم ١٢١٦هـ/ ٢٢ مايو ١٨٠١م.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: مائتين.

(٤) ١٢ محرم ١٢١٦هـ/ ٢٤ مايو ١٨٠١م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: بغالًا.

(٦) **دقيانوس**: الإمبراطور الروماني ديقيوس Decius، تولى الحكم عام ٢٤٩م، وقد كانت النصرانيَّة قد انتشرت بين أرجاء الإمبراطورية؛ فقام باضطهاد النصارى ليفرض عليهم العبادات الوثنية، وقيل: إنَّه المَلِك الظالم الذي اختفى في عهده أهل الكهف، الذين وردت قصَّتهم في القرآن الكريم، في سورة الكهف بالآيات (٩-٢٢)، وقد مات قتيلاً في إحدى المعارك الحربية عام ٢٥١م. محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،=

الطواحين التي مَضَى لها حين بعد حين، بعضها صعب وبعضها حرون، لو بِيْعت بفلس فشاريها مَغْبون، تعدّ مِن أسنها أسنانها، ولا تعرف إلا بأنينها مكانَها، يعثرها النوى، وتسقط مِن الهَوى.

وعلى كُلّ حالٍ، فقد صَكَّهم صَكَّة عمى، وكوى فوايدهم[1] بها أعظم كي، فعينها لهم وشراها، ومكنهم أزمتها وعراها، فتَوَجَّهوا بها على القصير، وانبروا كما ينبري الطير، ثم عاد مولانا الشريف إلى مكة، وأقام بها أسبوع[2]، وتَوَجَّه إلى الطايف[3] المأنوس هاتيك الربوع.

وورد للإنقليز ثلاثون مركبًا وصلت إلى جدة، واستقت وتَوَجَّهت في أسرع مُدَّة، وأقام مولانا الشريف بسوح الطايف[4] وحماه أشهرًا وعاد إلى حرم اللَّه.

[ذكر الجوجوات والمصاحبجية قصار القامة]

ثم اعْلَمْ أنَّ مِن أعجب ما رأيناه مِن نوادر الزمان أنَّه وَرَدَ في سابع عشر رمضان[5] رَجُلان في السن هيئتهما تفجع الجِنّ، وهما مِن أطراف الدولة العثمانيَّة، يسمونها: جوجوات ومصاحبجية، وهما قصار القامة في غاية القصر، وعِبْرة لِمَن اعِتَبر، لم يزد طول أحدهما على ثلاثة أشبار، وقِسْ على هذا المقدار، يَحْمِلُونهم[6] على أعناقهم الخدم، إذا أرادوا النزول إلى الحرم،

= مج ٥، راجعه: محمد الحفناوي، خرَّج أحاديثه: محمود عُثمان، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٦٨٣-٦٨٦؛ مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية والنظام الإمبراطوري ومصر الرومانية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٥٣.

(١) كذا في الأصل، والصواب: فوائدهم. ويقصد أفئدتهم.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أسبوعًا.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.

(٥) ١٧ رمضان ١٢١٦هـ/ ٢٠ يناير ١٨٠٢م.

(٦) كذا في الأصل، والصواب: يحملهم.

ومتى برزوا مِن بيوتهم للخروج، يحسبهم الناس يأجوج ومأجوج، فيهرعوا[1] إليهم ويتفرَّجون، ويتعجَّبون على ما لم يَرَه الراؤون، ولم يروه الراوون.

[ولاية طوسون محمد باشا على جدة]

وفي الثامن والعشرين مِن شهر الصيام[2]، وَرَدَ الجناب الهُمَام، والأسد القمقام طوسون محمد باشا[3]، ماجد سَرَدَ سهم المجد وأراشه، كان رجلًا مِن أهل الهمم موصوفًا بالشجاعة والكرم، جاء مِن طَرَف الدولة واليًا على البندر، ومعه ثمان مائة مِن جيد العسكر.

وفي رابع عشر شوَّال[4] وصل بنفسه طوسون محمد باشا المذكور، لزيارة البيت الحرام لا زال معمور[5]، فأرسل صاحب الترجمة جانبًا مِن عسكره، يقابلونه ويمشون أمامه ودونه، فدخل مكة ماشيًا على القدم حتى فاز بالحجر المكرم، فأضافه ثلاثة أيام، وبالغ فيما يجب له من الإكرام.

[فتنة بين العسكر في جدة]

وفي اليوم الثامن والعشرين[6] وقع ببَنْدَر جدة ملحمة بين عسكره وعسكر صاحب الترجمة، فمات مِن الفريقين مَن دنا مِنْه الحَيْن، ثم أصلح بينهما أكابر البلاد، وأجروا أمورهما على وفق السداد.

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: فيهرعون.

(٢) ٢٨ رمضان ١٢١٦هـ/ ٣١ يناير ١٨٠٢م.

(٣) **طوسون محمد باشا**: مِن القادة العسكريين المصاحبين للقوات العثمانية التي دخلت مصر مع الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا، فَأَسْند إليه ولاية جدة والحبش، مع رتبة الوزارة عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وأمر له براتب ستة أشهر لخمسمائة مِن الجند، ومَنَحَه الجزيل مِن المال للقيام بمهمَّته، فتوجه إلى السويس ومنها إلى جدة، ولكن حكمه لم يستمر سوى عام واحد؛ فتوفي بعد أداء فريضة الحج في عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م، ودُفِنَ في جدة. عزت حسن الدارندلي، **ضيانامة**، ص ٣٨٨-٣٩٠، ٤٤٣؛ عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣١٩، ٣٥٠.

(٤) ٤ شوَّال ١٢١٦هـ/ ٦ فبراير ١٨٠٢م.

(٥) كذا في الأصل، والصواب: معمورًا.

(٦) ٢٨ شوَّال ١٢١٦هـ/ ٢ مارس ١٨٠٢م.

وفي سادس الحجة[١] وصل كلا الحجين الشريفين، وخرج صاحب الترجمة ولبس الخِلْعتين المنيفتين.

[وفاة والي جدة طوسون باشا]

وفي ثالث عشر ذي[٢] الحجة توفي طوسون باشا، ودفن بالمعلا بعد أنْ أتَمَّ حجَّه وتملا.

[أخبار قوافل الحج]

وفي ثمانية عشر[٣] حصل قتال بين عسكر الحج المصري وعسكر والي الشام، واستمر القتال بينهم ساعة واستدام، فأرسل صاحب الترجمة مِن طرفه مَن أجَدَّ السَّيْر وأصلح بينهم، والصلح خير.

وفي الثالث والعشرين[٤] مِنْه سافر عبد اللّه باشا والي الشام لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام. وفي السابع والعشرين[٥] مِنْه سافر عثمان بيك[٦] أمير الحاج المصري، يختبط الضلماء ويسري.

وفي هذا العام[٧] لم يحج أحد مِن طايفة[٨] الوهابيين، عليهم لعنة ربّ العالمين، وأراح اللّه تعالى مِنْهم المسلمين آمين.

---

(١) ٦ ذي الحجة ١٢١٦هـ/ ٨ إبريل ١٨٠٢م.

(٢) ١٣ ذو الحجة ١٢١٦هـ/ ١٥ إبريل ١٨٠٢م.

(٣) ١٨ ذو الحجة ١٢١٦هـ/ ٢٠ إبريل ١٨٠٢م.

(٤) ٢٣ ذو الحجة ١٢١٦هـ/ ٢٥ إبريل ١٨٠٢م.

(٥) ٢٧ ذو الحجة ١٢١٦هـ/ ٢٩ إبريل ١٨٠٢م.

(٦) **عثمان بيك**: خرج بقافلة الحج مِن القاهرة في ١٩ شوال ١٢١٦هـ/ فبراير ١٨٠٢م، وعاد إليها في ٢١ صفر ١٢١٧هـ/ يونيو ١٨٠٢م. عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار**، ٣/ ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٥٢؛ أحمد الحضراوي، **مختصر حُسْن الصفا والابتهاج**، ص ٢٩١-٢٩٢.

(٧) عام ١٢١٦هـ/ ١٣ مايو ١٨٠١ - ٢ مايو ١٨٠٢م.

(٨) كذا في الأصل، والصواب: طائفة.

[أحداث سنة ١٢١٧]

ولمَّا هَلَّ هلال محرم الحرام بالفيض والإنعام، ودخل عام[١] السابع عشر بعد الماتين[٢] والألف سنة ١٢١٧[٣]، ففي اليوم الثاني عشر[٤] مِنْه تَوَجَّه صاحب الترجمة إلى جدة، وأقام بها سبعة أيام، ثم يَمَّم سعيه تجاه البيت الحرام، فما أقام إلا يوم واحد[٥] وانحاز، وأعمل اليَعْمَلاَت إلى الحجاز، وهرع غالب أهل مكة إلى الطايف[٦] في هذا العام، / ق١٦٨/ لِمَا شاهدوا فيه هذه السنة مِن زيادة الأُنْس والسرور التام، وفاضت الخيرات فيه واتصل الرخا[٧]، ورأى الناس في نفوسهم أزيد مِمَّا يعهدونه مِن المودة والإخا[٨].

وابتهج الطايف[٩] في هذا العام[١٠] ابتهاجًا ظهر للناس بالمسرّة وتبين، وأخذ زخرفه وتزيَّن، وكان عامها جميع الثمار صالحة، لم يعترها آفة سماوية ولا جائحة، والأزهار بطيب أرجها نافحة، والسنابل قايمة[١١] على أقدامها تشق جيوبها كالنايحة[١٢]، والناس أفواجًا أفواجًا يهرعون

(١) كذا في الأصل، والصواب: العام.
(٢) كذا في الأصل، والصواب: المائتين.
(٣) سنة ١٢١٧هـ/ ٣ مايو ١٨٠٢ - ٢١ إبريل ١٨٠٣م.
(٤) ١٢ محرم ١٢١٧هـ/ ١٤ مايو ١٨٠٢م.
(٥) كذا في الأصل، والصواب: يومًا واحدًا.
(٦) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(٧) كذا في الأصل، والصواب: الرخاء.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: الإخاء.
(٩) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.
(١٠) عام ١٢١٧هـ/ ٣ مايو ١٨٠٢ - ٢١ إبريل ١٨٠٣م.
(١١) كذا في الأصل، والصواب: قائمة.
(١٢) كذا في الأصل، والصواب: كالنائحة.

إلى المثنى، ويعتنقون قدود أغصانها فرادى ومثنى، والنسيم العليل الذي تصح به الأبدان تخفق راياته، وتهدي مِن طيب رياضه للندمان جهاته، وأصوات الأطيار تغرد على أغصانها، وتجلب الأنس لسكانها، ومقامات الآلاف بأوتارها عوابث، والنفوس ترقص فرحًا مِن ربّات المثاني والمثالث، حتى مضى نصف هذا العام، وهُم بهذا السرور التام، فنزلوا مِن الطايف[1] وتركوه على هذا الحال، والسرور مُسْتديم بالنعيم والأفضال / ق١٦٩/ .

❑ ❑ ❑

(١) كذا في الأصل، والصواب: الطائف.





